



This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

- + *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.
- + *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.
- + *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.
- + *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>

32101 077797296

Library of



Princeton University.

أنا من نخلة تجاور قبرا ساد سن فيه سائر الخلق طرا
 شعلني سعادة القبر حتى صرت في راحة ابن ايوب اقرا
 وقد كان الرسول بها قال لصلاح الدين خذ هذه فما اهدي لك ولا لابيک
 مثلها فغضب السلطان من هذا الكلام فقال الرسول لا تعجل وانظر ما فيها
 من الكلام فلما نظرها وقرا البيتين قبلها ووضعها على راسه وقال صدق
 الشريف ما وصلني قط هدية مثل هذه . قال وقرأت عليه من كتب
 القراءة والحديث وغيرها تصانيف كثيرة استوفيتها باسانيدها في برنامج
 روايتي الشيخ واجازني اجازة تامة مطلقة عامة وكتب لي بخطه ومولده
 عام ثمانية وستين وستمائة * ومنهم احمد بن محمد بن عثمان لازدي ابو
 العباس المراكشي عرف بابن البناء لحرفة ابيه من ايمة العلم حتى قال
 الحافظ بن راشد ما رايت عالما بالغرب الا رجلا بن البناء بمراكش وابن
 الساط بسبته وقال غيره كان اماما معظما عند الملوك له حظ وافر في علوم
 الشريعة مع الغاية القصوى في العلوم القديمة قال تليذه البجاعي كان
 وقورا حسن السيرة قوي العقل فاضلا مهذبا حسن الهيئة معتدل القد رفيع
 الثياب طيب المآكل يسلم على سن لقيه ينصرف عنه سن كلمه راضيا محبا
 عند العلماء والصالحاء ذا اجادة مع قلته الكلام جدا لا يهذر ولا يتكلم بغير علم
 يسكت جميع الناس لكلامه محققا قليل الخطا قال ابن شاكر له حظ وافر في
 علوم الهيئة والنجوم لازم الولي ابا زيد الهزميري فاعطاه ذكرا دحلا به الخولة
 نحو سنة ودعا له وقال له مكنك الله من علوم السماء كما مكنك من علوم
 الارض واطلعه ليلة على دائرة الفلك حتى شاهدها وعان مجرى الشمس
 فهاه ذلك فسمع الشيخ ابا زيد يقول له اثبت حتى تستوفي ثم قال له
 قد فتح عليك في ما رايت فوصل من وقته الغاية في الهيئة والنجوم وكان
 يداوم الصوم والخولة لتصحيح امر الفلك حتى راي مرة وهو مصل بين يديه
 قبة نحاس محبوسة في الهواء لا مثل لها وفي وسطها شخص متعبد فهاه
 ما راي ولم يثبت لذلك وسمع اصواتا هائلة تناديه ه أن اذن منا يا ابن
 البناء ه

انا من نخلة تجاور قسبرا ساد سن فيه سائر الخلق طرا
 شملتني سعادة القبر حسنى صرت في راحة ابن ايوب اقرا
 وقد كان الرسول بها قال لصلاح الدين خذ هذه فما اهدي لك ولا لابيک
 مثلها فغضب السلطان من هذا الكلام فقال الرسول لا تعجل وانظر ما فيها
 من الكلام فلما نظرها وقرا البيتين قبلها ووضعها على راسه وقال صدق
 الشريف ما وصلتني قط هدية مثل هذه . قال وقرأت عليه من كتب
 القراءات والحديث وغيرها تصانيف كثيرة استوفيتها باسانيدها في برنامج
 روايتي الشيخ واجازني اجازة تامة مطلقة عامة وكتب لي بخطه ومولده
 عام ثمانية وستين وستمائة * ومنهم احمد بن محمد بن عثمان لازدي ابو
 العباس المراكشي عرف بابن البناء لمحنة ابيه من ائمة العلم حتى قال
 المحافظ بن راشد ما رايت عالما بالمغرب الا رجلين ابن البناء بمراكش وابن
 الشاط بسبته وقال غيره كان اماما معظما عند الملوك له حظ وافر في علوم
 الشريعة مع الغاية القصوى في العلوم القديمة قال تليذه البجاعي كان
 وقورا حسن السيرة قوي العقل فاضلا مهذبا حسن الهيئة معتدل القدر رفيع
 الثياب طيب المآكل يسلم على سن لقيه ينصرف عنه سن كله راضيا محبا
 عند العلماء والصالحين ذا اجادة مع قلته الكلام جدا لا يهذر ولا يتكلم بغير علم
 يسكت جميع الناس لكلامه محققا قليل الخطا قال ابن شاكر له حظ وافر في
 علوم الهيئة والنجوم لازم الولي ابا زيد الهزميري فاعطاه ذكرا دخل به الخلة
 نحو سنة ودعا له وقال له ممكنك الله من علوم السماء كما ممكنك من علوم
 الارض واطلعه ليلة على دائرة الفلك حتى شاهدها وصاين مجرى الشمس
 فهاهنا ذلك فسمع الشيخ ابا زيد يقول له اثبت حتى تستوفى ثم قال له
 قد فتح عليك في ما رايت فوصل من وقته الغاية في الهيئة والنجوم وكان
 يداوم الصوم والخلة لتصحيح امر الفلك حتى رأى مرة وهو مصل بين يديه
 قبة نحاس محبوسة في الهواء لا مثل لها وفي وسطها شخص متعبد فهاهنا
 ما رأى ولم يثبت لذلك وسمع اصواتا هائلة تناديه * اَنْ اَنْ منى يا ابن
 البناء *

ومنع من يحبك باجتماع فانك من الفراق على يقين
قال وانشدني لبعضهم —

ان الليالي للانام منـاهل تطوى وتنشر دونها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار
قال وكان رضي الله عنه رقيقا لاشارة مليح العبارة حلوا الحكايات عالي
الروايات مع مروعة ظاهرة وتعام خلقته وهدي وسمت ووقار لا كفاء له
الى حسن البيان وعذوبة اللسان —

ملح كالرياض غازلت الشمس س رباهما واختر عنها الربيع
فهني العين منظر مونق الحسـن وفي النفس سودد مجموع
قال ذكر لي انه دخل بعض الملوك على جارية له وقد دهن شعره
بدهن بيض به فقال يخاطبها —

ان البياض ملىح لا شيء في الحسن بعده
فاجابته الجارية في الحين —

اهواه من كل شيء الا من الشيب وحده
فاستحسن جوابها واحسن ثوابها . قال واخبرني ان بعض الشعراء دخل
على بعض الاكابر مادحا له بشعره قاله فيه فوجد عنده خلعا قد قصر من
شعره واجزل له في العطاء ولم يعط الشاعر شيئا فقال مرتجلا —

ارى من جاء بالموسى موسى وراحة ذي القريض تروح صفرا
فهذا منبج ان قص شعرا وهذا مخفق ان نص شعرا
قال واخبرني انه مدح ابا الحسن بن الفضل احد الوزراء بمراكش
كان اقرع فلم يثبه فقال —

اهدت مدحا للوزير الذي عاتبه المجد فلم يسمع
فحامل الشعر اليه كمن يهدي به مشطا الى اقرع
قال واخبرني ان سالم بن قاسم من بني مهنا الحسينيين اهدى لصالح
الدين بن ايوب مروحة بيضاء وفيها مكتوب بالاحمر —

الحضرمي على الشيخ الفقيه المقرئ الصالح الراوية ابي العباس احمد بن موسى بن عيسى بن ابي الفتح الانصاري المشتهر بالبطرني وحديثه انه قرا بالسبع على الشيخ الفقيه المقرئ الخطيب القاضي ابي محمد عبد الله بن يوسف بن ابي بكر بن عبد الأعلى المعافري الشبارقي بقراءة نافع افرادا وجمعا وباقي السبع ختمة جمعا لكل امام ثم جمع عليه السبع في ختمة كاملة مع الادغام الكبير وقال قرات على خاتمة المقرئين بشرق لاندلس ابي جعفر احمد بن يحيى بن عون الله الحصار بقراءة نافع افرادا وجمعا قال وجمعت عليه السبع بختمة كاملة قال وقرات السبع افرادا وجمعا مع الادغام الكبير فيهما على الشيخ الفقيه الزاهد ابي الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي قال قرات جميع ذلك على الشيخ الفقيه المقرئ ابي داود سليمان بن نجاح لاموي قال قرات جميع ذلك على الامام الحافظ ابي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني بسنده في كتاب التيسير .

فقال البلوي وكل ذلك قراته عليه مع القصيدة اللامية المسماة بحرز لاماني التي من نظم الامام ابي القاسم بن فيره الشاطبي رحمه الله تعالى قراءة تثبت وتبين لمعانيها واعراب لمشكلاتها وايضاح لاسرارها واستخراج لغوامضها وجميع مقيلة اتراب القصائد من نظم الشاطبي ايضا . قال وحديثي بجميع ذلك عن شيخه ابي العباس البطرني المذكور . قال ولشيخي هذا اسانيد غير هذه وسماع وثبت وانقطاع ومواصلة للقرءان واحتناء بذلك الشأن فجمع بين علو الاسناد والسلسلة الذهبية وتوسع كثيرا في اللغة والعربية وتنوع من هذه الطريقة لادبية يعمر بها مجالسه ويفيد منها مجالسه قال انشدني لبعض الشعراء —

اني غريب بدار لا كرام بها كغربة الشعرة السوداء في الشبط
لا اطلق العين في شيء اسر به ولا انال الرضى الا على سخط
قال وانشدني لبعضهم —

تمتع بالرقاد على الشمال فسوف يطول نومك باليمين

ومتع

الشيخ قد اوتي من حسن اللفظ بالقراءة ما لم يؤته احد ممن بقي على الارض في هذا الوقت باجماع . حضرت قيامه في ليالي شهر رمضان بالاشفاق . وانتدب الناس الى سماعه من النواحي والبقاع . فما قرع سمعي ولا وقع في اذن قلبي احسن منه صوتا ولا احلى تلاوة ولا اعذب ايرادا ولا اطيب مساقا ولا اعجب احكاما ولا اغرب ترتيلا ولا اجمل جملة وتفصيلا . قال ولقد كنت حين قراءتي عليه على قساوة قلبي وغبابة لبي اتعاشى واتلاشى ويصج جامع الزيتونة باهله ويغص بجمعه فبين باك وداع وغاش وخاشع وسافط من القيام وعادم وجودة في ذلك المقام كلهم يفعل فيهم صدقه ويستكثم نطقه ويسكرهم ذوقه . قال قرأت عليه القرآن العظيم بالقراءات السبع جمعا في ختمه واحدة وبالادغام الكبير في رواية ابي عمرو بن العلاء وترك الهمزة من طريق اهل الرقة بطريق الامام ابي عمرو الداني رحمه الله قال وهو آخر سن قرأت عليه السبع من لايمة المقرئين لاساتيد المبرزين وعددهم اثنا عشر شيخا ما منهم الا سن قرأت عليه القرآن العظيم بالقراءات السبع افرادا وجمعا او افرادا او جمعا اولهم الاب المرحوم ناجلي الكفيل بتربيتي في نشأتي . وناحلي اول موهبة من تدبيري في بدائي . والدي عيسى رضي الله عنه قاضي بلد قلورية وخطيبها ووالى كافة امورها مدة ازيد من اربعين سنة قرأت عليه بالقراءات السبع على عود بعد بدء جمعا بعد افراد وقرا هو بالقراءات السبع على والده جدي الاستاذ الخطيب الحاج الزهيد ابي جعفر وقرا والده جدي الاستاذ القراءات السبع على جماعة منهم والده الخطيب الصالح ابواسحاق ابراهيم وقرا والده جد والدي بالقراءات السبع كذلك على جماعة منهم والده الخطيب ابو جعفر احمد بن علي بن خالد رحمة الله على جميعهم وهكذا تتصل هذه السلسلة بالقراءات السبع الى سابع جد والحمد لله تعالى على ذلك وحدثني شيعي هذا انه قرا بالقراءات السبع افرادا مع الادغام الكبير في رواية ابي عمرو بن العلاء وترك الهمزة من طريق اهل الرقة ثم جمع السبع في ختمه كاملة وقرا قراءة ابي محمد يعقوب

من الغالب الكبير فيه فوائد وإرشاد السالك جزء صغير ولا ربعون حديثاً مختاراً والمختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع وكتاب جمع الفوائد وكتاب جامع لامهات في أحكام العبادات وكتاب النصائح وكتاب تحفة الاخوان في أعراب بعض أي القرءان والذهب لأبريز في غريب القرءان العزيز وكتاب لأرشاد في مصالح العباد ذكر جميعها في فهرسته ولد عام ستة أو سبعة وثمانين وسبع مائة وتوفي كما ذكره الشيخ زروق عن حفيده سنة خمس وسبعين وثمان مائة عن نحو تسعين سنة كما ذكره السخاوي أخذ عنه جماعة كالعالم الشيخ محمد بن مرزوق الكفيف والامام السنوسي وأخيه لامه علي التالوقي والامام محمد بن عبد الكريم المغيلي . ومن فوائده ما ذكره في كثير من كتبه قال ومما جربته من الخواص ان من اراد ان يستيقظ أي وقت شاء من الليل فليقرأ عند الرقاد حين يغلبه النعاس بحيث لا يتجدد عقبها خاطر آية . فحسب الذين كفروا . الى آخر السورة فانه يستيقظ في الوقت الذي نواه بلا شك وهو من العجائب المقطوع بها . قال وفي الصحيح ان في الليل ساعة لا يوافقها مسلم ويسأل الله شيئاً الا أعطاه الله اياه فاذا أردت معرفة هذه الساعة فاقرا عند نومك . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم . الى آخر السورة فانك تستيقظ في الساعة بفضل الله تعالى وربما تكرر تيقظك لامر ارادة الله وهذا مما الهمت وما كتبت الا بعد استخارة وإياك ان تدعو فيه على مسلم وان ظالماً وإلا فالله حسبيك وبين يديه انا خصيمك وهي فائدة عظيمة . اه . قلت وذكر ابن بابا بعض كراماته نفعا الله تعالى به . ومنهم العالم العلم قدوة لا يمتد واستاذ اساتيد لامة ابو عبد الله محمد بن بدال ابقى الله بركته قال الشيخ خالد البلوي وجل اثناء الله كتابه . وفتح عليه فيه ابوابه . ووفقته في ادابه الى الصواب فاصابته . فاجتمع الناس اليه . وتنافى المحجودون من اهل القرءان في التلقف منه وانثالوا عليه . فقامت له سوق المحامد بمصائع تجليله . وسيقت الى اعتاب اكرامه وتغنييله . قال وكان هذا الشيخ

كشيخنا الامام المحافظ علي بن عثمان المكلاني والفقير الولي سليمان بن الحسن وعلي بن محمد البليتي وعلي بن موسى والامام ابي العباس النقاسي واخذ منهم واعتمد على الاولين ثم دخل تونس عام تسعة او عشرة فاخذ من اصحاب ابن عرفة كعيسى الغبريني وعالم المعقول والمنقول الابي وعليه صمدته والبرزلي ويعقوب الزغبى وغيرهم ثم زحل المشرق فسمع بعض البخاري على الملاي وكثيرا من اختصار لاهياء له وحضر عند الشمس البساطي واخذ علومها جملة على الولي العراقي منها علم الحديث واجازة وفتح له فتحا عظيما ثم رجع لتونس فاذا ابو عبد الله القلشاني خلفه الغبريني في موضعه عند موته قال فلانتمه واخذت عنه البخاري الا يسيرا عن البرزلي ولم يكن بتونس يومئذ سن يفوتني في علم الحديث اذا تكلمت انصتوا وقبلوا ما ارويهم تواضعا منهم وانصافا واعترافا بالحق وحضرت ايضا شيخنا الابي واجازني ثم قدم تونس شيخنا ابن مرزوق عام تسعة عشر فاقام بها نحو سنة فاخذت عنه كثيرا وسمعت عليه الموطا بقراءة الفقيه ابي حفص عمر القلشاني ابن شيخنا ابي عبد الله واجازني واذن لي هو والابي في الاقراء واخذت عن غيرهم . قال ابن بابا ومن شيوخه الشيخ المحدث عبد الواحد الغرياني والمحافظ ابو القاسم العبدوسي وابن قريشة الف كثيرا كتفسيره الجواهر الحسان فيه زبدة ابن عطية مع فوائد وزوائد كثيرة وروضة لانوار ونزهة لاختيار وهو قدر المدونة فيه لباب نحو من ستين من امهات الدواوين المعتمدة بقي في جمعه سنين كثيرة وهو خزانة كتب لمن حصله وكتاب لانوار في معجزات النبي المختار صلى الله عليه وسلم ولانوار المضيئة الجامع بين الشريعة والحقيقة في جزء ورياض الصالحين جزء وكتاب التقاط الدرر وكتاب الدرر الفائق في الاذكار والدعوات والعلوم الفاخرة في امور الاخرة مجلد ضخيم وشرح ابن الحاجب الفرعي في سفرين جمع فيه نخب كلام ابن راشد وابن عبد السلام وابن هارون وخليل وقرر ابن عرفة مع جواهر المدونة وعبون مسائلها في سفرين وفي اخره جامع كبير نحو عشر كراريس

فيها غلبة الدين وقلته الصبر فوقه عليها - انت رجل فيك خلتان السخاء
والحياء فاما السخاء فهو الذي اطلق ما في يديك واما الحياء فهو الذي
بلغ بك ما انت عليه وقد امرنا لك بمائتي الف درهم فان كنا اصبنا
ارادتك فازدد في بسط يدك . وان كنا لم نصبها فبجنايتك على نفسك .
فانت كنت حدثتني وانت على قضاء الرشيد - ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال للزبير : يا زبير ان مفاتيح الارزاق بازاء العرش ينزل الله
للعباد ارزاقهم على قدر ثقتاتهم فمن كثرت ثقتهم له ومن قل قل له ، قال
الواقدي وكنت نسيت هذا الحديث فكانت مذاكرته اياي به اعجب
الي من صلته * وممن تشرفت بانسه تونس حسبما عرف به ابن
بابا فقال ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي وبه عرف
الجزائري الشيخ الامام العالم العامل الورع الزاهد الصالح الناصح ولي الله
العارف به من الاولياء المعرضين عن الدنيا ومن خيار الصالحين قال
السخاوي كان اماما علامة مصنف اختصر تفسير ابن عطية في جزئين وشرح
فرعي ابن الحاجب في جزئين ايضا وعمل في الوط والدقائق وغيرها . وقال
الشيخ احمد زروق شيخنا الفقيه الصالح ديانته اغلب عليه من العلم كان
يتحرى في النقل اتم التحري ولا يستوفيه في بعض المواضع . وقال ابن
سلامة كان رجلا صالحا زاهدا عالما عارفا وليا من اكابر العلماء له تأليف
جملة اعطاني نسخة من تفسير الجواهر لا تشتري بثمن ولا تعرض معاوضه
الله عنها بالجنة . وقال غيره وسيلتنا لربنا الولي الصالح العارف بالله .
قال ابن بابا قلت وهو ممن اتفق الناس على صلاحه وامامته اثني
عليه جماعة من شيوخه بالعلم والدين والصلاح كالامام الابي والولي العراقي
والامام ابن مرزوق رجل من جهة الجزائر آخر الثامنة ودخل بجاية عام
اثنين وثمانمائة فلقني بها لايمة المقتدى بهم ملها ودينها وورعا اصحاب
احمد بن ادريس واصحاب عبد الرحمن الوغليسي متوافرين يومئذ اصحاب
ورع ووقوف مع الجد لا يعرفون لامراة ولا يخاطبونهم وسلك اتباعهم مسلكهم
كشيخنا

زمن الصيف * وفي أول سنة تسع وستين وثمانمائة امر لأمير المذکور
 بالقراءة بجامع الزيتونة قبل صلاة الصبح وقبل صلاة الظهر وصلاة العصر
 بالختمة العظيمة المهداة المذکورة ورتب لها اربعة من القراء اصواتهم
 حسنة * ومن الخطباء لاجلة بمنبر جامع الزيتونة الشيخ ابن عبد الستار
 وقد ذکرة الشيخ خالد البلوي في رحلته من لاندلس الى المشرق والحرمین
 الشریفین وقال الفاضل في الولاية . والعلم المتسع والدراية . الشيخ العالم
 العامل خطيب الجامع لاعظم . والراقي بقدم الصدق ذروة منبره المعظم .
 ابو عبد الله بن عبد الستار نفعا الله به ءامين امام من ايمته الفروع
 والتفسير . وسراج يهتدى به في ظلمة الدياجير . انتهى من الفصل الى
 اقصى امد . وكرع في بحرة لا في ثمده . وحل منزلة منیعة من علم اللسان .
 ونظرت به عين التمييز كالانسان . اضاءت بانوار معارفه البلاد . وترادف
 على محله العلي العلمي القصاد . وعلا سنده وسناه . وبلغ من وحي المعارف
 الدينية والاحاديث الکریمة النبوية قصده ومناه . له جلالة السبق .
 ومهابة الولاية والصدق . ومكانة القبول عند الخالق والمخلق . ذو زهد في
 الدنيا واعراض عن زهراتها . وعزوف عن طلابها . كان يدرس العلوم في
 مدرسة الكتبيين التي استوطنتها فسمعت عليه كثيرا من التفسير والحديث
 والفروع والاصول وغير ذلك ولازمته وانتفعت به وشاهدت له كرامات
 ومقامات لا تصدر الا من مثله او من الولي الذي من قبله . قلت يعني
 به الشيخ المنتصر وهو المدفون غربي لامام ابن عرفة . قال رحل الى حج
 بيت الله الحرام . وزیارة قبر النبي عليه افضل الصلاة وازكى السلام . ففاز
 من ذلك بغاية سوله . ونهاية مطلبه ومامله . وتواتر عنه انه لما رجع
 الى وطنه اعاد جميع صلواته التي كان صلاحها في سفره . اذ لم ترتضها عبادته
 النزیهة ومعالی سیره . وها هو قد نطح في السنين . ونيف على التسعين .
 فما ضعفت له قط مواد العبادة . ولا تعطلت منه تلك المدرسة من الدول
 المعتادة . قال وما نقلت منها ان الواقدي رفع الى المامون قصة يشكو

بعد صلاة الظهر ودفن بجبل الجلاز وحضر لدفنه للمولى السلطان ابو عمرو عثمان
 ووجوه اهل دولته وكان عمره اربعا وثمانين سنة * وفي التاسع عشر شعبان
 من السنة المذكورة خرج السلطان بمحنته ونزل الزعترية وامر ليلة حلوله
 بالمكان بتشقيف الفقيه احمد القسطنطيني وعزله عن جميع خطظه من قضاء
 لانكحة ومن الخطابة بجامع الزيتونة والفتيا به والدعاء عقب ختم البخاري
 بالضرب السعيد على عادة قضاة لانكحة وفي صبيحة تلك الليلة قدم
 الفقيه احمد المسراقي خطيبا بجامع الزيتونة وقدم قاضي الجماعة الفقيه
 محمد القلشاني خطيبا بجامع القصة ومفتيا بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة *
 وفي اوائل ذي الحجة من السنة المذكورة ورد الامر من المحلة لقاضي
 لانكحة برجوعه لقضاء لانكحة والخطابة بجامع الزيتونة والفتيا به
 والدعاء عقب ختم البخاري وبقي في خطظه الى ان توفي ثاني عشر شوال
 سنة اربع وستين وثمانمائة وبلغ من السن اربعين سنة وقدم بعده لقضاء
 لانكحة الشيخ ابو عبد الله محمد الزواوي وقدم بعده خطيبا في جامع ابي
 محمد من رضى باب السويقة ومفتيا به بعد صلاة الجمعة ومدرسا بالتصيرية
 وصاحب لاجباس الفقيه ابو عبد الله البیدموري * وفي شعبان سنة ثمان
 وستين وثمانمائة وردت الختم العظيمة الشان هدية من لاندلس للجامع
 الاعظم جامع الزيتونة وهي التي يقرأ فيها اليوم عند التوابيت قبل صلاة
 الصبح وقبل صلاة العصر وكنت سالت عنها الشيخ ابا عبد الله محمد حيوة
 العامري نائب الجامع اليوم بالخمس والخطبة فقال ليست هذه التي
 بكروسي وقتنا وقال اني وجدتها في بيت الحرم ملقاة تحت الحرم بالبكرية
 ومدت عليها لارض فهلك من قصار الفصل الى فاطر ودفت السفر اليمنى
 وباقيها طيب الى الان ولكن ما وقعت عين الناظر على مثلها ضخامة جرم
 وحسن خط وبذل ذهب واحكام سفر وصحة رسم واتقان حروف * وفي
 اواخر ذي القعدة من سنة ثمان وستين وثمانمائة امر الامير ابو عمرو عثمان
 بصنع القلاع على جامع الزيتونة يوم الجمعة ليقى الناس من حر الشمس

الزيتونة في ثالث المحرم فاتح عام اثنين وخمسين وثمانمائة . وقدم الشيخ
 الفقيه قاضي لانكحة بتونس أبو عبد الله محمد البحيري للفتيا بجامع الزيتونة
 بعد صلاة الجمعة في الثاني من المحرم المذكور فكان يخطب بجامع أبي محمد
 جربص باب السويقة ويأتي للفتيا بجامع الزيتونة * وفي مصر يوم الاربعاء
 خامس ربيع الثاني من عام ثلاثة وخمسين وثمانمائة توفي امام جامع
 الزيتونة وخطيبه الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الوانشريسي ودفن من
 الغد بالجلاز وقدم بعده خطيبا الشيخ أبو عبد الله محمد البحيري في يوم
 الجمعة سابع الشهر المذكور . وقدم اماما الفقيه أبو الحسن اللحاني وخطيبا
 بجامع أبي محمد * وفي عشية يوم الاثنين خامس ذي القعدة من عام ثمانية
 وخمسين وثمانمائة توفي بتونس الفقيه القاضي خطيب جامع الزيتونة
 الشيخ أبو عبد الله البحيري ودفن من الغد بالجلاز * وفي يوم السبت الخامس
 صفر من رجب العام المذكور بعث السلطان أم ولده لقاضي الجماعة بتونس
 أبي العباس أحمد القلشاني يخبره ان يتولى خطابة جامع الزيتونة والفتيا
 به بعد صلاة الجمعة عوض الشيخ البحيري مع القضاء او يترك القضاء ويبقى
 على خطبته خاصة فاستخار الله في ذلك وكتب براءة بخطه في ذلك في
 سابع رجب باختيار الخطبة والفتيا واستعفائه من قضاء الجماعة فاعفاه وكتب
 له بذلك أوائل شعبان و اضاف له ايضا مدرسته الشمايين بعد ان بقي
 يحكم بين الناس في تونس في قضاء لانكحة مع قضاء الجماعة الى وقت
 استعفائه وكانت مدة نحو ثمانية اشهر * وفي الثاني عشر من المحرم سنة
 احدى وستين وثمانمائة توفي الشيخ أبو الحسن اللحاني امام جامع الزيتونة
 وقدم عوضه اماما الفقيه أحمد السراقي في أوائل صفر من العام المذكور
 وقدم عوضه خطيبا بجامع أبي محمد وفتيا به قاضي لانكحة أبو العباس
 أحمد القسطنطيني * وفي يوم لاحد عند غروب الشمس منه ثامن شعبان سنة
 ثلاث وستين وثمانمائة توفي بتونس الشيخ الفقيه المفتي خطيب جامع
 الزيتونة أبو العباس أحمد القلشاني وصلي عليه من الغد بجامع الزيتونة

وقال غيره كان فقيها قاضيا معمرًا راوية من الفضلاء روى عنه الخطيب
ابن مرزوق توفي سنة ثمان وخمسين وسبع مائة بفاس * وفي اوائل عام
سبعة واربعين وثمانمائة مرض قاضي الجماعة خطيب جامع الزيتونة
ومفتيه الفقيه ابو حفص عمر القلشاني وطال مرضه واتصل الى ان توفي
ليلة الاربعاء الرابع والعشرين من شهر رمضان المعظم وصلي عليه من الغد
بجامع الزيتونة بعد صلاة الظهر ودفن بجبل الجلاز بازاء قبر والده وكانت
ولادته ببجاية ليلة السبت الثانية من شوال عام ثلاثة وسبعين وسبع مائة
فكان مرة اربعة وخمسين عاما غير سبعة ايام . وقدم بعده لقضاء الجماعة
والفتيا بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة به والخطابة بجامع القصبه الشيخ
الفقيه ابو عبد الله محمد بن عقاب وتولى التدريس بمدرسة عنق الجمل
ولده الشيخ ابو عبد الله محمد وتولى الخطابة بجامع الزيتونة الشيخ ابو عبد
الله محمد السراقي وقدم للخطابة بجامع التوفيق والفتيا بعد صلاة الجمعة
الفقيه القاضي ابو العباس احمد القلشاني * وفي يوم الجمعة ثامن عشر
شوال عام ثمانية واربعين وثمانمائة توفي امام جامع الزيتونة وخطيبه الشيخ
ابو عبد الله محمد السراقي ودفن من الغد بالجلاز . وقدم بعده للامامة والخطبة
قاضي الجماعة اذ ذاك الفقيه ابو عبد الله محمد بن عقاب وتولى التدريس
بعده بمدرسة التوفيق اخوه الفقيه ابو العباس احمد وتولى ايضا الخطابة
بجامع القصبه * وفي ليلة الاثنين سابع عشر جمادى كذا وجدته بغير
تقييد كونه الاولى او الاخرى عام احد وخمسين وثمانمائة توفي قاضي
الجماعة بتونس ابو عبد الله محمد بن عقاب بعد صلاة العشاء وصلي عليه
من الغد بجامع الزيتونة بعد صلاة الظهر ودفن بجبل المرني ببجاية الشيخ
ابي سعيد الباجي . وولي بعده قضاء الجماعة والتدريس بمدرسة سوق
الفلقة الشيخ القاضي احمد القلشاني وقدم حفيده احمد ابن شقيقه عبد
الله لقضاء الجزيرة والتدريس بالمدرسة المجاورة لسيدي محرز . وقدم الفقيه
القاضي ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الوانشريسي للامامة والخطابة بجامع
الزيتونة

منزله بعد وفاة اصحابه على العبادة . إلا عن طالبي مجلسه للاستفادة . فنزاحم الخلق عليه حتى غدا مجلسه بتونس مجتمع اصناف اهل العلم اولي التقوى والفهم فهو اليوم كعبة العلوم حبيب الله للانفس مع صدق مصاحبة وحسن مداعبة وكثرة خشية ومراقبة الى قريحة وقادة وفطنة نقادة وخوض في العلوم الشرعية والطبيعية والمشارب الذوقية والعطايا الحاتمية والزهد في الدنيا واجابة الدعوة والخلو من الزهو والنخوة لازمتها لما رايت من نجاح دعوائه وقلت له يوما سيدي علم الله اني احبك فقال لي ابشر فاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي « يا محمد رزقك الله التقوى وحبك الى خلقه وجعل سن يحبك من عبادة المؤمنين قال فتسن علمت انه احبني علمت انه من المؤمنين » مولده ثاني عشر ربيع الثاني عام اثنين وثمانين وستمائة . اهـ . ومن فضلاء مدينة تونس محمد بن محمد البدوي لاندلسي قال ابن بابا هو خطيب بلش قال في الاحاطة كان ذا قدم في الفقه عارفا بالاصلين شاعرا مجيدا فصيحاً بليغ الخطبة حسن الوعظ سريع الدمعة ج ولقي اجلته واقرا ببلده بلش وانتفع به ولقي شدائد من الحساد قرا على ابي جعفر بن الزبير وابن الكماد ولازم ابا عمر بن منظور في الاصلين والعربية وانتفع به واخذ الفقه عن ابن عبد السلام بتونس ومن شعرة في التشبيب —

خال على خديك ام عنبر ولولو تفرك ام جوهر
اضربت نار الحب وسط الحشا فصارت النار به تسعر
لو جدت لي منك برشف الها لقلت خمر عسل سكر
دعني في الحب اذب حسرة سفك دم العاشق لا ينكر
توفي سنة خمسين وسبعماية . ومنهم محمد بن عبد الرزاق الجزولي قال ابن بابا قال ابن خلدون شيخنا شيخ وقته جلالة ونزاهة وتربية وعلما وخبرة اخذ عن شيوخ فاس وتفقه بتونس عن ابن عبد الرافع وابي عبد الله النفزاوي وطبقتهما ولازم الاكابر ولي قضاء فاس ثم عزل عنها اخيرا .

الخلاف وما حملت الآي والاخبار من ضعاف التاويلات . قيل لمالك لم
 اختلف الناس في تفسير القرءان فقال قالوا بأرائهم فاختلوا . ابن هذا
 من قول الصديق « اي سماء تظلني واي ارض تنقلني اذا قلت في كتابه
 عَزَّ وَجَلَّ برايي » كيف وبعض ذلك انحرف عن سبيل العدل الى بعض
 الميل واقرب ما يحمل عليه معظم خلافتهم كون بعضهم علم فقصدا الى تحقيق
 نزول الاية بسبب او حكم او غيرهما وبعضهم لم يعلموا ذلك تعيينا فلما طال
 بحثهم وظنوا عجزهم صوروا المسألة بما يسكن النفوس الى فهمها في الجملة
 ليخرجوا عن حد الابهام اطلق فذكروا ما ذكروه على وجه التمثيل لا القطع
 بالتعيين بل منه ما لا يعلم انه اريد لا عموما ولا خصوصا لكنه يجوز ان
 يكون المراد وقريبا منه وما يعلم انه مراد بحسب الشركة والخصوصية ثم
 اختلط الامران . والحق ان تفسير القرءان من اصعب الامور فالاقدام عليه
 جرئة . وقد قال الحسن لابن سيرين - تعبر الرويا كانك من آل يعقوب
 فقال له - تفسر القرءان كانك شهدت التنزيل - وصح انه عليه الصلاة
 والسلام لم يفسر من القرءان الا آيات معدودة وكذا الصحابة والتابعون
 بعدهم . وتكلم اهل النقل في صحة ما نسب لابن عباس من التفسير الى
 غير ذلك ولا رخصة في تعيين الاسباب والناسخ والمنسوخ الا بتوقيف
 صحيح او برهان مزيج وانما تفهيم ما تعرفه العرب من لغة واعراب وبلاغة
 لبيان اعجاز ونحوها . قال ابن بابا قلت واخذ عن صاحب الترجمة
 سن لا يعد كثرة من الائمة كالشريف التلمساني وابن الصباغ المكناسي
 والشرف الرهوني وابن مرزوق المجد وابو عثمان العقباني وابن عرفة والولي
 ابن عباد وابن خلدون في خلق اجلاء * وممن اعيان تونس محمد
 ابن حيدرة قال ابن بابا محمد بن حيدرة ابو عبد الله التونسي قال
 ابن خلدون في رحلته امام المعارف وفرع لاصل العزيز . المحترف له في
 البلاغة والبراعة والفصاحة بالسبق والتبريز . برع في الادب والتصوف
 ونبع في العقول والمنقول مع نفس عصامية وفكرة ايساسية انقبض في
 منزله

الكشف . وكان اهل المائة السادسة وصدر المائة السابعة لا يسوغون الفتيا من تبصرة اللخمي لعدم تصحيحها على مولفها ولان اكثر ما يعتمد هذا النمط ثم انضاف الى ذلك عدم اعتبار الناقلين فصار يؤخذ من كتب المسخوطين كالاخذ من المرضيين بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين بخلاف من قبلنا حتى تركوا كتب البراذعي على نبلها ولم يستعمل منها على كره من كثير منهم غير التهذيب وهو المدونة اليوم لشهرة مسائله وموافقته في اكثر ما خالف فيه المدونة لابي محمد ثم كل اهل هذه المائة عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات وشق الشروح وكبار لاصول فاقصروا على حفظ ما قل لفظه ونزر حظه فافنوا اعمارهم في حل لغوزة وفهم رموزة ولم يصلوا لرد ما فيه لاصوله بالتصحيح فضلا عن معرفة الضعيف والصحيح بل حل بمقل وفهم مجمل ومطالعة تقييدات زعموا انها تستنص النفوس فبينما نستكبر العدول عن كتب لا يمت الى كتب الشيوخ اتيجت لنا تقييدات للجهلة بل مسودات المسوخ فانا لله وانا اليه راجعون فهذه جملة تجذبك الى اصل العلم وتريك ما غفل الناس عنه . قال المقرئ وسمعت العلامة الابلبي ايضا يقول لولا انقطاع الوحي لنزل فينا اكثر مما نزل في بني اسرائيل لانا اوثينا اكثر مما اوتوا يشير الى افتراق هذه الامة على اكثر مما افترت عليه بنو اسرائيل واشتهار باسمهم بينهم الى يوم القيامة حتى ضعفوا بذلك عن عدوهم وتعدد ملوكهم لاتساع اقطارهم واختلاف انسابهم وعوائدهم حتى غلبوا بذلك على الخلافة فنزعت من ايديهم وساروا في الملك سير من قبلهم مع غلبة الهوى واندراس معالم التقوى . لكننا اخر لاسم اطلعنا الله من غيرنا على اقل ما ستر منا وهو المرجو ان يتم نعمته علينا ولا يرفع جميل ستره عنا . ومن اشد ذلك اتلافا لعرضنا تحريف الكلم عن مواضعه الصحيحة اذ ذلك لم يكن بتبديل اللفظ اذ لا يمكن ذلك في مشهورات كتب العلماء المستعملة فكيف في الكتب الالهية فضلا عن القرءان وانما هو بالتاويل كما قال ابن عباس وغيره وانت ترى ما اشتملت عليه كتب التفسير من

في الفصل وان الجنس اقوى من الفصل ، فلما رجعوا الى الشيخ لابلبي اخبروه بذلك فاستشككه ثم تأمله فقال - فهمته وهو كلام مصحف واصله ان المركب قبل البسيط في الحس والبسيط قبل المركب في العقل وان الحس اقوى من العقل - فوجعوا الى ابن المسفر فاخبروه فلج فقال لهم الشيخ اطلبوا النسخ فوجدوا في بعضها كما قال الشيخ . قال المقرئ وسمعته يقول ما في لامة الحمدية اشعر من ابن الفارض . وقال له طالب يوما مفهم اللقب صحيح فقال له الشيخ قل زيد موجود فقال له الشيخ اما انا فلا اقول شيئا فعرف الطالب ما وقع فيه ففجّل . قال وسمعته يقول انما افسد العلم كثرة التأليف واذبه ببيان المدارس فكان يستنصف من المؤلفين والبنائين وانه لكما قال بيد ان في شرحه طولا وذلك ان التأليف نسخ الرحلة التي هي اصل جمع العلم فينفق الرجل فيها مالا كثيرا وقد لا يحصل له من العلم الا نزر يسير لان عنايته على قدر مشقته في طلبه ثم يشتري اكبر ديوان بابخس ثمن فلا يقع منه اكثر من موقع غرضه فلم يزل الامر كذلك حتى نسي الاول بالآخر وانضى الامر الى ما يسخر منه الساخر واما البناء فامجذب الطلبة بما فيه من مرتب الجرايات فيقبل بهم على سن يعينه اهل الرئاسة للاجراء ولاقراء منهم او سن يرضى لنفسه دخوله في حكمهم ويصرفهم عن اهل العلم حقيقة الذين لا يدعون الى ذلك وان دعوا لا يجيبون وان اجابوا لا يفون لهم بما يطلبون من غيرهم . اه . قال ابن بابا ولعمري لقد صدق في ذلك وبر فلقد ادى ذلك الى ذهاب العلم بهذه المدن الغربية التي هي من بلاد العلم من قديم الزمان حتى صار العلم والمخطوط بها بالتوارث ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . قال المقرئ ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغربية اربابها ونسبوا طواهر ما فيها لامهاتها وقد نبه عبد الحق في التعقيب على منع ذلك لو كان سن يسمع وذيلت كتابه بمثل عدد مسائله اجمع ثم كبروا الرواية فكثر التصحيف وانقطعت سلسلة الاتصال فصارت الفتاوي تنقل من كتب لا يدري ما زيد فيها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلة الكشف

افقت من اختلاطي فقرات المنطق والاصلين على ابي موسى بن الامام .
 قسال ابن خلدون ثم اراد ابو حمو صاحب تلمسان اكرامه على العمل
 ففر لفاس واغتنى هناك عند خلوف اليهودي شيخ التعاليم فاخذ عنه
 فنونها وحذق . ثم دخل مراكش في حدود العشر والسبعائة ونزل على
 شيخ المنقول والمقول المبرز في التصوف علما وحالا الامام ابن البناء فلزمه
 وتصلع عليه في العقول والتعاليم والحكمة ثم صعد الى الجبل عند علي بن
 محمد شيخ الهساكرة فقرأ عليه واجتمعت عليه الطلبة فكثرت افادته
 واستفادته ثم رجع لفاس فانثال عليه طلبة العلم من كل ناحية فانتشر
 علمه واشتهر ذكره . ولما لقي السلطان ابو الحسن المريني عند فتح تلمسان
 ابله موسى بن الامام اثني عليه ووصفه بتقدمه في العلوم وكان السلطان
 يعتني بجمع العلماء لمجلسه فاستدعاه من فاس فنظمه في طبقة العلماء
 فعكف على التدريس والتعليم مع ملازمته للسلطان وحضر معه وقعة
 طريف والقيروان . قسال ابن خلدون لازمته واخذت عنه فنونا .
 ثم طلبه ابو عنان من صاحب تلمسان فاسلمه ونزل بجاية شهرا فقرأ
 عليه طلبتها اصول ابن الحاجب ثم قدم عليه فنظمه في طبقة اشيائهم وكان
 يقرأ عليه حتى توفي بفاس سنة سبع وخمسين وسبعائة واخبرني ان مولده
 سنة احدى وثمانين وستمائة . قسال تلميذه المقرئ اخذ بتلمسان عن
 ابي الحسن التنسي وابن الامام ورحل في اخر المائة السابعة للمشرق
 فدخل مصر والشام والحجاز والعراق ثم رجع لتلمسان ثم للغرب فاخذ عن
 ابن البناء وساءل كثيرا من علمائه . قال لي قلت لابي الحسن الصغير
 ما قولك في المهدي قال - عالم سلطان - ولقيته بعد فتح تلمسان واخذت
 عنه . ولما قدم شيخنا ابن المسفر الباهلي رسولا لفاس عن صاحب بجاية
 زاره الطلبة فحذتهم انهم كانوا في زمن ناصر الدين يستشكلون ما وقع في
 تفسير الفخر في سورة الفاتحة ويستشكله الشيخ معهم ونصه : ثبت في
 بعض العلوم العقلية ان المركب مثل البسيط في الجنس والبسيط مثل المركب

«آخر ما اقرا بها فلم ينشب ان استدعاه السلطان ابو الحسن لصحبته في
وجهته لافريقية فلم يكن له مندوحة عن الذهاب وكان احد من غرق
من العلماء ببصر تدلس . وذكر بعض لاعيان انه بلغه عنه انه سُمع
بمقصورة تلمسان ينشد كالمعائب لنفسه —

يا قلب كيف وقعت في اشراكهم ولقد عهدت لك تحذر لاشراكا
ارضى بذل في هوى وصباية هذا لعمر الله قد اشقاكا
ومات في ذلك لاسطول غير واحد من العلماء . وله نظم في علاقات المجا
قال لامام الغوري لم نزل نسمع من شيخنا محمد بن جابر حكاية طريفة
وقعت لابن عبد السلام التونسي مع الفقيه ابن الصباغ وهي ان ابن
الصباغ اعترض على ابن عبد السلام في اربع عشرة مسألة لم ينفصل عن
واحدة منها بل اقر بالخطأ فيها . اذ ليس ينبغي انصاف بالكمال . إلا لربي
الكبير المتعال . * وممن تشرفت به افريقية حسبما ذكره ابن بابا
محمد بن ابراهيم بن احمد البغدري التلمساني عرف بالابلي لامام العلامة
المجمع على امامته العالم العامل بفنون المعقول قال تلخذه المقرئ كان
اماماً نسيج وحده ورحلته وقته قائماً على جل العلوم الثقيلة والفنون العقلية
وادراكه وصحة نظره مثل قال ابن خلدون اصله من ابلت من جوفي
لاندلس انتقل منها ابوه وعمه فخدما يغمراسن صاحب تلمسان وتزوج
ابوه بنت القاضي محمد بن غلبون فولدت له شيخنا هذا ونشأ في كفالة
جده القاضي بتلمسان فانكحل العلم فسبق لذهنه . محبة التعاليم فبرع فيها
وعكف الناس عليه في تعلمها فلما اخذ يوسف بن يعقوب تلمسان استخذه
فكرة ذلك وسار الى الحج قال فلما ركبت البحر من تونس للاسكندرية
اشتدت علي الغلظة في البحر واستحييت من كثرة الغسل فاشير علي
بشرب الكافور فشربت منه غرفة فاختلطت فقدمت مصر وبها ابن
دقيق العيد وابن الرفعة والصفي الهندي والتبريزي وغيرهم من فرسان
المعقول فكان قصاري تمييز اشخاصهم فحججت ورجعت لتلمسان وقد
افقت

وقدم للإمامة بالجامع المذكور الفقيه أبو عبد الله محمد بن عمر السراق.
خطيب القصة وقدم للخطابة والفتيا بجامع التوفيق بعد صلاة الجمعة
الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن عقاب وقدم لقضاء لائحة والتدريس
بمدرسة الشمامسة الفقيه أبو عبد الله محمد البكري * ومن أفاضل أفرقية
سن ذكره سيدي ابن بابا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف عرف
بالعشاب الغساني لاندلسي نزيل درة كان من أهل العلم يعتني بجمع
الكتب قيد بيده كثيرا مع حسن خطه ورحل وحج ولقي أعلاما وأجازوه
كأبن عرفة وسعيد العقباني وابن خلدون والمعر بن جماعة وكتبوا خطوطهم
له ألف تحفة الناسك في علم الناسك وآخر سماه المقنع في مناسك المتمع
قال كذا كتبه لي صاحبنا محمد بن يعقوب لاديب المورخ رحمه الله . اه *
ومن علماء أفرقية وأفاضلها محمد بن محمد بن الصباغ الخزرجي المكناسي
قال ابن بابا قال ابن خلدون كان مبرزاً في المنقول والمقول عارفاً
بالحديث ورجاله إماماً في معرفة كتاب الموطأ وأقاربه أخذ العلوم عن
مشيخة مكناسة ولقي شيخنا أبا عبد الله الأبلبي ولازمه وأخذ عنه العلوم
العقلية واستنقذ بقية طلبه عليه فبرز آخراً واستدعاه السلطان أبو الحسن
المريني وكان معه حتى فرق في لاسطول قال يعني آخر سنة خمسين
وسعمائة كما تقدم . قال الشيخ ابن غازي في الروض الهمتون في مكناسة
الزيتون كان ابن الصباغ فقيهاً شهيراً عالماً علامة حاز قصب السبق في
المقول والمنقول ذكره ابن مرزوق الجد في كتابه في مناقب أبي الحسن
وابن الخطيب السلمي في بعض فهرسه وابن خلدون وكان من كبار
العلماء الذين استصحبهم السلطان أبو الحسن المريني في حركة أفرقية
 واجتمع هناك بالإيكة ابن عبد السلام وابن هارون وأبي زيد وأبي موسى
ابني الإمام وأخذ معهم في العلم وأعطى . قال ابن بابا وحدثني شيخنا
أبو الحسن بن منون الحسيني أنه بلغه أنه أُملي في مجلس درسه بمكناسة
على حديث « يا أبا عمير ما فعل الغير » أربعمائة فائدة وكان ذلك

أبو عبد الله محمد المدعو حسينا ابن السلطان أبي العباس الحفصي كان شيخنا
 ابن عرفة وشيخنا الغبريني ممن يجتهد في المذهب ولا يحتاج الى دليل اذ
 العيان شاهد بذلك . ونقل عنه معاصره البرزلي في ديوانه مواضع . قال
 السخاري هو قاضي تونس وعالمها اخذ عنه احمد القلشاني والشريف
 العجيسي وغيرهما مات سنة ست عشرة وثمانائة . قال سيدي احمد
 ابن بابا قلت بل اخذ عنه غالب متاخري اصحاب ابن عرفة وغيرهم
 كالسيلي وابي يحيى بن عقيبة وابي القاسم القسنطيني وابن ناجي وعمر القلشاني
 وابي الحسن بن عصفور والزندوي في خلق كثير وولاه ابن عرفة امامة
 جامع الزيتونة وهو حينئذ قاضي الجماعة ثم استقل بعده بالامامة حتى
 توفي ليلة السبت السابع والعشرين من ربيع الاول عام خمسة عشر
 وثمانائة قاله احمد القلشاني . وقدم في محله ابو يوسف يعقوب بن
 يحيى للقضاء خاصة وقدم في خطط الامامة والخطبة والفتيا بالجامع المذكور
 الشيخ الفقيه المحافظ ابو القاسم البرزلي * وفي الخامس والعشرين من ذي
 القعدة سنة احدى واربعين وثمانائة توفي الشيخ الفقيه امام جامع الزيتونة
 وخطيبه ومفتيه ابو القاسم البرزلي ودفن بجبل الجلاز وتولى امامة الجامع
 وخطابته والفتيا به قاضي الجماعة اذ ذاك الفقيه ابو القاسم القسنطيني
 وتولى بعده التدريس بمدرسة ابن تافراجين الفقيه ابو البركات محمد بن
 محمد بن عصفور وولي الخطابة بجامع التوفيق والفتيا بعد قاضي الجماعة
 قاضي لانكحة الشيخ ابو حفص عمر القلشاني * وفي سنة ست واربعين
 وثمانائة ضرب قاضي الجماعة الامام المذكور بالجامع المذكور ابو القاسم
 القسنطيني بمغروس عند سلامه من صلاة الصبح وهو جالس على سجداته
 عند باب البهور فقتل صاربه في الحين تحت الصومعة والقي خارج
 المسجد ورفع القاضي الى داره وكتب وصيته ومات من الليلة القابلة
 وصلي عليه من الغد ودفن بالجلاز وقدم لقضاء الجماعة والخطبة بجامع
 الزيتونة والفتيا به بعد صلاة الجمعة الشيخ القاضي ابو حفص عمر القلشاني
 وقدم

رحمه الله تعالى . قال ومن بعده من لا يبتة سن لم يستعملها قط كالشيخ
 ابي الحسن بن محمد اللحياني وبعضهم سن استعملها . قال جامعها عفا الله
 عنه وهذا الحمد لله لم اراه في هذا العصر وان صدر عن اجلة فان النفس
 تاتي نفس استماعه * وفي سنة تسع وخمسين وسبعائة توفي امام جامع
 الزيتونة الشيخ ابو اسحاق البسيلي * وفي عام ثلاثة عشر وثمانائة توفي
 الشيخ قاضي الجماعة بتونس وخطيب جامع الزيتونة وامامه ومدرسه ابو
 مهدي عيسى الغبريني ودفن بالجلاز قال القرافي في ذيل الديباج وحلية
 لا ابتهاج في طبقات المالكية وذكر كمالاتهم البهية فمن ذلك ما ذكر في
 وصف لامام المذكور قال هو ابو مهدي عيسى بن يحيى بن احمد
 الغبريني قاضي الجماعة حافظ المذهب . قال السخاوي في الضوء اللامع
 قاضي تونس وعالمها ومن اخذ عنه احمد بن محمد القلشاني وغيره كالعجيسي
 بل نقل عنه البرزالي في فتاويه ووصفه بصاحبنا مات سنة عشر وثمانائة
 ثم قال القرافي ايضا ومن اخذ عنه ابن ناجي واثني عليه بحفظ المذهب
 دون مطالعة حكى ذلك في شرحه لتهذيب البراذعي في كتاب الطهار عند
 قولها وجائز ان ينظر الى شعر المرأة ووجهها بعد ان حكى عن المغربي يريد
 ابا الحسن الصغير قولين بالجواز والمنع في نظر المرأة بغير لذة من غير عذر فقال
 ما نصه : والقول بالمنع لا اعرفه وقد سالت عن ذلك سن يظن به حفظ
 المذهب دون مطالعة فكل لم يعرفه كشيخنا ابي مهدي عيسى الغبريني
 رحمه الله تعالى . انتهى من القرافي . وزاد سيدي احمد بن بابا قال هو
 عيسى بن احمد بن محمد الغبريني ابو مهدي التونسي عالمها وصالحها وقاضي
 الجماعة بها . قال ابو زيد الشعالي شيخنا اوحد زمانه علما ودينا . وقال
 ابن ناجي من يظن به حفظ المذهب بلا مطالعة ما رايت اصح منه نقلا
 ولا احسن ذهنا ولا انصف منه مع كمال الرئاسة سجد بين يديه يوما بعض
 جهلة المودبين مشتكيما بشخص فصاح عليه وانتهرة وهرب منه وغضب
 لمخالفته السنة وحلف لا يسمع منه لان كلمة واحدة . وقال تلميذه لامير

قال انشدنا ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلي —

قف بالديار فهذه اثارهم تبكي لاجبة حسرة وتشوقا
كم ذا وقفت بها اسائل مخبرا عن اهلها او صادقا او مشفقا
فاجابني داعي الهوى في رسمها فارقت سن تهوى فعز المشتقى

ومن اصحاب ابن عرفة الشيخ احمد بن العباس المعروف بالمرضى
شارح رجز الضرير في العقائد ذكره سيدي احمد بن بابا رحمه الله قال
ولم اقف له على ترجمة * ومن اخذ من ابن عرفة الشيخ احمد بن محمد
الهمتاني ابو العباس شهر الشعاع قاضي محلة السلطان ابي فارس له نزاع
مع البرزلي في مسألة العقوبة بالمال رد فيها على البرزلي وشنع عليه غاية
في قوله بجوازها والف فيها تاليفا في كراريس سماه مطالع التمام ومنجاة
الخواص والعوام في رد القول باباحة غرم ذوي الاجرام وذكر فيه انه تواتر
عنده عن شيخه ابن عرفة انه كان يقول في سجوده * اللهم احفظ دين محمد
صلى الله عليه وسلم من البرزلي * . وكان في السابق اذا اراد الامام
امر الموزن باقامة الصلاة تضرب نقارة بين يديه في الدويرية فتقام
الصلاة . قال الشيخ ابو محمد عبد الواحد الغرياني لمساولي شيخنا
القاضي عيسى الغبريني امامة جامع الزيتونة بعد شيخنا ابن عرفة سألني
هل عندك علم في مستند النقارة التي تنقر بدويرية الجامع اعلاما باقامة
الصلاة فاخبرته ان ابي حدثني عن شيخه عبد الله بن عبد البر انه كان
اذا اتى للجامع اكثر ما يجلس على اصطلب بازاء باب الجنائز فاذا رآه
الموزن هناك اقام الصلاة وقليل جلوسه في الدويرية الا لعذر او لرواية
كتاب فربما لا يعرف الموزن هل هو هناك ام لا فتجد خدمة الجامع يهزون
تلك النقارة اعلاما بحضوره على وجه الندرة لا على وجه الكثرة فاستحسن
اخباري له بهذا والتزم طرح نقرها وقال اني لم ادرك وجهها للخلاص في
فعلها وبقي كذلك الى ان مات . قال ولما ولي بعده الشيخ ابو القاسم
البرزلي امامة الجامع اعاد النقارة اقتداء بشيخه ابن عرفة الى ان مات
رحمه الله

باصبهان في رباط هنالك واجتمع اصحابنا ليلة في سماع فلما كان في اثناء ذلك بعد مضي جزء من الليل والوقت قد طاب اذ ضرب الباب ضارب خصرج اليه تن سمع ذلك فوجد شيخا طويل القامة عظيم الهامة على راسه كرزية وعليه فرجية وبيده ابريق ومكازة فقال ما هذا قلنا سماع اجتمع فيه لاصحاب فقال ندخل قلنا له ادخل فدخل فوجد القائل يقول -

خليلي لا والله ما القلب سالم وان ظهرت مني شمائل صاحي
والأ فما بالي ولم اشهد الوغى ابيت كاني مشخن بجـراح
فرمى للمنشد ما كان على راسه ثم قال له قل فقال -

يا نبأة المجرع لولا رنة الحادي لما تنقلت من واد الى وادي
ولا سلكت بنعمان لاراك ولا شربت ماء به يا نهلة الصادي

وقال -

كرر علي حديثهم يا حادي فحديثهم يطفي لهيب فوادي
كرر علي حديثهم فلربما لان الحديد لصربة الحداد
خنزع الشيخ فرجته وبقي عريانا وقال قل فقال -

غرام ووجد واشتياق ولومسة وما ذاق انسان من الحب ما ذقت
نحلت فلو علقت في جفن ذرة لطارت ولم تشعر بانني علقت
ولو نمت في جفن الذباب معرضا من السقم لم تشعر بانني قد نمت
ولو نفس من انفها قد اصابني من الشوق او من حر انفاسها ذبت
قال الشيخ ابو عبد الله بن الجنان فصاح الشيخ صيحة عظيمة وشهق
شهقة قوية وخرجت روحه رحمة الله عليه ولما اصبح الصباح وطلع النهار
غسلناه وجهازناه الى حفرة . وتركناه في عظيم تربته . قال الشيخ احمد
البلوي وحدثنى قال وحدثنى جدي من الشيخ ابي الفضل الهمداني
عن الشيخ الشريف القاضي ابي محمد العثماني قال انشدني الشيخ ابو
بكر المبارك بن كامل بمكة حرسها الله تعالى قال انشدني احمد بن
عبد السلام المدني قال انشدني ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري

السنية . قال البلوي فكنت كثيرا ما اقرا عليه بالدويرية التي يخرج منها الخطيب وهي بازاء المحراب من جهة اليسار وما قرأت بها عليه بلفظي جميع ثلاثيات الامام ابي عبد الله البخاري رضي الله تعالى عنه وحدثني بها بسنده فيها في برنامج رايقي وجميع المجالس الخمسة التي املاها الحافظ ابو طاهر احمد بن محمد بن احمد السلفي لاصبهاني . قال البلوي وحدثني بها عن جده ابي القاسم المذكور اجازة قال قرأت جميعها على الشيخ الامام المحدث الزاهد ابي الفضل جعفر بن ابي الحسن الهمداني بمسجده بالاسكندرية وحدثني بها سماعا على الحافظ مملها ابي طاهر السلفي المذكور . وقرأت عليه جملة من برنامجه الذي جمع فيه اشياخه واسانيدہ وتناولته من يده المباركة واجازني جميع ما يحمله ويرويه اجازة تامة مطلقة عامة . وكتب لي بخطه وحدثني رضي الله عنه قال حدثني جدي ابو القاسم المذكور قال انشدني بالقدس الشريف عند محراب زكرياء النبي عليه السلام الشيخ الصالح ابو علي الحسن بن احمد لاوق قال انشدنا الفقيه الامام العالم ابو الجيوش عساكر بن علي بن نصر المقرئ قال انشدني الشيخ ابو الحسن عبد الكريم التكنكي قال انشدني الصقلي بالاسكندرية من شعره لنفسه —

مزرفن الصدغ يسطو لحظه عبثا بالخلق جدلان ان يشكو الهوى ضحكا
لا تعبئن لورد فوق وجنته فانما نصبته عينه شـركا
قال البلوي وحدثني ايضا قال وحدثني جدي المذكور عنه عن الحافظ ابي طاهر السلفي انشدهم محمد بن علي السجلماسي المجاور بمكة شرفها الله تعالى بدار العجلة قال انشدني ابراهيم النحوي بسجلماسة لنفسه —
زعموا ان من تباعد يسـلـو ولقد زادني التباعد وجدا
ان وجدي بكم وان طال عهدي وجد يعقوب حين اصبـح فردا
قال البلوي وحدثني قال وحدثني جدي عن الشيخ المقرئ الصوفي الواظ ابي عبد الله محمد بن الجنان قال كنت مع جماعة من اهل التصوف باصبهان

عبد الله ابن الشيخ الفقيه الجليل ابي عبد الله محمد ابن الشيخ الفقيه القاسمي
العالم المصنف ابي القاسم بن علي بن عبد البر التنوخي - هذا بيت
غذي بالعلم ولادب . وربي على المجد والحسب . ورتي في اعلى الخطط
واسمى الرتب . فاليهم ينتهى في حسن النقائب . وبفواصلهم تنطق السنة
الحقائب -

قطفوا ثمار المجد من غرس العلا باصفهم فلنعم غرس الفارس
فهم لباب المجد عزة انفس وذكاء الباب وطيب مفارس
ما منهم الا عالم اوجد . لا ينعت ولا يحد . ولهم بالدولة الحفصية سبق
يذكر . وحق لا ينكر . والقاسمي ابو القاسم جدهم . به سفر جدهم .
وهو الذي عمر ربع الملك . وامر بالحياة والهلك . ودبج القرطاس وفوف .
ودون العلم وصنف . قال البلوي وشيخنا الخطيب ابو محمد هذا بديع
لا حسان . بليغ القلم واللسان . قد اتاه الله مقاليد هذا الشأن . وملك
بنان فضله اعنة المعاني وازمة البيان . واقام من البراعة على منابر انامله
اظهارا لمعجز البلاغة خطيبا مشقوق اللسان . فهو ذو الفضل والكرم .
والسيف والقلم . والعلم الذي يخفق لنشرة العلم . تاوي وفود السعد الى
حرمه . وتروي اخبار النداء عن كرمه . وتحلى السامع بما تمنحه لآلي
كلمه . وتنقل الى رياض الامال الظائمة ما شاهدته من دوام ديمه .
فلا برحت مكارم لاخلاق واخلاق المكارم تشام من برق شيمه . واحرار
المحامد ومحامد لاحرار تعد من امائه وخدمه . بمن الله تعالى وفضله
وكرمه . قال البلوي رحمه الله تعالى لقيته بمنزله المبارك من حضرة
تونس فقرات وسمعت عليه به وبالجوامع الاعظم المشهور بجامع الزيتونة
تصانيف واجزاء فانه لما خيرته المحاسن في انفسها . فاخص بانفعها
وانفسها . وحكمته السيادة في معاليها . فحكم من لاوامر والامور اعاليها .
كان مما اقام به من الدين متونه . اقامة الفرائض المكتوبة اماما بجامع
الزيتونة . الى غير ذلك من الخطابة بالمحاضرة العلية . والمراتب السامية

المكي الشافعي قال وقال قرأته اجمع بالحرم الشريف تجاه الكعبة العظيمة سنة خمس وسبعين وستمائة على الشيخ الاوحد شمس الدين ابي عبد الله محمد بن النعمان بنحو قراءته له على الشيخ ابي الفضل محمد بن المعالي ابن الجياب بن السعدي عن الشيخ الشريف ابي الفاخر سعيد بن الحسين المامري عن الشيخ ابي عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي الفراوي عن الشيخ ابي الحسن عبد الغفار بن محمد الفارسي عن الشيخ ابي احمد بن عيسى الجاعدي عن ابي اسحاق ابراهيم بن محمد سفيان النسابوري عن الامام ابي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري . وقال الشيخ خالد البلوي وكانت وفاة الشيخ عبد الله بن عمر في غرة المحرم مفتتح عام اربعين وسبعمائة رحمه الله تعالى . قال قال رضي الدين الطبري واخبرني به اعلی من هذا الشيخ المحدث امين الدين بن عبد الصمد بن عبد الوهاب ابن عساكر الدمشقي قراءة عليه وانا اسمع بالحرم الشريف تجاه الكعبة العظيمة سنة تسع وخمسين وستمائة . اه . وفي التاسع والعشرين لجمادى الاخرى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة توفي بتونس الفقيه المورخ ابو محمد عبد الله بن محمد بن ابي القاسم بن علي بن عبد البر التنوخي امام جامع الزيتونة وخطيب جامع القسبة عدلا ذا سمع حسن له عناية بالتاريخ والرواية اختصر ذيل السمعاني وتاريخ الغرناطي والف تاريخا على طريقة الطبري مرتبا على السنين من سنة البعثة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية الى زمنه وقد اجاد فيه وتجزيته في ستة اسفار . وكان يجلس لرواية مقامات الحريري بدويرة جامع الزيتونة وبه استدلل الشيخ ابن عرفة على فعل مثل ذلك في مختصر الفقه وجعله حجة مع ما في المقامات من المثالب . قال ابن الشباط في حاشيته على مسلم وكان ابن عبد البر امام الجامع الاعظم بتونس لا يرويهما إلا بالدويرة منه اذ ليس للدويرة حكم الجامع . اه . وابن عبد البر المترجم له رحمه الله ذكره الشيخ خالد البلوي في رحلته ووصفه بالشيخ الفقيه الخطيب ابي محمد

عبد

حيث قال - يانسين يجلو البصر . كانه اقراط من الدرر . يحفظ الذمام .
ولا يمل من طول القيام . ثغوره صاحكة . وحسنه ءامن من المشاركة .
والطرق المحمر في جوانبه كخمد عذراء مسه مص
وقال خالد البلوي وانشدني ابو عبد الله بن عمر قال وانشدني صاحبنا
الحاج الفاضل ابو زكرياء بن واش الفاسي وقال انشدني بعض الشيوخ
المجاورين البغداديين وقد مر به بحرم مكة شرفها الله تعالى الفقيه ابو
جعفر ابن شيخنا لاسلم رضي الدين الطبري وهو اذ ذاك فتى فقال له
الشيخ ما الذي تفرا وبما تشغل من الكتب فقال له الفتى بالتنبيه
فانشد الشيخ بديها -

ومنهف لاطراف ساج طرفه يغدو على الفقهاء للتعليم
شغلوه بالتنبيه جهلا منهم لو انصفوا شغلوه بالتنويم
قال وقال لي دخل لاديب الشهير ابو بكر بن قزمان رحمه الله تعالى
بعض البلاد فاعطى نعله ليصلح له وهو مسترق قد نفذ جميع ما عنده
فخطب في الحال بعض الناس من ذلك البلد بقوله -
دفعت قرقي للقرق يصلحه وقد تغذر قيراط من الشمس
فامن على شاعر خفت متونته قدر السؤال بحسب الناس والزمن
قال خالد البلوي وانشدني بعضهم -

خبث نار العلا بعد اشتعال ونلدى الجود حي على الزوال
فقدت الجود لآ في حديث والآ في الدفاتر ولا ماسالي
ولو اني ملكت لامر يومنا لما حاربك لآ بالسوال
لان الناس ينهزمون منه وقد ثبتوا لاطراف العوالي
وقال وقرأت عليه جميع صحيح لاسلم بن الحاج رحمه الله تعالى
فكمل لي جميعه عليه ما بين قراءة وسماع بنحو قراءته لجميعه بالمحرم
الشريف تجاه الكعبة للعظمة سنة ثلاث مشرة وسبعائة على الشيخ اسلم
مقام الخليل عليه السلام رضي الدين ابي احمد بن مقيم بن محمد الطبري

احداق . وارخي اوراقه . واصفى ملبسه . ووشى سندسه . والنسيم قد
جر على بساط البسيط ذيوله . واجال بملعبه خيوله . واستنطق اطياره .
وشق ازراة . وافشى اسراره . واذاغ شيخه وعراره . وفصص انواره .
وذهب ازهاره . ونثر درهمه وديناره . وحيا ورده وبهاره . وصافح اسه
وجلناره . واطاب ثناءه واخباره . والمذانب تسل السيوف . وترى لنفسها
على لانهار الصفوف . وتخترق من مكللات الثمار الصفوف . وتدور على
سوق الغصون كالخلاخل . وتلتوي بها التواء اللسان المجادل . وتلك السواقى
تحن كحنيين الحوار . وتضرم في القلب المشوق حر الاوار . وتهيج لوعة
الصب المغترب النازح الدار . وتفجر من بين اضلاع امثال الشفار .
وفيها يقول الرئيس ابو عبد الله بن ابي الحسين —

ومحنية لاضلاع تحنو على الثرى وتسقي بنات الترب در العرايب
تعد من لافلاك ان مياهما نجوم لرجم المحمل ذات الذوانب
واطرافها رقص الغصون ذوابلا فدارت بامثال السيوف القواضب
وما خلتها تشكو بتحنانها الصدى ومن بين معنيها اطواد المذانب
فخذ من مجاريها ودهمة لونها بياض العطايا في سواد المطالب
فحللت منها شرفا . وتبوات غرفا . واجتنيث تحفا وطربا . واقننا بها
ليالي واياما آمنين . تغازلنا اعين النرجس وتقابلنا خدود الورد وتصافحنا
اكف الياسمين —

في رياض من الشقائق اصحت يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام يلحد منها زهرات تفوق لون الرياح
قلت ما ذنبها فقال مجيبا سرقت حمرة الخدود الملاح
قال الشيخ خالد وما انشدني هنالك لنفسه —

حسن المربة ريح جرى عليها فعم
فكل وجه تراه تراه بدرا اتم

ولقد ذكرني قوله في الياسمين ما وصفه به بدر الدين الحلي رحمه الله
حيث

حيث قال - يانسين يجلو البصر . كأنه اقراط من الدرر . يحفظ الذمام .
ولا يمل من طول القيام . ثغوره ضاحكة . وحسنه ءامن من المشاركة .
والطرق المحمر في جوانبه كخند عذراء مسه مص
وقال خالد البلوي وانشدني ابو عبد الله بن عمر قال وانشدني صاحبنا
الحاج الفاضل ابو زكرياء بن واش الفاسي وقال انشدني بعض الشيوخ
المجاورين البغداديين وقد مر به بحوم مكة شرفها الله تعالى الفقيه ابو
جعفر ابن شيخنا لامم رضي الدين الطبري وهو اذ ذاك فتي فقال له
الشيخ ما الذي تقرا وبما تشغل من الكتب فقال له الفتى بالتنبيه
فانشد الشيخ بديها -

ومهفف لاطراف ساج طرفه يغدو على الفقهاء للتعليم
شغلوه بالتنبيه جهلا منهم لو انصفوا شغلوه بالتنويم
قال وقال لي دخل لاديب الشهير ابو بكر بن قزمان رحمه الله تعالى
بعض البلاد فاعطى نعله ليصلح له وهو مستغرق قد نفذ جميع ما عنده
فهاطب في الحال بعض الناس من ذلك البلد بقوله -
دفعت قرقي للقراق يصاحبه وقد تغذر قيراط من الشـ
فامن على شاعر خفت متونته قدر السؤال بحسب الناس والزمن
قال خالد البلوي وانشدني بعضهم -

خبث نار العلا بعد اشتعال ونلدى الجود حي على الزوال
فقدت الجود إلا في حديث وإلا في الدفاتر والامالي
ولو اني ملكت الامر يوما لما حاربت إلا بالسوال
لان الناس ينهزمون منه وقد ثبتوا لاطراف العوالي
وقال وقرأت عليه جميع صحيح لامام مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى
فكمل لي جميعه عليه ما بين قراءة وسماع بنحو قراءته لجميعه بالحرم
الشريف تجاه الكعبة المعظمة سنة ثلاث عشرة وسبعمائه على الشيخ امم
مقام الخليل عليه السلام رضي الدين ابي احمد بن مقيم بن محمد الطبري

احداقه . وارخي اوراقه . واصفى ملبسه . ووشى سندسه . والنسيم قد
جر على بساط البسيط ذيوله . واجال بملعبه خيوله . واستنطق اطياره .
ورشق ازرارته . وافشى اسراره . واذاع شيخه وعراره . وفصص انسواره .
وزهب ازهاره . ونثر درهمه وديناره . وحيا ورده وبهاره . وصافح اسمه
وجلناره . والطاب ثناءه واخباره . والمذانب تسل السيوف . وتثرى لنفسها
على لانهار الشفوف . وتخترق من مكللات الثمار الصفوف . وتدور على
سوق الغصون كالخلاخل . وتلتوي بها التواء اللسان المجادل . وتلك السواق
تحن كحنيين الحوار . وتضرم في القلب المشوق حر الاوار . وتهيج لوعة
الصب المغترب النازح الدار . وتفجر من بين اضلاع امثال الشفار .
وفيها يقول الرئيس ابو عبد الله بن ابي الحسين —

وحنية لاضلاع تحنو على الثرى وتسقي بنات الترب در الترائب
تعد من لافلاك ان مياهما نجوم لرجم المحل ذات الذوانب
واطرافها رقص الغصون ذوابلا فدارت بامثال السيوف القواصب
وما خلتهما تشكو بتحنانها الصدى ومن بين معنيها الطواد المذانب
فخذ من مجاريها ودهمة لونها بياض العطايا في سواد المطالب
فحللت منها شرفا . وتبوات غرفا . واجتنتيت تحفا وطربا . واقننا بها
ليالي واياما آمنين . تغازلنا عين النرجس وتقابلنا خدود الورد وتصافحنا
اكف الياسمين —

في رياض من الشقائق اصحت يتهادى بها نسيم الرياح
زررتها والغمام يلحد منها زهرات تفوق لون الرياح
قلت ما ذنبها فقال مجيبا سرقت حمرة الحدود الملاح
قال الشيخ خالد ومما انشدني هنالك لنفسه —

حسن المرية ريح جرى عليها فعم
فكل وجه تراه تراه بدرا اتسم

ولقد ذكرني قوله في الياسمين ما وصفه به بدر الدين الحلبي رحمه الله

حيث

حيث قال - يأسمين يجلو البصر . كأنه اقراط من الدرر . يحفظ الذمام .
ولا يمل من طول القيام . ثغوره ضاحكة . وحسنه ءامن من المشاركة .
والطرق المحمر في جوانبه كخند عذراء مسه عص
وقال خالد البلوي وانشدني ابو عبد الله بن عمر قال وانشدني صاحبنا
الحاج الفاضل ابو زكرياء بن واش الفاسي وقال انشدني بعض الشيوخ
المجاورين البغداديين وقد مر به بحوم مكة شرفها الله تعالى الفقيه ابو
جعفر ابن شيخنا لاسلم رضي الدين الطبري وهو اذ ذاك فتى فقال له
الشيخ ما الذي تقرأ وبما تشغل من الكتب فقال له الفتى بالتنبيه
فانشد الشيخ بديها -

ومنهف لاطراف ساج طرفه يغدو على الفقهاء للتعليم
شغلو بالتنبيه جهلا منهم لو انصفوا شغلوه بالتنويم
قال وقال لي دخل لاديب الشهير ابو بكر بن قزمان رحمه الله تعالى
بعض البلاد فاعطى نعله ليصلح له وهو مستغرق قد نفذ جميع ما عنده
فخطب في الحال بعض الناس من ذلك البلد بقوله -
دفعت قرقي للقراق يصاحبه وقد تعذر قيراط من الشمس
فامن على شاعر خفت متونته قدر السؤال بحسب الناس والزمن
قال خالد البلوي وانشدني لبعضهم -

خبث نار العلا بعد اشتعال ونادى الجود حي على الزوال
فقدت الجود إلا في حديث وإلا في الدفاتر والامالي
ولو اني ملكت لآمر يومنا لما حاربنا إلا بالسوال
لان الناس ينهزمون منه وقد ثبتوا لاطراف العوالي
وقال وقرأت عليه جميع صحيح لاسلم بن الحاج رحمه الله تعالى
فكمل لي جميعه عليه ما بين قراءة وسامع بنحو قراءته لجميعه بالحرم
الشريف تجاه الكعبة للعظمة سنة ثلاث عشرة وسبعمائه على الشيخ املم
مقام الخليل عليه السلام رضي الدين ابي احمد بن مقيم بن محمد الطبري

احداقم . وارخي اوراقه . واصفى ملبسه . ووشى سندسه . والنسيم قد
جر على بساط البسيط ذيوله . واجال بملعبه خيوله . واستنطق اطياره .
وشق ازرار . وافشى اسراره . واذاغ شيخه وعراره . وفضض انواره .
وزهب ازهاره . ونثر درهمه وديناره . وحيا ورده وبهاره . وصافح اسنه
وجلناره . واطاب ثناءه واخباره . والمذانب تسل السيوف . وتثرى لنفسها
على لانهار الشفوف . وتحترق من مكلمات الثمار الصفوف . وتندور على
سوق الغصون كالخلاخل . وتلتوي بها التواء اللسان المجادل . وتلك السواق
تحن كحنيين الحوار . وتضرم في القلب المشوق حر الاوار . وتهيج لوعة
الصب المغترب النازح الدار . وتقجر من بين اضلاع امثال الشفار .
وفيها يقول الرئيس ابو عبد الله بن ابي الحسين —

وحنية لاضلاع تحنو على الثرى وتسقي بنات الرب در الترائب
تعد من لافلاك ان مياهما نجوم لرجم المحل ذات الذوانب
واطرافها رقص الغصون ذوابلا فدارت بامثال السيوف القواصب
وما خلتها تشكو بتحنانها الصدى ومن بين معنيها اطواد المذانب
فخذ من مجاريها ودهمة لونها بياض العطايا في سواد المطالب
فحللت منها شرفا . وتبوات غرفا . واجتنيث تحفا وطربا . واقفنا بها
ليالي واياما آمنين . تغازلنا عين النرجس وتقابلنا خدود الورد وتصافحنا
اكف الياسمين —

في رياض من الشقائق اصحت يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام ياحد منها زهرات تفوق لون الرياح
قلت ما ذنبها فقال مجيبا سرقت حمرة الخندود الملاح
قال الشيخ خالد ومما انشدني هنالك لنفسه —

حسن المريّة ريح جرى عليها فعم
فكل وجه تراه تراه بدرا اتسم
ولقد ذكرني قوله في الياسمين ما وصفه به بدر الدين الحلبي رحمه الله
حيث

الرياض الانسية . فهو لان متولي ديوان انشائها . ومدلي اشطان رشائها .
قد استقر عند سن عرف شانه . وعاف بعده وشانه . واقتنى مقد نظم
وزانه . وادخر مرجان نظمه وجمانه . قال دخلت المحضرة التونسية
على حين اخذ مني البين اخذته . وفلذ من فوادي فلذته . ففغرست
في ادبه الرائق . ومذهبه الواضح الطرائق . ان جنابه العالي مطمح
لنفسى ومشرح انسى . ومصلح ما قضى من لبسى وانضى من عنسى .
فكانت فراسته لاح صدقها . واومض برقها . وسح سحابها وهمل ودقها .
ولما عجبت اليه . وقصدت منزله للسلام عليه . انشدت بيتين اثنين
استاذن بهما وهما —

ببابك يا مولى الكتابة كاتب اناك بقلب من اسى البين مفجع
وحاجته تقبيل يمانك انهما تومن من خوف وتسمن من جوع
فارتاح اليهما ارتياح الصادي لبليل القبول . ومد بهما يمين اليمن والقبول .
ودارت بيني وبينه المخاطبات نظما ونثرا . وتكررت بيننا المراسلات
والمراجعات قلا وكثرا . ولم ازل مدة اقامتي بتلك المحضرة تحت ظله
الوارف . وفصله المحمود المطارف . خرج مستريحا في بعض لازمنة
الطيبة الى بعض جناته التي هي منى النواظر . وملعب القصور النواضر .
ومهف لانفاس العواطر . وواحة لا ابدان والحواطر . وجلال الحلال التي
توشىها ايدي الغمام الماطر . قبال فما الم بها حتى وجه الي مع بعض
خدمه مركوبا من عتاق الخيل . جامعا لضياء الصباح وغسق الليل .
نقلني اليه . واحلني لديه . فوافيت والربيع قد اهدى نوافحه . واشدى
لواقحه . وارسل لواقحه . واسدل ملاحفه . واسبل مطارفه . والآن
معاطفه . وافاض معارفه . وامد بروده . وامال قدوده . واخجل خدوده .
وحشد جنوده . وحشر بيضه وسوده . ونشر الويته وبنوده . وملا تهاثمه .
وجنوده . ونظم جواهره ونقوده . ورقم صحائفه وعقوده . واعطى موائمه وعهوده .
والغمام قد بكى على ميت الارض فاحيا نوره . واعتحك ثغره . وحقق

شرح مختصري ابن الحاجب وشرح المعالم الفقهية ومختصر التهذيب
 وشرح التهذيب في أسفار عديدة وشرح الحاصل وغيرها ولد سنة ثمانين
 وسبعمائة . اهـ . وله مختصر التيطية في قدر ثلثها اسقط وثلثها وتكرارها
 وتوفي رحمه الله في الوباء العام سنة خمسين وسبعمائة ذكره ابن الخطيب
 والعجب من صاحب الديباج حيث لم يذكره اصلا مع كثرة نقله عنه في
 تبصرته وشرحه * ومنهم الشيخ الفقيه العالم الصالح العابد ابو عبد الله
 محمد بن محمد بن سلامة لانصاري تونسي اخذ عنه الامام المقرئ والشيخ
 ابن عرفة وغيرهما قال ابن بابا قال بعض اصحابنا توفي سنة ست
 واربعين وسبعمائة رحمه الله عليه * ومن اجل مدرسي الجامع المذكور
 سن برز في ميدان التسجيل . وتميز بين عتاق تلك الحلبة بالغة والتجمل .
 واحرز بنصل السبق الموجب للتعظيم والتبجيل . الشيخ العالم المتصوف
 ابو عبد الله محمد بن عمر ارضاه الله تعالى . علم الجماعة . وقلم التأييد
 والاستطاعة . ورب الفكرة الطواعة . والامرة المطاعة . وسن له في النظم والنثر
 القلم الاعلى . والقدم الاولى . واللفظ الاجلى . والمورد الاحلى . والقدح المعلى .
 والبدائع التي تستفاد وتستعمل او تستعمل . وله في الطريقة الصوفية مقام
 عال . واشتات مقال . وخاطر بجول في اوسع مجال . فيبرز نفائس لآل .
 وعرائس جمال . ويأتي بسحر حلال . وبحر زلال . بين بديهة وارتجال .
 ووحد وارقال . واحتفاز واستعجال —

مكارم مثل المحصى كثرة وخاطر يغرف من بحر

رحل الى المغرب والمشرق فعلت رواياته . وعظمت آياته . وكثرت
 مبالاته بالعلم وعناياته . فبدأ في سماء المعارف شمسا تتجلى بزهر هدايته
 مشكلاتها . ولاح في جسد العوارف سلكا يتكلى بدر كفايته لبانها . واقام
 مشغلا بالعلم سنين . وانعقد النكاح بينه وبين عقائل الاداب بالرفاه
 والبنين . فيلد من مخدرات فكره خرائد تنهأها الملوك . وفرائد تزدان
 بها التيجان والسلوك . تحلت به الحضرة التونسية . كما تحلت بازاهرة
 الرياض

عنه فرصه . واستاقت اليه ارضه . وكمل فضله . واشتمل على الكمال
 الانساني عقله ونقله . فانبسط في العلم بنباهته . وانقبض من العالم بنزاهته .
 ولزم مطالعة دواوينه . وحقق الى متونها حدقة فهمه ودينه . فطلع الله
 بعلمه بشرا كثيرا . وادع له في قلوب عباده من القبول حظا كبيرا . ولولا
 ما رزق من الزهد والقناعة . لعلق به قصاء الجماعة . فيط به احسن
 تلك المدارس . وغبطت منه بالفارس واي فارس . فقام العباد بحقه .
 وصدقوا فيه الخبر النبوي فلم يتماروا في صدقه . وعلموا انه السابق في هذا
 المضمار الذي لا يترشح احد لسبقه . فازدحم لافادته افواج من الناس .
 واقتبسوا من علمه وهو النور الذي لا ينقص بكثرة لاقتباس . حتى اقرت له
 السادات بالتسويد . واحيا الله به سنة لاجتهاد حين وقف غيره على سنن
 التقليد . فبرز في ميدان تدريسه بما برز . وحرز من قصب السبق ما
 احرز . مع جلالة قدر . وسعة صدر . وحسن خلق . واعتدال خلق .
 وسهولة العبارة . وصناعة صياغة الكلام للبدواة والمحاضرة . وقمع الباحث
 الملد . ومزج الهزل بالجد . كامتزاج الماء والنار في الخد . الف تأليف قد
 اختص فيها بفصاحة البراعة . واقتفى لها اوضح طرق البراعة . فاحكم
 اصولها . واتقن فصولها . وركب على عواملها المثقفة حصولها . واحسن
 فيها ترتيب لايراد ولااعتراض . والقصد الى توفية لاغراض . هذا مع الاختصار
 ولايجاز . والماخذ الذي يكاد ينسب الى الاعجاز . يستوفي الابداع في ذلك
 كله مع ملاحظة الغايات البعيدة والقريبة . ببديهة الادراك واللمحة السريعة
 الغريبة . في حسن القاء . وملاحظة اشارة وايماء . ونبل تنبيه . ولطف
 توجيه . واصابة تنظيم . واجادة تنقيح . فلما رات الامين او سمعت لاذن
 باصل في الاصول . وافرغ للفروع والفصول . وابرع في نقد الكلام وسبكه .
 واعرف بهل المشكلات لابن الحاجب وحنكه . قائل وقرات عليه نصف
 مختصري ابن الحاجب لاصلي والفرعي قراءة تفقه وبحث وسمعت عليه
 كثيرا من التهذيب وغيره من كتب الفقه والاصول والعربية . ومن تأليفه

نظر لان قضية الحارثي اقرب الى الحراثة من فعل هذا الذمي لعظم مفسدته
وانما حكم القاضيان فيه بالقتل وان كان انما في سرقة الصبيان القطع لانه
يفعله ذلك ناقض للعهد مع عظم مفسدة فعله بها ينشأ عنه من تملك الحر
وتنصره ، وقد وقع ابن عبد السلام في طيقته حين كان لاميير ابو يحيى
سلطان افريقية عهد لولده احمد بقبضته لم توفي لاميير ابو يحيى وكان
حاجبه عبد الله بن تافراجين فلما حضر قاضي الجماعة ابو عبد الله بن
عبد السلام وقاضي الانسجة لاجمي امرهما ان يبايعا عمر ولد لاميير ابي
يحيى المذكور فاعتذرا وقالوا كيف نبايعه ونحن شهدنا في بيعته اخيه
احمد والتزمناها وكان الحاجب المذكور نبيلاً فقال للقاضيين حين رآى
امتناعهما ادخلا دار السلطان واشتغلا بغسله وتكفينه فلما دخلا موضع غسله
احضر الحاجب المذكور الناس واهل المحل والعهد وامرهم ان يبايعوا عمر
فبايعوه فلما خرج القاضيان وجدا البيعة قد حصلت فبايعا حينئذ ولكن
ابن عرفة يستصوب فطنة الحاجب المذكور ونبله في فعله ذلك لانه
جار على ما ذكره القاضي ويستصوب ايضا امتناع القاضيين اولاً لما ذكرناه
من سبق التزامهما وبهيتهما بعد لان عقاد البيعة بغيرهما . اد * ومسئ
اجل مدرسي الجامع المذكور محمد بن هارون الكناني التونسي ذكره سيدي
احمد بن بابا فيقال لامام العلامة المحافظ وصفه ابن عرفة ببلوغ درجة
لاجتهاد المذهبي وقع له مع ابن عبد السلام نزاع في مسائل تولى القضاة
بغير تونس واخذ عنه لايمة كالمصري والخطيب ابن مرزوق وابن عرفة
وخالد البلوي وذكره في رحلته وبالغ في ثنائه فيقال الشيخ الفقيه لاسلام
ابو عبد الله محمد بن هارون ابقى الله بركاته امام في الفقه واصوله . وعلم
الكلام وفصوله . متوصل بالكد والجهد الى حصوله . علم من اعلم للمعروف . وعلم
لاعلام المحلل الدينية والمطارف . نفع بما وعى من العلم لاصيلي المغرب .
وشفع ما استفاده من علماء تونس بما حصله من علماء المشرق . واطفرت
رحلته بمبرزى العلماء . والمدرسين القدماء . وعاب من رحلته وقد قضى

سماعا عليه قال وقال سمعته عن القاضي ابي الوليد يونس بن عبد الله
ابن يحيى عن عمه عن ابيه عن عبيد الله بن يحيى عن ابيه يحيى بن
يحيى عن مالك بن انس رضي الله تعالى عنهم ورحمهم اجمعين . قال
وهذا السند لا يوجد بالمغرب مثله علوا واتصالا بالقراءة والسماع . قال
وقرأته ايضا عام ثلاثين وسبعمائة على والدي واخبرني انه قرأ منه جميع
كتاب الصلاة عرضا عن ظاهر القلب عن والده قال واخذته والده جدي عن
جماعة اجلت منهم والده الخطيب الصالح ابو اسحاق وغيره قال وقرأته
بالمسجد الجامع من مدينة مالقة المحروسة عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة على
الشيخ الخطيب الزاهد الولي لله تعالى ابي عبد الله محمد بن احمد الهاشمي
الطنجالي بسنده فيه قال وقد قرأته وسمعته بالاندلس وبقرى العدو على
سن ذكرته رضي الله عنهم اجمعين . وتوفي ابن عبد السلام المذكور سنة
تسع واربعين وسبعمائة . اه . قلت كان المورخ ذا مدد وان شئت قلت في
تاريخه . نعوا محمد بن عبد السلام . قال ابن الشباط في حاشيته على
مسلم واتفق ان طالبا يدعى بابن عمرين قال لا يزداد في الصلاة لفظ سيدنا
لانه لم يرد وانما يقال على محمد فنقمها عليه الطلبة وبلغ الامر الى القاضي
ابن عبد السلام فارسل وراءه لاعوان فاختفى مدة ولم يخرج حتى شفع فيه
صاحب الخليفة فحينئذ خلى عنه وكانه رأى ان اختفاء تلك المدة هو
عقوبته . قال لا يبي وما يستعمل من لفظ السيد والمولى حسن وان لم يرد
المستند فيه لما صح من قوله عليه الصلاة والسلام . انا سيد ولد آدم . .
واتفق في قضاء ابن عبد السلام ان نزلت بتونس قضية وهي ان عشر
بيهودي يسرق صغار المسلمين ويبيعهم للحربيين فاستشار الامير ابو
يحيى قاضي الجماعة ابن قداح وقاضي لانكحة ابن عبد السلام فقال ابن
قداح يقتل بالسيف وقال ابن عبد السلام يصلب ويقتل واحتج بصلب
عبد الملك بن مروان الحارثي الذي تنبأ قال في المدونة وطعنه بحرمة
بيده ففعل بالذمي ذلك . وكان ابن عرفة يقول في احتجاج ابن عبد السلام

والديانة . وصعد من هضبة تبقى على اعلى مكانة . فلم يعرف له قط
صبوة . ولا حلت له الى غير الطاعة حبة . على ان المسهب في اوصافه
الكريمة . سكيت وقاصر - وهيئات يضرب في حديد بارد - صرف همته
العلية وفكرته الرقادة الزكية في انتحال فنون العلم واقتتاح المعلوم منها
والمختوم فملك اعنتها وقاد ازمته ووضح اشكالها وحل اقبالها . وتلقى
بالسهل والصعب انشالها عليه واقبالها . فكان وحيد لاوان . وعلامة
الزمان . والمشار اليه بالبنان في البيان . ما قرن به فاضل من العلماء للإل
رجحه . ولا القي اليه بمبهم من العلوم إلا كشفه ووضحه . عدلا في احكامه .
جزلا في اقدامه . مراقبا لله في فعله وكلامه . له صادقات عزائم . لا
تأخذه في الله معها لومة لائم . له نزاهة من الدنيا . وهمة نيطت بالثريا .
وبهجة فيها تفرق ماء البشر فاحيا وحيا —

يقابلني له خلق وصبي يصدق بشرة خلق رضي
قال حضرت مفتنا وملتزما تدرسه الذي هو صالة الناشي الناشد .
وبغية القاصي القاصد . وحديقة الراعي الرائد . وحقيقة الفوائد الفرائد .
فسمعت وانتفعت واخذت عنه شرحه لكتاب ابن الحاجب الفروي فقرات
وكتبت واجاز لي غير ما مرة وكتب لي بخطه ومولده سنة ست وسبعين
وسمائه قال وسمعت عليه بمنزله من تونس جميع كتب موطا لامل
مالك بن انس رضي الله عنه في مجالس كثيرة اخرها ضحوة يوم الجمعة
الثالث عشر لصفر من عام سبعة واربعين وسبعمائه واذن لي في روايته
عنه انه قرأه اجمع بلفظه على لاساذ المقرئ ابي العباس المشتهر بالبطرني
المتقدم الذكر بسنده فيه وقرأه كذلك ايضا على الشيخ المحدث الراوية
المعمر ابي محمد عبد الله بن محمد بن هارون وحديثه به عن القاضي ابي
القاسم احمد بن يزيد بن عبد الرحمن ابن بقي قراءة لبعضه وسماعا لسائر
بمدينة قرطبة امادها الله دار اسلام عن ابي عبد الله محمد بن عبد الحق
الخزرجي قراءة عليه عن ابي عبد الله محمد بن فرج الفقيه مولى الطالب
سماعا

الخلافة القائم بأمورها أبي محمد عبد الله بن تافراجين وكانت بين الحاجب
 والقاضي منافسة فارسل إلى القاضي أن تنقرا بها في خطبتك أو يقدم
 غيرك فالعزم قراءتها بعد وكان الشيخ يقول لما جرى العرف بقراءتها صارت
 كالشرط المدخول عليه فلا ينبغي ترك قراءتها . ومما اتفق أن السنة التي
 جدد بها سقف جامع الزيتونة وخطيبه إذ ذاك أبو اسحاق بن عبد
 الرفيغ غطيت المحببة الأولى التي تحتها المنبر بالحصر فخطب فقام الشيخ
 الفقيه المشتهر بالصلاح أبو علي القروي فانكر عليه وأغلظ القاضي عليه في
 الرد وافضت الحال إلى أن أمر القاضي بسجن أبي علي وكان الشيخ ابن
 عرفة يقول الصواب مع الشيخ أبي اسحاق ولا ينتهي الحال إلى أن تمنع
 الجمعة لأنه لو خطب دون تغطية بحصر جاز لأنه ليس من شرط
 الخطبة أن تكون تحت سقف إذ لو خطب بالصحن جاز إذ ليس من
 شرط الجامع أن يكون كله مسقفا وانظر ما يتفق في بعض القرى أن يكون
 الجامع غير متصل البناء ببيوت القرية فكان الشيخ ابن عبد السلام والشيخ
 أبو الحسن المنتصر يتفق أن يكون أحدهما يوم الجمعة بقرية صايغ وجامعها
 يسعد من دورها بنحو ثلاثمائة ذراع فكانا لا يصليان بها الجمعة ويذهبان
 إلى غيرها فيصليان لكن لا ينهيان أهلها عن صلاة الجمعة . ولما مات أبو
 موسى استبد ابن عبد السلام بذلك وتولى القضاء بتونس . وابن عبد السلام
 هذا ذكره سيدي أحمد بن بابا في كتابة كفاية المحتاج فقال ما نصه : محمد بن
 عبد السلام الهواري التونسي علامتها وقاضي الجماعة بها شيخ لاسلام لآمام
 المحقق المشهور ذكره في الديباج وذكره الشيخ خالد البلوي في رحلته فقال
 البحر المتلاطم لأمواج . والمنهل الذي تروى بعذبه بقاع الوهاد وتلاع
 الفجاج . المجموع الذي نزلت بساحته مفترقات العلوم نزول الماء الشجاج .
 قاضي القضاة . وإمام الفقهاء والنحاة . ورب العقل الوافر وبحر الصلوات .
 الشيخ العالم العلامة قطب الشورى وعماد الفتيا قدوة علماء لاسلام . أبو
 عبد الله بن عبد السلام . رجل نشأ في العفة والصيانة . وبني ذروة الطهارة

اشترى للخليفة سلطان افريقية لأمير أبي العباس حجة . وقال ابن الشباط في الحاشية المذكورة قال لي يوما شيخنا ابن عرفة لولا خوف الحاجة في الكبر ما بت وعندني عشرة دنائير فلما كان قريبا من آخر حياته حبس من الربع ما يفرق من أكرهته في كل شهر نحو العشرين دينارا ذبا كبيرة ولا ذخار لا ينافي التوكل . قال الأبى وكان ابن زيتون من متأخري التونسيين يرى ادخار عامين بتونس لا ينافي التوكل لفساد أعرابها وعدم امن الطريق . وذكر عياض في المدارك ان القاضي أبا بكر الأبهري أخرج في آخر حياته ألف مثقال وكتب أسماء تلامذته وكانوا جماعة وافرة وكان من جملتهم أبو بكر الباقلااني وفرقها عليهم وأثر ابن الباقلااني فاعلاه منها مائة مثقال فقل له لما ادخرتها الى اليوم وعلا فرقها قبل فقال عهدني بأبي بكر الصيرفي وقد طلب لقضاء بغداد فامتنع فلما كثرت بناته رايته يكتب الرقاع يستعطي أصحابه فادخرتها خوف الوقوع في مثل ذلك وأما اليوم فلا حاجة لي بها * وفي حدود سنة ثمان وأربعين وستمائة بنى السقاية التي هي شرقي الجامع أبو عبد الله محمد المستنصر ابن الأمير أبي زكرياء يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص * وفي شهر رمضان من سنة ست وعشرين وسبعمائة توفي الشيخ الصالح العالم المفتي امام جامع الزيتونة وخطيبه أبو موسى هارون المجديري وكان استخلف في مرضه ابن عبد السلام خطيبا فبلغ ذلك قاضي الجماعة حينئذ ابن عبد الرفيع فقدم الشيخ أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد النصار وآخر ابن عبد السلام من الخطبة فقال له ابجرحه هذا فقال لا ولكن اهل تونس ما يولون جامعيهم إلا سن هو من بلدهم * وقال ابن الشباط في حاشيته على مسلم ناقلًا عن الأبى عند نقله حديث كان لا يدع قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقلوا قولا سديدا - الى ان قال وكان عمر بن عبد الرفيع قاضي الجماعة بتونس خطيبا بجامعها لأعظم لا يقرأ بها في الخطبة لعذر يمنعه من طول الوقوف ويقرأ عشرا غيرها فنقم عليه بعض سن يتبعه عند حاجب الخلافة

صحيح مسلم إلا يسيرا سمعه بقراءة غيره وبعض البخاري والموطا وقرا عليه جملة من التهذيب وسمع عليه سائره ازيد من ختمه قراءة بحث وفقه ونقل فروع لامهات واحاديث لاحكام مع التنبيه عليها تصحيحا وتحسينا وتضعيفا وغيرها مما قرا عليه مع افادة ااداب الاشتغال بالتعليم خصوصا توجيه الاسئلة والبحث . وحاله في بلوغ اقصى مراتب الغاية العلمية لا ينكر ومقامه في مجاهدة العمل اشهر مما يذكر . وذكر الفقيه القاضي لاجل ابو عبد الله الزنديوي نزيل تونس قال كان ابن عرفة في العلوم كما دلت عليه تأليفه وفي العبادة بمزية اعلى قال سمعت شيخنا الامام ابا مهدي عيسى الغبريني يقول لم ير ولم يسمع بمثل سيدي ابن عرفة في ثلاثة - الصيام والقيام وثلاوة القرآن - ما هو إلا ما يذكر عن رجال رسالته القشيري فلا تراه ابدا إلا صائما ويقرا عشرين حزبا في ساعة وقيامه معلوم يقوم في جامع الزيتونة العشر لاواخر من شهر رمضان في كل عام حتى عجز قرب وفاته . قال الزنديوي واول ما لقيته عام ثلاثة وتسعين وله سبع وسبعون سنة وسمعت عليه صحيح البخاري بقراءة شيخنا ابي مهدي وحضره جميع اعلام تونس وطلبتها كبارا وصغارا وكان ذلك في شهر رمضان عام واحد وثمانمائة وكان متبحرا في دنياه موسعا عليه فيها مالا وجاها ونفوذ كلمة . وقال ابن الشباط في حاشيته على مسلم كان الشيخ امام الجامع لاعظم بتونس اذا احس بالمطر خفف رفقا بتن يصلي بالصحن . قال جامع عفا الله عنه وتبعته كثيرا اطلاقه لفظ الشيخ فوجدته مرادا به ابن عرفة . ومنها ايضا قال لا يبي وقد احتج الى الاستسقاء بتونس مرارا وامام جامعها ابن عرفة ولم يصلها بالناس وقال خفت ان صليتها ان يشتد امر الطعام ويقوى الهرج والغلاء . وقال لا يبي عند بحث شراء الحجات لمن تعذر عليه الوصول ان هذا الذي يفعله اليوم كثير من شراء الحجات ويقولون انه على مذهب المخالف هو انه انما يفعله والله اعلم في حق بن تعذر عليه الوصول وقد فعله شيخنا الامام ابن عرفة عام حج فذكر انه

تحتاج الى تأليف وله تأليف عديدة عجيبة كمختصر الفقه الذي لم يسبق اليه في تهذيبه وجمعه وحدوده ودقيق ابجائه ومختصر المنطق وفيه من القواعد ما يعجز عنه الفحول وتأليفه في لاصلين واماليه الحديثية والقرآنية والحكم الشرعية وكان وليا صالحا زكيا قدوة سنيا عارفا محققا نهاية في العقول والمنقول بقية الراسخين آخر المتعبدين ذا سعادة تواتر هديه مع غزارة علمه وقوة فهمه ومع ما له من المحبة والقبول شيخ كثير من شيوخنا يقفون عند جده معظمين له ومسلمين لفهمه تلقينا منهم كراماته وحسن دينه وطريقته وكتبه جامعة مانعة مبرز الفقهاء سن يذك رموزه ويفهمها يتفخرون بذلك خلفا عن سلف مسعودا في دنياه مرضيا في اخراه مع طول عمره هابته الملوك وقاموا بحقه ومن سعاداته انه لم يبتل بتولية القضاء مع قدرته على تحصيله حفظا من الله تعالى له تولى امامة الجامع الاعظم سنة خمسين وسبعائة وخطابته كما تقدم سنة اثنتين وسبعين وتولى الفتيا سنة ثلاث وسبعين . ونقل ابن الشباط عن لابي ان ابن سهل قال وانفس الخطط واشرفها القضاء لاسيما اذا انضاف اليها امامة الصلاة وظاهر كلامه هذا ان اجتماعهما حسن راجح وذكر ابن عرفة ان العرف بتونس في القديم والحديث منع قاضي الجماعة والانكحة للامامة بجامعها الاعظم قال وسمعت سن يعلله بانه مظنة ان لا يرضى به المختوم فيودي الى امامة سن هو كاره له . وفي الترمذي ثلاث لا تتجاوز صلاتهم اذ انهم العبد لا بقى حتى يرجع - وامرأة بائنة وزوجها عليها ساخط - وامام ام قوما وهم له كارهون . ولم يقع له عذر في صلاة اصلا الا وقت مرضه وخروجه في مصالح المسلمين . قال ابن لازرق وقفت في مكتوب له وفيه انه قرا على ابن الحباب جملة من كتاب سيبويه قراءة بحث وتحقيق وجملة من التسهيل على بعض شيوخه وسمع التفسير من ابن عبد السلام لجميع القراءان وما يجب من تحقيق احكام للاعتقاد والفقه وقواعد العربية والاصول والبيان وغيرها مما تتوقف هذه المذكورات عليه مع بحث ومراجعة وقرا عليه جميع

صحيح

كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج محمد بن عرفة الورغمي التونسي
امام المغرب وشيخ الاسلام العلامة المحقق القدوة النظار العالم المبعوث على
راس المائة الثامنة حسبا ذكر السيوطي في نظمہ رحمہ اللہ واثني عليه في
الديباج قال الرصاع هوشبخت لاسلام لاسلام لاسلام لاسلام القدوة الصالح الفهامة
البركة الحاج لائز لاكمل كان والده خيرا صالحا متعبدا جاور بالمدينة
الشريفة على ساكنها الصلاة والسلام ولازمها حتى توفي وكان يدمو اواخر الليل
لولده بعد تهجده ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول - يا نبي الله
محمد بن عرفة في حماك - يقوله كل ليلة فصنحه اللطف الجميل في حياته
وظهرت عليه اثار البركة بعده وكان ابوه صاحب جد ولاية ينال عصا
الخطيب لولي الله خليل العكي فاذا ناوله يقول - يا سيدي ادع الله
لمحمد ولدي فكانت له بذلك الكرامات قال الشيخ رحمه الله وكان في
صغره مشهورا بالجد والاجتهاد والمطاعة والمذاكرة ملازما اجلة الشيوخ كابن
عبد السلام لازمه كثيرا فاخذ منه الفقه والحديث والقراءات العشر وعلمها
غزيرا وعلى السطحي الفرائض وعلى ابن اندراس العلوم العقلية وعلى ابن
الحجاب النحو والمنطق والمجدل وعلى لابلي الحساب وسائر المعقول وكان
يثني عليه وقرا بالسبع على ابن سلامة والفقه على ابن قداح وابن هرون
واحمد اللطفي وهو ابن حاتم السطحي نزيل القاهرة اخذ بتلمسان عن العلامة
محمد بن احمد بن قاسم العقباني ومحمد بن الجلاب وبتونس عن ابراهيم
الاخضري وبطرابلس عن حلولو المغراوي وابراهيم الباجي ولد في جمادى
الثانية سنة احدى وخمسين وثمانمائة هكذا نقله سيدي احمد بن بابا عن
السخاوي . واما محمد بن سلامة قال في كفاية المحتاج محمد بن سلامة
لانصاري تونسي فقيه عابد صالح اخذ منه لاسلام المقرئ وابن عرفة قال
بعض اصحابنا توفي سنة ست واربعين وسبعائة . هكذا ذكره ابن بابا .
رجع لابن عرفة . قال ابن بابا واما جده واجتهاده في صلاة وصيام
وصدقة فيقال انه بلغ درجة كثير من التابعين وحكاية حاله في ذلك

Digitized by Google

بالمحدود البديعة التي ثقف فحول العلماء عند دقائقها وافردوها بالشرح
 البديع العلامة محمد الرصاع واما مختصره المنطقي فشحنه بالاعتراضات
 على امثال ذلك الفن ومختصره الكلامي عارض به طوابع البيضاوي . ونقل
 القرافي من السيوطي في ترجمة ابي حامد بن طهيرة ان صاحب الترجمة
 كان راسا في العبادة والزهد والورع ملازما للشغل بالعلم رحل اليه الناس
 وانتفعوا به ولم يكن في المغرب من يجري مجراه في التحقيق ولا من اجتمع
 له في العلوم ما اجتمع له وكانت الفتوى تأتي اليه من مسافة شهر ولم
 يخلف بعده مثله . قال السيوطي وغيره وتوفي ليلة الخميس الرابع
 والعشرين من جمادى الاخرى سنة ثلاث وثمانمائة وكانت مدة عمره
 نحو من سبعة وثمانين سنة . وفي تفسير المسيلي في سورة الاحزاب ما
 نصه : وتهذبت بين يديه طائفة من الاعيان كابي عبد الله محمد الابي
 والمشدالي والوانوفي وابن ناجي وغيرهم . قال القرافي وقد زاد على ما
 ذكره صاحب الاصل العلامة احمد بن علوان في اجازته لابن مرزوق من
 تأليف صاحب الترجمة نظم قراءة يعقوب بروايته الداني وابن شريح
 ونظم تكلمة القصد لخلف ابن شريح وآخر في اصول الفقه . وزاد العلامة
 علي بن محمد الشريف التلمساني تلميذ ابن غازي في حاشيته على الشفاء
 ان له تفسير الكتاب العزيز . قال واخبرت انه بمكة بالمدسة الشراعية
 وله نظم وسط وفي نظمه ما يدل على انه ناف على الثمانين وهو موافق
 لما ذكره السيوطي وغيره وذلك قوله على ما نقله عنه غير واحد من طلبته
 لاعيان منهم الرصاع : اخر شرحه للمحدود قال ما نصه : ومن احسن ما
 ختم به شعرة ذكره في آخر عمرة المبارك في آخر عام ثمانية وتسعين وسبعماية
 قال بعض تلامذته انشدنا الشيخ رحمه الله - بلغت الثمانين النح -
 وجرى بينه وبين شيخه ابن عبد السلام وحشة هجر مجلسه فيها حكاة
 البرزلي في فتاويه في مسالة دار قدامة * لطيفة *

حكى ابن غازي في كتاب التعلل برسوم لاسناد عن شيخه ابي عبد الله

وفي كتاب ذيل الديباج وحلية الابتهاج في طبقات المالكية وذكر كمالانهم
 البهية تأليف الشيخ العلامة ابي عبد الله محمد بن محمد بن الدين بن يحيى بن
 عمر بن يونس الانصاري القرافي المالكي رحمه الله ما نصه : محمد بن
 محمد الورغمي الشهير بابن عرفة ذكره ابن فرحون ووصفه بالامام العلامة
 شيخ لاسلام وشيخ الشيوخ وبقية اهل الرسوخ وذكر عدة من مشايخه وذكر
 من مولفاته مختصرة الفقهي ومختصرة في علم الكلام ومختصرة في علم المنطق
 ومختصرة النحوي وذكر مولده سنة ست عشرة وسبع مائة ولم يذكر وفاته .
 قال القرافي ذكر ابو الطيب محمد بن احمد بن ملوان في التعريف
 بمشايخه ما نصه : ومن شيوخه بتونس ايضا الشيخ الامام العلامة الصالح
 المدرس الخطيب المفتي المحقق الحاج ابو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة
 الورغمي رحمه الله ورهني عنه فاز من كل علم باوفر نصيب . وحاز في
 الاصول والفروع السهم والتعصيب . ورمى الى هدف كل مكرومة بسهم
 مصيب . واطلعت سماء افادته دراري علم غيثهم وابل ومرعاهم خصيب .
 فمفتحه بعد موته دائمة . وتلامذته وواقاته قائمة . اذا مات الانسان
 انقطع عمله الا من ثلاث . جمع بين طرف العلم والعمل . وشغل اوقاته
 بالخير فليس وقت منها بهمل . وعمر ايامه بالصيام ولياليه بالركوع
 والسجود . وجاهد هجوم النوم واثار التهميد على الهجوع والهجوم . ونقل
 السخاوي في الضوء اللامع ان شيخ لاسلام ابن حجر وصفه بشيخ لاسلام في
 المغرب . واما ابن عمار فذكر انه اجتمع به في سنة ثلاث وتسعين
 وسبع مائة وقال واخذ عنه المصريون وهو امام حافظ وقته تفقه بمذهبه
 شرقا وغربا انتهت الرئاسة اليه بقطر المغرب اجمع في التحقيق والفنون
 والمشاورة مع خشونة جانبه وشدة عارضته وبراءته من المداينة وحرزة من
 المحاشنة . قال القرافي وتأليفه تدل على رسوخ قدمه وتقدمه . اما مختصرة
 الفقهي فقد ضم فيه فروع المذهب موشحا بالناقشات النفيسة لابن الحاجب
 وشرحه لشيخه ابن عبد السلام بنقول اهل المذهب مُصَدِّراً جميع الاواب
 بالحدود

ثلاث وثمانمائة ودفن بجبل الجلاز تحت جبانة الشيخ الصالح ابي الحسن
المنتصر . و ابو الحسن هذا نقل عنه ابن الشباط في حاشيته ناقلا عن لابي
قال ذكر ابن عات في الطرر عن ابن شعبان ان السمكة اذا وقعت في سفينة
فهي لمن وقعت عليه وكان ابن عرفة يقول في السمكة لاظهر انها ان كانت
بحيث لو لم ياخذها من سقطت اليه لنجت بنفسها لقوة حركتها وقربها
من البحر فهو كما قال ابن شعبان والّا فهي لرب السفينة الى ان حكى عن
طاهر المروزي قال قدمت في قارب من رادس من دفينه كنا بها ومعنا في
القارب الشيخ الصالح ابو الحسن المنتصر فوقع في نفسي ان قلت اللهم
ان كان هذا الشيخ وليك حقّا فاجعل سمكة تخرج من البحر تسقط عندنا
في القارب فخرجت السمكة فسقطت الينا فابتدروا غيري فقلت انا
احق بها وذكرت لهم السبب وما وقع في نفسي فاخذتها . وكان عمر ابن
عرفة سبعا وثمانين سنة واشهر . ولذلك قال في ابيات وخمسها في حياته
تلميذه الامام الرملي وهي —

علمت العلوم وعلّمتها — ونلت الرئاسة بل حزتها
وهاك سنيني مددتها — بلغت الثمانين بل جزتها
فهان على النفس صعب الحمام
فلم يبق لي في الورى رغبة ولا في العلا والنهى بغية
وكيف ارجي ولو لحظت — وءاهاد عصري مضوا جملة
وعادوا خيالا كطيف المنام
ونادى الردى بي ولا لي مغيث وحث المطية كل الحثيث
واني لراج وحي ائبست — وارجو به نيل صدق الحديث
بحب اللقاء وكرة المقام
فيارب حقق رجاء الذليل فيحظى بهدارك مما قليل
فيمسي رجائي بموق كفيل وكانت حياتي بلطف جميل
لسبق دعاء ابي في المقام

وان يكن عكسه فالامر منعكس قولوا بحق فان الحق معتدلا
فاجتمع العلماء والفقهاء من اهل مصر وما والاها وامتنحوا القول غايبة
للامتحان فاجابوه على ما كتب لهم في شأنه —

ما كان من شيم لا يبرار ان يسموا بالفسق شيئا على الخيرات قد جبلا
لا لا ولكن اذا ما ابصروا خللا كسوة من حسن تاويلاتهم حللا
ليس قد قال في النهاج صاحبه يسوغ ذاك لمن قد يختشي زلا
كذا الفقيه ابو عمران سوغه لمن تخيل خوفا واختشى خللا
وقال فيه ابو بكر اذا ثبت مكانة المرء فليترك وما عملا
وقد روينا عن ابن القاسم العتقي في ما اختصرنا كلاما اوضح السبلا
ما ان ترد شهادات لتاركها ان كان بالعلم والتقوى قد احتفلا
نعم وقد كان في لاعلين منزلة من جانب الجمع والجمعات واعتزلا
كمالك غير مبذ فيه معذرة الى الملمات ولم يلّم وما عذلا
هذا وان الذي ابداه متصح اخذ لايمة اجرا منه نقتلا
وهب بانك راء حله نظرا فما اجتهداك اولى بالصواب ولا

انتهى من شرح ميارة على المرشد . وذكر ابن غازي رحمه الله في سنده
بالفية ابن مالك اخبرنا ابو عبد الله الى ان ذكر في سلسلته ابا عبد الله محمد
ابن عرفة رحمه الله تعالى فقال انه لما تولى الخطابة بالجامع المذكور اباه
اهل تونس لانه ليس من مدينة تونس الى ان اشتروطا شروطا فقبلها . منها
ان لا ياكل التين لعسر لانقاء منه فقال من فضل الله ما اكلته قط ومنها
ان لا يمشي في الارض حافيا فقال لا اتركها ولا في المسجد ويقال انه هو
الذي ابتكر مداس الخلقة يمشي به في المسجد للخروج الى الصلاة على
الجنائز الى اليوم . واول مرة رقي المنبر قال ايها الناس —

يرفع الدهر اناسا بعد ان كانوا سفالا

من له في الغيب شيء لم يمت حتى يناله

توفي رحمه الله تعالى في الرابع والعشرين من جمادى لاخرى سنة

ثلاث

العشاء ليجمع به تلك الليلة فلما انفصل عن صلاة التراويح لقيه فقال له الامام سن نوبت وكان لابي اماما بجامع الهواء فقال له قدمتها فقال له كنت اظنك اودع من هذا وكنت اظن اني اذا مت اخلق سن يوخذ عنه العلم بعدي . ونقل ابن الشباط في حاشيته على مسلم ان لابي قال ومضى عبد الشيوخ بالجامع لاعظم من تونس على قراءة سورة السجدة في صلاة الصبح من يوم الجمعة ولا اكثر من جماعته وذلك لاثمن التخليط لتقرر العادة بذلك حتى صار ترك قراءتها موجبا للتخليط . قال ويحكى ان الشيخ ابن عبد السلام لا يقرأ سورة في الصلاة فيها سجدة من غير العزائم مخافة اذا لم يسجدها على المشهور يقع في مخالفة القول بالسجود فيها قال الشيخ افعله في النجم اي لا اقرا بها لذلك حتى اخبرني سن اثق به انه راى والدي في المنام وقال له قل له يقرأ بها فصرت بعد ذلك اقرا بها في الصبح . ووجد بخط الامام ابن مرزوق ونحوه في نوازل البرزلي ان الشيخ الولي الصالح الزاهد ابا عبد الله محمد الدوكالي رحمه الله كان بمدينة تونس في حدود السبعين والسبعائة فكان لا ينتسب للخلق ولا يخاطبهم ولا عامتهم ولا خاصتهم ولا يحضر الجماعة ولا الجماعات ولا يصلي مع الناس في الجوامع في جماعة فرموا بالزندقة وشنع عليه الامام لاوحد ابو عبد الله محمد بن عرفة اقبح التشنيع وصار يبحث عن امتناعه من الصلاة مع الناس لماذا فقل له انه انما امتنع لاخذ لايمة لاجرة على الصلاة فزاد بذلك اغلاطا في القول والتشنيع وتبعه العامة والخاصة في ذلك فرحل الامام ابو عبد الله الدوكالي الى المشرق فارا بنفسه فكتب الامام ابن عرفة كتابا لاهل مصر الى ان قال لهم يخبرهم بشانه —

يا اهل مصر ومن في الحكم شاركهم تنبهوا لقبيح معضل نزلا لزوم فسقكم او فسق سن زعمت اقواله انه بالحق قد عدلا في تركه الجمع والجمعات خلفكم وشرط ايجاب حكم الكل قد حصلا ان كان شانكم التقوى فغيركم قد باء بالفسق حتى عنه ما عدلا

بالعلم رحل اليه الناس وانتفعوا به ولم يكن في المغرب من يجري مجراه في التحقيق ولا من اجتمع له في العلوم ما اجتمع له وكانت الفتيا تاتي اليه من مسافة شهر وله مولفات مفيدة . وحكى البدر الدمايني في حاشيته على الغني قال كنت يوما بمجلس شيخنا ابن عرفة وذلك عند قدومه الى الاسكندرية في شهر رمضان المعظم من سنة اثنتين وتسعين وسبعائة وانا اقرا عليه درسا في كتاب الحج من مختصرة وكان شخص من الطلبة الموسمين بالتمشدد ولاكثر بما لا يجدي حاضرا في المجلس فمر موضع من كلام الشيخ عاد فيه ضمير الى المضاف اليه فقال ذلك الشخص - كيف اعدتم الضمير على المضاف اليه والتجويون بخلافه . فاجابه الشيخ فورا - قال الله تعالى - كمثل الحمار يحمل اسفارا . قال البدر وفيه من اللطف ما لا يخفى . والحال ان التجويين يقولون ان وجد ضمير يمكن عوده الى المضاف او المضاف اليه فعوده الى المضاف اولى لانه المحدث عنه ولم يمنع احد منهم عوده الى المضاف اليه . انتهى من ابن باديس . وقال السيوطي رحمه الله تعالى في طبقات النجاة محمد بن محمد بن عرفة الورعني التونسي المالكي امام علامة ولد بتونس وقرا بالروايات وبرع في الاصول والفروع والعربية والمعاني والبيان والفرائض والحساب وسمع من ابن عبد السلام الهواري الموطا واخذ عنه الفقه والاصول ومن الوادياشي الصحيحين وكان راسا في العبادة والزهد والورع ولم يكن بالمغرب من يجري مجراه بالتحقيق ولا من ادعى ولا من اجتمع له في العلوم ما اجتمع له وكانت الفتيا تاتي اليه مسيرة شهر مات سنة ثلاث وثمانمائة ولم يخلف بعده مثله وولد سنة عشر وسبعائة . قال ابو العباس احمد برنار واطنه قال فيه ايضا لم ير الراعون مثله ولا راي هو مثل نفسه . قال وسمعت من شيخنا العلامة سيدي احمد بن عبد العظيم الزواوي رحمه الله تعالى انه نقل عنه انه كان يقول - مقاعد الطلبة في الدروس يقضي لهم بها عند الشراح . وكان في زمنه رحمه الله من تلامذته الشيخ لاوي قدم التراويح ليلة قبل العشاء

هذه البدعة اشد مما اصاب ولدك - وكان ابن عرفة يرى جواز التحضير .
وفي سنة ست عشرة وسبع مائة ولد لاستاذ العلامة ابو عبد الله محمد بن
عرفة احد ائمة الجامع المذكور وصحبه عناية العلم والتوفيق حتى استقل
بمنبر الجامع المذكور . ومن اشهر بصحبته احمد المريص شارح عقيدة
الضرير ذكره ابن بابا . وكانت ولايته له سنة اثنتين وسبعين وسبع مائة .
ومما انشده لابي رحمه الله تعالى لاستاذة لامام سيدي محمد بن عرفة
نفعا الله بهما قوله —

اذا لم يكن في مجلس الدرس نكتة وتقرير ايضاح لمشكل — صورة
وعزو غريب النقل او فتح مقفل او اشكال ابدته نتيجة فكرة
فدع سعيه وانظر لنفسك واجتهد واياك تركا فهو اقبح خـلـة
قال لابي قلت في جواب ابياته هذه —

يمينا بمن اولاك ارفع رتبة وزان بك الدنيا باكمل زينة
لمجلسك لاعلى كفيل بكلها على حين ما عنها المجالس ولت
فابقاك من رقال للخلق رحمة وللدين سيفا قاطعا كل فتنة
قال واني لبار في عسمني هذا فلقد كنت اعيد من زوائد القائه وفوائد
ابدائه على الدول الخمس التي تنقرا بمجلسه من التفسير والحديث والدول
الثلاث التي في التهذيب نحو الورتين في كل يوم مما ليس في الكتب قدس
الله تعالى روحه . وشاهد ذلك ما اشتملت عليه تواليفه ونهايك بمختصرة في
الفقه الذي ما وضع في لاسلام مثله لضبطه فيه المذهب مع الزيادة المكملته
والتنبيه على المواضع المشككة وتعريف الحقائق الشرعية . انتهى ما نقله
ابن باديس عن لابي . وذكره ابو حامد بن طهيرة في معجمه واثني عليه
جميلا . قال وقرا بالروايلت على ابي عبد الله محمد بن محمد بن حسن بن
سلمة وغيره وبرع في لاصول والفروع والعربية والبيان والمعاني والقراءات
والفرائض والحساب وسمع من ابن عبد السلام الهواري الموطا والفقه لاصول
ومن الوادياهي الصحيحين وكان راسا في العبادة والزهد والورع ملازما للشغل

فيها الفجر سن جاء ولامام يصلي . وقال - فان قلت الصحن المذكور اجاز
 الشيوخ ان يمر به الجنب وان يقف به سن يتظر الصلاة على الجنازة واذا
 لم يكن له حكم الجامع في ذلك فانه يجوز ان يصلي الفجر به سن جاء
 ولامام في الصلاة - قلت لا يلزم لانهم لا يمنعون الفجر به لان له حكم
 المسجد بل لقربه منه القرب الذي يسمع منه قراءة الامام اذا صلى في
 الصحن فتناوله النهي لمحدث . اصلان معا ، وقال ابو عبد الله محمد
 العبدري في رحلته لما وصل به الذكر الى جامع الزيتونة ما نصه : وهذا
 الجامع من احسن الجوامع واتقنها واكثرها اشراقا ودائر صحنه مسقف
 ووسطه فضاء قد نصبت فيه اعمدة من خشب على قدر ارتفاع الجدران
 وشدت اليها حبال متينة في حلق من حديد متينة فيها وفي السقف شدا
 محكما فاذا كان يوم الجمعة نشرت عليها شقق الكتان المطبقة الموصولة حتى
 تظلل جميع الفضاء - ذلك دأبهم فيها حتى ينصرم وقت الصيف . اه .
 وكان دخول العبدري سنة ثمان وثمانين وستمائة . قال جامع عفا الله
 عنه واما لان فقد انقطعت تلك الاعمدة والشقق المذكورة . وفي عام ستة
 عشر وسبعمائة امر السلطان ابو يحيى زكرياء بعمل ابواب من خشب
 وموارض منه للبيت فعملت على ما هي اليوم وكان ذلك في شهر رمضان
 من العام المذكور وكتب تاريخ ذلك على باب البهر . ولقد اذكرني اسم
 جامع الزيتونة تقييد مناسبة وجدتها بخط شيخنا ابي عبد الله محمد فتاتة
 في ما هو محلي بالتورية وهو قول الشاعر -

جمعت هوى طبي وقد كان جامعا لزيتونة من فوق اغصانها استوى
 ايا جامع الزيتونة الفائن الورى تفضل بمعروف على جامع الهوى
 وقد اختلف في حكم التحضير الذي يفعله مؤذنو هذا الجامع لاعظم
 فقد حكى ابن عرفة عن شيخه ابن عبد السلام قال رايت امام الجامع
 لاعظم وقد سالت امرأة ان يدعو لولدها لالسير وذكر عظيم مصابه في
 لالسر واتفق ان سالت والمؤذنون يحضرون فقال - الذي اصاب الناس في

هذه

برناز في شبهه ما نصه : وفي محفوظي ان الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى قال في بعض كتبه وجامع الزيتونة ببلاد المغرب مما يالحق بالمساجد الثلاثة * واخبرني بعض اخواني عن سيدي سعيد الشريف رحمه الله تعالى انه حدثهم ان نوحا عليه السلام لما كان في السفينة على الطوفان وقفت به يوما وسط البحر فادعى الله اليه ان تلك بقعة يقال لها جامع الزيتونة فلما دخلها الصحابة وجدوا الرهبان في صومعتها لان صومعة الجامع قديمة كانت للرهبان . ثم ان حمودة باشا ابن مراد باي زاد في طولها البناء الذي بالحجر الاحمر والاقواس التي فوقه كل ذلك حادث بعد البناء الاول . وكان قبله الصومعة محل محصن بالحجارة والشوك فسال الصحابة اولئك الرهبان عن سبب ذلك فقالوا لهم انا كل ليلة نرى نورا من ذلك المحل ساطعا لعنان السماء فوضعنا ذلك صوتا له من الكلاب ان يقدروا في ذلك المحل واتفق ان كان ذلك المحل هو المحراب * ومن غريب ما اتفق في هذا الجامع انه لم يقع فيه الجمع بين صلاتين ذكر ذلك ابن الشباط في حاشيته على مسلم ناقلا ذلك عن الابي عند قوله كان يجمع بين الصلاتين ما نصه : الجمع على المشهور من ان الجمع جائز فهل فعله ارجح من تركه وهو قول اللخمي ولاكثر ان تركه ارجح وهو ظاهر ما لابن رشد لانه ملل قول مالك ارجو لمن صلى في بيته لمطر او اذى بطريقه انه في سعة فان فصل الوقت اكد من الجماعة . وما نقل عن لاكثر من ان الجمع ارجح هو ما لم يجز العرف بتركه في موضع كما اتفق بالجامع لاعظم بتونس فانه لم يسمع انه جمع به قط . وقيل في علته ذلك انه لا بد فيه من الاذان للاعلام بدخول الوقت . ومن كلمة للاذان - حي على الصلاة - ولا صلاة كان ذلك كذبا . والصواب في التعليل انه لعدم جريان العرف بذلك . وقال الابي وكان الشيوخ يمنعون ان يصلى الفجر على الصحن الاعلى شرقي الجامع لاعظم بتونس الذي توضع به الاموات . ويقال ان المقصورة التي يجلس بها المحتسب انما بنيت ليصلي

اكلت ثمن وتكثرت وجاءت سحابة فرقتهم وانما انظروا في تهوي به في
 قبل الشام فسالت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك الطعام فقال ياتي به الله
 به جبريل لالياس عليه السلام كل اربعين يوما فهو ياخذ منه ما شاء لئلا
 ويتناول في كل حول ماء زمزم وقد رايت على زمزم * ومن التواتر ايضا
 ان بالركن الذي يقابله من ناحية المشرق كثيرا ما يرى سيدي عبد القادر
 القادر الجيلي وكثيرا ما تفرد الافاضل فيه باحياء الليل فيرون من الاسرار
 ما يبهر العقل . قال جامعهم عفا الله عنه ولقد اخبرني الشيخ حمودة
 العامري نائب الجامع المذكور الان عن اماكن الاجابة بالبيت المبارك
 جامع الزيتونة فقال ان ابا الفضل القصار رحمه الله تعالى كان اخبره
 انه رأى بخط بعض الفضلاء ان بالجامع المذكور احد عشر موضعا يستجاب
 عندها الدعاء منها الخلوة التي تحت الميزاب المحاذية للصومعة . ومنها ركن
 الخضر عليه السلام . ومنها الركن الذي يقابله من جهة المشرق وينسب
 للاستاذ سيدي عبد القادر الجيلي . ومنها الدعاء بين حافتي المحراب .
 ومنها الدعاء عند سارية المرمر الحمراء التي تقابل الختمة . ومنها الدعاء
 بالمحل الذي يروي به البخاري وهو المعروف بباب الشفاء ومنها سارية
 زرقاء يغلب بياضها على زرقتها من جهة الباب الشرقي وتنسب للاستاذ
 سيدي محرز وكان شيخنا ابو عبد الله محمد فتاتة اذا دخل المسجد لا
 يجلس الا عندها . ومنها في المسكنة الاولى تحت نخلة النحاس التي في
 السقف من جهة المنبر . ومنها رخامة عند باب البهور تحت البرطال بها
 صورة قريبة . ومنها محل في المجنبة التي تفتح للغرب محل معلوم لذلك .
 ومنها خلوة السيد الخضر بالصومعة * وان كان به بالزنن السابق اعيان
 فضلاء من المدرسين فانه اليوم على اضعاف ما كانت الدروس بنحو ستة
 او سبعة اضعاف من مدد هذا الامير الاسعد والحاكم الارشد * وعبيد الله
 ابن الحبكاب هو الذي اسمه وبناء سنة اربع عشرة ومائة . ومما اتفق
 فيه انه مفرد جامع وتاريخه جامع * * وقال شيخنا ابو العباس احمد
 برناز

برناز في شبهه ما نصه : وفي محفوظي ان الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى قال في بعض كتبه وجامع الزيتونة ببلاد المغرب مما يلحق بالمساجد الثلاثة * واخبرني بعض اخواني عن سيدي سعيد الشريف رحمه الله تعالى انه حدثهم ان نوحا عليه السلام لما كان في السفينة على الطوفان وهفت به يوما وسط البحر فاوحى الله اليه ان تلك بقعة يقال لها جامع الزيتونة فلما دخلها الصحابة وجدوا الرهبان في صومعتها لان صومعة الجامع قديمة كانت للرهبان . ثم ان حمودة باشا ابن مراد باي زاد في طولها البناء الذي بالحجر الاحمر والاقواس التي فوقه كل ذلك حادث بعد البناء الاول . وكان قبله الصومعة محل محصن بالحجارة والشوك فسال الصحابة اولئك الرهبان عن سبب ذلك فقالوا لهم انا كل ليلة نرى نورا من ذلك المحل ساطعا لعنان السماء فوضعنا ذلك صونا له من الكلاب ان يقدروا في ذلك المحل وانفق ان كان ذلك المحل هو المحراب * ومن غريب ما اتفق في هذا الجامع انه لم يقع فيه الجمع بين صلاتين ذكر ذلك ابن الشباط في حاشيته على مسلم ناقلا ذلك عن لابي عند قوله كان يجمع بين الصلاتين ما نصه : الجمع على المشهور من ان الجمع جائز فهل فعله ارجح من تركه وهو قول اللخمي ولاكثر ان تركه ارجح وهو ظاهر ما لابن رشد لانه علل قول مالك ارجو لمن صلى في بيته لمطر او اذى بطريقه انه في سعة فان فصل الوقت الكد من الجماعة . وما نقل عن لاكثر من ان الجمع ارجح هو ما لم يجز العرف بتركه في موضع كما اتفق بالجامع الاعظم بتونس فانه لم يسمع انه جمع به قط . وقيل في علة ذلك انه لا بد فيه من الاذان للاعلام بدخول الوقت . ومن كلمة الاذان - حي على الصلاة - ولا صلاة كان ذلك كذبا . والصواب في التعليل انه لعدم جريان العرف بذلك . وقال لابي وكان الشيوخ يمنعون ان يصلى الفجر على الصحن الاعلى شرقي الجامع الاعظم بتونس الذي توضع به الاموات . ويقال ان المقصورة التي يجلس بها المحتسب انما بنيت ليصلي

أكلت قمحاً وتحت وجاءت سحابة فرقعته وأنا انظروا وهي تهوي به
 قبل الشام فسالت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك الطعام فقال يأتي
 به جبريل لآياس عليه السلام كل أربعين يوماً فهو يأخذ منه ما شاء
 ويتناول في كل حول ماء زمزم وقد رايته على زمزم * ومن المتواتر أيضاً
 أن بالركن الذي يقابله من ناحية المشرق كثيراً ما يرى سيدي عبد
 القادر الجيلي وكثيراً ما تفرد لأفاضل فيه بأحياء الليل فيرون من الأسرار
 ما يبهز العقل . قال جامعهم عفا الله عنه ولقد أخبرني الشيخ حمودة
 العامري نائب الجامع المذكور الآن عن أماكن الأجابة بالبيت المبارك
 جامع الزيتونة فقال أن أبا الفضل القصار رحمه الله تعالى كان أخبره
 أنه رأى بخط بعض الفضلاء أن بالجامع المذكور أحد عشر موضعاً يستجاب
 عندها الدعاء منها الخلوة التي تحت الميزاب المحاذية للصومعة . ومنها ركن
 المحضر عليه السلام . ومنها الركن الذي يقابله من جهة الشرق وينسب
 للاستاذ سيدي عبد القادر الجيلي . ومنها الدعاء بين حناقي المحراب .
 ومنها الدعاء عند سارية الهرم الحمراء التي تقابل الختمة . ومنها الدعاء
 بالمحل الذي يروى به البخاري وهو المعروف بباب الشفاء ومنها سارية
 زرقاء يغلب بياضها على زرقتها من جهة الباب الشرقي وتنسب للاستاذ
 سيدي محرز وكان شيخنا أبو عبد الله محمد فتاتة إذا دخل المسجد لا
 يجلس إلا عندها . ومنها في المسكنة الأولى تحت نخلة النحاس التي في
 السقف من جهة المنبر . ومنها رخامة عند باب البهور تحت البرطال بها
 صورة قريبة . ومنها بمحل في المجنبة التي تفتح للغرب محل معلوم لذلك .
 ومنها خلوة السيد المحضر بالصومعة * وإن كان به بالزمن السابق أعيان
 فضلاء من المدرسين فإنه اليوم على أضعاف ما كانت الدروس بنحو ستة
 أو سبعة أضعاف من مدد هذا لأمير الأسعد والحاكم الإرشد * وعبيد الله
 ابن الحبكاب هو الذي أسسه وبناه سنة أربع عشرة ومائة . ومما اتفق
 فيه أنه مفرد جامع وتاريخه « جامع » * وقال شيخنا أبو العباس أحمد
 برناز

الله ليفتن به من سبقث له الشقاوة وليس على وجه الارض من ولي إلا
 وله معرفة بالخصر فهو رئيس الاولياء ومقام لاتقياء . وقد عزى اهل بيت
 النبي صلى الله عليه وسلم عند موته فسموا صوته ولم يروا شخصه وذلك لما
 غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته وكفن سمعوا قاتلا يقول من
 زاوية البيت - السلام عليكم يا اهل البيت ان في الله خلفا من كل هالك
 وعرضا من كل تالف وجزاء من كل مصيبة فعليكم بالصبر فاصبروا واحتسبوا -
 ثم دعى لهم وانقطع الصوت فعرف صوت الخضر علي وعمر رضي الله عن
 جميعهم وكانا قد لقياه وطمهما دعا وذكر لهما فيه ثوابا عظيما فسمياه دعا
 الخضر وهو لمن قاله دبر كل صلاة مغفرة ورحمة وهو يا من لا يشغله سمع
 عن سمع (وفي رواية شان عن شان) ولا تغلظ المسائل ولا يبرمه الحاج
 المالحين اذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك ، ذكره ابن ابي الدنيا في كتاب
 الهوائف وانه والياس يلتقيان كل عام في الكعبة ويقولان عند افتراقهما -
 بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله بسم الله ما شاء الله كل نعمة
 فمن الله ما شاء الله توكلت على الله حسبنا ونعم الوكيل - . واما الياس
 عليه السلام فهو يونس بن متى وكنته ذو النون وسبب حياته ان الله تعالى
 لما كشف العذاب من قومه متعهم الى حين فهو حي اخبر به رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وانما الخلاف في حياة قومه وهو المشهور . قال انس
 غزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بفج الناقة واذا بصوت
 يقول - اللهم اجعلني من امة محمد صلى الله عليه وسلم المرحومة المغفور لها
 المتوب عليها المستجاب لها - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا هذا
 الصوت فدخلت الجبل واذا برجل ابيض الراس واللحية عليه ثياب بيض
 طويل جدا فلما راني قال لي انت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وسلم قلت نعم قال لي ارجع وقل له اخوك الياس يريد لقاءك فاعلمت
 النبي صلى الله عليه وسلم وتساخرت فتحدثا طويلا ثم نزل عليهما شيء من
 السماء شبه الصفرة فدعيت فاكلت معهما فاذا فيها كفاة ورمان وثرس فلما

بذلك لاني كنت اصغر اهل المجلس فخرجت واثبت به من الربض
فساله فاخبره فاحسن اليه وصرفه . وقال ابو عبد الله محمد الشطيبي في
كتابه مختصر الجمان في اخبار الزمان ما نصه : واما الخضر عليه السلام
فكان والده من الملوك واسم الخضر يامن واسم والده هلكان بن بالغ بن
عابر . وقال جمهور العلماء اسم والد الخضر عافيا بن سماجير بن اربا بن
علقم ابن عيص بن اسحاق وكان عامل ملك على الفرس وام الخضر عليه
السلام اسمها ولهته بنت فارس من ملوك فارس وكان مسيرة ما بين الفرس
وفارس ستة اشهر فلما سمع بها ملك الفرس خطبها من والدها فاعطاها له .
ثم ان الملك شغف ببعض جواريه عنها فادركها ما يدرك الناس من الغيرة
فهربت هي وحاضنتها وهي حبلى بالخضر فوضعتها بالطريق والقتة في
مغارة واستودعته الله الذي لا تضع لديه الودائع وانصرفت وتركته اربعة
اجار من الياقوت . فلما حاضنتها فقالت والله ما ضاع في كفالة ربي
شيء وما انصرفت عنه حتى اخضرت المغارة وما حولها بالخصب . وكان
بالقرب من المغارة راع فرأى الخضره فأتى بغنمه إليها فوجد الصبي وشاة
ترضعه فحمله والياقوت وتبناه ورباه فنشأ في اسرع وقت فادخل المكتب
فلم يسبقه احد في تعلم الخط الحسن . ثم ان اباة اراد ان يكتب صحف
ابراهيم عليه السلام فاطلق البحث عن الخطاطين فجاء الخضر عليه السلام
في جملتهم ومعه الشيخ الراعي الذي تبناه . ثم ان الملك لم ير في الكتاب
احسن منه وجها فقال للشيخ ان هذا الولد لا يشبهك في شيء فامدقني
فيه فليس هو ابنك فقال له ايها الملك ان امتني صدقتك فامنه فاعلمه
القصة وانه وجد عنده الياقوت فعرف الياقوت وقال والله انه ولدي
وكان الملك قد كبر سنه فاعطى الياقوت للشيخ الراعي واعطى المملكة لولده
الخضر . فلما ملك الله الارض كلها لذي القرنين صار له وزيراً فلما دخلوا
ارض الظلمة لطلب عين الحياة التي باكتاف الظلمة وجده الخضر فشرب
منه فهو حي الى خروج الدجال وهو الرجل الذي يقتله الدجال ثم يحييه
الله

حي وحكايات اجتماعهم به في مواضع الخير واخذهم عنه وسوالهم اياه
 وجوابه لهم لا تحصى كثرة وبعض المحدثين انكر حكاياته . قال الثعلبي
 وقيل انه لا يموت الا في آخر الزمان حين يرفع القراءان . قال لا يبي
 حياته الطويلة جائرة وفيها حكايات لا تحصى كثرة فمنها حديث ام سلمة
 من دخوله عليها وقوله صلى الله عليه وسلم لها « ذلك الخضر » . وما ذكر
 في الحديث ان زوجته احدهما بيضاء والاخرى سوداء وانهما الليل
 والنهار . قال سمعت ابن عرفة يقول اخبرني سن اثق به انه رآى سن
 رءاه قال فقلت لخبري سل سن اخبرك انه رءاه ان يساله هل له زوجة
 فقال سألته فذكر لي انه ساله فقال لي زوجتان سوداء وبيضاء ولم
 يذكر الليل والنهار . وذكر ابن عرفة ايضا ان الشيخ الفقيه الصالح ابا
 الحسن المنتصر رحمه الله ونفع به كان يقول يحضر كل يوم في القصورة
 الشرقية في اول قراءة السبع فاذا كثر الناس قام . وحكى ابن عرفة ايضا
 ان رجلا كان يبيع الثمر باسفل شرقي الجامع رطلين بدرهم فوقف عليه
 انسان فساله كيف تبيع فاخبره فساله ان يزيد نصف رطل فاني فاكثر
 مراجعته في ذلك فقال صاحب الثمر انصرف او اخبر الناس بانك الخضر
 فانصرف وتركه . وكان ابن عرفة يقول يحتمل ان الرجل من اهل الخير
 فاخذ يداعيه . وقضية ابن العكة مشهورة بتونس وهي ان صبيا صغيرا
 ملتوي الرجلين ظهرهما يلي الارض لعب مع الصبيان بالجامع ثم جلس
 يبكي في جهة من الصحن فاتاه رجل فساله ما يبكيك فشكى له بحال
 رجليه وان الصبيان استطالوا عليه فقال له ارنيهما فاراه فمسح عليهما
 فبري وقام من حينه يلعب . قال ابن عرفة ولما قدم لاميير ابو الحسن
 ملك المغرب عام ثمانية واربعين - ولم يذكر المائتين كم هي - ملك تونس
 وكان ابن عبد السلام وغيره من التونسيين وشيوخ المغرب الذين قدموا معه
 يعملون له اليعاد بالقصة فيجلس كل واحد منهم يوما اتفق ان ذكرت
 قصة ابن العكة بمجلسه ذلك فامرني ان اتيه بالصبي وخصني بالامر

كثير من الفضلاء ان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يرى هنالك فاكرا
 بها مزينة عظم شرفها . وروضة طلت بايدي البركات شرفها ❖ ومنها الركن
 الغربي عند الصف الاول تواتر النقل بين الفضلاء ان السيد الخضر عليه
 السلام يلزمه ويعرف عند الناس بركن الخضر عليه السلام . وكثيرا ما
 كنت اتفنى روياه لاستمد من عنايته حتى جلست عشية وتلوت لاميته
 لاستاذ شيخنا ابي عبد الله محمد فخرية على عدد ابياتها وهي التي مطلعها —
 اليك رسول الله بلغت اعمالي والقيت يا سولي بياك اعمالي
 ونستوفي ذكرها ان شاء الله تعالى في ترجمته . فبينما انا جالس اذا برجل
 متشقف الحال عليه اطمار بيض ولحيته حمراء امتزجت شيبا قصد الركن
 المذكور ووقف على قدميه حصاة طويلة ينظر الي كالمتعرف وانسى الله
 من قلبي انه الخضر عليه السلام ثم التفت ورجع من حيث اتي فبعد
 انفصاله انتهت كمن كان نائما . وبقيت من غفلي هائما . ولكنني ايقنت
 ان سوء اعمالي . صيرت افعالي كالافعى لي . واصبحت ثقل اعمالي
 بنار البعد احمى لي . واتباع ما كان اهو لي حرك اهوالي . ووجب
 بين الافاضل اعمالي . فليت وابل الدمع كان احمى لي ❖ ونقل ابن الشباط
 عن القاضي عياض رحمه الله ما نصه — اضطرب العلماء في الخضر عليه
 السلام هل هو تبي ام ولي واحتج سن قال بنبوته بكونه اعلم من موسى اذ
 يبعد ان يكون الولي اعلم من النبي وبقوله تعالى ❖ وما فعلته عن امري ❖
 لانه اذا لم يفعل عن امره فهو وحي وهذه هي النبوة واجيب بانه ليس
 في الآية تعيين سن بلغه ذلك عن الله تعالى فيحتمل ان يكون نبي غيره
 امره بذلك . قال النووي حكى الماوردي فيه قولنا انه ملك قال
 ابو عمرو والقائلون بنبوته اختلفوا في كونه مرسل ام قال فان قلت يضعف
 القول بنبوته لحديث لا نبي بعدي قلت المعنى انه لا نبوة منشأة
 بعدي ولا يلزم في عيسى عليه السلام حين ينزل فانه بعده ايضا . قال
 النووي واما حياته فقال ابن الصلاح جمهور العلماء والصالحين على انه

حي

فقبل ذلك منهم وولي عليهم واليا استعمله عليهم ثم استعمل على طنجة
وبلادها طارق بن زياد مولاه وتركه بها في سبعة عشر الف فارس من العرب
والبربر منهم اثنا عشر الف بربري والباقيون عرب وهذه العدة هي التي كان
جعلها عليهم حسان بن النعمان وكانوا قد دخلوا في الاسلام . فتركهم موسى بها
وانصرف بعسكر خاصته وكان في خلق عظيم وامر اعيان العرب الذين تركهم
عند طارق بن زياد ان يعلموا البربر القرمان ويفقهوهم في الدين . ثم رجع
الى افريقية فمر بطريقه بقلعة بجانة فتحصن منه صاحبها فرأى موسى
ابن نصير ان ليس عنده قدر ما يكفيه من الرجال فلما نزل القيروان دعا
بشر بن ارطاط ففقد له وقدمه على اعنة الخيل وسيره الى صاحب قلعة
بجانة والله اعلم . انتهى من ابن الشباط *

الفصل الثاني من الباب الخامس في مسجدھا

جامع الزيتونة وبعض ايمته ومدرسيه

جامع الزيتونة مسجد اذا بدا لك تبلج نوره اللامع . ايقنت انه الجامع
المفرد والمفرد الجامع . روض العبادة ومعبد الرياضة . بستان علوم زهر دوحاتها
الفتح وثمارها لافضة . بحر بركات شحنت فلكها ببضائع الاسرار . وطور
حنایات يقتبس من جانبها نور المدد بالعشي والابكار . ما سرح ناظر المومن
في اثنائه . الا امتلا علما من بادرات ثنائه . يحكي بجماله اجمل عروس .
صيغ لها من معادن الطروس قلائد حلق الدروس . تحسب مدرسيها
اسود فياض . ودوائر تلامذتهم حياضا في رياض . تجدد النفوس فيه لانتقياد
الطاعة . خير مطوعة . لا عيب فيه غير انه غدا بين اقرانه بمرتبة
الصدر . واختص بان يشرح لوارديه الصدر . فما صاق صدر مهموم ودخله
الا انفرج . وانفتحت له بلطيف منايته ابواب الفرج . به امكن اشتهرت
برجاء قبول الدعاء . فطوبى لمن اخلص ودعا * فمن المتواتر بين الافاضل
ان تحت الميزاب الملامق للصومعة مكان يستجاب فيه الدعاء حدثني

جودها وزادها تخلصينا . ويحكى ان عبد الملك مات بدمشق آخر سنة
سنة وثمانين فتولى بعده ابنه الوليد ابن عبد الملك . ثم ان الروم اغاروا
على مرسى رادس وبلغ ذلك من المسلمين كل مبلغ . فكتب حسان الى
الوليد يعرفه بذلك وان علماء المشرق كتبوا الى اهل المغرب سن رابط عنا يوما
برادس حجبنا عنه حجة وعظم قدر رادس عند العلماء وازدادت مكانتها
مندهم . ولما ورد الخبر على الوليد بعث الى عمه عبد العزيز وهو وال على
مصر وافريقية ان يوجه الف قطبي والى قبضية ويحملهم الى بلاد
افريقية وامره ان يخرق البحر الى تونس . وقيل ان الذي خرق البحر الى
تونس هو موسى بن نصير وانه لما امر بدار الصناعة وخرق البحر لتونس
عظم ذلك على الناس وقالوا هذا لا نطيعه فقام اليه رجل من مسلمي
البربر ممن حسن اسلامه فقال - ايها الامير قد اتت علي مائة ومثرون
سنة وابي حدثني ان صاحب قرطاجنة لما اراد بناء الحنايا اتاه الناس
فعظموا عليه ذلك فقال له رجل اذا وضعت يدك فيها بلغت اربك
منها فان الملوك باذن الله لا يعجزهم شيء لعزتهم فوضع يده فيها فبناها
وليس ما تريد باشد منها فضع يدك ايها الامير فان الله سيعينك على ما
نويت . - فسر بذلك موسى ووضع يده فبنى دار الصناعة فصارت ميناء
للراكب اذا هبت الانواء والرياح . ثم امر بصناعة مائة مركب . قال
البكري ثم عزل عبد العزيز بن مروان حسان بن النعمان من افريقية
وامره بالتقدم عليه ويقال ان الوليد اراد رده الى عمله فامتنع من ذلك
وحلف ان لا يعود . وكتب الوليد الى عمه عبد العزيز يامره ان يوجه الى
افريقية موسى بن نصير . وكان ذلك في سنة ثمان وثمانين فوجد اكثر
مدائنهم خالية لاختلاف امر البربر عليها فكان ينقل العجم من لاقي الى
لاذاني وخرج غازيا الى جهة طنجة فوجد البربر قد هربوا الى المغرب من
العرب فنبعهم وقتلهم قتلًا ذريعًا وسباهم سبا كثيرًا حتى بلغ السوس لاذني لا
يدافعه احد . فلما رأى البربر ما نزل بهم منه استامنوا اليه وادوا الطاعة
فقبل

في المسالك وهذه الحمة جليته في النفع تجربة . قال التيجاني وكانت قبل هذا محجورة عن الناس ببناء محقق بها ثم ابيحت بعد للناس والبناء المحقق بها باقى الى لان ومحلهما منتهى لارض المعروفة بمرناق سميت باسم بعض سن ملكها من النصارى بعد افتتاح المسلمين لارض افريقية وكان ملكها لها بخديعة تمت له على حسان بن النعمان رضي الله عنه . وذلك ان مرناق هذا كان صاحب قرطاجنة فلما دخل المسلمون الى ارض افريقية وافتتح حسان رضي الله تعالى عنه مدينة تونس نهض لقتال مرناق فكان يغدو كل يوم اليه ثم يروح الى تونس وكانوا اذا غدوا للقتال قابلتهم الشمس فأذتهم في اعينهم فكتبوا بذلك الى عثمان رضي الله عنه فامرهم بقتالهم بعد الزوال . فصاق الروم بها وكانت لهم سفن بباب النساء فحملوا فيها نساءهم واولادهم ليلا واسلموا المدينة ولم يبق بها الا الملك المسمى بمرناق واهله وولده . فكتب الى حسان هل لك ان تعاهدني في اهلي وولدي واشترط لنفسي ما شئت من المنازل واسلم لك المدينة . ولا علم للمسلمين بفرار سن فر منها . فاجابه حسان الى ذلك فاشترط هذه لارض المسماة به لان وهي اذ ذاك قرى كثيرة ثم فتح المدينة فلم يجدوا فيها غيره فوقي له حسان بعهدة واقام مرناق مالكا لهذه لارض * وكان من امر عبد الملك انه عندما سمع الحديث من الصحابييين كتب الى اخيه عبد العزيز بمصر ان يوجه الى معسكر تونس الف قبضي باهلهم وولدهم وان يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا الى تونس وكتب الى حسان بن النعمان يامره ان يبني لهم دار الصناعة تكون قوة ومدة للمسلمين الى آخر الدهر وان يصنع بها المراكب ويغور منها على سواحل الروم فيشتغل الروم من القير وان اعانه للمسلمين وتحصينا لشانهم . فرحل القبط الى حسان وهو مقيم بتونس فاجرى البحر من مرسى رادس الى دار الصناعة وجعل فيها المراكب الكثيرة وامر القبط بعمارتها . وقد تقدم ان عبيد الله بن الحبحاب بنى بها دار الصناعة فلعل سن روى ذلك يريد ان عبيد الله

منهم ارض المغرب ولكن خرج المحافظ ابو محمد بن عدي من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « فلما بلغا مجمع بينهما » قال افریقیة . قال عبد الحق في الاحكام بعد ذكره لهذا الحديث يرويه محمد بن ابان بن صالح وكان من رروس المرجئة يتكلم فيه من اجل ذلك ومع ذلك فيكتب حديثه . قال لامام ابو الحسن بن القطان وفي سند هذا الحديث ايضا من لم ينسب عليه عبد الحق يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو رواية من محمد بن ابان اكثرهم يضعفه وكان احمد بن حنبل يرميه بالكذب ولم يوثقه للإمام ابن معين . قال ابن القطان وخرج عبد الحق هذا الحديث موقوفا على ابن عباس وهو في كتاب ابي احمد ابن عدي الذي نقله عبد الحق منه مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم . انتهى كلام ابن القطان هكذا ذكره التيجاني قال ونحن انما وجدنا هذا الحديث فيما وقفنا عليه من نسخ الاحكام مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم لا موقوفا على ابن عباس فنقد ابن القطان هذا ساقط عنه . قال التيجاني وقول من قال ان السفينة انما خرقت ببخر رادس وان الجدار اقيم بالمحمدية هو قول يخالفه اكثر المفسرين فمن بعضهم ان القرية التي استظعم اهلها برقة وعن بعضهم ان الجزيرة المحضراء بالاندلس وقال بعضهم انطاكية وعن بعضهم لايلة واهل الايلة معروفون بالبخل ويروى انهم اتوا الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فرغبوا اليه ان يثبت لهم في المصحف قوله سبحانه وتعالى « فابوا ان يصيغوهما » بالتاء المثناة . وامام رادس على قرب منها الوادي المعروف بوادي ميلان وعليه القنطرة الشهيرة ضخامة وارتفاعا والتونسيون يذكرون انها بنيت من مال رجل من الغرباء كان يتكفف الناس فيصدقون عليه ولا يعلمون بحاله وسعة ماله الى ان توفي فوجد له مال ممدود فامر لاميير ابو زكرياء ان يصرف في بنائها . وقبلتها العين السخنة المعروفة في القديم بالحمة وتعرف اليوم بحمام لانف ومارها مفرط السخانة وهي موصوفة بابرء ذوي العاعات يطلبون الجلوس على مائها للتداوي . قال البكري في

مسجداً وأبقى بها طائفة من المؤمنين . وأغارث الروم من البحر على سن
كان بقي بها من المسلمين ونزلوا من المراكب وقتلوا سن فيها وسبوهم ولم يكن
للمسلمين حصن يلجأون إليه وإنما كانوا معسكرين فبلغ ذلك حسانا فرحل
إلى تونس وأرسل أربعين رجلاً من أشراف العرب إلى عبد الملك بن مروان
وكتب إليه بما نال المسلمين فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان عظم عليه
وكان معه من التابعين أجمع الغفير وصحابيان وهما أنس بن مالك وزيد
ابن ثابت رضي الله عنهما فقالا للمسلمين - سن رابط يوماً برادس فلم
النجنة - وقال لعبد الملك - أدرك هذه البلاد وانصر أهلها ليأمنوا من العدو
ويكون لك ثوابها وأجرها فانها من البلاد المقدسة المرحوم أهلها وهي حرس
لعمدة يريدون القيروان . وذكر أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق في
تاريخه أن علماء المشرق وفقهاء كتبوا إلى أهل إفريقية - سن رابط عنا
برادس يوماً واحداً حججنا عنه حجة - كذا ذكره التيجاني في رحلته من تونس
حاجاً سنة ست وسبع مائة . وفيها أيضاً عند قوله أنس بن مالك وزيد بن
ثابت قال هذا مما زاده أبو عبيد ولم يذكره الرقيق قال وهو كلام غير صحيح
فإن زيد بن ثابت توفي في أيام مروان بن الحكم وهو الذي صلى عليه لا
خلاف في ذلك بين المورخين على الجملة وإن اختلفوا في تعيين السنة ولم
يكن الوليد إذ ذاك خليفة على قول الرقيق ولا عبد الملك على قول أبي عبيد
بل لعل الوليد إذ ذاك لم يكن وليداً فانما تصح الرواية بذلك إن صححت
عن أنس فقط فإن وفاته تأخرت إلى آخر ولاية الوليد . قال التيجاني
وأنا أعجب من أبي عبيد على اتساع بابه وقوة حفظه للتاريخ والوفيات
كيف يتعرض لمثل هذا الخبر مع ظهوره وهنه ووهيه . وروي أن بحر رادس
خرق به الخضر عليه السلام السفينة وإن الملك الذي كان يأخذ كل
سفينة غصبا المجلندي ملك قرطاجنة فخرق الخضر عليه السلام السفينة
برادس وقتل الغلام بطنبذ ويقال أنها الحمديّة . قال التيجاني في رحلته
كان هذا مخالفاً لما ذكر المورخون من أن لأنبياء عليهم السلام لم يدخل أحد

مما بناه بنو امية . ورايت في البشائر انه تلقى من كبار القسيسين ان في
 تاريخ تيتوليفيو احد المورخين الذين ارخوا بعد رفع عيسى عليه السلام ذكر
 مدينة تونس كلاها الله وانها كانت موجودة في اوائل الفترة . وذكر القسيس
 ايضا للميلي اسعده الله انه وجد في بعض التواريخ القديمة على زمن نبي
 الله سليمان عليه السلام ان مراكب قدمت من بيت المقدس لترشيش
 لاستجلاب خراجات هذه البلاد وبها متاجر منها ما جلبوه في ذلك الوقت
 اسنان الفيل وطيور الطائوس وان اثنيانهم كان اذ ذاك من ترشيش .
 وقد شاع في السماع ان ترشيش من اسماء تونس . وذكر ايضا ان ترويس
 بسينين مهمتين بينهما ياء مثناة تحتية هو اسم الذي كان اسس تونس وهو
 ترويس ابن خوان ابن يافث . واستدل ايضا على قدمها بانه لما جهزت
 العمارة البحرية من صاحب رومية المدائن لحرب قرطاجنة وكان المقدم
 عليها ماركوس اتيوليوس راغولس استولى على مدينة تونس قبل قرطاجنة وكان
 ذلك في سنة ست عشرة وثلاثمائة وثلاثة آلاف من تاريخ العالم .
 وقال الشيخ ابو عبد الله محمد بن القاسمي المفتي ابي العباس احمد ابن
 الولي الصالح ابي عبد الله محمد المرجاني المتالي شهر الشماع ما نصه :
 تونس مدينة اسلامية احدثت عام ثمانين من الهجرة . وذكر البكري ان
 حسان بن النعمان افتتحها وذكر غيره ان زهير بن قيس هو الذي افتتحها .
 قال ابو الحكم في سياق كلامه عن البلاذري : ولاية عبد الملك ابن مروان
 واستعماله اخاه عبد العزيز على مصر وان عبد العزيز ولي افريقية زهير بن
 قيس البلوي ففتح تونس ولعل فتحها كان مرتين فحصل الجمع بين الروايتين
 ونص البكري في سياقها ان حسان بن النعمان افتتح مدينة تونس وانه
 قاتل النصارى بفحصها فساله الروم ان لا يدخل عليهم وان يضع الخراج
 عليهم ويقوموا له بما يحمله واصحابه فاجابهم الى ذلك وكانت لهم سفن
 معدة من ناحية الباب الذي يقال له باب النساء فاحتملوا فيها اموالهم
 واهليهم ليلا وسلخوا المدينة فدخلها حسان فحرق وخرب منها وبني فيها
 مسجدا

تدبيرها ان زاد حصنا عظيما بقلاع حلق الوادي فاستعانوا بحجارة الحناية المذكورة واسسوا به قلعة يستعان بها على الذب عن بلاد الله عز وجل ولم يمكن توصلهم لهدمها إلا بالالغام لاحكام صنعها . ومما نقلته من خط استاذنا مفتي الانام ابي مبد الله محمد فتاتة رحمه الله تعالى —

تمتع من بقايا الحنايا بابداع منظر تصبو اليه
تأمل صنع ارسنها البواقي وقد مر الفناء لها يديه
كسطر بعض احرفه وقوف وبعض لاح مضروبا عليه

الباب الخامس

في ذكر المحصرة التونسية وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول في فتحها

قال ابو مبد الله محمد بن علي المعروف بابن الشباط في كتاب ملته السط وسمته المرط ما نصه : قال البكري رحمه الله دور مدينة تونس اربعة وعشرون الف ذراع واسمها في القديم ترشيش ويقال لبحرها بحر رادس وكذلك تسمى مرساها مرسى رادس . وبشرقي مدينة تونس بحيرة كبيرة دورها اربعة وعشرون ميلا في وسطها جزيرة تسمى شكلة مقدار ميلين تثبت الكلنج وبها اثار قصر خرب والمدينة في سفح جبل يعرف بجبل ابي عمرو ويدور بالمدينة خندق صغير وكان لها سابقا خمسة ابواب واما في نصرنا هذا ففيها ثمانية ابواب بباب القصة وهي مقر ملك المدينة في القديم ومجتمع جنده . ونقلت من خط استاذنا ابي عبد الله محمد فتاتة مفتي المحصرة التونسية رحمه الله ناقلنا عن ابن الشباط بما ماخصه : والقصة موضع اجتماع الاجناد وغيرهم وما كان صيقا مستعليا مستظيلا كالصومعة وقصة القرية وسطها وقصة السواد مدينتها ولذلك سمي موضع الملك من المدينة قصة وتجمع على قصاب كرقبة ورقاب . وكان بها قديما خمسة عشر حماما واما لان فلما ينيف على الاربعين . وابواب دورها كلها بالرخام العجيب او الكدال وهي

ما جاء من العدد الذي افاءه الله تعالى وانه ظن ان ذلك وهم من الكتائب
فقد كان ذلك وهما كما ظن لاميير والخمس ايها لاميير ستون الفا بغير وهم -
فاتملا عبد الملك سرورا *

الفصل الثالث من الباب الرابع

في فتح قرطاجنة

ولما غزا حسان بن النعمان قرطاجنة وكان بها خلق كثير وكانت دار
الملك بافريقية بعث الخيل اليها وكان البحر لم يخرق الى تونس وانما
خرق بعد ذلك وعملت دار الصناعة فالتقى الفريقان والتحمت الحروب
بينهم وصيق عليهم حسان وقتلهم قتالا شديدا فاجمع رايهم على الهرب
وكانت لهم مراكب قد اعدوها للهروب فخرجوا من باب يقال له باب
الغنى وارتحلوا باعليهم فمنهم من ذهب الى جزيرة صقلية ومنهم من ذهب
الى لاندلس . فلما انصرف حسان وعلم اهل بواديها تحصنوا بها فرجع
اليهم حسان وحاصروهم حصارا شديدا حتى دخلها بالسيف وقتلهم قتلا
ذريعا وارسل الى من حولها فامرهم بهدمها وكسر القناة التي كان ياتيهم الماء
عليها . ويقال ان حسان لما غزاها في ايام عبد الملك بن مروان وخربها
وكسر قناتها انه لما كان تحت الاسلام اذ ذاك بعيدا عنها والحالة ان
لموقعها من قلوب النصارى الموقع لاظم لم يكن يهم ففلة عن احياء مواتها
ورجوعهم لمواساتها ومهما راجعوها يضاعفون في تحصينها ويعسر فكها مرة
اخرى من ايديهم فعل بها ما فعل قطعاً لآمالهم والحالة ان وراءه فتوحات
اخر ولا يليق به تثبيت جنوده . وكانت تخلف منها قلعة تسمى المعلقة
سكنها قوم من العرب يعرفون ببني زياد لما طلع عبد المؤمن بن علي الى
تونس قبض على اميرهم محرز بن زياد وضرب عنقه . قال جامع صفاء
الله عنه ولما وقع الفتح العثماني واخرج الله مدينة تونس من الظلمات الى
النور بسيف لاسلام المنصور حسبما ياتي تفصيله ان شاء الله تعالى في الباب
السابع مستوفيا بحسب الامكان كان من راي اميرها والمتصرف في ارجح
تديرها

عند وصولها من الشرق تنزع من بين يديها من العربان الذين كانوا وصلوا قبلهم الى ان حصلت لهم هذه الارض وجور هذه الطائفة المعروفة بدلاج في فعلها وعيها في البلاد واهلها اشهر من ان نشير اليهم او ندل بعبارة مختصرة او طائفة عليهم . وانصف الله من الجرجاني لاقطع فهو الذي مكن العرب من الدخول الى هذه البلاد وعن مكة السي . نشا بأفريقية ما نشا من الفساد فانهم كانوا قبل ذلك نازلين بصعيد مصر لا يحدثون انفسهم بالجواز الى هذه الارض الى ان نذهبهم الجرجاني الى ذلك والفرج لهم من طريقهم فاض منهم اهل هذه البلاد بريتهم لحاجة كانت في نفسهم من افساد هذه البلاد . فعجل قضاءها ووجد الله تعالى بما فعله جزاءها . وياقي تفصيل ذلك وسببه عند ذكر المعز بن باديس . وبحذاء جزيرة شريك في البر نحو الجنوب جبل زغوان وهو جبل منيف مشرف ويذكر انه يرى على مسيرة لا يام أكثرية والذي يعلوه يرى السحاب دونه وكثيرا ما يطرر صفحه ولا يطرر أعلاه . وبزغوان قرى عديدة ءاهلة كثيرة المياه والثمار والبساتين . قال ابن الشباط ذكر بعض المورخين انه كان بزغوان قوم من البربر عليهم عظيم من عظمتهم فكانوا يغيرون على سرح المسلمين ويرصدون فرتهم . وبين زغوان وبين القيروان يوم الى الليل - فوجه اليهم موسى خمس مائة فارس عليهم رجل اسمه عبد الملك فقاتلهم فهزمهم الله وقتل اصحابهم وفتحها الله مز وجل على موسى فبلغ سبيهم عشرة ءالاف راس وكان ذلك اول سي دخل القيروان في ولاية موسى . ثم وجه ابنه عبد الله الى بعض فواحها فاتاه بمائة الف راس ثم وجه ابنا له يقال له مروان فاتاه بمثلها ثم توجه بنفسه فاقى بمثلها فكان الخمس يومئذ ستين الفا . وكتب موسى الى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك ويعلمه بان الخمس بلغ ثلاثين الفا وهما من الكاتب فاستكثر ذلك عبد الملك وظمه وهما من الكاتب فراجع موسى بانه ظن الوهم من الكاتب وامره ان يكتب له بصحة الخمس دون وهم فكتب اليه موسى - بلغني كتاب لاميير ابقاء الله يعني فيه انه استكثر

من الرخام المتهوكت المحكم الصنعة نقلت في هذا الزمان القريب الى تونس فاقم عليها جامع قصبتها . وينسبون الى مدينته باشق هذه صالحة وفضلاء منهم ابو عبد السلام مفرج بن بياضه * وفي تاريخ ابن شداد ذكر شدة ما انتهى اليه حال افريقية ايام استيلاء علي بن اسحاق الميورقي عليها فقال اخبرني ابو عبد الله بن عبد البر المهدي وقد وصل الى دمشق في سنة اثنتين وخمسمائة قال فسألته عن احوال افريقية فقال هلك العباد وخربت البلاد ثم قال وسأخبرك ببعض ما تستدل به على الحال - لما نزل علي ابن اسحاق على منزل باشق من الجزيرة وهو على بعض يوم من تونس سأل اهله لآمان فامنهم ودخل مسكوة الى المنزل المذكور فانتهبوا جميع ما فيه وسلبوا اهله حتى ثيابهم التي تواربهم وامتدت ايدي العبيد وجفأت لاعراب الى البناء فاضطر اهله الى الفرار ففروا باجمعهم الى تونس ونزلوا بين سوريها فدخل عليهم فصل الشتاء هنالك فاهلكهم البرد والماء وحصر سن مات منهم بتونس فكانوا اثني عشر الفا . انتهى كلام ابن شداد على ما نقله التيجاني . قال وفي ميامنة الفاضل السياسي ان الخبر وصلهم في جمادى الاخرى من سنة خمس وثمانين ان يحيى بن اسحاق الميورقي وابا زيد القرني دخلا الى جزيرة باشق بقرب من تونس واستاصلا اهلها فانتقلوا الى تونس ودخلوا حفاة عراة فمات منهم بالجوع والبرد والانقطاع نحو اثني عشر الفا . قال التيجاني هكذا ذكر الفاضل ان ذلك من فعل يحيى بن اسحاق وتقدم انه من فعل علي اخيه فيمكن ان تكون قضية واحدة وقع الغلط في نسبتها ويمكن ان تكون قضيتين وهذا هو الظاهر فان سنة اثنتين وثمانين على ما ذكر ابن شداد انما كان الامر فيها لعلي ابن اسحاق وولي اخوه يحيى والله اعلم . ومن تاريخ الفاضل المذكور ان الاجناد وصلت من الاسكندرية في سنة ثمان وثمانين وأن قارقوش الارمني عاث في جزيرة باشق وافسد قصرها ونصر صفاقس والمهدية . انتهى من التيجاني . وهذه الارض من منازل الرباحيين بني دلاج وهم فرقة من بني هوف بن سليم ولم تنزل وفود لاعراب

مما اراد واظهر لاستخفاف به وبمن معه فخرج حفص ابن حمير واصحابه فلما صاروا ببعض الطريق قال لهم حفص انا قد ايسنا من المخلوق ولم نيلس من الخالق فلم يفتح باب الدماء حتى فتح باب الاجابة فنزلوا واسبغوا الوضوء وصلى بهم حفص ركعتين ودعوا على ابن لاغلب ان يمنعه الله مما اراد من اذايته المسلمين ويكف عنهم جورة قال وبعد خمسة ايام خرجت له قردة تحت اذنه فقتلته في اليوم السابع بدعائهم . قال وحكى المتولي ضله قال كشفت عنه الثوب فوجدته قد عاد اسود كانه زنجي بعد ذلك الجمال العظيم . وذكر ايضا من فضل ابن ابي العنبر وكان واليا على الجزيرة قال تقدم غلماني مرة فنزلوا ببعض قصور الجزيرة التي على ساحل البحر فادخلوا الى مسجد من مساجد القصر السبالي وادخلوا طيورا كانت معهم وكلابا فوصل الى اسماعيل بن رباح من اهل الجزيرة وقال الا ترى ما فعل غلمانك في بيت من بيوت الله تعالى قال فزجرتهم واخرجتهم وامرت بادبهم فنظر الي اسماعيل وقال حقن الله دمك قال فشهد فضل بعد ذلك حرورا كثيرة وكان يقول والله لو سعت على لاسنة ما خرجت مني مججمة دم لان دعوة الرجل الصالح قد سبقت الي ومات فضل بعد ذلك على فراشه . وبجزيرة شريك هذه اجتمع الروم مند دخول عبد الله بن سعد ابن ابي سرح المغرب وتبادروا منها الى مدينة اقلبيية وما حولها ثم ركبوا منها الى جزيرة قوصرة وهي بين صقلية وافريقية وكانت في ذاك عامية خاقامزا بها على ما يقال الى خلافة عبد الملك بن مروان فاغزى عبد الملك ابن مروان عبد الملك بن فطن في البحر فافتتح ما كان هناك من القصور وقتل ظافرا . قال التيجاني وكانت جزيرة شريك هذه محتوية على بلاد كثيرة اعظمها المنزل الكبير المعروف بمنزل باشق بالباء المفردة والشين العجمة المشددة وكان بلدا كبيرا أهلا به جامع وحمامات واسواق صامرة وبه كان قصر احمد بن عيسى القائم على بني الاغلب . وهذا المنزل لان خراب لم يبق منه الا مكانه . ويقال ان عبد الجامع الذي كان به وهي

جانب من قرى قرطاجنة هو اليوم المانوس المعبر عنه بالمرسى والشهور في
بديع الزهانة وبها البساتين المعروفة بالعبدلية ذات غياض ورياض طبعت
الخفافين بصوع ضياعها . وفاخرت متزهات البقاع بزاهر بقاعها . ولعت
بها امراء تونس ولوعا بغير قصور . وشيدوا على رؤوس بساتينها اكاليل القصور
وبها الساء العذب اللذيذ يوقى به على الراويات لدور الاكابر تمتعاً .
قال ابن الشباط وروي عن الثقة عبد الرحمن بن زياد بن انعم قال
كنت وانا غلام مع عمي نمشي بأفكار قرطاجنة ونعبر بعجائبها فاذا بقبر مكتوب
عليه بالحيرية - انا عبد الله بن الاوسي رسول الله صالح . وفي
رواية بعضهم شغيب بعثني الى اهل القرية ادفعهم الى الله اتيتهم فصحى
فقتلوني ظمأ حسيبهم الله . وقال اسحاق بن ابي عبد الملك الملشوني لم
يثبت عندي دخول نبي لافريقية وقد دخلها حواري عيسى عليه السلام .
وبلد سليمان المذكورة هي في شرف من جزيرة شريك تنسب الى شريك
العبيسي احد عماله في قديم الزمان وهو والد قرّة بن شريك والي مصر من
قبل الوليد بن عبد الملك الذي يقول فيه الشاعر -

عجبا ما عجبت ممن اتانا حين امرت قرّة ابن شريك

وهذه الجزيرة لم تزل معروفة بالخصب والبركة وهي كما قال الشريف
حيث وصفها في كتابه طيبة مباركة ذات دارات متصلات وبركات وخيرات
ومياه وغلات وبالجملات ففيها خصب زائد على غيرها من الارضين . قال
ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق في كتابه ولم تخل هذه الجزيرة من
عابد وصالح وذكر ان عبد الله بن ابراهيم بن لاغلب اراد ان يحدث على
الناس مظالم من جعلتها ان يرفع عنهم طلب العشر ويضع على كل زوج
ثمانية دنائير اصابوا او لم يصيبوا فاشتد ذلك على الناس وقدم حفص بن
حمير ومعه قوم صالحون من اهل الجزيرة وغيرها فاستاذنوا عليه وكان ابن
لاغلب المذكور من اجمل الناس فكلمه حفص بن حمير وقال له - اتق
الله ايها الامير وارحم جمالك وشبابك فان النار امامك - فلم يجبه الى شيء

مما

بل اتجنع بتسديدة كيف ما امكن . ولله در خاتمة الحكماء وبلغ العلماء
واديب الروساء ورئس الادباء وتاج البلغاء وامام الفصحاء ابو الحسن حازم
الانصاري لاندلسي في مقصوده التي مدح بها ابا عبد الله المستنصر امير
تونس ويصف جري الماء الذي اتى به الى ان قال —

مكان به قد ساح وسط تونس وصاح بالناس ردوا ماء النداء
وزار ارضا طالما زرت على لباتها اطواقه فيما خلا
وزوى الارض التي روضها وجاد بالسثيا عليها وجدا
وخر فيها ساجدا مسجدا لله فوق سبع من الحصص
وخراب قرى قرطاجنة اليوم قرى رقيقة مفيدة عامرة واصناف ثمارها
متناهية في الطيب لا يكاد يرى ما يفضلها وما احقها بقول ابن عفيف —
حارت عقول الناس في ابداعها السكرا او شكرها تنسار
فيقول ارباب البطالة تنسني ويقول ارباب الحقيقة تسجد
ويظهر من سياق الشريف الغرناطي ان هذه الجنايا المذكورة ابتكرها
المستنصر ولكن الناظم رحمه الله بين ذلك بقوله —

وكفرت طاعته لمومن طاعته لكافر فيما مضى
وبقرطاجنة ملاحة عليها قصر ورباط يعرف ببرج ابي سليمان * قال
جامعه ففا الله عنه وهي اليوم بلدة عظيمة وتعرف بسليمان اسماء لاندلس
في نزولهم افريقية وتجد بها — حبا وعنا وقصبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا
وفاكهة وابا — بها جامع معتبر في مرتبة جوامع المدن ولو اقتصر تونس
على ثمار بلد سليمان لكفتها كثرة وطيبا . واهلها يكرمون النزير . وقد
اجتمعت مع ضابط احكامها الشرعية وهو تاجها وقاصيها . والذرة التي وقع
بعد لاختبار اختيارها وتراضها . المنتخب من سلالة بني هاشم . والمرجو في
الاحكام القاضوية لتنوير ظلمة الظالم . المنخفض جنابا . والمرفوع انتسابا .
ابي الحسن علي طالما ثبت له في ميدان الاحكام حوزة سبق باطلامه .
وتحركت دواي الشوق الى لطيف مسامرتة واجتماعه * ويجو في قرطاجنة

رحلته من المغرب حاجا ومبداها من بلدة حاحة وكان ابتداء سفره في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام ثمانية وثمانين وستمائة الى ان قال ما نصه :
 واما الساقية المجلوبة على زغوان فقد استأثر بها قصر السلطان وجنانه إلا رشحاً يسيراً ثم سير به الى ساقية جامع الزيتونة يرتشف منها في انابيب من رصاص ويستقي منها الغرباء ومن ليس له في داره ماء ويكثر عليها الازدحام .
 والساقية المذكورة هي من جملة غرائب الدنيا وهي قديمة من عمل الروم مجلوبة من جبال بجنوبي تونس على مسيرة يومين او نحوهما في اوعار واودية منقطعة وجبال وءاكام فاذا انتهوا بها الى جبل او تل خرقة وسربوا الماء فيه واذا انتهوا الى واد او وهاذ بنوه قنطير بعضها فوق بعض حتى يستوي مع مجرى الساقية بصخر منحوت اتقن ما يكون من البناء واغربه واوثقه حتى ينسرب الماء منها في مستو معتدل . واتصلت هذه الساقية بهذا الاسلوب حتى دارت من وراء تونس الى الغرب وانتهت الى مدينة قرطاجنة وبينها وبين تونس نحو اثني عشر ميلاً كما تقدم . ويذكر ان الروم اقاموا في تدبيرها والنظر في وضعها اربعمائة سنة وهذا بعيد وخصوصاً مع توفر سعتها مالا ورجالا . واما ابو عبيد البكري فحكى ان عملها الى ان استوى فيها جري الماء في اربعين سنة وهذا يسير مع لاهتاه التام والادوات الكاملة والقوة الوفرة . والماء الجاري داخل الحنايا يقوم بخمسة ارجاء او اكثر وعرض القناة مجرى مائها نحو ثمانية اشبار وارتفاعها نحو القامة ونصف هذا كله مقدار مجرى الماء فقط . وفي وسط المدينة صهريج عظيم حوله نحو الف وسبعمائة بالوحدة حنية سوى ما تهدم منها كان يقدم فيها الماء المجلوب المذكور ويخرج من الصهريج المذكور الى القصر . وفي بعض ارجل تلك القنطير كتابة في حجر قيل ان ترجمتها هذا من عمل اهل سمرقند . وقد كان بعض لامراء وهو المستنصر بالله احتاج الى اصلاح بعض هذه الحنايا مما يلي تونس ليوصل الماء اليها اذ كانت معطلة قبله فاقام في عملها مجتهداً باقصى ما يمكنه اواماً عديدة وما يمكنه استيفاء اصلاحها على ما كانت عليه بل اقتنع

ضارب بيت من لوح واحد والناس ينقلون من رخام هذين القصرين
 لحسنه على قدم الزمان وما فرغ الى الآن . وبهذين القصرين ماء مجلوبي
 ياتي من ناحية الجوف لا يعلم من اين منبعه وكانت عليه دواليب واجنة
 كثيرة وهي المعروفة اليوم عند اهل تونس بسكرة . وكان بها قصر عظيم يعرف
 بتدمش مطل على البحر وهو من اعجب ما فيها وهو مبني على سوارى رخام
 مفرطة الكبر والعظم يجلس على راس السارية منها اثنا عشر رجلا بينهم سفرة
 طعام وهي مشطبة كاللحج بياضا ولها ضياء ويكون دور السارية منها نحو
 الثلاثين شبرا في علو مفرط وعليها سوارى اخر معترضة وقد بني القصر عليها
 وهي اقباة معقودة بعضها فوق بعض باغرب صناعة واغرب بناء . فكان هذا
 القصر حصنا عظيما وانما هدم على عهد قريب لانه تحصن فيه قوم من
 القطاع فكانوا يقطعون بتلك الجهات ويأججون اليه فخرج اليهم اهل تونس
 فقتلوهم وهدموا القصر . وبقربه موضع فيه اقباة ودهاليز تحت الارض يهاب
 الدخول اليها وجثث الموتي فيها على حالها فاذا مست تلاشت لقدمها .
 وداخل مدينة قرطاجنة مبني تدخله المراكب بشراعها وفيها مواجل كثيرة
 بعضها يسمى مواجل الحديد واخرى مواجل الشياطين بسبب ان سن يقرب
 منها يسمع فيها دوياء والناس يتنافسون في الدخول فيها فمن جسر على
 دخولها ليلا علم انه جري في القلب ثابت الجنان وهي منظر عظيم هائل سن
 تكلم فيها بكلمة سمع لها دوياء عظيما يحكي تلك الكلمة وذلك لاحكام بنيانها
 وهي ثمانية عشر صهريجا مقترن بعضها ببعض في ارتفاع نحو المائتي ذراع
 في عرض كثير ولاظهر انها كانت مخازن للماء الجاري من العين التي من
 نواحي زغوان المجلوب اليها على راس الحنايا العادية التي لا نظير لها وهي
 من عجائب الدنيا *

الفصل الثاني

في ذكر القناة التي بقرطاجنة

قال ابو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن احمد بن مسعود العبدي في

ونصف ويقوم على كل قوس من هذه الاقواس خمسة اقواس قوس في حلق
 قوس صنعت واحدة وبنائها من الحجر الكدان وقد صور في الدائرة على
 الاقواس انواع من الصور وضروب من التماثيل العجيبة الثابتة في الصخر
 من صفات الناس والسمك والحيوانات والمراكب قد اتفق من ذلك بابدع
 صنعت وسائر البناء لاعلى امس لا شيء عليه يقال ان هذا البناء كان ملعبا
 وجمتمعا في فصل من السنة . ومن غريب مباني قرطاجنة الدواميس التي
 مددها اربعة وعشرون داموسا في سطر واحد طول كل داموس منها مائة
 وثمانون خطوة في عرض ستة وعشرين في اعلاها اقبلك وبين كل داموسين
 منها خوخات يصل منها الماء الى جميعها بهندسة وحكمة وكان الماء الواصل
 من عين جقار التي بناحية القيروان الى قرطاجنة يفرغ في هذه الدواميس
 على عدة قناطير لا تحصى على وزن معتدل وكل القسي منها مبنية بالصخر
 فما كان منها في نشز من الارض كان قصيرا وما كان في بطون الارض واحاديدها
 كان طويلا في نهاية العلو . وهذه القناة المذكورة من اغرب مباني الارض وانقطع
 الماء عن هذه الدواميس لكسر القناة وخراب قرطاجنة ومن حينئذ لم يزل
 الهدم فيها واستخراج الرخام الكثير منها الى الان . قال واخبرني من رأى
 الواح رخام استخرجت منها ان طول الواحد اربعون شبرا في عرض سبعة
 اشبار والمجير دائما في خزانها لا ينقطع واخراج الرخام كذلك . قالوا ويوجد
 فيها من اعمدة الرخام ما يكون دورة اربعين شبرا . وفي قرطاجنة اقبلك
 معقودة على سوارى رخام وعليها مثلها نحو اربع مرات قد احاطت بالدار
 والدار دائرة من اغرب ما يكون من البناء ولها ابواب كثيرة قد صور على كل
 باب منها صورة نوع من الحيوان وقد صوروا في المحيطان صور جميع ارباب
 الصنائع بايديهم والاتهم وفي هذه الدور من الرخام ما لو اجتمع اهل افرقية
 على نقله ما قدروا عليه لكثرت . وكان فيها قصران يعرفان بالاخيتين ليس
 فيهما حجر سوى الرخام ورخام الواحد لا يشبه رخام الثاني . ويوجد فيها
 لوح رخام طوله ثلاثون شبرا وعرضه خمسة عشر شبرا ويقال انه وجد فيه

غارب

قرطاجنة في ثلاثة مواضع احداها بالاندلس عند جبل طارق الثانية
 قرطاجنة الخلفاء بالاندلس ايضا من كرة تدمير الثالثة قرطاجنة افريقية
 وهي اعظمها واجلها واشهرها . قال السعدي لما ذكر البيوت العظيمة
 عند اوائل الروم قال كان بيت معظم قبل ظهور دين النصرانية ببلاط
 المغرب وهو بقرطاجنة * وبين قرطاجنة وتونس عشرة اميال او نحوها
 ومراسها واحد . وقرطاجنة من المدن المشهورة وفيها من الآثار وعجائب
 البنيان ما ليس ببلد شرقا ولا غربا ولو دخلها انسان وهو يمشي فيها صمرا
 ويتأمل آثارها لراى كل يوم اعجوبة لم يرها قبل ذلك وهي لان خراب
 وكانت في وقت غزاهما المسلمون من غرائب البلاد وفيها من عجائب البناء
 وظهور القدرة في ذلك ما لم يبلغه احد * ويقال ان ملكها كان جبارا عظيم
 الشأن وكان ملك اكثر الارض فدخل بلاد الروم وقتل ملوكها واخذ بلادهم
 وبعث الى قرطاجنة من خواتيم الملوك الذين قتلهم ثلاثة امداد وقد سبق
 مكان الثلاثة امداد خواتيم ثلاثة صنادل والله اعلم . ويقال انه نازل مدينة
 رومية فلما حصروها وضيق على ملكها وافسد اقطارها ارسل ملك رومية قائدا
 من قواده فحشد سن كان ببلاط من الروم والجيش وامره بالوصول الى بلاد
 افريقية والنزول على قرطاجنة فلم يكن فيها سن يقاومهم فارسلوا الى ملكهم
 يعلمونه بما حل ببلاطهم من اهل رومية ويسألونه لاسراع لاغاثتهم فعجب
 من ذلك ملك قرطاجنة وقال اردت قطع تلك الدواميس من الدنيا
 واطن الله السماء اراد غير ذلك ثم رجع الى بلده فزعا فزحف اليه قائد
 صاحب رومية فهزمه مرارا حتى قتله واستاصل عسكره ودخل قرطاجنة
 خبدها وخربها . وخرّب المسلمون عند فتح افريقية بقيتها . وكان بها قصر
 من اغرب ما يكون من البناء مفرط العظم والعلو اقباؤه معتودة بعضها فوق
 بعض طبقات كثيرة وهو مظل على البحر حصن عظيم يسميه الناس الطياطر
 شكل مهول في الاستدارة نحو من خمسين قوسا قائما في الهوى سعة كل قوس
 منها ازيد من ثلاثين شبرا وبين كل قوس واخر سارية سعتها اربعة اشبار

الواقعة الثالثة وكان وزير صاحب رومية اسمه شيسيون الميائس وجهز له سلطانه عمارة بحرية وارسله الى قرطاجنة فاستولى عليها وخرابها بعد ما قتل واسر وسي وتم خرابها وعاد الى سلطانه صاحب رومية فسيما شيسيون لا فريقي لاستيلائه على افريقية . ثم بعد ذلك ارسل صاحب رومية ثلاثة الاف عائلة ليعمروا مدينة قرطاجنة فعصروها وكانت تحت طاعة صاحب رومية الى ان فتحها لاسلام دام عزه . وكانت قبل الفتح تحت حكم صاحب القسطنطينية والنصراني المتولي عليها اذ ذاك اسمه جستنيانس والله اعلم . ومن تاريخ لا فرنج اول من وضع مدينة قرطاجنة امرأة تسمى عيسى ديدو من بنات بعض الملوك وكانت زوجة ملك من كبار ملوك الروم الصائية ومات زوجها ولم يكن له ولد وكان لها اخ يسمى بغساليو وكان ملكا ايضا فاراد للاستلاء على مملكة زوج اخيه وما خلفه من الخزائن والاموال فماتت حتى جمعت مهماتها من عظيم الذخائر وركبت البحر وكان معها غلمان كثيرون فطرفت جزيرة قبرص واخذت منها ثمانين بيتا وزوجت الغلمان بهن ووردت مدينة قرطاجنة فاشترت ارضها وعمرتها بذلت لاهلها لاموال واعانهم احسن اعانة وانشأت الدور والجنات والقصور والله عاقبة الامور فكانت هي زينب الموصلة لها - والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين •

فائدة

قرطاجنة بفتح القاف وسكون الزاء وبعدها طاء مهملة والفاء وجيم مفتوحة ونون مشددة بعدها هاء تانيث كذا وقع بفتح الجيم في النسخة التي عليها خط الفقيه الحافظ ابي محمد عبد الحق من اجتناس اقتباس لانوار والجاري على الالسنه كسر الجيم . قال ابن الشباط وسمعت من يقول ان اصله قرطاجنة بضم القاف وفتح الجيم وكانه يشير بذلك الى انها مشبهة بقرطي جنة من القرط الذي يعلق في لادن وهو ما علق من اسفل لادن والشنف ما علق من اعلاه وهذا يسوغ وقوعه لو كانت الكلمة في العربية واما في لغة العجم فيبعد ذلك والله اعلم . وقال ابن بطوطة في رحلته قرطاجنة

صفر الف ذراع والله اعلم . ونقلت من البشائر ما كان اخبره به بعض قيسي
لافرنج ان وضع اساس قرطاجنة كان لمضي ثلاثة آلاف سنة ومائة
وستين سنة من هبوط ادم عليه السلام ولما وقعت العداوة والحروب بين
صاحب قرطاجنة وصاحب رومية الكبرى وكانت ثلاث وقائع لاولى
مبعدها من سنة اربعين وستمائة وثلاثة آلاف سنة من تاريخ العالم
دامت بينهم ثلاثين سنة والحروب سجال ووقع بينهم صلح وهدنة الى سنة
مئت وثمانين وستمائة وثلاثة آلاف سنة وهي المشهورة عندهم بواقعة
الجرمان وكانت الدائرة فيها على صاحب رومية وانهزم فيها اربع مرار . وكان
صاحب قرطاجنة يسمى انيبال فجهز عمارته البحرية وقطع بها الى لافرنج
وخرّب بلادهم وقتل وسي واحرق واخن فيهم ومزقهم كل مزق وقتل من
مسكرهم ما لا يحصى عددا . وكلان من شعائر اولئك الاقوام ان اصحاب
الوطائف منهم والروساء الذين من شأنهم التصرف يمتازون عن دونهم
بجواتيم يضعونها في اصابعهم ويمتاز بعضهم عن بعض على حسب مراتبهم
بعقد الخواتيم فمن لابس خانما واحدا ومن لابس خاتمين فاكثر على حسب
ما هو ديدنهم فبلغ امر القتل بهم حتى انه وسقوا ثلاثة صنادل بالخواتيم التي
اخرجت من اصابع قتلى الروساء وعاد غانما الى بلاده . ثم ان صاحب رومية
اخذته الحمية الجاهلية وجهز عمارة البحر واستجد ملوكا من النحية الغربية
وقصد قرطاجنة وانزل مساكرا البر وكان اول بلد ظفر بها تسمى اسيس
وبلد قديمة ولعلها المعروفة عندنا بقليسيية وتونس وهذا دليل على ان مدينة
تونس قديمة لايجاد وكانت هذه الواقعة سنة خمس وخمسين وثلاثمائة
وثلاثة آلاف سنة من تاريخ العالم . ومن جملة من كان في فجة صاحب
قرطاجنة ملك من ملوك الروم اسمه اخذ في هذه الواقعة اسيرا
وحمل الى رومية الكبرى وانخذل فيها انيبال صاحب قرطاجنة وعاقبة
امره تناول سما ومات . ثم انفصل الامر بينهما على مال يودونه لصاحب
رومية في كل سنة ثم تجددت بينهم حرب اخرى ودامت ثلاث سنين وهي

النصارى على اليهود قتل عيسى ابن مريم عليهما السلام زحف ملوكهما الى بيت المقدس وحلف بطرس الملك الذي كان بالاندلس ليرد من البيت بلزبلتة فحصل عسرو الله الزبل في المراكب حتى رماه بيت المقدس وتحزبت النصرانية من كل مكان وقسموا ما في بيت المقدس فصار لاهل لاندلس الدراري والمائدة وصار لاهل رومية تابوت داود عليه السلام وتابوت السكينة وعصا موسى عليه السلام والتوراة وحلته ادم عليه السلام وصار لاهل القسطنطينية الياقوتة قال له موسى بن نصير وما الياقوتة قال ياقوتة ذي القرنين التي يهتدي بها في الظلمات . وكان موسى بن نصير قد اجهز ما كان عنده من الاموال والذهب والفضة والجوهر والياقوت والزمرذ والذهائر النفيسة الى طنجة في المراكب ثم حملها على مائة عجلة واربع عشرة عجلة تتداول عليها لاوزاج في كل مرحلة . ثم قال موسى بن نصير للقرطاجي كم اقمتم بقرطاجنة قال عمرت بها ثلثمائة سنة وبالاندلس مائتي سنة فقال له موسى بن نصير وكيف كان خبر قرطاجنة ومن بنها . قال القرطاجي بناها بقية من قوم عاد الذين ملك قومهم بالريح فعمروها ما شاء الله تعالى ثم بقيت بعدهم خرابا الف سنة حتى اتي النمرود ابن لاوذ بن نمرود الجبار فبناها على البناء لاول ثم احتاج الى الماء العذب فبعث الى ابيه وكان ابيه بالشام والعراق وعمره على السند والهند فلرسل اليه ابوه المهندسين وهندسوا له الماء حتى اوصلوه الى المدينة . قال له موسى بن نصير فكم كان عمره قال سبعمائة سنة واتموا له جري الماء في اربعين سنة وكانوا لما حفروا اساسه وجدوا فيه حجرا مكتوبا عليه بالخط لاول . علامة خراب هذه المدينة اذا ظهر فيها الملح . فبينما نحن ذات يوم في غدِير بدار الصناعة من قرطاجنة وهي التي ترسي فيها المركب اذ الملح على الحجر منعقد فرحلت الى هنا ومن كان على مثل رأيي في ذلك . وقال ابن الشباط يقال انها بنيت زمن داود عليه السلام وان بين بنائها وبناء مدينة رومية اثنتين وسبعين سنة وهي بالشاطيء تلامها لاماواج وتكسرها اربعة

مشراف

ويمحتمل ان تكون الفتحة ثمانيا في رثن حسان ، ومما يدل على انها
انفتحت صاحبها بقاء مواضع كنائس النصارى قبال التجاني ويروى ان
عبد الله بن سعد بن ابي سرح اما بعثه عثمان رضي الله عنه الى افرقيّة
لحقى جرجير وكان من قتل عبد الله بن الزبير له ما كان واصاب الروم
وهب كبير شديد فاجاؤا الى الحصون والفلاع فاجتمع اكثرهم بحمصن الجهم
وطلبوا من عبد الله بن ابي سرح ان ياخذ منهم ثلاثمائة قنطار ذهب على
ان يكف عنهم ويخرج من بلادهم فقبل ذلك منهم وقبض المال وكان من
شرطه ان ما اصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم وما اصابوه بعد الصلح رده
يريد والله اعلم بعد الصلح *

الباب الرابع

في ذكر قرطاجنة وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول في ذكر قرطاجنة ومن بنها

قرطاجنة وان تلاثت لان وخربت فانها كانت من اصنخم ممالك
افريقيّة واكثرها عددا واقواها عددا واتقنها بناء واغربها انباء واسعها بجالا
واشدّها قالا واحكمها صناعة وارفعها بضاعة واطيبها ثمارا واطولها اعمارا .
قال ابن الفباط عند ذكر دخول موسى بن نصير ارض لاندلس اقتعها
سنة اربع وتسعين لما قفل بالغنائم العظيمة منها ومن بعض غنائمها مائدة
سليمان عليه السلام . قال العيني في عقد الجمان ان الوليد لما حملت اليه
المائدة من طليطلة صنع منها ميزاب الكعبة وسقفها وحرب لها منها حلقة .
قال الكاتب ابو اسحاق ذكر لموسى ابن نصير شيخ كبير قرطاجني فدعا به
فلذا هو شيخ قد وقعت حاجباه على مينيّه فقال له اخبرني كم اقي عليك
من السنين قال خمسمائة سنة قال له موسى ما هذه المائدة وكانت من
نهب وفصة خليطين وهي تتلون مشرة وبياضا مطوقة بثلاثة اطواق طوق
لولو وطوق ياقوت وطوق زمرد فاجابه القرطاجني انها مائدة سليمان بن
داود عليه السلام فلما قال له موسى وكيف وقعت بالاندلس قال لما ادمت

ان يزكوا ويستامروا عليه فركبوا وتوجهوا اليه واعلمه خالد بقولها وانها مقتولة
وبوصول ولديها فامر بحفظهما وامر خالدا على اعنة الخيل . ثم خرجت الكاهنة
ناشرة شعرها تقول انظروا ما دهاكم وانظروا لانفسكم فانها مقتولة فالتحمت
الحرب واشتد القتال واستمر القتل في الفريقين حتى طن الناس انه الفناء .
ثم انهزمت الكاهنة وتبعها حسان حتى قتلها وقطع راسها عند بئر تعرف ببئر
الكاهنة . قال ابن ناجي في معالم الايمان ويقال انها قتلت عند طبرقة
فتعجب الناس من خلقتها وولى حسان الاكبر من ولدي الكاهنة على
جماعة من البربر . ثم ان البربر استامنوا حسان فلم يقبل الا على ان يعطوا
من قبائلهم اثني عشر الفا يكونون مع العرب مجاهدين فاجابوا واسلموا على
يديهم فعقد لكل واحد من ولدي الكاهنة على ستة الاف منهم واخرجهم
مع العرب يجاهدون في سبيل الله عز وجل بافريقية ويقتلون الكفرة من
الروم والبربر وكان ذلك في شهر رمضان من سنة اربع وثمانين . ثم وجه
مولاه ابا صالح الى قلعة زغوان فنزل بموضع فحص ابي صالح وبه شهر
فقاتل اهلها ثلاثة ايام فلم يتدر عليهم فحلى حسان عسكره بطنبذة . ثم رحل
الى زغوان في خيل مجردة فافتتحها صالحا ودانت له افريقية وكسب الخراج
على سن بقي من النصارى ورسن كان على دين النصرانية من البربر وغيرهم
واقام بافريقية قاطنا بالقيروان لا ينازعه فيها احد الى ان عزل عنها وتولاها
موسى بن نصير كما ياتي ببيانها ان شاء الله في ذكر ملوكها الذين كانوا بها
قبل اال عثمان . وعلى يد حسان بن النعمان سنة تسع وسبعين كان افتتاح
توزر صالحا حسبما ذكر ذلك التجاني في رحلته قال وذلك بعد عوده من
برقة بالمدد الذي امد به عبد الملك . ووقع في تاريخ ينسب الى الامام
الحافظ ابي طاهر السلفي ان افتتاح توزر كان على يد عقبة ابن نافع
القرهني قال وذلك لغريب وكانت ولاية عقبة على افريقية سنة ست
واربعين فان صح ما قاله ابو طاهر فيكون افتتاحها في زمن معاوية بن
ابي سفيان وعلى القول الاول يكون افتتاحها في زمن عبد الملك كما تقدم
ويحتمل

فارس ومائة ألف دينار ولا ينقص من بلاده شيء . وسن تأمل هذه المدن
والقصور الخربة بأفريقية وتداني بعضها من بعض رأى من ذلك ما يفضي
الى العجب ويستدل به على كثرة عمارتها في السالف . وكذلك الشعراء التي
بها اذا تأمل اشجارها رأها في مواضع على اعتدال وترتيب تنبي بانها مفروسة
لا نباتية . ويقال ان ما فيها من بطم انما كان فستقا وانما استحال الى الصنوبر
والى طعم آخر لطول ما اقي عليه من السنين ولا شك ان سن اكل البطم اخضر
وجدد طعمه كطعم الفستق . قال فلها بلغ كتاب خالد الى حسان رحمه
الله تعالى خرج بالجيش فلتقاء في طريقه ثلاثمائة رجل من الصاري
يستغيثون به من الكافة فيما نزل بهم من خراب ضياعهم ووصل الى قابس
فخرج اليه اهلها وطبلوا منه لآمان وكانوا قبل ذلك يتحصنون ويمتنعون
من كل من مر بهم فامنهم وترك عامله عليهم وقاطعهم على مال معلوم
والثقت الى طريق القيروان فمال الى قصور قصبة فنزلها واهدى اليه
ملوكها وملوك قسيلية ونفزاوة وبعثوا اليه يستغيثون به من امر الكافة
فسره ذلك وقال رحمه الله تعالى قال مصنف هذا الكتاب وظاهر قوله
فسره - ذلك يودن بان هذا فتح واذا كان فتحا فهو صلح - ويحتمل ان يكون
اهل هذا البلاد على عهد تقلم ولذلك اهدوا اليه . وقد بلغ الكافة قدومه
فرحلت من جبل اوراس تريدة في خلق عظيم فلما كان الليل دعت ابنيها
واخبرتهما انها مقتولة وكانها تنظر الى راسها يركض به فارس الى ناحية
المشرق وكان ترى راسها بين يدي ملك العرب الذي بعث هذا الرجل
فقال لها خالد رضي الله عنه فاذا كان الامر كذلك فارجلي بنا وخلي
له من البلاد واشار عليها اولادها بمثل ذلك فقالت كيف نفر وانا ملكة
والملوك لا تقدر فارث قومي عارا فقالوا افلا تخافين على قومك فقالت
اذا انا مت فلا ابقى الله منهم احدا فقال لها خالد وابناها فما نحن صانعون
فقالت اما انت يا خالد فستدرك ملكا عظيما عند الملك الاعظم وامسبا
اولادي فيسردكون سلطانا عند هذا الرجل ويعقد لهم على البربر . ثم امرتهم

ان ياكلامع خالد من ذلك الشعر فاكلوا فثالت انتم اخوة من الرضاغ . ثم
ان حسان وردت عليه العرب فدعا رجلا فبعث معه الى خالد كتابا وكان
واثقا بان خالدا لا يرجع عن لاسلام . فلما اتى رسول حسان خالدا وقف
عليه في زي سائل فعلم انه رسول فاحذر له وقال تعود لي غير هذا الوقت .
فلما انقضى المجلس اخذ الكتاب فقراه وكتب في ظهره - ان البربر متفرقون
لا انضمام لهم ولا راي عندهم وانما ابتلينا بامر اراد الله عز وجل ان يكرم به
ممن مضى فاطو المراحل وجد في السير فان الامر لله ولن يسلك الا الله ولا
حول ولا قوة الا بالله - وجعل الكتاب في خبزة ومضى الرسول فلم تلبث الكاهنة
بعد ذهابه ان خرجت ناشرة شعرها تضرب صدرها وتقول ويلكم ذهب
ملككم فيما يوكل فافتزقوا يمينا وشمالا يطلبون ذلك فستره الله تعالى . فلما
وصل الى حسان اخرج الكتاب من الخبزة فوجده قد احترق فقال له حسان
ارجع فقال اني اخاف على نفسي فان المرأة كاهنة فكتب له كتابا
جعلته في نفقة قربوس سرجه وغطاه بالشمع فمضى الرسول حتى اتى خلدا
فدفع اليه الكتاب وعرفه ان لاول احرقه النار فود جوابه واعاده في قربوس
سرجه ومضى . فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها تضرب صدرها وتقول ذهب
ملككم في ابناء الارض واره بين لويحين . فقال وكانت الكاهنة ملكة
افريقية خمس سنين ملذ انصراف حسان منها فلما رأت ابطاء العرب عنها
قالت للبربر ان العرب يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة
والشجر ونحن انما نطلب منها الزارع والواشي ولا نرى لكم الا خراب
افريقية حتى يياسوا منها ويقل طمعهم فيها فوجهت قومها الى كل ناحية
يقطعون الشجر والزيتون ويهدمون الحصون . ويحكي عن بعض المورخين
من مبد الرخمين بن زياد بن انعم رحمه الله تعالى ان افريقية كانت ظلا
واحدا وقرى متصلة عامرة فاخربت جميع ذلك ثم قال سمعت من يقول
انه كان بافريقية مائة الف حصن ما بين قصر ومدينة وان ملكها اذا اراد
الغزو بعث الى كل حصن فيائنه منه فارس ودينار فيجتمع له مائة الف
فارس

تونس على اثني عشر ميلا . ثم ان حسان لما استوفى فتح قرطاجنة حسبما
ياقي بيانه بلغه ان النصارى تجمعوا للقائه وامدهم البربر فزحف اليهم
فقاتلهم قتالا شديدا فانهزموا وهرب البربر الى ناحية برقة وقدم حسان
مدينة القيروان فلما استراح الناس قال لهم دلوني على اعظم ملك تبقى
بافريقية وسن اذا قتل خافت البربر والنصارى وعابت المسلمين فلا تقدم
عليهم فقالوا ليس بافريقية اعظم من امراة بجبل اوراس يقال لها الكاهنة
واسمها حسبما ذكره الشهابي في مختصر الجمان في اخبار الزمان دامية بنت
نيفا والبربر والنصارى لها مطيعون ومنها خائفون . فلما اخبر بذلك توجه
لقتال الكاهنة وبلغ الكاهنة امراة فارتحلت من جبل اوراس في عدد عظيم
الى بلد باغاية فاخرجت منها الروم واخربت حصنها وظنث ان حسان
انما يريد معقلا يتحصن به واقبل حسان في جيشه حتى دنا بعضهم
من بعض وكان ذلك آخر النهار ففكر حسان لقاءها في ذلك الوقت فبات
الناس على سروجهم حتى اصبح فزحف بعضهم الى بعض واقتتلوا اشد قتال
وانهزم حسان وقتل من العرب خلق كثير واسرت من اصحاب حسان
ثمانين رجلا منهم خالد بن يزيد العبسي وكان رجلا شريفا واتبعت الكاهنة
حسان حتى خرج من عمل قابس واقام ببرقة وكتب الى عبد الملك بما
لاقى المسلمون فوافاه كتابه يامره بالمقلم حيث ادركه المجواب وادركه وهو في
عمل برقة فاقام هنالك خمسة اعوام بموضع يعرف بقصور حسان وبه
سميت قصور حسان . ثم اعمل عبد الملك رايه في سن ينتخب لافريقية
واستشار في ذلك فلم يجد مثل حسان فبعث اليه جيشا عظيما ومالا وسلاحا .
وكانت الكاهنة اطلقت اصحابه الذين اسرت واحسنت اليهم الا خالد
ابن يزيد امسكته . وكان لها ولدان فقالت لخالد اني اريد ان ارضعك
مع ولدي فتكون اخا لهما فقال لها كيف يكون ذلك وقد ذهب ملك
الرضاع فقالت - انا جماعة البربر لنا رضاع نتوارث به اذا صنعناه . ثم عدت
الى دقيق الشعر فلتته بزيت ثم جعلته على ثدييها ثم امرت ولديها

تعالى . فقال ابن الشباط رحمه الله تعالى قد ذكر ابو الحكم في سياقي
 كلامه من البلاذري ولاية عبد الملك بن مروان واستعماله اخاه عبد العزيز
 على مصر وان عبد العزيز ولي افرقيّة زهير بن قيس البلوي ففتح تونس
 كما سياقي بيانه في فتح تونس ان شاء الله تعالى . وقال غيره ثم ان زهيرا
 رأى افرقيّة ملكا عظيما ففكر لاقامته بها وقال - انما خرجت للجهاد واخاف
 ان اميل الى الدنيا فاهلك ولست ارضى بالدنيا لاجل ملكها ورغد عيشها -
 وكان رحمه الله تعالى من رؤساء العابدين وكبار الزاهدين فرجع قافلا الى
 المشرق - فلما انتهى الى برقة وكان الروم حين سمعوا برحيله الى افرقيّة
 خرجوا اليها بالمرائب فافاروا عليها وسبوا وقتلوا ونهبوا وافق ذلك قدوم زهير
 قافلا من افرقيّة فاخبر بذلك وامر العسكر بالمسير على الطريق وسار هو
 على الساحل طمعا ان يدرك اسارى المسلمين فاشرف على الروم وهم في
 خلق عظيم فلم يقدروا على الرجوع واستغاث به لاسارى والروم يدخلونهم
 المراكب فامر اصحابه بالنزول فنزلوا وقصدوا الروم والتهم القتال حتى
 عانق بعضهم بعضا وكثرت النصارى فقتل زهير وسن معه وادخل الروم
 جميع السبي مراكبهم وارتحلوا الى القسطنطينية . ولما انتهى الخبر الى عبد
 الملك بن مروان عظم ذلك عليه وبلغ منه المبلغ الاعظم لفصل زهير ودينه
 وكانت مصيبتة كمصيبة عقبة بن نافع رحمهما الله وغضب اشراف المسلمين
 وسالوا عبد الملك ان ينظر في سداد ثغر افرقيّة فقال - لا اجد اعظم لا افرقيّة
 من حسان بن النعمان الغساني . وكان حسان بمصر في مسكر عدده اربعون
 الفا عدة لما يحدث فكتب اليه عبد الملك بن مروان يامره بالتوجه الى
 افرقيّة وانه اطلق يده على اموال مصر يعطي منها سن ورد عليه من الناس
 ما شاء فقدم حسان في مسكر عظيم لم يدخل افرقيّة قط مثله وذلك في
 سنة تسع وسبعين . قال جامع غفا الله عنه وكان قدومه في ذلك التاريخ
 بعز وسار حتى بلغ القيروان فسال اهل افرقيّة سن اعظم ملكا بها فقبل له
 صاحب قرطاجنة وكانت مدينة عظيمة تضرب امواج البحر سورها وهي من
 تونس

الملك المظفر تقي الدين ابي الخطاب عمر ابن السلطان نور الدولة
شاهن شاه ابن السلطان الملك لافضل ابي الشكر نجم الدين ايوب في
كتابه المختصر في اخبار البشر ما نصه : وفي سنة اثنتين وعشرين من
الهجرة في ايلم عثمان بن عفان رضي الله عنه سار عمرو بن العاص الى برقة
فصالحه اهلها على الجزية ثم سار الى طرابلس الغرب فحاصرها وفتحها فتوة .
وفي سنة ست وعشرين عزل عثمان عمرو بن العاص وولى مكانه عبد الله
ابن سعد بن ابي سرح العامري وكان اخا عثمان من الرضاة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اهدر دم عبد الله بن سعد المذكور يوم الفتح وشفع
فيه عثمان حتى اطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار عبد الله بن
سعد بن ابي سرح الى افريقية ففتحها وبعث بالخمس الى عثمان رضي
الله عنه فاشتره مروان بن الحكم بخسمائة الف دينار فوضعها عنه عثمان
وهذه من الامور التي انكرت عليه وفي ذلك يقول عبد الرحمن الكندي -

ساحلف بالله جهد اليمين ما نزل الله امرا سدى

ولكن خلقت لنا فتنة لكي نبتلي بك او تبتلى

دعوت اللعين فلا نيتهم خلافا لسنة من قد مضى

واعطيت مروان خمس العبا د ظلمها لهم وحيث الحمى

ولما فتحت افريقية امر عثمان رضي الله عنه عبد الله بن نافع ابن الحصين
ان يسير الى جهة الاندلس فغزا تلك الجهة وعاد عبد الله بن نافع الى
افريقية فاقام بها من جهة عثمان ورجع عبد الله بن سعد الى مصر . وفي
سنة خمسين بنيت القيروان وقدمنا ذكرها فيما سبق في فصل افريقية .
وفي سنة اربع وثمانين ومائة ولى الرشيد حمادا البربري اليمن ومكة
ودلى داود بن يزيد بن حاتم المهلبى السند وولى يحيى الحرشي الجبل وولى
مهروية الرازي طبرستان وولى افريقية ابراهيم بن لاغلب وتولى ابراهيم
المذكور سنة سبع وتسعين ومائة وتولى بعده واده ابو العباس عبد الله بن
ابراهيم وسياتي استطراد ولانها في السلب السادس مفصلا ان شاء الله

خذ نظم عد لغات الخاتم انتظمت ثمانيا ما حكاه قبل نللام
 ختام خاتم ختم خاتم وختم م وختم وختم وختم وختم
 وختم مفتوح ثاء تاسع واذا شاع القياس اتم العشر خاتلم
 الا ان الكسر اشهر وارجح لانه لاكثر . وقيل انها ابريقية بالباء الموحدة من
 البريق اي انها صاحبة السماء . قال ابن الشباط واحسب اني رايت
 بخط بعض الشيوخ بفتح القاف وقوله سموا لافارقة يعني اهل افريقية في هذا
 الوقت . ولاشهر في لافارقة انهم الروم الذين كانوا بافريقية قبل لاسلام .
 ومن الصحابة الذين حلوا بافريقية وسكنوا بها المنذر لافريقي رضي الله
 عنه ذكره الشيخ ابو عمر رضي الله عنه في كتابه فقال المنذر لافريقي روى
 عنه ابو عبد الرحمن الحبلي قال حدثني المنذر وكان يسكن افريقية وكان
 صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - سن قال رصيت بالله ربا
 وبلاسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فانا الزعيم له فلاخذن
 بيده فادخله الجنة - . وقوله وكان يسكن بافريقية يؤذن انه انما سمى
 لافريقي لذلك والله اعلم * وقال صاحب عقد الجمان سميت بافريقش
 ابن ابرهة ملك اليمن لانه غزاها وافتتحها . وقال ابن خلكان افريقية
 سميت باسم افريقش بن قيس بن صيفي الحميري وهو الذي افتتح
 افريقية وسميت به وقتل ملكها جرجير ويومئذ سميت البربر قال لهم ما
 اكثر بربرتكم ويقال افريقش وافريقش والله اعلم . وحكى الهمداني انه
 افريقش بالشين المعجمة ثم عرب قال وحمير تقول كان اسمه قيسا فلما
 بنى افريقية قالت العجم افريقش *

الفصل الرابع

في فتح افريقية

قال السلطان المويد عماد الدين ابو الفدا اسماعيل ابن الملك الافضل
 نور الدين ابي الحسن علي ابن السلطان الملك المظفر تقي الدين ابي الفتح
 محمود ابن السلطان الملك المنصور ناصر الدين ابي المعالي محمد ابن السلطان
 الملك

مدينة مسورة لها رصص كبير وبارضها يكون اطيب الزعفران وهي اولية
وبعض اساس سورها صخر محكم البناء من عمل لاول وبها عمد عظيمة وكان
ذلك الموضع الذي هي فيه مجلس الملك صاحب تبسة وفي تبسة مثله
إلا ان الذي في تبسة الطف واغرب واحسن واعجب . وكذلك في طبقة
بعمد ضخام ايضا كلها بجالس الملك . ولاربس كثيرة الخير وبها جامع حسن
وصومعة قديمة البناء بالصخر المحكم لا قسي لدرجها بل كلها صخر من
اصلب الصخور مرتب بعضها فوق بعض فافنى ذلك عن القسي . وبها
اسواق حافلة وحمام لينت لاسعار في غالب الايام وليس بها عين ولا
واد وانما يشربون من الآبار على مسافة قريبة وبها نهر يعرف بنهر الصفا
يجري على صفا وهو في غاية الصفا وفي وصفه قال بعض ادباء العصر —
ماء ونهر على الصفا ظل يجري في صفاء كالدرة البيضاء
فاصفه لما اشتهيت فحق هو نهر الصفا ونهر الصفاء
وذكر صاحب الطبقات موسى بن نصير من اهل الاريس قال وكان
ثقة سمع من عبد الله بن وهب كتابي البيعة وقد عمر بعد سحنون حتى
سمع منه من لم يسمع من سحنون وكان اعار كتابي البيعة لسحنون وطلبهما
منه فماتلما بهما فانه مرة فحلف بالطلاق ان لا يبرح إلا بهما فاخرجهما
اليه سحنون وقد سمع منه عون بن يوسف كتاب لاهوال لابن وهب .

الفصل الثالث

في سبب تسميتها بلفظ افريقية

وذلك امر مختلف فيه فاقيل ان افريقش بن ابرهة غزا نحو المغرب حتى
انتهى الى طنجة وهو الذي بناها فسميت افريقية باسم منشئها وقيل انما
سموا لافارقة وبلدهم افريقية لانهم من ولد فارق بن مصر وفارق يجوز
فيه على ما اصله ابو الفتح وجهان فتح الراء وكسرهما لان هذين الوزنين
موجودان في اسماء العرب وقد جاء الوجهان فيما هو على وزانه وهو لفظ
خاتم وفي الخاتم عشر لغات وقد نظمها العلامة ابن حجر فقال —

ابن محمد الخراز الاشيلي الزاهد ومحمد بن حسن الزبيدي وعبد الله بن ابراهيم الاصيلي وغيرهم كان مولده ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان سنة احدى وتسعين ومائتين وتوفي يوم الاربعاء السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ودفن يوم الخميس بعد العصر وصلى عليه ابنه الفقيه ابو عمرو رحمة الله على جميعهم . وقال العيني باجته بتخفيف الجيم وهي على البحر مسيرة يوم . وفي المشترك باجته خمسة مواضع لاول كورة ببلاد لاندلس تتصل ببلاد ماردة الثاني باجته القمح بافريقية لكثرة قمحها الثالث باجته الزيت بافريقية الرابع باجته من قرى اصبهان الخامس باجته في ارض مصر بالفيوم والله اعلم ولو تتبعنا ذكر كل بلدة على طريق الاستقصاء لادى ذلك الى ما لا يحصى * ومن بلاد افريقية شقبنارية وهي المعبر عنها في زماننا ببلد الكاف قال ابن الشباط وهي مدينة اولية من بناء لاوائل وهي في سند جبل وبها عين ماء يتفجر من صخر وينبعث الى صهريج من صخر يحكم البناء وبها اثار من بناء لاول عجبية وباب المدينة عليه سطر مكتوب بالقلم لاول لا يدري ما هو وهذا القلم هو المكتوب به في تيسة وفي صومعة القصرين وغيرها وهي صومعة الراهب مكتوبة من جميع جهاتها . قال ابن الشباط واخبرني بعض علماء بلدنا ان ذلك القلم كان قبل الطوفان والله اعلم وهذا القلم يخالف القلم المكتوب به على سور قصبة يتبين للناظر باول نظر انه ليس به لاختلاف اشكاله وحروفه فسبحان من لا ينسئ ملكه ولا يغنى عزه لا اله الا هو . وبشقبنارية دار عظيمة مبنية بالصخر العظيم فكانما فرغ منها بالامس الا ان بعضها قد وهى وسقط وصخورها مع عظمها في غايته لاحكام والاحكام وبها مجلس على يسار الداخل اليها بجانبا واقباء عجبية وقرب باب البلد مسجد بين الباب وبين العين المذكورة . واما جامعها فهو في اعلى السند يشرف على اقطارها ونواحيها . واما مدينة لاربس قال ابن الشباط قال البكري رحمه الله بينها وبين الفيروان مسيرة ثلاثة ايام وهي مدينة

في لغة العجم السلم . وباجة افريقية بينها وبين القيروان ثلاث مراحل .
 قال يعقوبي مدينة باجة كبيرة عليها سور حجارة قديم وبها قوم من جند بني
 هاشم وقوم من العجم . وقال البكري رحمه الله ومدينة باجة مدينة كبيرة
 كثيرة لانهار وهي على جبل يسمى عين الشمس في هيئة الطيلسان فيها
 ميون الماء العذب ومن تلك العيون مين تعرف بعين الشمس وهي تحت
 سور المدينة والباب هناك ينسب اليها ولها ابواب غير هذا . وفي داخل
 الحصن مين اخرى مذبذبة غزيرة . وحصنها اولي مبني بالصخر الجليل اتقن
 بناء يقال انه من عهد عيسى عليه السلام . ولها ربض كبير في شرقي
 الحصن وسور الحصن مما يلي الربض مهدوم . وبها جامع متقن البناء قبائمه
 سور المدينة . وفيها خمسة حمامات ملوها من العيون . وفنادقها كثيرة وبها
 ثلاث رحاب لبيع لاطعمة وعيون خارجها لا تحصى كثرة . ولها نهر من
 جهة المشرق جار من الجوف الى القبلة على ثلاثة اميال منها . وحولها
 بساتين عظيمة تطرد فيها المياه وارضها سداء مشققة يجود فيها جميع البزور
 وبها حصص وفول فلها يرى مثله . وتسمى هري افريقية لربيع زرعها وكثرة
 رباعها وهي خصبة لينت للاسعار امحلت البلاد او اخضبت واذا كانت
 اسعار القيروان نازرة لم يكن للحنطة بها قيمة . ويردها كل يوم من الدواب
 ولابل العدد العظيم لآلاف واكثر لتقل القمح فلا يؤثر ذلك في سعرها لكثرة
 خيرها . اه . وفي اختصار اقتباس الانوار ويقال ان من باجة القيروان ابا محمد
 عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعه بن حصن بن سماعة
 اللخمي الباجي يقال اصله من باجة القيروان سكن اشبيلية وهو فقيه
 محدث مكن جليل سمع من ابن لبابة ومحمد بن قاسم واحمد بن خالد
 وعبد الله الزبيدي صاحب ابي عبد الله محمد بن علي بن الجارود وابي سعيد
 عثمان بن جرير صاحب محمد بن سحنون وغيرهم روى عنه ابنه احمد
 واحمد بن عمر بن عبد الله بن صفور وخلف بن سعيد بن احمد المعروف
 بابن المنفوخ الفقيه وابو عثمان سعيد بن نصر واسماعيل بن اسحاق واحمد

الحسينية والدولة الاحسنية . ولما تفرس لاميرو دام علاه في سيرته . واطلع
بمرءاة الفراسة على خالص سريره . وجده نجسا مصفى وعليه طابع
الاخلاص . ادناه وجذبه بانامل الخصوصية والاستخلاص . واثناه بالاغزة
اولاده . وقطعة اكباده وثمره فواده . وسلم له فيهم الامر . وذلك غاية شرف
القدر . فبذل جهده . ووفى عهده . وارضعهم ثدي علوم اتخذ الاساجد
ثمرتها حلي . وساسهم بلطيف النباسة الى ذروة هي متهى العلا . وصقل
اذهانهم فاعتهم عن صقيل المرءاة . وكان لهم في عزيز خدمتهم بذب الالبوة
وراف الامهات . فما من فن الا وكرعوا من جداول زلاله علا بعد نهل .
وهم اسعدهم الله لكل مثوبة اشرفية اهل . وما ازداد في رعاية ذمام لاغزة
ابنائهم وبث شكر انعامه الا وضاعف له في رفعة حظه وسن يذاكر امه
فاصبح يشدو كالورقاء شكر نعمائه واتخذ ورده في ترداد ثنائمه —
كالهجر تمطره السماء وما له فضل عليه لانه من مائه

تدرع دروع الحمول . وبها الى الله نعم الوصول . بليغ ان نشر تنظم الدرر .
او نظم اخجل الغرر . او وشى الحواشي فاق الطرر . او ذب عن نجل ولي
نعمته يرمي بشرر . له تاليف على اجاد فيه وافاد . وادار منه
على سامعيه مذاق سلاقة مستجاد . وامن على بساط افادته نعم المستفاد .
ولما كان في فنه الجمع المقرد . وصفه القلم بمفرد . فقال —
ما عيب الا ان لطف صنيعه اربى فلم يات الزمان بمثله

ومنها الشيخ سيدي حميدة بن المفتي وهو كنز علومها . والمفتي في
معصلات حكومتها بين خصومها . تضلع من الفقه فحاز بلاغة . واقتدت به
ايمته البلاغة . وتمكن من عرى العربية . وتسربل بالانوار الصوفية . له
حسن ملاقاته وسمت يشعر بنور باطنه . عدا من لم نعرفه ولم نتشرف
بملائاته . وعلى كل حال فاللطف موجود على كل حال * وقال في صلاته
السط ما نصه : اما مدينته باجة فقال في اختصار اقتباس لانوار باجة
بافريقية وباجة بالاندلس . قال ورايت في بعض التواريخ ان تفسير باجة
في لغة

الجموع . الزمه امير الوقت دام علاه الى قضاء المحلة . وعمر بانوار
 معارفه محله . سنة (بياض) وظهرت احكامه خفي خباياه . واعلنت
 تحريراته باظهار مزايه . كان لطيف الخلوات والجسم . طويل الذات
 والعلم . واسع الخلق والحلم . عظيم الهمة والحكم . مليا من التقوى والورع .
 خليا من الرشا والطمع . حليا بالصدقة والعهد . جليا بالامانة في علومه
 ووفاء العهود . توفي في وكثيرا ما رايته مجتمعيا بشيخنا ابي عبد
 الله محمد الصغير داود وبايديهما ابو السعود . ولسان الحال يقول قد حل
 شمس ابي السعود منازل السعود . وتدور بينهما سلافة التذكار فتبدو منهما
 تحت جناح كل فصل . ظواهر مضمرات وصل . ما احق لحاقها بالاصل .
 ولو رصعت بطرر الحواشي . لاعجز حملها الحواشي . وتولى مكانه بقضاء
 المحلة الشيخ ابو العباس احمد بن نور الدين خبير باحكامه على الاوضاع .
 يدرك بلطيف ذوقه مطامع لذيذ السماع . لطيف الخلوات ورع متباعد
 صافي يد الناس ذوهمة عالية . ومرتببة سامية . حسن الملافة . رقيق
 المذاقات . تزايد بياجة ونشا بها * ومنها الفاضل ابو عبد الله الشيخ محمد
 المغراوي بلغت الروايات عنه حد التواتر في انه به مقام الشيخ صالح المغراوي
 وربما فاقه وما حصل لي به اجتماع اصلا * ومنها ابو الحسن علي
 شبيب ذو شدة في تصرف احكامه في القضاء كان تولى قضاء باجة سنة
 ثم نقله لاميرو دام علاه الى المحصرة التونسية واطلق يده في
 الشهادة بها ثم اولاه قضاء محكمته بديار باردو لا يبالي في من يتصرف
 اذا جاء الحق . ولا يعتبر من عظم او دق . ذو فكرة وقادة . وتفريعات
 نقادة . وكثيرا ما كان يبلغني عنه روايات تصرفاته ويصفونها بالشدة
 المفرطة حتى تفصل الرب واجتمعت به فوجدت حكيما جرد النفس من
 الهوى . ويضع لكل داء مناسب الدوا . له قوة فكر يغوص بها الى استخراج
 ما اعجز اولي النهى . كانت بوادى افكاره لغيره المنتهى * ومنها الامام
 الهمام وعلم لاعلام . ابو الحسن الشيخ يوسف لامام . امام الخمس بالمحصرة

قيسح على مثلي اعارة مثلسه . وءالته ان لا يفارقه كمي .
 قسال وقد ذكرتي هذه الحكاية حكاية اخرى من الحريري حكاها لي الفقيه
 القاضي الحاج ابو مية الدلاهي رايت تقييدها بهذا الموضوع والحديث
 شجون وهي ان الحريري كان دميما قيسح المنظر فجاءه شخص غريب يزوره
 وياخذ عنه شيئا فلما رآه استزرى شكله ففهم الحريري ذلك منه فلما التمس
 منه ان يبلي عليه قال له اكتب —

ما انت اول سار غرة القصر ورائد اعجبته خضرة الدمن
 فاختر لنفسك غيري انني رجل مثل المعدي فاسمع بي ولا تزني
 فنجل الرجل منه وانصرف . فان قلت خفف الدال من المعدي وهو
 لا شهر ولا اصل فيه التثليل وانما خفف الدال لكثرة الاستعمال قال ابو
 عبيد وكان الكسائي يرى التشديد في الدال وقال انما هو تصغير رجل
 منسوب الى معد . قال ولم اسمع هذا من غيره . والمثل - ان تسمع بالمعدي
 خير من ان تراه . قال ابو عبيد والعامية لا تذكر ان ثم ذكر لاختلاف
 في سن قاله وفي سن قيل فيه . اه . ومن علماتها عبد الله بن عبد السلام
 الباجي اخذ عن عيسى الغبريني ونقل عنه ابن ناجي في شرح المدونة .
 انتهى من سيدي احمد بن بابا . ومنهم عبد الله الغرياني وقال ابن بابا
 قال ابن ناجي صاحبنا الفقيه الحاج ابو محمد اخذ عن عيسى الغبريني *
 قال جامعنا عنا الله عنه وقول العبدري في ما تقدم وما رايت بها
 من له الى العلم انتماؤا او لهمته نحو المعارف ارتقاء فربما وافق ذلك
 ما اوجبه من كثرة ترادف الهموم عليها حسبما ذكره قبل ولكنا لان وزماننا
 الهازل الذي لم يات بما انت به لاوائل قد اجتمعنا بفحول من مدلهم
 غايها . وابطال تفتن على حادي ركاياها . منهم العالم العلامة والفاضل الفهامة
 المتصلع من موائد الفوائد ومن ثدي الطائف راوي . الشيخ سيدي
 صالح الغراوي . تطلع بسراج فكرة على اصول لاصول . فحصل منها
 اعظم محصول . وجمع من ثمار فروعها اي مجموع . فبلغ منتهى
 المجموع .

الجموع . الزمه امير الوقت دام علاه الى قصاه المحلته . وصغر بانوار
 معارفه محله . سنه (بياض) وظهرت احكامه خفي خباياه . واعلنت
 تحريراته باظهار مزايه . كان لطيف الخلوات والجسم . طويل الذات
 والعلم . واسع الخلق والحلم . عظيم الهمة والحكم . مليا من التقوى والورع .
 خليا من الرشا والطمع . حليا بالصدقة والعهد . جليا بالامانة في علومه
 وفاء العهد . توفي في وكثيرا ما رايتهم مجتمعين بشيخنا ابي عبد
 الله محمد الصغير داود وبايديهما ابو السعود . ولسان الحال يقول قد حل
 شمس ابي السعود منازل السعود . وتداول بينهما سلافة التذكار فتبدو منها
 تحت جناح كل فصل . ظواهر مضمرات وصل . ما احق لحماقتها بالاصل .
 ولو زعمت بطر الحواشي . لاعجز حملها الحواشي . وتولى مكانه بقضاء
 المحلة الشيخ ابو العباس احمد بن نور الدين خبير باحكامه على الاوضاع .
 يدرك بلطيف ذوقه مطامع لذيذ السماع . لطيف الخلوات ورع متباعد
 صافي يد الناس ذو همم عالية . ومرتب سامية . حسن الملافة . رقيق
 المذاقات . تزايد بياجة ونشأ بها * ومنها الفاضل ابو عبد الله الشيخ محمد
 الغراوي بلغت الروايات منه حد التواتر في انه بمقام الشيخ صالح الغراوي
 وربما فاقه وما حصل الي به اجتماع اصلا * ومنها ابو الحسن علي
 شعيب ذو شدة في تصرف احكامه في القضاء كان تولى قضاء باجة سنة
 ثم نقله لاميرو دام علاه الى المحضرة التونسية واطلق يده في
 الشهادة بها ثم اولاه قضاء محكمة بديار باردو لا يبالي في سن يتصرف
 اذا جاء الحق . ولا يعتبر من عظم او دق . ذو فكرة وقادة . وتفريعات
 نقادة . وكثيرا ما كان يبلغني عنه روايات تصرفاته ويصفونها بالشدة
 المفرطة حتى تفصل الرب واجتمعت به فوجدت حكيما جرد النفس من
 الهوى . ويضع لكل داء مناسب الدوا . له قوة فكر يغوص بها الى استخراج
 ما اعجز اولي النهى . كانت بوار افكاره لغيره المنتهى * ومنها الامام
 الهمام وعلم لاعلام . ابو المحاسن الشيخ يوسف الامام . امام الخمس بالمحضرة

قيح على مثلي اعارة مثلسه . و البتة ان لا يفارقه كمي .
 قلنا وقد ذكرتي هذه الحكاية حكاية اخرى من الحريري حكاها لي الفقيه
 القاضي الحاج ابو مية الدلاعي رايت تقييدها بهذا الموضع والحديث
 شجون وهي ان الحريري كان دميما قيح النظر فجاءه شخص غريب يزوره
 وياخذ عنه شيئا فلما رآه استزرى شكله ففهم الحريري ذلك منه فلما التمس
 منه ان يملي عليه قال له اكتب —

ما انت اول سار غرة القمور ورائد اعجبته خضرة الدمن
 فاختر لنفسك غيري انني رجل مثل المعدي فاسمع بي ولا ترني
 فنجل الرجل منه وانصرف . فان قلت خفف الدال من المعدي وهو
 الاشهر والاصل فيه التثقل وانما خفف الدال لكثرة لاستعمال قال ابو
 عبيد وكان الكساعي يرى التشديد في الدال وقال انما هو تصغير رجل
 منسوب الى معد . قال ولم اسمع هذا من غيره . والمثل - ان تسمع بالمعدي
 خير من ان تراه . قال ابو عبيد والعامية لا تذكر ان ثم ذكر للاختلاف
 في سن قاله وفي سن قيل فيه . اه . ومن علمائها عبد الله بن عبد السلام
 الباجي اخذ عن عيسى الغبريني ونقل عنه ابن ناجي في شرح المدونة .
 انتهى من سيدي احمد بن بابا . ومنهم عبد الله الغرياني وقال ابن بابا
 قال ابن ناجي صاحبنا الفقيه الحاج ابو محمد اخذ عن عيسى الغبريني *
 قال جامعهم غشا الله عنه وقول العبدري في ما تقدم وما رايت بها
 من له الى العلم انتماؤ او لهمة نحو المعارف ارتقاء فربما وافق ذلك
 ما اوجبه من كثرة ترادف الهموم عليها حسبما ذكره قبل ولكننا لان وزماننا
 الهازل الذي لم يات بما انت به لاوائل قد اجتمعنا بفحول من مدلهم
 غايبا . وابطال تفتن على حادي ركايبها . منهم العالم العلامة والفاضل الفهامة
 المتصلع من موائد الفوائد ومن ثدي اللطائف راوي . الشيخ سيدي
 صالح المغراوي . تطلع بسراج فكرة على اصول لاصول . فحصل منها
 اعظم محصول . وجمع من ثمار فروعهها اي مجموع . فبلغ منتهى
 المجموع .

ما نصه : ومدينة باجة . ملحة اجاجة . قد حكته لايدي العادية .
 وفكت فيها الخطوب المتداية . حتى صارت وهي حاضرة بادية . فخشوعها
 لائح وصراحتها بادية . قال وقد حدثت بها ان اهلها لا يفارقون السور
 خوفا من الغزبان . وانهم يستعدون لدفن الجنائز كما يستعدون ليم الضراب
 والطعان . قال ولم نغم بها إلا ظل نهار . فلم نخبر بذلك حالها حقيقة
 لاختبار . قال وما رايت بها من له الى العلم انتماء او لهمة نحو
 المعارف ارتقاء سوى لاديب النحوي ابي علي حسين بن محمد الطلي
 بالطاء وبالباء الساكنة بواحدة وهو رجل له قول نقاد . وذهن مشغل
 وقاد . حسن الخلق مقبول الصورة . وسرهمته فيما رايت على علم العربية
 مقصورة . وقد جمع اكثر مولفاتها . واحتفل في تحصيل مصنفاتها . فاجتمع
 له في ذلك ما دل على نبلة . واعانه على تسديد نبلة . قال سألته
 من نسبه المتقدمة فقال لي هو لقب جرى علينا قديما واشتهرنا به . قال
 وقد قرأت عليه بعض كتاب المغرب في النحو وانه حدثني بجميع قراءته
 على مولفه الشيخ الاستاذ النحوي ابي الحسن علي بن مومن بن محمد بن
 علي بن احمد بن محمد بن احمد بن عمر بن عبد الله بن منصور بن صفور
 الحضرمي الاشبيلي وقال قيد لي هذا النسب بخطه وذكر لي ان ابن
 صفور املأه عليه وان مولده عام السيل بـ اشبيلية سنة سبع وتسعين
 وخمسائة وتوفي بتونس كلاما الله يوم السبت الرابع والعشرين من ذي
 القعدة سنة تسع وستين وستمائة . قال العبدري وحدثني عنه بكتابه
 الكبير في شرح المجل اجازة . قال وحدثني به وبغيره من تأليفه اجازة
 عنه شيخنا الفقيه المحصل الراوية ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الاسيدي
 بالقيروان . قال وافادني ابو علي المذكور حكاية عن ابي محمد الحريري لم
 يذكر لها سنداً وهي ان رجلاً طلب منه اعارة كتاب كان يمسكه كثيراً
 للطالعة فانشده ارتجالاً —

سمير فوادي منذ عشرين حجة وصيقل ذهني والمفرج من همي

لله اقوام اطاعوا ربهم
 عظمت لهم همزة انفس
 قوم لو اطلع الملوك عليهم
 من كل بدر افقه بحرابه
 يسمو اذا قام الانام لورده
 خطبوا النعيم ببذلهم لنفوسهم
 لم تحصل لاخرى لهم الا وقد
 ان لم اكن بالفعل ملتصقا بهم
 يا رب بالهادي الذي ارسلته
 ماد اتى والجهل قد عم الورى
 فجلى لهم سبل الهدى وانالهم
 ولقد حباه الله كل فضيلة
 بنزول طيست فيه نور قلبه
 وكفى له شرفا بان الله قد
 يتر لنا في ما به كلفتنا
 وامن علينا بالوصول لقبسه
 يا ليت شعري هل اراني ساعيا
 فلکم توخر عزمي لاقدار مع
 قسا بعزته ورفعة قدرة
 لكن سيء ما جنيت اقربي
 لائم انا لا تذون بجاهه
 صلى عليه الله ما هب الصبا
 وترنمت ورق على اوراق
 ومن مشاهير بلاد افريقية بلد باجة وهي مناح لاقوات في كل
 لاقوات وهي بلدة كثيرة البر والعسل والبقر اذا كثر خيرها عم الرخاء بافريقية
 اذ هي عديتها في هذا الامر . وقال ابو عبد الله محمد العبدري في رحلته
 ما نصه

وتظافرت ايدي الرفاق فصيرت شيع النفاق وضعفهن يسذل
 وشدت بالسن حالها لاكوان من طرب به هذا النبي المرسل
 هذا الذي هو المناصي ملقنم وباحص الرد الرقيق السلسل
 وعلى العصاة من الخلائق ان جنوا يبدو على الصفحات ستر مسبل
 وهو الشفيع المستجار بجاهه ولا م عن ارضعه تذلل
 قسما بفعله الينا وحملة انى عليه معولي ومعقول
 لا ادمي علمنا ولا عملا ولكني بجاه محمد اتوسل
 فلربما صد الكرم حياؤه ان كان في ندمائه يتطفل
 صلى عليه الله ما هب الصبلا ليلا وما نفخت سميرا شمبال
 وعلى محبائه وصفيرة الم ما لاح برق او قرنم بلبل
 ورايت للتجاني في ختام رحلته قصيدة خدم بها جناب سيدنا محمد
 صلى الله عليه وسلم وهي قوله -

كم انت في اللذات ذواستغراق وتذير شيبك مودن بفراق
 ولعلما يصدي المثاب اذا اقي داعي الحمام وقيل هل من راق
 بالفساح دعوة ناصح لك مشفق والنصح يقبل من ذوي الاشفاق
 واذر الى التقوى بذار مستارع وانفض الى الطاعات نهض سباق
 وافهم من الايام مهلة ساعسة قبل التفات الساق منك بساق
 حدثت نفسك بالبقاء ولم يكن في هذه الدنيا ليمقى باقي
 كن بها فيان ومنقوض ولا بقيا لغير الواحد الخلاق
 واترك اناسا اثروا لذاتهم واستمتعوا من دهرهم بخلاق
 ملقت نفوسهم بنزور عاجل واستبدلوه بانفس لامسلاق
 موص كلا موص وبيع كله غين وسعي ظاهر لاخفائي
 يا ايها الاسمان انك كادح كدحا وانت لما كدحت ملاقي
 والمرء مجزي بما هو فاعل وجزاؤه جار على استحقاق
 فنعم ذي الطاعات فير مكيف وعذاب ذي الصبيان غير مطاق

وعلى أولي كالبساب طرا ان يروا بذل النفوس له اقل قلبيل
 فعليه من ذي العرش كل تحية وعلى صحابته ذوي التفصيل
 ما افرع الروض الحيا وتصدعت ويا نسيما في الغدو مليلا
 وتقول وذكر شهر مولده صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم -
 اعلمت انك يارب بيع لاول تاج على علم الزمان مكليل
 مستعذب لالام مرتبع اللقا كل الفضائل حين تقبل تقبل
 ما عدت الا كنت ميدا ثالثا بل انت احلى في القلوب واجمل
 شرفا بمولد مصطفى لما بدا اخفى لاطلة نوره المتهلل
 وحيوت مذ اصبح طرف زمانه طرفا به في برد حسنك ترفل
 ومككت انفسنا بلطف شمائل بتسيمها نفس الغليل تغلل
 واذا عدا الشادي بمنزلة الحمى فالقصد سكان الحمى لا المنزول
 فضل الشهور علا وفاخرها فان شملت باطولها فانت لا الطول
 واستثن منها ليلة القدر التي ثبنا بها نزل الكتاب المنزل
 واصح لقول الله فيها انها من الف شهر في الانابة افضل
 واستكمل البشري بانك لم تزل لك في القلوب مكانة لا تجهل
 لم لا وعشرك وانتاك اريتمما قمرنا به شمس الصبح لا تعبدل
 ومن العجائب بدر تم يستوي لتمام عشر واثنتين ويكمل
 ويفوت اعمار السماء لانها للنقص من بعد الزيادة تنقل
 وكمال هذا البدر لا يعزى الى نقص ولا عن حاله يتحول
 بل نوره يزداد ضعفا كلما طفق المحاق سنا البدور يبذل
 وبقي عثار الغي واصح رشده ويبين من سبل الهدى ما يشك
 وتزاع افدة العداة له كما يتراع من شاكبي السلاح لا عزل
 فمتى تحيط بوصف بدر نبوة وفي ليل الكفر داج اليك
 فجلا عن الافاق غيها كما يجلو صدا الصب الحسام الصيقل
 وهدى الى كف النجاة براحة فهدى المحق به وصل الطبل
 وتظافرت

حتى يرى البیداء وثبة خائف والبیل من قصر دوبرن الیسل
 ذاك الجمال متى اراك تزوره متبوعا بذراه خیر مقيسل
 فرحا بمغناك المقدس رتبة فرح المحب مبشوا بقبسل
 مترنحا طربا ترنح موسر هزت معاطفه شمال شمسل
 فهناك اظفر بالاماني والمني وعلى الوجود اصول حین وصولي
 وتهزني من طيب طيبة فحمة فطيب لي موحى وجر ذيولي
 واذا اسات تالها بحماكم صفوا فانني غبت عن معقولي
 من ذا يرى حرم الحبیب فيهتدي لتمييز المعلوم والمجهول
 قمر له مصبات مکتة مطلع والروضة الفيحاء افق افول
 جاءت نعوت كماله منصومة في الذكر والتوراة ولانجيل
 وبه تشفع ادم لاله لما احس بحالة التعويل
 واتى ببعثة المسيح مبشورا بوصي به للجیل بعد الجیل
 وبليلة لاسراء كمل فضله ناهيك من فضل ومن تكميل
 واليه ناجيا في المعاد لاننا ناوي لظل للنجاة ظليل
 ما زال في لاصلاب ينقل نوره حتى تبلج في امز قبيل
 من نبعة للجد رؤى نبتها وفروع مجد بارع واصول
 صيد تحمل من الاكابر هامها ويحل منها مفرق لاكيل
 فانجاب غيم الغي عند ظهوره كالشمس في جو تلوح صليل
 واذل سن بالكفر حاول عزة واعز بالايمان كل ذليل
 الف الجميل فما يقابل سائلا الا بوجه كالسراج جميل
 لا يعدم السارون ان نزلوا به ربا لصاد او قرى لنزيل
 سمح يشاكل حسنه احسانه لا تعزیه ملالة المسئول
 يلقي لارامل واليتامى ان ناث عنهم عشيرتهم بكف كفيل
 ويبهجهم من حبه وحبائمه ما يحمل المثري على التطفيل
 هذا الفخار وسن يكن ذا وصفه فالمدح فيه كقطرة في النيسل

فكم من مديم صار فيهم كمترتب وكمن من غريب صار فيهم كأمل
 كذا فليكن حسن الثناء لسادة متى املوا لم يخلفوا ظن ءامل
 على من به ساد الورى وعليهم سلام كنشر الروض بين الخمائيل
 فحتى متى اشتاقهم وتغرنى املنى واجمالي بتسويى مامل
 وما المرة إلا طاعن مترحل معار لآوقات تمر قلائل
 واسفار صبح الشيب عن ليل لى دليل على ظل من العمر زائل
 ولما تقصت في التواني شيبى على واصبحت من جرائها في حبال
 ولم يبق لى إلا التفاتى بادمع على طول تغريبي هوام هوامل
 وكل يرى ان المديح وسيلته لكل كريم من اجل الوسائل
 مدحت الشفيح المصطفى غير قائم بمعشار ما يحصى له من فضائل
 وما المدح ممن يحسن المدح باسمه وارصافه إلا كتحصيل حوامل
 ولاكنه جهد المقل لقصاصر من الفرض من تعظيمه والنوافل
 الم يك قول الله في رفع ذكره وهل بعد قول الله قول لقائل
 وقوله —

اعد الحديث فليس بالملول من خير مبعوث وخير رسول
 واملا سامعا بطيب حديثه فهو الشفاء لحر كل غليل
 واداب عليه مصليا ومسلما فكذا اتي في محكم التنزيل
 واخص بترداد السلام مريحه في كل شارقة وكل اميل
 واذا رايت العيس تحدر نحوه فاختر مواظبتهم للتقيل
 واشفع بى حملت من اكوارها من حامل لغرامه محمول
 واصحبهم بالقصد ان ونبت الخطى ورايت باع الطول غير طويل
 فعسى ينالك من زكاة زكاتهم ما قرر القرءان لابن سبيل
 ومن اقتدى بالصدق في انجائه قادته مزته بغير دليل
 ومن اشرب الى لقاء حبيبهم جذب المقادة من يد التعليل
 واماط سوف وسج ريقته رقه بلهى العزيمة من فم التاميل
 حتى

اذا يسم الحادي بها حضرة العلا
 والقت الى كف السرى مقود الكرى
 وان مال ذو وجد الى شعبه هوى
 وما سوقها بل شوقها يستعشها
 ومن عجب هوجا تهيج لها الصبا
 ولهوى هروقا بالعقيق تالفت
 خينا لمن في كفه سبح الحمى
 وكم آية دلت على صدقه فما
 وكم قاصد اقصى مدى معجزاته
 رسول اتى والقي وارت غيومه
 وولى دين الكفر قامت دعائه
 فلما بدت آياته وهيباته
 وضاق القضا صيق اللحد عليهم
 تلقى كتابا شرع ذي العرش شرعه
 ثوى امين الوحي جبريل حسله
 هوى ومد وهب وانفاذ قاهر
 ووطا بالحوال العدا مخوفنا
 وديننا الى دار المقامة مديننا
 وزجرا بما يلقاه من زاع من لطن
 وفي كل ما يتلو الرسول دلالة
 هو المصطفى من قبل تكوين ادم
 نصيب وحيات القلوب كتابه
 له غابة من صحبه هو ليشهنا
 صدور اذا علوا بناد وفي الوغى
 اشدا والهجاء حام وطيشهنا
 اوتك انسياب الفلك تحت المحامل
 كنا لطوى طابت مطي الراحيل
 تجدها لذاك الشعب اول مائل
 حيث اخي لاملق يدعى لنائل
 منابه مذري لطيف الشمايل
 كما جردت يضر بايدي الصياقل
 وانسى خطاب النصب سحبان وائل
 الب لها لانكار في لب عاقل
 تلقاه بحر لا يحد بساحيل
 نجوم الهدى والرشد عن كل مائل
 باطل تحقيق وتحقيق باطل
 بدا النقص فيما ابرموا في المحافل
 خلا بال الا وهو رقق البلايل
 وحد التناجي فيه حد التحامل
 فاكرم بحمول اليه وحامل
 وتنزيم قدوس واحكام عمائل
 وعلما بانبياء القرون لاوائيل
 وبشوى بكل السعي من كل عاقل
 اذا قيد قيم نخوما بالسلاسل
 على صدقه من واصحات الدلائل
 على الخلق من آياتهم والجلال
 اذا يوتى المحبوب خير المنازل
 لديهم عدير الموت هذب المتامل
 صدورهم تلقى صدور العوامل
 ذوو رحمة بالبائست لارامل

لئن قصرت خطوتي اليكم خطيتي وذبتني لا وزار من بابكم ذنبنا
فمن شيمت العبد الفرار لرئيسه ومن شيم السادات ان يغفروا الذنبا
ومن ذلك قوله —

وهي الحقوق كما علمت حقيقتي والصبر عن وادي العقيق عقيق
ولا هل ذياك الحمى بقلوبنا شغف يسوق نفوسنا ويشوق
ولذكهم بزد على طي الحشينا تشفى بد مواهم والفسيق
واذا ثنى عطف الشريب منبوحه فلنا صواح باسمهم وغلبنوق
قم بهم طاب النسيم بطينته حق انثى كالسك وهو فتيق
وفدا ثراها للشفاء مرشفسنا وبقاعها كل البقاع تغلبنوق
ومزارها اشهى الى عشاقنا من شاطئ باوي اليم غريبق
شغفنا باشرف مرسل واعلن من شرفت به غيعة وعز فريبق
هو صفوة الله الشفييع ومن له خلق بكل الكرمات خليبق
سند العصاة اذ الصجائف المصحت ونبا اب واخ وفر رفيبق
هو احمد ومحمد والمصطفى والمجتهب والصادق المصديق
ومن آيات هذه القصيدة —

كم ذا اومل ان ازور صريحهم والخط يكثر والقضاء يعوق
ويد الشيب تناولت حلة الصبا فخالولقت ونشنا بهما الغمزيق
لاكنه ذخري لموقى فساقتي ومضاجعنا المهر والفساروق
صلى عليه الله ثم عليهمنا ما زان جيد حمامة تطويبق
وارت تبشير الصباح تبسمنا وانقاد غصن للنسيم ورببق
وقوله —

لعل نسيمات الضحى والامائل تؤدي الى مفتي الحبيب رسائلي
وتهدي اذا مرت سحيرا بسرمة ملامي الى بدر بطيئة افل
ملي لدى لاغلى لذلك امبعلت منازل تعلق فخر النساازل
وكل لاماني في غدو رواسيم الى رسمه اوفى زواج رواحصل

رحلتهم وفادرتهم غريبا عزوبهم — تصب مصون الدمع مذ بنثم متبنا
 وخلغتم داء التواني محالفي — واني لنا في الركبان يصحب الركبا
 وهجتهم هوج الغرام فانتجست — لكم من فحول الصدق في قصدكم نجبا
 فسارت وحاديها احتدام زفيرها — فما ميزت وعرا ولا دفندا رهبا
 وسيقت وما فاست كلالا ولا وجا — وقد سقم مع كل راحلة قلبنا
 وما ادلجت ثقي الى العشب ليتها — ولاكن في وادي العقيق رات مشبا
 فهم حيرة اخلق براحي جوارهم — ولو باد في البيداء ان يحمدا الغبا
 منيف على السبع الطباقي علاهم — وان اسكنوا فيما يراه الورى التربا
 دعوني ولم يرصوا سماعي دعاءهم — ولو اسمعوني كنت اول من لسي
 ومن كان حفظ العهد سيماه اقبلوا — عليه والا اسبلوا دونه الحجبنا
 ومن كلفت بين العناية رمية — همته المقام الرخص والمرتقى الصعبا
 ومن عاقه نيل المقادير لم تطلق — بارض التي اقدام اقدامه ضربنا
 على انني لا انزل الياس ساحتي — وقلبي على بعدي يهيم بهم حبا
 وقد جاء ان المرء مع من احبه — من الصادق المصدق فيما به انبا
 فحسبي رجاء ان يمنوا بطفهم — وان يعقبوا لي البعد من وصلهم قربا
 ولم لا ونيران النداء في ذراهم — تنادي الى ناديتهم العجم والعربنا
 ولا غرو ان يلقي الطفيلي ماجد — بوجه به يلقي المعارف والصعبنا
 وان هم جفوني سوف اهدي اليهم — سلامي لعل منهم بالرضا احسنا
 ومن صد عنه الحب فليفش مدحه — فان امتداح الحب يستنزل الحسنا
 وما القصد والمعني بالرمز والكسنى — سوى من على كل النبئين قد اربى
 ومن شاهدت عيناه من ملك ربه — وءاياته ما يعجز الكتب والكتبا
 فسبحان من اعطى النبي محمدا — من الفضل ما لم يعط من قبله انبا
 فيا غوث من قال الحمام حبيبهم — ويا خير من اوى اليتامى ومن ربي
 اهايك يا كل المني ان تنودني — من الحوض يوم العرض او امع البشرنا
 ورب كريم غص من رد واغسل — حياء اذا وافاه يتبع السربنا

حججت وزرت المصطفى خاتم الرسل نبي الهدى ذا السجد والجود والفصل
ومرغت خدي في مواطي نعله وقابلت ذاك العز مني بالذل
ومعت الحاطي بروية سيد سري كريم طاهر الذات والاصل
وبوات نفسي من معاهد مكسة مكانا من الدنيا باجمعها يسلي
اقام بها قوم يناجون ربهم وقد نبذوا كل العلائق والشغل
فدعوتهم مقبولة وصلاتهم بالف كما قد جاء من سيد الرسل
ومنهم الفقيه الاديب الصالح ابو يعقوب يوسف بن علي بن عبد
الملك بن السماط البكري المهدوي واخوه هو الشيخ الصالح ابو علي يونس
الكبير القدر العالي الدرجة في الصلاح والفصل وكان ابو يعقوب هذا قد قصر
شعره على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يوجد له في غير ذلك شعر
إلا التافه النزر مما قاله في صباه . ويذكر ان اخاه الشيخ ابا علي رحمه الله
اخبره انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسأله عن حال اخيه
وكساة حلة وهو عالي الطبقة في الشعر جدا وشعره مدون مشهور . قال
التجاني وقد اخبرني بجميعه الشيخ الفقيه ابو محمد بن علي بن فائد الكلاعي
بقراءة عليه قال سمعته يقرأ على ناظمه رحمه الله تعالى . وكانت وفاته رحمه
الله باللهدية في العشر الاوسط من شعبان سنة تسعين وستمائة ومولده بها
سنة ثلاث عشرة وستمائة وعنوان شعره قوله من قصائد ربما اختصرنا من
كل واحدة منها بعض ابيات منها قوله —

سريت وطرفي من كرى النوم ما بها وطرف انتباهي في مدى الحزم ما خبا
وثرتم طلاب العز من دون ناصر قصاره ذيل الذل يسجبه سجا
واخليتم هالاتكم من بدورها فما عوصت إلا الغيايب والسجا
وعاني هواكم لا معين له سوى صدى صوته في الربع ما ردد الندبا
وما كان ندبا يستلذ وانما يلذ سماع الندب من فارق الندبا
ولي مهجة تنفي لتذاكركم اسي وجفن يراني في مراكزها الشهباء
يعلني مسرى صباكم علية فيا لعليل منه التمس الطبعا

رحلتهم

ايحكم يا اهل نجد فسانني اراكم تلومون الخوق التيسعا
 اما ولعي لعن الدمى لو لحظتكم طلاب الحمى طلت لواحظه دما
 وذياكم الثغر الذي يستبي النهى تبسمه ما حكتم لي لومنا
 هجتم ومن لي بالهجوم فربما الم بكم منكم خيال مسلمنا
 يطرق جفنا لي يُبَيِّت ساعرا ويترك اجفانا لديكم نومنا
 اغر غيب ما اعذب ثغسره واحلى اليفاظ النداء وارخمنا
 هو الطيبي لكن لا اسيمه باغمنا اذا رشا نافاه بل مثكلمنا
 تهدي لنا والبدر ليلة تمسه فلم ادر من بدر الدجته فمنهما
 هو البهج لاصي الذي استكمل السنا ام الفج الاحرى الذي راق مبسنا
 ولنا استطار البرق قلت لصاحبي اقلبي دفى ام ثغره قد تبسنا
 اعار وميض البرق حسن ابتسامه وما ذا عليه لو اعار له اللمنى
 او البرد العذب الذي لن تذيبه حرارة انفاس امرء قبل الفسنا
 تعلم منه خلب البرق خلفه فمن اينما برقى تراه تعلمنا
 تجنى فحجنا خضعا لجمالها صى عطفة نحطى بها واعلمنا
 فهز الصبا والدل معطفه ككنا تهز الصبا الفصن الرطيب المنعمنا
 فابنا وخلفنا طيور قلوبنا على ثغره العذب الثقل خومنا
 وكان لامي عمرو ولد يسمى تيقا ويكنى ابا يحيى برع في الطلب
 وتقدم في حفظ مسائل الفقه وتوجه الى المشرق فتخطط هناك ولم
 شعر حسن منه قوله —

يا واحد الحسن انت السمع والبصر عطفك ان فككت ميناك لي وزر
 ابعد ما كان ليلى كله سمعنا صيرته بالتجني ما له سمعنا
 قد رق لي في الهوى كل لانام سوى من حاز رقي وما لي عنه مصطبر
 فان شكوت له يفتر مبتسنا من مشقة قد حواما ثغره العطر
 طلع اتاح صباح جوهر بسرد در حباب لجين بارق زهر
 ولما قضى فريضة الحج واقام بجلورا بمكة كتب الى اهله بتونس —

ابن افريس في الروبا التي ريفت له . ومولد ابي معرو ببلد المهدية في
سنة ستمائة قال التجاني ورايت ذلك بخطه . وتوفي بتبرسق وهو حيول
القضاء بها في الثامن والعشرين للحرم من مئنة تسع وخمسين وستمائه
ودفن بجبل الرحمة هنالك وشعره مدون مشهور وهو القائل يذكر المهدية
ويتشوق اليها والى من خلف بها من اهلها وذلك بعد انتقاله منها الى
حصرة تونس —

اقول لركب قافل من معسرين بجمعة تردى بالحوول مشاجسه
لك الله امتعنا عن البلد الذي اكابره اسلافنا وابالجمه
ومن وطن لولا المعنى وطلائعها لغز على منواي اني خارجهم
وعن رسم ايوان تداعت عراضه ودكت حناياه وخرت معارضهم
وما صنع القصر العبيدي والحمى وسور المصلى والكثيب وعما لهم
وشاطفه انى تنوع حسنهم وخضرهم انى تدفع ما تحبهم
سلام على المهديتين ففيهمسا اب بنث عنه قاصر الخطو عارجه
وله في ذلك من قصيدة يمدح بها لاميير ابا زكرياء ويطلب توليته قضاء
بلبيده —

ذكرت جمعة والذكرى تهيج لي واين جمعة مني والنسب
وما مناي ليايتها التي سلفت وما مناي محانيها المعاطب
لكن بها وهم مجفوفة يفت من ان تقربني منها المقادير
فلسان راي من ادام الله نعمته عليه لي خطة فيها فمما حور
وانشد عبد الرحمن بن ابراهيم لاصولي في كتابه المسمى بتبكيك البنات
قسائل انشدني لنفسه —

فسيم الصبا حديث عن البان والحمى وعن ساكني حزوى من الخرد الدمي
ومن معهد اقوى من العفر والسهى وعن ركب جهران الفضا اين همسا
ايهم قلت البان ام بطن راسية ام المجزع ام بالاخرج الفرد خرمسا
الا فرمى الله الحمى ونسبهم وان جل ما القاه من ساكني الحمى
ايتمكم

طريقة الشهاب . وكتاب الزهرة في مستند العشرة . وكتاب آثار الصحابة في شعراء الصحابة . وكتاب سنن القوم في آداب الليلة واليوم . وكتاب المستوفى في رفع احاديث المستصفي . وديوان نظمه المسمى بقصائد المدح ومصائد المنح . وغير ذلك من التأليف . وكان لامير ابو زكرياء رحمه الله استدعاء مع جماعة من خواصه وشعرائه لنزهة في رياضهم المسمى بابي فهر فنظموا في وصفه قصائد ورفعوها الى الامير ابي زكرياء فاجابهم عنها بابيات تتضمن تفصيل شعر ابي عمرو هذا على شعر جميع سن حضرها وفيهم ابن الابار وغيره ونص ابيات الامير ابي زكرياء رحمه الله —

الا ان مضار القريض لمتد به شعراء سبق اربعة لد
فاما المجلي فهو شاعر حمته اقي أولا والناس كلهم بعد
واما المصلي فهو جبر قضاة بأدابه تزهو الامارة والمجد
واما المسلي فالعاوي امه اقي ثالثا لكن يلين ويشد
وبعدهم الكومي اقبل تاليا وكم جاء سباقا مسومه النهدي
هم علماء الناس ما عنهم غنى وهم شعراء الملك ما منهم بد

حبر قضاة هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي ابن لابار والعاوي هو الفقيه الخطيب ابو القاسم بن محمد بن معاوية اليحصبي كنيته اسمه ويكنى ايضا ابا الفضل . والكومي ابو زكرياء يحيى بن محمد بن الغليظ . واصل اتصال ابي عمرو بالامير ابي زكرياء ان بعض الصحاح من اهل القيروان وكان معلوما بالصدق والامانة في ذلك لاوان رفع الى الامير انه راي النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وامره ان يبلغ اليه ان يسترعي خيرا لخمسة القصيدة الشقراطية فبحث الامير ابو زكرياء من خمستها من ادباء ذلك الوقت فلم يجد غير ابي عمرو وسال عن صاحب الرويا فشهد الكثير بصلاحه وصدقه فاستدعى ابا عمرو واكرمه وامر له بمركوب وصلته سنية وقال لا تشكر احدا ولا تجعل لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بدا . قال التجاني وهذه القصيدة تشبه قصيدة صفوان

لامني فيه اخو سلمه بلام لست اسمعه
رد لي قلبي لتعذله فهو لي كفيه اجمعه
هل يرى دهري يجوده بعد ما قد كان يمنعه
وشقيق النفس يتحفي بحديث قد جل موقعه
لفظه در يساقطه ونطاق السمع يجمعه

وكتب اليه ابو العباس بن ابراهيم الغساني المتقدم الذكر عن نفسه وعن
حضر مجلسه من اخوانه —

يا سابق الناس الى غايته في ذيلها يعثر صوب الفصام
اخوانك الكتاب يرجون ان يلقى بكم شملهم ذا انتظام
فاطلع على السرب فهم انجم يرتقبون منك بدر التمام
وسرهم منك بسر المناسا وزرهم عند اختلاط الظلام
فبعث اللياني اليهم دنا وشمعا وكتب مع ذلك من نظمته —

قد دام للاخوان نيل النسا في خفض عيش وحيد انتظام
وقرب الدهر لهم كل مسا راموه من انس بغير انصرام
في لذة معسولة المجتنى وغبطة موصولة بالدوام
ما اشوق الصب الى انسكم واشغف اللب بذاك المقام
لاكنه عاق الفتى عذره فالشيخ منه عوض والسلام
فراجع الغساني بقوله —

قد انبل الشيخ بعذر الفتى مفتي المعالي والرئيس الهمام
وامطرتنا من سماء النداء يدل له بيضاء تجلو الظلام
لا زال يهسدي لارواحهم سنا لا يادي واجل النظام

ومسن شعراء المهديّة وفضلانها الفقيه القاضي ابو عمرو عثمان بن
هثي بن عثمان القيسي المعروف بابن عربيّة احد العلماء لاعلام كان حافظا
للحديث مقدما في علوم الادب فحلا من فحول الشعراء وله تصانيف
مفيدة منها كتاب جوامع الكلم النبوية على صاحبها الصلاة والسلام على
طريقته

شيئا فشيئا فلما استخلص ما عنده عذب الى ان ملئت ذلك كله في المحرم
من العام المذكور . ومن شعر اللياني قوله -

هذا العذيب وهذه نجد ابن الذي يقضي به الوجد
ما هكذا حال المحب اذا اعسلام ربع حبيبهم تبدو
سرح دموع العين مبثدرا واذكر مواضع عهدهم فانظروا
والثم على شفق مواطنهم ان عاني عن مفعولك البعد
لم انس يوم وداعهم سحرا والدمع اسلم درة العقد
هو الصبا اقصان بانهم فتعانقت وتواجد الرند
هذا العذيب بدت له عذب في ظلها قد خيم الجسد
لا يخلق السعي اذا خفقت اعلاها هل ينجم القصد
فمضى اللغاة يكون معتزنا ان انجذت كلها بها نجد
واعل ما نرجو تجودهم كف الزمان ويسعد الجسد

وقوله -

خليتياني يا صاحبي ونجدا هجتما باللام شوقا ووجدنا
فانجسنا بين الجرائح ودا مستجدا ما دام ربعا لمعدنا
لا تقولوا بمرام سعدنا بعيدا رب سعد انى ففرب بعيدا
اهل ودي ما خلت من حفظ عهدي وهواكم ما غير الناي عهدنا
كيف انسى عهدا قريبا وانسا بزلال من خالص الود شهيدا
ارشفاني ما شفتي وشفتياني من برود احب بذلك ببردنا
خير عيش ميقول تلك الليالي حبذا من طيب عيش مقصدا
اذ يعاطيني الدامة بسندى يحجل البذر نوره ان تنسدى
ان ديني ومذهبي في الصباي لا ارى غيره مدى الدهر رشدا
فانجتم راحسا سرقة ينسوزم وتبلاذير سير الزمان مجسدا

وقوله -

شادن في القلب يرتفع حظه في الحسن ابندف

نقش حية على روض خلد مزخرف
فبدت آية الكليم على وجه يوسف

وقسم ابن معاني ايضا -

فيلك ما اذكى الهوى جل ناره الى ان تعجل الخدي جلناره
راى حية في وجنتيك وعقربا . نسع جنة مخوفة بالكاره
وللاشعبد بن معاني في هذا المعنى عدة مقاطيع وتوفي ابو طاهر الحميري
سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن بالرافقة . ومن شعرائها وروائها
النسوبيين الى بعض منازلها الكاتب لاديب ابو العباس احمد بن ابراهيم
القيسي الليثاني وهو منسوب الى قرية من قرى المهديّة تعرف بليانة
بضم اللام الاولى وكسر الثانية قال هكذا تعرف وكان ابوه مشغلا باعمال
المهديّة ونشأ ابو العباس نشأة طلب وادب فتفقه بالمهديّة على البرقي
وتادب ثم نهض الى الحضرة فولي بها لآعمال الجليلة وساعدته الدنيا فبلغ
من الرئاسة فيها الغاية القصوى وكان يحدث نفسه بامور كثيرة يدل
عليها قوله -

في أم رأسي حديث لسمع لا يبسمو
فان تقارول حمري وسلسلجد المجد يظهر
ارى جموعا ضحاحا ومذقي ان تنكسر

وشاع من كلام العامة - ويل للامة - من سبع حمة - فلما كان المحرم من
سنة تسع وخمسين دخل ابو العباس احمد بن ابراهيم الغساني على الخليفة
المستنصر وكان ذلك اليوم يوم عطر فقتل السلطان مستدعيا للاجازه - اليوم
يوم المطر - اجز يا احمد - فقال - واليوم رفع الضرر . فتنبه السلطان لما سمع
وقال آية فما بعدها فقتل

والعام عام تسعة كمثل عام الجوري

وكان القبض على الجوري في يوم مطر وقطله في عام تسعة وثلاثين فكانت
هذه لاجازة سببا في القبض على الليثاني وطلب بدفع لآاموال وكان يدفعها
شيئا

إذا حسروا منها المناديل انشدت وما السيف إلا غمده والحمائل
قال البيت الذي اضرب من ذكره قوله —

صحافى حكمت من أم موسى فوادها يغالط فيها حسه ويبسط
قال وإنما اضرب عن ذكره رحمه الله لما عجزفه بالتشبيه بالصديقة أم
موسى عليهما السلام وخطل الجدد بالهزل . قال التجاني وبين هذين البيتين
بيت اضربت عنه . وكان بالمهدية قاص ذبح قردا لاذايته فقال فيه ابن
أبي الجواب المهدوي وهو أحد شعرائها نفاه الأمير أبو زكرياء رحمه الله
منها إلى المشرق —

فرائب الدهر قد كثرت ولا أغرب من حكم ذابح القردة
أهل ذبح الفرد محتسبا وحرم الفصل بش ما أتمده
فقتال الخنفي —

ملب عليه في صنعه نفسر وما درى الجاهلون ما قصده
يذبح من كان مثل صورته لكي ترى في الوجود منفردة
وكانت وفاة الخنفي في الثالث عشر من صفر سنة خمس
وخمسين وستمائة * ومن بلغه المهدية اسماعيل بن علي بن يوسف أبو
طاهر الحميري من المغرب من المهدية هكذا ذكره صاحب الوافي بالوفيات
في الواحد والعشرين قال سكن مصر وقراها لادب وحصل طرفا صالحا
وقدم بغداد فقال محب الدين بن النجار وسمع من شيوخنا وكان شابا
وذكر أنه من أولاد المعز بن باديس أمير المغرب علقا عنه في المذاكرة شيئا
من شعره وشعر غيره وكان فاعلا حسن الاخلاق قبال واجتمعت به في مصر
أيضا وأورد له في جارية صور على وجهها صورة حية بغالية —

تبدت لنا من جانب السجف غادة لها الشمس وجه والكواكب خصال
فقلت وقد لاح الهلال بوجهها متى طلعت شمس الصبحي وحلال
الهلال لأول من اسماء الحية والثاني أحد النيرين قال الصفدي قلت ولعل هذه
الجارية هي التي نظم فيها الشعراء بمصر ومنهم الاسعد بن ماتي فإنه قال —

في السابع عشر من ذي القعدة سنة سبع وستين وستمائة وكانت وفاته
رحمه الله ببلده في السابع والعشرين من جمادى الاخرى سنة ثلاث
وثمانين وستمائة وكان ولده ابو القاسم طيب النفس عالي الهممة حسن
الاخلاق وكان بيده تخطيط العلامة الصغرى بتونس قال التجاني وله
شعر ضعيف انشدني منه لنفسه يتغزل -

تبدت فقال القوم قد طلع البدر مهابة بقتل العاشقين لها خبر
سرت فاسرت في فواد محبها سرائر وجد يستبين بها السر
واحيته اذ حيث ومنت بامنهما لنفس كئيب كاد يلفه الهجر
لها الله من فتانة الحسن طرفها تنقصر عنه النبل والبص والسمر
اذا ما بدت طاشت عقول ذوي النهى فيقتحم البلوى ويستعذب السر
فكم سلبت لها وكم وهبت ظمها وكم فعلت بالعقل ما تفعل الخمر
وكم نقصت عهدا وكم عقدت جفى وكم وعدت لكن شيمتها الغدر
ومهما شكوت المحب قالت هو الهوى فالوله قرب وءاخره قسبر
ومن شعراء المهديّة وعلاماتها الذين حدث اجله العلماء عنهم ومنهم مشايخ
ابي عبد الله محمد التجاني ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عثمان الزناقي
المعروف بالحنفي ولد بها وهو من اعيانها وارتحل الى المشرق فدرس بدمشق
مدة ثم انتقل الى الموصل فانتحل مذهب ابي حنيفة واشتغل به حتى صار
اماما فيه واشتهر بالنسبة اليه فلا يعرف في افريقية الا بذلك ولم يكن
في تلك الاصر كلها ببلاد افريقية غيره ولما عاد من المشرق لزم سكنى المنستير
المتعبد المشهور بالفضل تحث جراية من لامير ابي زكرياء رحمه الله وكان
له به حسن ملاقة قال التجاني وحدث عنه اشياخنا الفقيه ابو يحيى
ابن عبد الكريم العوفي وابو عبد الله محمد بن ابي القاسم القيسي الازدي
قال وانشدنا ابو عبد الله محمد الازدي المذكور قال انشدني الحنفي
لنفسه يذم بلده ويصف اهلها بالخل الابيات المشهورة -

اذا حل بالمهديّة الصيف نازلا يروم القرى زفت اليه الكوامل

حشرون المهدي كتاب المختار فيما انتقاء لاهل عصره من الاشعار . وفي
كتاب خريدة القصر لعماد الدين ايضا جماعة من اهل المهديّة وتبعمهم
يطول . قال التجاني ولا بأس بذكر سن امكن منهم ممن ادرنا بعصرنا
وادركه شيوخنا . وكفى المهديّة فخرا علماها وصالحاها ابو القاسم بن علي
ابن عبد العزيز بن عبد البر التنوخي وابو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم
ابن الحجاز اللواتي . اما ابو القاسم منهما فكان مولده بها في حدود الثمانين
والخمسمائة وكان رحمه الله احد العلماء لاعلام الحفاظ المشاركين في انواع
العلوم وكان في اول امره زاهدا في الدنيا وابنائها معرضا عن ملوكها وامرائها
ثم جرت امور اوجبت مراجعة ما كان معرضا عنه من الدنيا فحين اقبل
عليها اقبلت عليه . وانتهت اليه بالمحصرة رئاسة العلم ورئاسة القرب من
السلطان وكانت وفاته بها يوم الخميس العاشر من شوال من سنة سبع
وسبعين وقد كان ارتحل الى المشرق سنة اثنتين وعشرين فسمع بالحرمين
الشريفيين وبالقاهرة ومصر واسكندرية من جماعة يطول تعدادهم وقد ذكروهم
في جزء خاص بهم قال التجاني ولم اقف له على شعر الا على قوله
وقد ضربت اجزاء الدنانير العشارية والخماسية في عام ثلاث وسبعين —
بدا الذهب لابرز من كف ماجد سما بالمعالي والكبير كبير
امام ترى لاملاك يصغر قدرها اذا ذكرته والصغير صغير
وتحتقر الدنيا باجمعها لدى ندى واحتيه والمحقير حقير
لقد جل قدرا ملكه واعتلاوه فليس يصاهي والخطير خطير
واما ابو عبد الله فكان من اجل اهل زمانه دينا وعلم وفصلا ولد بالمهديّة
سنة ستمائة وثقفه بها على ابي زكرياء البوني وارتحل الى المشرق فاخذ
به من جماعة يطول تعدادهم ورج وتوجه الى بغداد فقرأ بها الحاصل على
مولفه تاج الدين ابي عبد الله محمد بن الحسين الارموي وعاب الى حمة
بعلم جم فدرس وافق ثم نقل الى المحصرة فتقلد قضاء الجماعة بها سنة
ستين وستمائة ثم صرف عنه في شهر رمضان سنة اثنتين وستين ثم رد له

يا خير من قفل المطي له عذري في اللبث غير متهم
عبدك لو يستطيع جاب اليك القفر في غيب من الظلم
يمسح ما بين حمص منه الى يثرب برا بوجهه وفهم
ولي ذنوب مقنني ثقلا لولا اذى ثقلهم لم اقم
يرجوك يا شافع البرية ان تشفع فيه لباري النسم
عسى قبول لديك يلحقني بقبرك المستنير والمحرم
وصاحبك اللذين خصهما بنعمة القرب منك ذو النعم
فقد توسلت بالذي لك عند الله من رفعة ومن عظم
صلى عليك الاله ما انصفت اوصافكم بالجلال والكرم
قال ابن الابار في الحلية السيرة وكتب الي مع تراهده —

اتك خليات بحسن الخلائق بها غنية عن كل ما في الحدائق
سيلات جيان حكي وسط درجة خوافق بالمران بين الفياق
وقع له في قصيدة مدح بها ابن عمه الامير ابا زكرياء —

وان من اقبح شئ يرى مقيلة يملكها وغمد
او حلة تلبسها غمادة وجيبها في صدرها لبند
فكان لامير ابو زكرياء وشعراؤه يتصاحكون بهذا . وينسب كثير من الناس
له هذين البيتين —

يكفيك يا معتقل السهري ما نالنا من طرفك لاهور
ان كنت من جندك في قلعة فانت من لحظك في عسكر
وانها لاخته عبد الرحمن بن عيسى . وقد ذكره ابو عبد الله محمد التجاني في
كتابه الدر النظيم باتم من هذا . وفضلاء المهدي وشعراؤها كثيرون ولو اخذنا
في استقصائهم لطال الكتاب بهم . قال التجاني وفي نموذج ابن رشيقي منهم
من له البدائع كعبد الله بن ابراهيم بن مثنى وعلي بن عبد الكريم بن ابي
غالب ومحمد بن حبيب . ولابن رشيقي كتاب الروضة الوشية في شعراء المهدي
ذكر فيها منهم من يطول تعدادهم . ولعثمان بن ابي القاسم بن عبد الرحمن بن
حشرون

بعد ذلك وتولت عليها حفاظ من الموحدين . وولى لامير ابو زكرياء رحمه الله عليها باخوة ابن عمه ابا علي عمر بن عيسى ابن الشيخ ابي حفص وذلك في رجب من سنة ثمان وثلاثين فبقي واليا عليها الى ان توفي بها في الثاني صفر من صفر الخير من سنة ست واربعين وكان ابو علي هذا واليا على بسطة فلما دعى ابو العلاء لنفسه وكتب الى ولاية البلاد بالدخول تحت طاعته امتنع ابو علي من ذلك وقال لا ابائع حتى ارى ما يكون من لامام بمراكش وكتب لابي العلاء في جوابه من كتابه قوله سبحانه وتعالى - قل يا ايها الكافرون - الى آخر السورة . فلما ثبت عنده موت عبد الواحد المخلوع بايع ابا العلاء وتوجه اليه الى اشيلية فدخل عليه وقبل يده وكان ابو زيد ابن يوجان حاضرا فجعل يثني وكان من جملة ما اثنى عليه به ان قال وهو حافظ للقرآن . ففهمها العادل وقال واظنه لسور الفصل اعظم منه غيرها . ولم يضره ذلك عنده بل ولاية جيان . ولما عزم ابو العلاء على تسليم جيان للصاري وكتب بذلك لابي علي تورع ابو علي ان يفعل ذلك وجمع اهل البلد فقال لهم شانكم وبلدكم فاني لا اخرجه من يدكم لاحد من اعداء الملة ولا من اعدائكم . فاخبروه ان ارادتهم مبايعة ابن هود فبايعه معهم ثم ارتحل اليه بنفسه فاعظم قدرة ولم يزل عنده تحت بر واکرام الى ان وكتب البحر الى افريقية فولاه لامير ابو زكرياء على بجاية ثم نقله منها الى بوننة ثم الى المهدية كما تقدم . وهو شاعر جيد وقفت على ديوان شعرة في مجلدين ومنه قوله وبعثه الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم من اشيلية -

اليك الفتي بعذر حتششم مرتحل القلب ساكن القدم
اصبح من قصده على امل ومن لظي شوقه على الثم
يبع وكتب الهدى اليك اسي . ما شاء من حسرة ومن ندم
يروح به شوق اليك فما ينفك ما لم يترك في صرم
الوى به عن بلوغ نيتهم حكم زمان عليه محتكم
فمزمة تلتوي على عقب وهمة ترتني الى امم

واحد منهم الى حضرته إلا وعاد له الويل واطلم ذلك الليل وهذه الدعوة كما يجب علينا القيام بها والذب عنها كذلك يجب عليك وقد طلبنا في جميع اخوانك واعيان هذا الجمع من ينوب منا في هذه البلاد فلم نجد منك معدلا فانحصر الامر الينا واليك فاما ان تطلع الى حضرة مراکش فتقيم هنالك مقامنا ونقيم نحن بهذه البلاد او نطلع نحن الى حضرته فقال الشيخ يا بني اما القسم الاول فهو مما لا يمكن واما القسم الثاني فاجبت اليه على شرط فسر الولد بذلك وقبل يده وقبل الشيخ ابو محمد راسه وانفصلوا وكانما كان عندهم تلك الليلة فتفتح جديد بالسور الذي عندهم والطمانينة مما كان اهمهم ثم خلا الناصر به مستفهما عن شروطه فاشترط ان لا يتولى افريقية إلا بقدر ما تصلح احوالها وينقطع طمع الميورقي عنها ويتحرى الناصر في رجاله من يوجهه عوضا عنه وجعل النهاية في ذلك ثلاث سنين وانه يعرض عليه الجيش فيبقى معه من يقع اختياره عليه وانه ان فعل فعلا كائنا ما كان لا يسأل عنه ولا يعاتب فيه وان من بقي بعد انفصال الناصر واليا على بلد من بلاد افريقية فهو فيه بخير النظرين ان شاء ابقاه وان شاء مزله الى غير هذه الشروط والناصر مقبل عليه قابل لشروطه . وبعد تقرر ذلك خرج الناصر متوجها الى المغرب وذلك في السابع من شوال وصحبه الشيخ ابو محمد ثلاثة ايام رحل معه فيها الى باجة . وكان اهل تونس عند خروج الناصر قد وقفوا ورفعوا اصواتهم بين يديه مشفقين من الميورقي وخائفين ان يصل اليهم بعد انفصال الخليفة عنهم فاستدعى الناصر وجوههم وقربهم منه وكلمهم بنفسه فقال انا قد اخترنا لكم من يقوم مقامنا فيكم واثروناكم به على شدة حاجتنا اليه وهو الشيخ ابو محمد فتباشر الناس بولايته . وكان الشيخ ابو محمد اذا ركب لا يكاد يسمع له كلام إلا اذا نزل حتى انهم كانوا يلقبونه بالصامت ورجع الشيخ ابو محمد من باجة الى تونس واليا على جميع بلاد افريقية وكان اول جلوسه للناس في القصة يوم السبت العاشر من شوال سنة ثلاث وستمائة . وبقي ابن يغمر حافظا بالمهدية الى ان نزل عنها بعد

عنها في الموفى عشرين لجمادى الاخرى سنة ثنتين وستمائة وانفذت كتب
 الفتح الى المغرب والاندلس من منزل ابي نصر في الثاني والعشرين من
 الشهر المذكور واستقر جنوس في وجب فاقام بها بقية السنة المذكورة والكثير
 من التي تليها وهي سنة ثلاث وستمائة . ولما كان شهر رمضان منها اشاع
 الحركة الى المغرب وتحدث مع اشياعه ومدبريه في دولته في من يترك
 بافريقية فاجمعوا على الشيخ ابي محمد ابن الشيخ ابي حنص ولم يختلف
 في ذلك اثنان وكانهم ارادوا بعده عن الخلافة ليجدوا السبيل الى اغراضهم .
 فامر الناصر بعض خدامه في الحديث معه في ذلك استحياء من مواجهته
 به فامتنع ولم تسمح نفسه بمفارقة وطنه ففاوضه الناصر في ذلك بنفسه
 فاعتذر له ببعد الشقة عن خلفه بمرأش من اهل وولد وبما يستلزم ذلك
 من مفارقة الخليفة والبعده منه ونظر الناصر فلم يجد عوضا عنه ولم يرد اكرامه
 على المقام . فحكى نبيل ملوك الشيخ ابي محمد رحمه الله تعالى قال بينما
 انا جالس على خباء الشيخ ليلة اذا بصوة قد خرج من مضارب الخليفة
 فاذا بشرذمة من الخدم والفتيان قد قصدوا نحو خباء الشيخ قال ففرقتهم
 بذلك فقال اذا وصلوا فافتح لهم فلما وصلوا فتحت لهم فدخل ولد الخليفة
 الناصر ومعه ولد الشيخ ابي محمد من ابنة المنصور وهو المعروف بالسيد
 ابي الحسن وكان الناصر خاله قد رباه مع ولده يوسف المنصور ولي عهده
 واختصه بكونه فوجه مع ولده ليقرر انه بمنزلة الولد ومعهما سالم الفتي
 مربي الناصر وفتيان اخرين سواه فقام الشيخ ابو محمد لولد الناصر واجلسه
 معه وقال له ما حاجتك ايها الطالب ولو كان عندي غير نعمتكم لقابلتك
 بها فقال له الفتيان كرامته قضاء حاجته فقال نعم حاجته مقضية فقال
 له الولد وسيدنا يخصك بالسلام ويقول لك هذه البلاد هي من اول هذا
 الامر العزيز مع هؤلاء الثوار في امر عظيم وتحت ليل بهيم وقد وصل اليها
 سيدنا عبد المؤمن وسيدنا ابو يعقوب وسيدنا المنصور وما منهم الا من انفق
 عليها اموالا وافنى في الحركة اليها رجالا والشقة شديدة والشقة بعيدة وما عاد

رأى يحيى امام الخلق ياتي ففر امام سن وافي اليه
 فشبهت الشقى بواو يغزو ولام الامر قد دخلت عليه
 وكمل التبريز بالغنائم على ملاحظة من المحصورين بالمهدية وهم مع ذلك
 مكذبون بهزيمة يحيى . والح الناصر في قتالهم وجمع المنجنيقات على جهة
 واحدة في السور حتى كثر الموت والجراحات فيهم وتحققوا انهزام يحيى فسقط
 في ايديهم وطلبوا الامان فاسعفوا به . ونزل علي بن الغازي واتباعه وشيعته
 على ان يخلي سبيلهم ويسلوا البلد ويكونوا في امان الموحدين الى ان يصلوا
 الى يحيى حيث كان وكان ذلك في السابع والعشرين من جمادى الاولى
 فكان بينه وبين هزيمة تاجرا اربعة وسبعون يوما . وخرج علي بن الغازي
 من المهدية بجملته وحاشيته فضرب اخبخته بقصر قراضة وبات هنالك
 فحث الليلة ثم دعت نفسه الى الدخول تحت طاعة الموحدين فبعث
 الى الناصر يعرفه بذلك ويقول الان اطعت بعد ان ضربت في حكم
 نفسي فاستحسن الناصر ذلك منه واستدعاه واحسن اليه وانزله عنده .
 ووافق ذلك وصول المملوك ناصح صاهب ديوان سبته بالهدايا العظيمة
 التي جمعها في المدة الطويلة وكان فيها ثوبان قد نسجا بانواع الجواهر
 وجعلت فيهما اعلام من اليواقيت والاحجار النفيسة فامر الناصر بحمل جميع
 المهدية الى علي بن الغازي فبات ناصح على اثر ذلك كمدا وترك بنين
 كالبدر قال فيهم ابو الحسن بن جهمدر الاشيلي -

ناصح قد كان عبدا ناصحا في جميع الامرحى في البنين
 لم يلد الا هلالا ناصرا فاتنا حيث بدا للناظرين
 واقام علي بن الغازي مع الناصر الى ان توجه الى تونس فتوجه صحبته
 ثم طلع معه الى مراكش وتحرك الموحدون للغزو بجريدة لاندلس فاستشهد
 بها مع سن استشهد من الموحدين رحمهم الله تعالى . وطما الناصر عن جميع
 من كان بالمهدية من المقاتلين وغيرهم وامر برم سورها وترتيب امورها ثم ترك
 الشيخ ابا عبد الله محمد بن يغمر الهنتاقي واليا عليها من قبله . وكان انتقاله
 عنها

عنها في الوفى عشرين لجمادى الاخرى سنة ثنتين وستمائة وانفذت كتب
 الفتح الى المغرب والاندلس من منزل ابي نصر في الثاني والعشرين من
 الشهر المذكور واستقر جنوس في رجب فاقام بها بقية السنة المذكورة والكثير
 من التي تليها وهي سنة ثلاث وستمائة . ولما كان شهر رمضان منها اشاع
 الحركة الى المغرب وتحدث مع اشياعه ومدبريه في دولته في من يترك
 بافريقية فاجمعوا على الشيخ ابي محمد ابن الشيخ ابي حفص ولم يختلف
 في ذلك اثنان وكانهم ارادوا بعده عن الخلافة ليجدوا السبيل الى اغراضهم .
 فامر الناصر بعض خدامه في الحديث معه في ذلك استحياء من مواجهته
 به فامتنع ولم تسمح نفسه بمفارقة وطنه ففارضه الناصر في ذلك بنفسه
 فاحتذر له ببعد الشقة عن خلفه بمرأش من اهل وولد وبما يستلزم ذلك
 من مفارقة الخليفة والبعده منه ونظر الناصر فلم يجد عوضا عنه ولم يرد اكرامه
 على المقام . فحكى نبيل ملوك الشيخ ابي محمد رحمه الله تعالى قال بينما
 انا جالس على خباء الشيخ ليلة اذا بضوء قد خرج من مضارب الخليفة
 فاذا بشرذمة من الخدم والفتيان قد قصدوا نحو خباء الشيخ قال ففرقت
 بذلك فقال اذا وصلوا فافتح لهم فلما وصلوا فتحت لهم فدخل ولد الخليفة
 الناصر ومعه ولد الشيخ ابي محمد من ابنة المنصور وهو المعروف بالسيد
 ابي الحسن وكان الناصر خاله قد رباه مع ولده يوسف المنصور ولي عهده
 واختصه بكونه فوجه مع ولده ليقرر انه بمنزلة الولد ومعهما سالم الفقي
 مربي الناصر وفتيان آخرون سواه فقام الشيخ ابو محمد لولد الناصر واجلسه
 معه وقال له ما حاجتك ايها الطالب ولو كان مندي غير نعمتكم لقابلتك
 بها فقال له الفتيان كرامته قضاء حاجته فقال نعم حاجته مقضية فقال
 له الولد وسيدنا يخصك بالسلام ويقول لك هذه البلاد هي من اول هذا
 الامر العزيز مع هؤلاء الثوار في امر عظيم وتحت ليل بهيم وقد وصل اليها
 سيدنا عبد المومن وسيدنا ابو يعقوب وسيدنا المنصور وما منهم الا من انفق
 عليها اموالا وافنى في الحركة اليها رجالا والشقة شديدة والشقة بعيدة وما عاد

رأى يحيى امام الخلق ياتي ففر امام سن وافي اليه
 فشبهت الشقي بواو يغزو ولام الامر قد دخلت عليه
 وكمل التبريز بالغنائم على ملاحظة من المحصورين بالمهدية وهم مع ذلك
 مكذبون بهزيمة يحيى . والح الناصر في قتالهم وجمع المنجنيقات على جهة
 واحدة في السور حتى كثر الموت والجراحات فيهم وتحققوا انهزام يحيى فسقط
 في ايديهم وطلبوا الامان فاسعفوا به . ونزل علي بن الغازي واتباعه وشيعته
 على ان يخلى سبيلهم ويسلموا البلد ويكونوا في امان الموحدين الى ان يصلوا
 الى يحيى حيث كان وكان ذلك في السابع والعشرين من جمادى الاولى
 فكان بينه وبين هزيمة تاجرا اربعة وسبعون يوما . وخرج علي بن الغازي
 من المهدية بجملته وحاشيته فضرب اخبثته بقصر قراضة وبات هنالك
 تحت الليلة ثم دعت نفسه الى الدخول تحت طاعة الموحدين فبعث
 الى الناصر يعرفه بذلك ويقول الان اطعت بعد ان ضربت في حكم
 نفسي فاستحسن الناصر ذلك منه واستدعاه واحسن اليه وانزله عنده .
 ووافق ذلك وصول المملوك ناصح صاحب ديوان سبتة بالهدايا العظيمة
 التي جمعها في المدة الطويلة وكان فيها ثوبان قد نسجا بانواع الجواهر
 وجعلت فيهما اعلام من اليواقيث والاحجار النفيسة فامر الناصر بحمل جميع
 المهدية الى علي بن الغازي فمات ناصح على اثر ذلك كمدا وترك بنين
 كالبدور قال فيهم ابو الحسن بن محمد الاشيلي -

ناصر قد كان عبدا ناصحا في جميع الامور حتى في البنين
 لم يلد الا هلالا ناصرا فاتنا حيث بدا لناظرين
 واقام علي بن الغازي مع الناصر الى ان توجه الى تونس فتوجه صحبته
 ثم طلع معه الى مراكش وتحرك الموحدون للغزو بجزيرة لاندلس فاستشهد
 بها مع سن استشهد من الموحدين رحمهم الله تعالى . وعفا الناصر عن جميع
 من كان بالمهدية من المقاتلين وغيرهم وامر برم سورها وترتيب امورها ثم ترك
 الشيخ ابا عبد الله محمد بن يغمور الهنتاقي واليا عليها من قبله . وكان انتقاله

عنها

الى القيروان واقام بها اياما ثم انتقل منها الى قفصة فاجتمع بالعربان هنالك
واخذ مواثيقهم وروهنهم على الخدمة معه . وبلغه في خلال ذلك ايضا عن
اهل طرة من بلاد نفزاوة ما اوجب ان ارتحل اليها فاطلق ايدي المجند
عليها فقتلوا كثيرا من اهلها وانهبوا اموالهم واطلقوا النار في بعض دورها . ثم
انتقل الى حمسة مطماطة ووصله الخبر ان الناصر نكب عن طريق تونس
واخذ على طريق قفصة في اتباعه فانتقل الى جبل دمر مستحصنا به . ووصل
الناصر الى قفصة فاقام بها اياما ثم توجه الى قابس مستفهما عن احوال
يحيى الميورقي فعرف بانتقاله الى جبل دمر . فولى على قابس بعض ولاته
وتوجه الى المهديّة فبرز عليها بجموعه ونصب عليها آلات الحرب . وقدم في
اثناء ذلك الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص لقتال الميورقي فتوجه
الشيخ ابو محمد بجيش ضخم اليه فاراد يحيى الفرار من الجبل الى الصحراء
فشجعه اصحابه وحرصوه على الثبوت له فالتقى فكانت للشيخ ابي محمد
عليه الوقعة المعروفة بوقعة تاجرا وقد تقدم ذكرها قبل هذا استاصل فيها
كثير اجناد يحيى واجلت الحرب عن قتل اخيه جبارة وكاتبه علي بن
اللطفي وعامل له يقال له الفتح بن محمد . وفر يحيى في شرذمة قليلة وكان
قد قدم عياله واهله الى قدر خمسة فراسخ من المعركة فلما فر اخذهم بين
يديهم ولولا ذلك لسبهم . واستنقذ الشيخ ابو محمد من يده السيد ابا زيد
حيا بعد ان صر به الموكل به بسيفه ضربات قصد بها قتله واستنقذ ايضا
جماعة من الموحدين سواه فكانوا في يده واخذ رايتهم السوداء واحاط
الموحدون بجميع ما في العسكر من الاموال والابل فانتهبوها . ورجع الشيخ
ابو محمد بجميع ذلك الى الناصر وهو محاصر للمهديّة فاركب الامين الموكل
بثقاف الشيخ ابي زيد على جمل سام شهرة له ويده الراية السوداء فطيف
به على المهديّة . وكانت الهزيمة في الثاني عشر لشهر ربيع الاول سنة
اثنين وستمائة . ورجع حماد المالقي المشهور بالابداع في قطع الكاغذ هذين
البيتين مقطوعين في الكاغذ —

على محاصرة تونس وكان نزوله على تونس في يوم السبت من الشهر المذكور فنزل بالجبل الاحمر من جهة جوفها واقام هنالك اياما ثم انتقل منه فنزل بين بابي السويقة وقرطاجنة ونزل اخوه الغازي ابن اسحاق على الموضع المعروف بحلق الوادي حيث يصب البحر في البحيرة فقدمه ردما حتى عاد ارضا يسا وقطع تصرف القوارب الداخلة اليه والخارجة عنه وترك عليه سن يحرسه وتوجه فنزل بقبلي المدينة بمقربة من باب الجزيرة وردم الخندق الذي هنالك ردما ونصب امام الباب منجنيقا وءالات من ءالات الحرب واقام محاصرا لها كذلك اكثر من اربعة اشهر . فلما كان يوم السبت السابع من ربيع الاخر من سنة ستمائة استولى على البلد وقبض على السيد ابي زيد ولديه وجماعة من اشياخ الموحدين وثقفهم بدار بنيت لهم داخل القنصة وجعل عليهم سن يحرسهم وامن اهل تونس في انفسهم ورباعهم واغرمهم مائة الف دينار ذكر انها هي لزمته في الفتنة عليها قسطها اهل تونس على انفسهم بحسب احوالهم وسعة اموالهم وجعل قابضها ابا بكر بن عبد العزيز بن السكاك من اهلها ولحقهم في استخلاصها من العنف والشدّة على يد ابن عصفور ثقة الميورقي وكاتبه ما ادى الى قتل جماعة منهم انفسهم وراوا ذلك اروح لهم ومن جملتهم ابن عبد الرفيق وكان مقدما على مال المخزن من الناس . ولما علم الميورقي بهذا الامر رفع عنهم الطلب فيما بقي من المال قبلهم وكان الباقي خمسة عشر الف دينار ورفق بالناس ونادى فيهم بالامان . وفي اثناء ذلك بلغه عصيان اهل نفوسة وتابيعهم من اذانهم فخرج بنفسه اليهم واستصحب معه السيد ابا زيد وابنيه الى ان استولى من اهل نفوسة مغرمهم ورجع الى اهل تونس واستقر بقصبتها . وانفصل بالناصر ما دهم اهل افريقية منه ومن ابن عبد الكريم قبله فاتعص لذلك واخذ في الحركة اليها وكانت لاختبار ترد على الميورقي بحركته فيدفعها الى ان وصل رجاله فاخبروه بوصول الناصر الى بجاية فوجه حيثنذ ذخائره وامواله الى المهديّة لتكون تحت نظر ابن عمه علي ابن الغازي وخرج من تونس فوصل الى القيروان

الميورقي وهو اذ ذاك بقابس وقد حدثت بينهما وحشة فخلف على المهدية ابنه عبد الله وتوجه الى قابس فلما اشرف عليها هاله امرها وعلم ان لا طاقت له بها فارتحل عنها الى قصبة وحكم عليها وعند استقراره ورد عليه الخبر ان الميورقي خرج من قابس في اتباعه فخرج ابن عبد الكريم بجيوشه ونزل بقصور لالا ووصل اليه الميورقي . فالتقيا هنالك وكانت الهزيمة على ابن عبد الكريم وولى هاربا لا يلوي على شيء الى ان حصل بالمهدية وتسرب الى من سلم من جنده فحصنوا بها واحتوى يحيى على اخبثته وجميع امواله واتبعه الى المهدية فنزل عليها محاصرا له وذلك في اول سنة سبع وتسعين وخمسمائة . وكان من دهاء الميورقي ان بعث الى السيد ابي زيد بتونس يساله السلم ويطلب منه في اثناء كتابه لاعانة بقطع من البحر يتمكن بها من ابن عبد الكريم وكان السيد ابو زيد حقد على ابن عبد الكريم فاجابه الى ذلك وبعث اليه قطعتين . فلما رءاهما ابن عبد الكريم سقط ما في يده فاجمع على توجيه ابنه عبد الله الى الميورقي ليصالحه على تسليم المهدية اليه ويشترط المسالمة في نفسه واهله وماله فاجابه الى ذلك ورجع عبد الله فاخرج اباه من المهدية وتوجه ليحيى للسلام عليه فلما وقعت عينه عليهما امر بهما فصرفا الى خيمتين ثقفا بهما مفترقين وحصل يحيى بحصن المهدية واستولى على ما كان لابن عبد الكريم بها من الفخاير السنية ثم ادخله هو وولده الى المهدية فثقفهما ببعض سجونها . فلما كان بعد ايلم يسيرة اخرج لآب من السجن ميتا لا اثر به فسلم الى اهله فدفعوه بقصر قراصة وبقي ابنه عبد الله يتوقع الموت كل ساعة الى ان اخرجهم يحيى واظهر نفهم الى جزيرة ميورقة ليكون هنالك تحت نظر اخيه فعمر له قطعة توجه فيها فلما حاذى به ارباب السفينة القل بمقربة من قسنطينة القوه بقيدة في البحر . فانقضى امر ابن عبد الكريم وولده وحصلت المهدية للميورقي ولم يبق له بافريقية منازع وحصلت تحت بيعته طرابلس وقابس وصفاقس وبلاد الجريد كلها والقيروان وتبسة ووصلت بيعته بونته فبنى

فانكرو البواب واغلاق باب القصر فحصر عن وجهه فعرفه وفتح له الباب
وفرحا ربا . فدخل ابن عبد الكريم وجماعته الى القصر وسمع الشيخ ابو علي
اصواتهم فخرج الى رحبة القصر هاربا فقبض عليه ابن عبد الكريم واراد
قتله فتشفع فيه بعض اصحابه . فاستحياء وثقفه في موضع من القصر وذلك
في شعبان من سنة خمس وتسعين وخمسمائة . فلم يزل هنالك الى ان وصل
فدلو من قبل اخيه ابي سعيد بن ابي حفص على يد محمد بن عبد السلام
المكومي وذلك خمسمائة دينار فاطلعه ابن عبد الكريم بغفاعة ابن عبد
السلام المذكور لانه صهرة . ووصل الشيخ ابو علي لاختيه الشيخ ابي سعيد
بتونس فاحمله واستبد ابن عبد الكريم بالهدية وسمى نفسه من الاسماء
السلطانية بالمتوكل على الله وكذلك يكاتبونه وقوي امره . ووصل الى تونس
السيد ابو زيد بن ابي حفص بن عبد المؤمن واليا فعين ابن عبد الكريم على
محاصرتهم فحشد جموعه ووصل الى تونس وذلك في المحرم سنة ست
وتسعين وخمسمائة وكان الشيخ ابو سعيد اذ ذلك بها معزولا فدار ابن عبد
الكريم بعسكرة الى جهة قرطاجنة فحضر اخيسته وخيامه عند مدخل البحر
الى البكيرية وهو المكان المعروف بحلق الوادي . فامر السيد ابو زيد بن ابي
حفص عند ذلك بتعبير القطع في البحر وخروج العسكر في البر وكان ابن عبد
الكريم قد اكنم للجيش كميناً في بعض المواضع فلما وصل عسكر تونس ووقع
القتال بينهم وبين ابن عبد الكريم خرج ذلك الكمين فوق العسكر منهزماً
وقتل منهم مقتلة عظيمة ولم ينج منه الا القليل وتراعى منه جماعته في
البحر فقتلوا هنالك . وانبسطت جموع ابن عبد الكريم في تلك الجهات
فأخذوا من المرسى المعروف بمرسى البرج اموالا كانت للناس هنالك
واستغفروا وانهبوا من تلك القرى ما قدروا عليه . وبعث السيد ابو زيد والشيخ
ابو سعيد الى ابن عبد الكريم اشياخا من الموحدين يعيرون عليه فعله
ويذكرونه انتماؤه للموحدين ويسالونه الرجوع عنهم فاجاب الى ذلك ورجع
الى الهدية فاقام بها اشهر . ثم حدثته نفسه بحصار يحيى بن اسحاق
الميورقي

الكريم هذا ممن نشأ بها وكان أبوه من جندھا الساكنين بها المتوطنين فيها وهو من قبيل كومية وكانت لمحمد هذا شجاعة وبسالة ظهرت له في مواطن كثيرة مع الاعراب وغيرهم وكان قد جمع لنفسه خيلاً ورجالا من الرعايا يضرب بهم على الاعراب المفسدة فيكف ضررهم واعتداءهم وعلم فناوہ واقدامه فقدمه الوالي على ذلك واطلق له يده فيمن عنده منهم في جميع الامور فكان يقبض ويقتل ولا يطلق من حبسه منهم الا بعد قبض الاموال الكثيرة منه واعطائه العهود والمواثيق على الكف عن العناد وعن الفساد فكانت العرب تهابه ولا تنتجع ارضا من ارضه الا باذنه فبعد صيته بذلك وسما قدره وحصل لامن به في تلك الجهات وكان يدعى له في المساجد في عقب الصلوات . واتفق ان قدم الشيخ ابو سعيد ابن الشيخ ابي حفص على افريقية من قبل المنصور فولى ابو سعيد على المهديہ اخاه ابا علي يونس بن ابي حفص . فلما وصل اليها واطلع على حال ابن عبد الكريم بها طالبه باسهامه فيما يغنمه من اموال العرب المفسدين فامتنع ابن عبد الكريم من ذلك وطلب من الشيخ ابي علي ان يجره على ما اجره عليه الولاة من قبله . فقبض الشيخ ابو علي عليه واهانه فبعث ابن عبد الكريم الى اخيه الشيخ ابي سعيد يستشفع فيه فاعرض الشيخ ابو سعيد عنه . وعظم بعد ذلك فساد العرب بالساحل وكثر التشكي منهم فالح الناس على الشيخ ابي علي في اطلاق ابن عبد الكريم وكادت تقوم بسبب ذلك فتته فاضطر الى اطلاقه ورد اليه جندہ الذين كانوا متميزين بصحبته وامره بالخروج لكف اولئك العربان من الفساد . فاغتم ابن عبد الكريم ذلك وخرج مبادرا وضرب اخيسته بظاهر المدينة واقام هنالك يومين الى ان اجتمع اليه من شكا اليهم بما فعله الشيخ ابو علي معه وعرفهم انه عازم على الغدر به ان وقعت منهم موافقة له فاجابوه الى ذلك وصوبوا له رايه فنهض بهم في ثلث الليل الاخير الى المهديہ . فلما فتح بابها دخل اليها بمن احب من جندہ وامر باغلاق البلب ثم بادر الى قصر الشيخ ابي علي وكان ابن عبد الكريم متلثما

سكوتهم وبادروا الى القطع فملأوها بما احتاجوا اليه وخرجوا واصطففت مساكن المسلمين على الساحل وعبد المومن يبكي ويسجد في الارض ويقول اللهم لا تضعمع دعائم الاسلام . ولما قرب اسطول الافرنج من دار الصناعة خرجت اليه من المهديّة قطعة لتلقاه فبادر ابن ميمون لاختذها وكان بعض اسطول الافرنج ايضا قد حط قلاعهم للدخول فاعجله اسطول المسلمين عن الدخول واستولى على ثمان قطع منه فاجتمع بقية الاسطول وولوا منهزمين . فسجد عبد المومن شكرا لله تعالى وفرق في غزاة الاسطول اثني عشر الف دينار مومنية . ويثس اهل المهديّة من النصرة فنزل اواخر ذي الحجة عشوة من فرسانهم فوقفوا بين يدي عبد المومن وسالوه الامان لمن بها في الانفس والاموال وان يسمح لهم بالخروج منها وكانت قوتهم قد فثيت . فعرض عليهم عبد المومن لاسلام فقالوا ما جئنا لهذا وانما جئنا لنطلب فضلك . وترددوا اليه اياما وقالوا ما عسى المهديّة وتس فيها من الافرنج الى ملكك العظيم وامرك الكبير وان انعمت علينا كنا ارقاءك في بلادنا . فرأى منهم كمالا في الاجسام وتوعدة في الكلام فاعطاهم ما ارادوا وجهزهم في سفن الى بلادهم وكان الفصل شتائيا فلما قربوا الى صقلية هال البحر عليهم فهلك اكثرهم . وتسلم عبد المومن المهديّة وعاد اليها لاسلام في يوم عاشوراء من سنة خمس وخمسين وخمسائة . ورغب الحسن الى الخليفة في ولايتها فاولى عليها ابا عبد الله محمد بن فرج الكومي واسكن الحسن زويلة فاقام بها عشر سنين الى ان توفي عبد المومن وولي ابنه ابو يعقوب يوسف فوصل امره بطولوع الحسن الى المغرب فطلع باهله وولده وحاشيته وذلك في سنة ست وستين وخمسائة فلما وصل الى الموضع المعروف بتمسانة توفي هنالك ببقعة تعرف بأبان وقبره هنالك وكانت وفاته في رجب من العام المذكور . ثم توفي ابو يعقوب وولي ابنه المنصور ابو يوسف فثار عليه بالمهديّة محمد بن عبد الكريم الرجراجي واستبد بنفسه وقبض على واليها اذ ذاك وهو الشيخ ابو علي يونس بن الشيخ ابي حفص وذلك سنة خمس وتسعين وخمسائة . وكان محمد بن عبد الكريم

اليه ويستصحب اعيانهم معه وكانت وقعت سطيف الذلتهم وكان اسطولهم في
 البحر سبعين مركبا قوادها محمد بن عبد العزيز بن ميعدون من البيت المشهور
 في قيادة البحر وابن الخراط وابو الحسن الشاطبي وغير هؤلاء ممن هو مثلهم
 في المعرفة والشهرة . وقال وعرض عبد المومن الاسلام على قن بتونس من
 اليهود والنصارى فمن اسلم سلم ومن ائتمنع قتل . ومن غير كلام ابن شداد
 ان عبد الله بن عبد المومن لما فعل به اهل تونس ما فعلوا حين نزل عليهم
 قبل هذا حلف ان يدخلها بالسيف ويقتل جميع من تقع عينه عليه من
 اهلها فامر الناس في هذه الحظرة ان يدخلوا دورهم ولا يخرج احد حتى
 يسمح النداء ليدخل عبد الله الى البلد فدخل وسيقه في يده فلم يلق الا
 شيخنا قتله وانصرف وقد برت يمينه . قال ابن شداد ثم توجه عبد المومن
 الى المهديّة فكان وصوله اليها صحوة يوم الاربعاء الثاني عشر لرجب وبها
 حينئذ اولاد ملوك الافرنج واباطاهم وقد اخلوا زويلته فزها عبد المومن
 بجملة من معه من خواصه ومن اهل الاسواق فعادت مدينة معبورة من
 يومها . واقبل الناس يقاتلون المهديّة مع الامام فلا يؤثر ذلك فيها لخصائنها
 وصيق ماخذ القتال منها لان البحر دائر باكثرها . وكان الافرنج يخرجون
 منها فينتهيون اطراف العسكر فامر عبد المومن ببناء سور بين عسكره
 والمدينة كي يمنعهم من الخروج . وركب عبد المومن في مركب ومعه الحسن
 ابن علي الذي كان اخرج منها وطاف بها من البحر فهاه امرها وعلم انها لا
 تقف بحال وليس لها الا مطاولة الحصار وتوقع الاقدار فصادى حصارها لها
 ستة اشهر . وقال عبد المومن للحسن ما الذي اخرج هذا المعقل من
 يدك فقال له اخرجته انتضاء لامد وعدم الثقة باحد فصدق عبد المومن
 واستحسن كلامه وكان الحسن فصيحاً معروفاً بذلك . ووصل من طائفة
 صقلية اسطول فيه مائة وخمسون مركبا غير الصغار فحضر مقدمو اسطول
 عبد المومن بين يديه فقالوا له ان هذا الاسطول قد اقبل وهو لا يصل
 الا متفرقا بحكم النوء فلناذن لنا في الخروج اليه فسكت عبد المومن فاغتموا

فزلزل عليها يوم السبت العاشر من جمادى الاولى من السنة المذكورة
 واتصلت لآخية من الحنايا الى خلق الوادي وقاين اهل تونس امرا عظيما
 وايقنوا بالهلاك واقام العسكر ثلاثة ايام لا يقاتلون فنزل الى عبد المومن اشياخ
 السلم من اهل تونس منهم بنو عبد السيد همر ومعاوية وعبد السيد ومنهم ابنا
 منصور اسماعيل وابن ميمه فتيق ومنهم الخارجي محمد وحمزة بن حمزة وعبد
 العزيز القمودي وغيرهم وكانوا اثني عشر رجلا فوصلوا الى عبد المومن وطلبوا
 العفو فاسعفوا به بعد مكابدة شديدة وامتناع عظيم من عبد المومن . ولما عفا
 من اهل تونس اشترط مسألتهم في انفسهم ومشاطرتهم في ربايعهم واموالهم كلها
 المحزون ما عدا ملبوس رقابهم وغير اهل تونس من قرأها وسائر بلادها يشاطرون
 في اموالهم وكذلك صاحب تونس علي بن احمد بن خراسان الا انه اشترط
 عليه الخروج من تونس والانتقال الى بجاية فوقع الشرط على ذلك وتسلم
 عبد المومن تونس واخرج ابن خراسان منها من يومه فمات في الطريق .
 واقلم عبد المومن بعد الفتح ثلاثة ايام ثسم ارتحل الى المهديّة وخلف
 بهوفس ابا محمد عبد السلام الكومي وعنه اشياخ من الموحدين لاستخلاص
 الاموال من تونس فوقع البحث عن اموالهم ودخلت دورهم فحمل جميع ما
 فيها وبيع ما امكن بيعه من ربايعهم واملاكهم وخرج الامناء الى سائر بلاد
 افريقية لمشاطرة الرعيّة في جميع ما بأيديهم حتى لم يبق من افريقية
 بقية الا معها ذلك . ومن تازينج ابن شداد قسال ان عبد المومن لما سار
 الى تونس بالجموع العظيمة كانوا يمرون بالزراع في الطرق الضيقة فلا
 يوفون شيئا منها وكانت هذه المحلة تمتد اميالا وكلهم يصلون الصلوات
 الخمس وراء امام واحد وتصكبيرة واحدة ولا يختلف احد منهم عن الصلاة
 كلها من كان . وكانت مقدمة هذه العساكر اثني عشر الفا قد كلوا بحفر
 الابار واستخراج المياه فكانوا يمتنون قبله بيومين فلا يبق الا وقد هيئت
 الغلات وملئت الحياض بالمياه ولولا هذا التدبير لم يقدو على قطع هذه
 المسافة البعيدة بهذه الجيوش العظيمة . وكان كلما مر بارض فيها عرب بادروا
 اليه

من يديه ليتساويا في ذلك فنزل عبد المومن الى بجاية والحسن معه
فاستولى عليها وعلى جميع مآلتها وذلك بعد مزيمته لساكر منهاجة بجبل
زيري واعان يحيى ايضا على نفسه بانهماكه في لذاته واهماله تدبير
دولته وتفويضه لامر غيره . فلما استولى عبد المومن على بجاية فر يحيى
ابن العزيز منها في البحر وكان مرامه التوجه الى بوننة والنفوذ من ذلك الى
بغداد لعله ان الخليفة العيدي بمصر ينقض عليهم الخلع لاول . فلما وصل
الى بوننة جعل المحارث يتافق منه ويؤنبه على اهمال الملك فخرج عنه
الى قسنطينة وبها اذ ذاك اخوه الحسن بن العزيز فآكروهم وتخلى له
عن الامر فاقام بقسنطينة يعمل رايه الى ان اناب الى الطاعة ودخل في
ايلة الموحدين ووصل الى الخليفة فآكروهم وانزله مع ابن عمه الحسن بن
علي . ثم كانت لعبد المومن على الغرب الواقعة المعروفة بوقية سطيف
هزم فيها طوائفهم وطلع الى المحصرة بجميع سن حكم عليه ومن جعلتهم
الحسن ويحيى فاسكنوا بمراكش في رفاحية ورزق جار . فلما كانت سنة
ثمان واربعين وخمسائة وصل الخليفة الى سلا واستصحب يحيى معه
فاسكنه بها في بعض قصور بني عشرة واقام بسلا الى ان مات هنالك ودفن
في مقابرها الجوفية مما يلي البحر . واما الحسن فانه اقام بمراكش الى
ان عاد عبد المومن اليها فلم يزل يغريه بالحركة الى افريقية ويحطمه على
استنقاذ المهديّة من ايدي النصارى الى ان تحرك اليها سنة اربع
وخمسين وخمسائة فافتتح تونس واذهب دولة بني خراسان منها . وقد كان
هند وصوله الى باجة عرض عسكري فكانت الخيل ازيد من مائة الف فارس
واما الرجال فما يحصون كثرة . فاقام بها ووجه الى اهل تونس بالتأمين
والعفو فلم يزدادوا الا عصيانا وكانوا قد قاتلوا ولده عبد الله قبل ذلك ومزقوا
جيشه وفعالوا فيه لافاعيل لما وصل الى محاصرتهم سنة اثنتين وخمسين
وخمسائة وانفصل منهم اسوء انفصال . فارتحل عبد المومن من باجة ونزل
على طبرنة واعاد عليهم الترغيب والترهيب فلم يثبثوا فارتحل الى تونس وكان

وانزله عنده فاقام هنالك اشهرًا وهو كاره في الاقامة لما يرى في عيني محرز
من السائمة فاحب الانتقال الى مصر واليهما اذ ذاك المحافظ عبد المجيد بن
محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن
القائم بن الهادي وباسمه كان الحسن يخطب في بلاده . فابتاع من تونس
مركبا اعدة لسفوه . فعلم جرجير بذلك فاعد له عشرين قطعة ترقب اقلاعه
فتتبعه وعلم بذلك الحسن فعدل عن السفر لمصر ونظر في التوجه الى الخليفة
عبد المومن بن علي بالغرب وانفذ كبار ولده يحيى وتيمما وعليما الى ابن عمه
يحيى بن العزيز صاحب بجاية وكتب له يستأذنه في الوصول الى
حضرته وان يكون توجهه الى عبد المومن من بعد اجتماعه به . فتلقى
بنيه ميمون بن حمدون وزير يحيى احسن تلقى وكتب لهم على لسان
يحيى الى الحسن بالتوجه على ما جرى عليه والتخريض على الوصول
والعدول عما خطر بباله من قصد غيره . فاعلم الحسن محرز بن زياد بما كتب
اليه ابن عمه فاشار عليه بالتنكيب عنه وان يتوجه حيثما احب فهو
خير له منه فلم يقطع الحسن وتوجه الى بجاية . فلما قرب منها ندب يحيى
وزيره الى لقاء الحسن فامتنع عن ذلك ثم امر اخاه قائد بن العزيز بالخروج
الى لقائه مع مشيخة البلد وان يعدلوا به عن بجاية الى الجزائر فيكون
مقامه بها ففعل اخوه ذلك وانزله هو واولاده بمدينة الجزائر في امكنة لا
تليق بهم واجرى عليهم جرايات لا تكفيهم وامر ميمونا بمراعاة احوال الحسن
ومنعه من السفر والكتب الى الخليفة عبد المومن بن علي لما توقعه من
استعانة عبد المومن به في اخذ بجاية فبولغ في التشديد عليه في ذلك . واقام
ساكنًا بها الى ان نزل عبد المومن من المغرب الاوسط وقد تغلب على جميع
بلاد الغرب الاقصى وجميع جزيرة الاندلس وذلك عام سبعة واربعين
 وخمسمائة فتغلب على مليانة والجزائر فاجتمع به الحسن هناك وسار اليه
وهو بمدينة متيجة . فاقبل عبد المومن عليه وقربه اليه واستصحبه معه
وجعل الحسن يغريه باخذ بجاية حسدا لابن عمه ورغبة في خروج الملك

من

من صفير إلا وقد وفد عليه جرجير المذكور في ثلاثمائة مركب للأفرنج فارسي على بعد من المهديّة وكانت الريح قد منعتهم من الدخول الى المرسى فارسل الى الحسن يخادعه ويذكر له انه انما وصل لطلب عسكر يستعين به على اهل قابس ليوليها ابن راشد . هذا فيما سلف من هذا التقييد وقد بينا سبب خروجه من قابس . فعلم الحسن ان هذه مخادعة الى ان تنهيا له ريح يدخل بها وانه لم يصل إلا بعد علمه بخلاء المهديّة من العسكر وقد كان الغلاء المتوالي على افريقية اضعف اكثر جند الحسن واهلك خيلهم ومع ذلك فكانت بقية العسكر في محاربة ابن خراسان صاحب تونس عضدا لمحرز بن زياد الفارسي صاحب المعلقة فعزم الحسن على تسليم المهديّة للنصارى وامر في الحين بالزحيل عنها وخرج من القصر بما خف معه ومن امكنه من اهله وولده وحشمه وتبعه الناس فارين بما قدروا عليه من اهل ومال وولد وجرى عليهم في هذه الضيقة ما لم يكونوا يقدرونه . وذكر ابن شداد من كلام الحسن عند خروجه - سلامة المسلمين من القتل والاسر - خيالي من الملك والقصر - وبقي لاسطول على طاهر البحر لا يمكنه الدخول الى البلاد بسبب الريح الى الساعة السابعة من حين وصوله ثم لانت الريح فدخل ووجد المهديّة خالية فتملكها دون مدافع . ووجد جرجير قصر الحسن على حاله لم يحمل الحسن معه إلا ما خف له فرأى فيه من الذخائر الملوكة ما هاله وتحكم على ذلك كله . وامر ان ينادى في المهديتين فارتفع النهب منهما واخرج جميع النصارى من المهديتين فانزلهم فيما بينهما في مضاربهم واخبيتهم فكان سن بقي بالمهديّة احسن حالا ممن فر منها في دنياه فان الفارين لقوا من المشقة وعدم الماء ما اهلك اكثرهم الى ان تداركهم جرجير فبعث لهم خيلا يعلمونهم بالامان فرجعوا الى بلدهم وفرق عليهم مالا وطعاما اقترضهم اياه فصاحت احوالهم واغتبط الناس بالمهديّة لما راوا من مدد النصارى فعمرت احسن عمارة . واما الحسن بن علي فانه سار الى عسكرة الذي قدمنا انه كان في نصرة محرز بن زياد فلقيه محرز بالبر واكرمهم

لا الخزون . ثم اقلع جميع الاسطول حين علم عجزه عن استنقاذ اصحابه
وليثوا بعدهم والقتل يحققهم والنار تحرقهم . الى ان استاصلوا عن آخرهم
ركبهم الختف على جباههم ومناخرهم . وجرى امر هذا العدو المخذول من
اوله الى اخره وفاتحته الى اخره ما قاله سبحانه - يا ايها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها -
فالحمد لله الذي ايد للاسلام ونصرة . واعلاء واطهرة . واباد الشرك ودمره .
واذله وادحره . ولما اقلع الاسطول الى صقلية خائبا خاسرا غاظ روجار ذلك ثم
اتفق باثرة ان وصل اسطول المثلث من الغرب وقائده محمد بن ميمون المذكور
قبل فعث في بلاد روجار وقتل وحمل نساءها سبيا الى بلاده وكان روجار كلما
وصل اسطول من المغرب الى بلاده نسبه الى الحسن فعزم العزم الصمم على
غزو المهديّة وأنشأ في ظاهر الامر بينه وبين الحسن صلحا وفي نفسه ما
فيها لتتم خديعته ويتمكن من مراده . وكان بين الحسن وبين ابن عمه يحيى
ابن العز بن باديس بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد صاحب
بجاية من المخالفة ما اوجب ان يبعث يحيى في هذه المدة لمحاصرتهم
بالمهديّة اسطولا في البحر وجيشا في البر قائدة مطرف بن علي بن حمدون
الفقيه فحصر المهديّة برا وبحرا ونزل مطرف بن علي بجيشه بظاهر زويلة
فاستمد الحسن روجار فامده باسطوله فلم مطرف بذلك فارتحل عن المهديّة
مسرعا . وكان لروجار جواسيس بالمهديّة فكتبوا اليه يعلمونه ان بمرساها
مراكب قد استوفت وسقها فامر جرجيرا قائد الاسطول المتوجه للنصرة
بالمهجم عليها واخذها ففعل ذلك غدرا وحملها الى صقلية . ثم هجم بعد
ذلك على مرسى المهديّة فاخذ منه مركبا كان الحسن قد احتفل فيه وشحنه
بذخائر ملوكية ليوجه بها الى المحافظ العبيدي صاحب مصر وكان ذلك
الركب يسمى بنصف الدنيا . ولم يزل يوالي الغزو عليه باساطيله والقدم
عليها جرجير المذكور وهو العارف بالمهديّة حاضرة وبادية الى ان دخلت
سنة ثلاث واربعين وخمسمائة فلم يشعر الحسن صباح يوم الاثنين الثاني
من

ونابت في اهلاكهم مناب زرق لاسنة وببيض الشفار . وكان روجار قد رام
 اخفاء كيدة ومكره . بتمع السفن تسفر الى نواحي سواحل المسلمين وحصرة .
 فسقط الى الساحل مركب من جملة اسطوله يعرفنا من ركابه صورة امرة .
 وما يسر الله سبحانه وتعالى من تشيت شمله ونثره . ولم نكن قبل ذلك
 مهملين لما يقتضيه هذا الحادث من التاهب والاستعداد . واستضافة الاجناد
 الى الاجناد . فاستظهرنا باستقدام قبائل العرب المطيفة بنا فاقبلوا افواجا
 افواجا . وجاء وهجيرا السيل يتلج اعتلاجا . ويتدفق امواجا . وكلهم على
 نيات في الجهاد خالصة . وعزائم غير رابطة من مواقف الموت ولانا كصة .
 ووصل لاسطول المخدول بمن اسلمه السوق الى حد الحسام . وتحطاه الفرق
 فنجوا من الحمام الى الحمام . ونزلوا على عشرة اميال من المهديّة بجزيرة
 هنالك ذات احساء بينها وبين البحر مجاز متداني البرين . قريب ما
 بين الشطين . هين مرانهم . سهل على الفارس والراجل خوضه واقتحامه .
 فتسرع اليهم من جنودنا . ومن انضاف اليهم من العرب المنجدة لنا . طائفة
 اوسعت اداء الله طعنا وضربا . وملأت قلوبهم خوفا ورعبا . فلما عاينوا ما
 نزل بهم انزلوا عن ظهور مراكبهم . ما كان ابقاء الفرق من افراسهم . وكانوا
 نحو خمسمائة فرس وطنوا انهم ان امتطوا متونها مستسلمين . وصدوا بها
 جيوش المسلمين . امكنهم بها انتهاز فرصة فاكذب الله طنونهم وخيب
 امالهم . وجعل الدائرة عليهم لا لهم . وخامرهم من الرعب الذي نصر الله
 به المسلمين . وخذل به المشركين . ما ولوا منه ادبارهم يرون الهزيمة
 غنيمته والهروب غلبا . وتركوا كثيرا من خيلهم واساحتهم نهبا مقتسما . وفيما
 مغتما . واتفق في مدة مقام هذا الاسطول بالجزيرة ان رجلا من طغاة العرب
 ومردتهم دعا فساد دينهم . وضعف يقينهم . ان اغتال لهم قصرا على المجاز
 المذكور شديد الامتناع فحصل به منهم زهاء مائة عالج . وتسربت العرب اليهم
 من كل فج . فجردنا من خيلنا بن تولى امرة . وباشر حصرة . اذ كانت العرب
 لا تباشر مثل هذا وانما تعرف الحصر لا الحصون . ويعظم غناؤها بالسهول

بقصر الديماس وحصل به زهاء مائة منهم باعانة بعض العرب لهم على ذلك لما مناهم به عبد الرحمن وصاحبه وقد كان وجار امرهما بذلك من النزول بجزيرة الاحاسي والتكيل في اخذ قصر الديماس بتطبيع العرب ثم يكون الزحف من هنالك في البر بالرجال والحيل الى المهدية . فلما كان اليوم الرابع اجتمع المسلمون وخرجوا من المدينة وكبروا تكبيرة راعت سن في الجزيرة فظنوا انهم داخلون اليهم فانهزموا الى مراكزهم وقتلوا بايديهم كثيرا من خيلهم ودخل المسلمون الجزيرة وليس بها احد منهم فوجدوا فيها خيلا وآلات واسلحة اعجلهم العرب عن حملها واحاطوا اغائة بقصر الديماس يقاتلونهم والاسطول في البحر يعاين ذلك ولا يستطيع اغائة سن في القصر لكثرة ما اجتمع في البر من عساكر المسلمين . فلما علموا انهم غير قادرين على استنقاذ سن في القصر اقلعوا عائدين الى صقلية واقام المسلمون يقاتلون سن حصل بقصر الديماس منهم الى ان اشتد عليهم الحصار وفي ماوهم وطعامهم فخرجوا منه ليلة الاربعاء الرابع عشر من جمادى الاخرى فتخطفتهم سيوف الاعراب فقتلوا عن آخرهم . وهي الحسن بهذا الفتخ ولم يدر ما تحت طية من المحنة التي خصت وعتت المسلمين بسببه . وكتبت عنه في ذلك كتابا الى سائر الجهات منها كتاب يقول في بعض فصوله - وان صاحب صقلية ليج في طغيان غيه . واستمر على عدوانه وبغيه . وحمله سوء تدبيرة . وفساد تقديرة . على احتضام جانب الاسلام . وتوهم ان ذلك سهل الملتصم قريب المرام . فاستجاش وحشد . واستغزر واستمد . ولما استتبث له في ظنه امورة وكمل تدبيرة . الذي كان فيه تدميرة . سير اسطوله نحو المهدية حماها الله في نحو من ثلاثمائة مركب حمل على ظهرها ثلاثون الف راكب وزهاء الف فارس وكان اقلعاه في طالع مقارن للنخوس . قاض عليه باذلاف الاموال والنفوس . فمن اول ما انشاه الله فيه من صنعه الجميل . واطهره من عنايته التي لا يردى حقها بغير الشكر الجزيل . ان ارسل عليهم ريحا صيرت جميعهم الى التيار . وواصلتهم برد الماء حر النار . ونابت

ونابث في اهلاكهم مناب زرق لاسنة وبيض الشفار . وكان روجار قد رام
 اخفاء كيدة ومكره . بمع السفن تسفر الى نواحي سواحل المسلمين وحصرة .
 فسقط الى الساحل مركب من جملة اسطوله يعرفنا من ركابه صورة امرة .
 وما يسر الله سبحانه وتعالى من تثنيت شمله ونثرة . ولم تكن قبل ذلك
 مهملين لما يقتضيه هذا الحادث من التاهب والاستعداد . واستضافة الاجناد
 الى الاجناد . فاستظهرنا باستقدام قبائل العرب المطيفة بنا فاقبلوا افواجا
 افواجا . وجاء وهجيرا السيل يتلج اعتلاجا . ويتدفق امواجا . وكلهم على
 نيات في الجهاد خالصة . وعزائم غير راهبة من مواقف الموت ولانا كمة .
 ووصل لاسطول المخدول بمن اسلمه السرق الى حد الحسام . وتخطاه الغرق
 فنجبا من الحمام الى الحمام . ونزلوا على عشرة اميال من المهديتة بجزيرة
 هنالك ذات احساء بينها وبين البحر مجاز متداني البرين . قريب ما
 بين الشطين . هين مرانهم . سهل على الفارس والراجل خوضه واقتحامه .
 فتسرع اليهم من جندنا . وتن انضاف اليهم من العرب المنجدة لنا . طائفة
 اوسعت اداء الله طعنا وضربا . وملات قلوبهم خوفا ورعبا . فلما عاينوا ما
 نزل بهم انزلوا عن ظهور مراكبهم . ما كان ابقاه الغرق من افراسهم . وكانوا
 نحو خمسمائة فرس ووطنوا انهم ان امتطوا متونها مستسلمين . وصدمو بها
 جيوش المسلمين . امكنهم بها انتهاز فرصة فاكذب الله طنونهم وخيب
 امالهم . وجعل الدائرة عليهم لا لهم . وخامرهم من الرعب الذي نصر الله
 به المسلمين . وخذل به المشركين . ما ولوا منه ادبارهم يرون الهزيمة
 غيمة والهرب غلبا . وتركوا كثيرا من خيلهم واساحتهم نهبا مقتسما . وفيما
 مغتما . واتفق في مدة مقام هذا الاسطول بالجزيرة ان رجلا من طغاة العرب
 ومردتهم دعاه فساد دينه . وضعف يقينه . ان اغتال لهم قصرا على المجاز
 المذكور شديد الامتناع فحصل به منهم زهاء مائة عالج . وتسربت العرب اليهم
 من كل فج . فجردنا من خيلنا سن تولى امرة . وباشر حصرة . اذ كانت العرب
 لا تباشر مثل هذا وانما تعرف الحصن لا الحصون . ويعظم غناها بالسهول

بقصر الديماس وحصل به زهاء مائة منهم باعانة بعض العرب لهم على ذلك لما مناهم به عبد الرحمن وصاحبه وقد كان روجار امرها بذلك من النزول بجزيرة لاهاسي والتخيل في اخذ قصر الديماس بتطبيع العرب ثم يكون الزحف من هنالك في البر بالرجال والتخيل الى المهديّة . فلما كان اليوم الرابع اجتمع المسلمون وخرجوا من المدينة وكبروا تكبيرة راعت سن في الجزيرة فظنوا انهم داخلون اليهم فانهزموا الى مراكبهم وقتلوا بايديهم كثيرا من خيلهم ودخل المسلمون الجزيرة وليس بها احد منهم فوجدوا فيها خيلا وآلات واسلحة اعجلهم العرب عن حملها واحاطوا اغاثة بقصر الديماس يقاتلونهم والاسطول في البحر يعاين ذلك ولا يستطيع اغاثة سن في القصر لكثرة ما اجتمع في البر من عساكر المسلمين . فلما علوا انهم غير قادرين على استنقاذ سن في القصر اقلعوا عاندين الى صقلية واقام المسلمون يقاتلون سن حصل بقصر الديماس منهم الى ان اشتد عليهم الحصار وفي ماوهم وطعامهم فخرجوا منه ليلة الاربعاء الرابع عشر من جمادى الاخرى فخطفتهم سيوف لاعراب فقتلوا عن آخرهم . وهني الحسن بهذا الفتح ولم يدر ما تحت طيه من المحنة التي خصت وعت المسلمين بسببه . وكتبت عنه في ذلك كتابا الى سائر الجهات منها كتاب يقول في بعض فصوله - وان صاحب صقلية ليج في طغيان غيه . واستمر على عدوانه وبغيه . وحمله سوء تدبيرة . وفساد تقديرة . على احتضام جانب الاسلام . وتوهم ان ذلك سهل المتمس قريب المرام . فاستجاش وحشد . واستغزر واستمد . ولما استتبت له في ظنه اموره وكمل تدبيرة . الذي كان فيه تدميره . سير اسطوله نحو المهديّة حماها الله في نحو من ثلاثمائة مركب حمل على ظهرها ثلاثون الف راكب وزهاء الف فارس وكان اقلاءه في طالع مقارن للكوس . قاض عليه بالثلاث الاموال والنفوس . فمن اول ما انشاه الله فيه من صنعه الجميل . واطهره من غنايته التي لا يودى حقها بغير الشكر الجزيل . ان ارسل عليهم ريحا صيرت جميعهم الى التيار . وواصلتهم برد الماء حر النار . وثابت

وأعددت للاعداء كل مصمم يسير اليهم قاصدا وهو اسود
 كمثل الرواسي منعة غير انها على ثبح ادماء تردى وتسلج
 كان القنا والنبل في جنباتها سبال باكتاف الهضاب وعوسج
 يعيد مضي الجو اقمم حالكا دخان لظى من ناراها يتوهج
 اذا نصصت من السن لهيئة بمارج نار يستقل ويعرج
 رايت صلا لا اخرجت من جهنم تحرق اكباد العداة وتنضج
 ثم ولي بعده ابنه الحسن فكانت امير المثلثين بالمغرب علي بن يوسف
 ابن تاشفين واتفق باثر ذلك ان وصل اسطول علي بن يوسف مع قائده
 علي بن ميمون الى بلاد روجار فاستفتح منها حصونا وسبى منها سبايا كثيرة .
 فلم يشك النصراني ان الباعث لعلي بن يوسف انما هو الحسن فاستجاش
 من قبله وحشد اجنادة ومقاتليه وبالغ في كتم امره بنوع السفر الى سواحل
 المسلمين ولم يخف من الحسن مقصده وخشي ان يطرق بلاده دون تاهب
 له فامر بانخاذ الاسلحة وتشديد الاسوار واستقدام القبائل من العرب
 وغيرهم للجهاد فوصلت الحشود اليه من كل جهة ونزلت لاعراب بظاهر
 المهديّة . فلما كان يوم السبت لحسن بقين من جمادى الاولى سنة تسع
 عشرة وخمسمائة وصل اسطول روجار الى المهديّة فارصى بالجزيرة المعروفة
 هنالك بجزيرة الاحاسي وهي على عشرة اميال من المهديّة ونزل قائدة
 عبد الرحمن وجرجير الى الجزيرة وضربت لهما ولمقدمي لافرنج مضارب
 هنالك وكان وصولهم آخر النهار فخرج منهم الى البر تلك الليلة خلق
 كثير وانبطوا حتى بعدوا عن البحر اميالا ثم عادوا الى الجزيرة ووصل
 القانندان في اليوم الثاني في البحر في بعض قطعهما الى المهديّة فطافا بها
 وانتهيا الى ساحل زويلة فهالهما ما رايا بالاسوار والسواحل من الناس
 وانصرفا عائدين الى الجزيرة فوجدا طائفة من العرب ومن لاجناد قد دخلوا
 اليها وكشفوا عن كان بها من الروم عن مواضعهم وقتلوا منهم قوما وانتهبوا بعض
 اسلحتهم . فلما كان في اليوم الثالث تمكن النصارى من القصر المعروف

فقلت ان الذي مات في هذا التاريخ هو تميم . فولي ابنه يحيى فكان ما
حدث في ايامه من الاسباب المؤدية الى تغلب النصارى على المهديّة
التغلب الثاني الذي ادى الى انقراض دولة منهاجته منها ان نصرانيا
اسمه جرجير بن فلان الانطاكي كان قد هاجر من المشرق الى تميم وكان
قد عرف لسان العرب وبرع في الحساب وتهذب بالشام بانطاكية وغيرها
فحكمه تميم في دخله وخرجه وجعل مصاريف الاموال لنظره فصارت اموال
المسلمين كلها في يده ويد اقاربه وكان للاتباع فيه من الاموال . فلما مات
تميم خاف هذا النصراني من يحيى فخطب روجار صاحب صقلية واعلمه
انه يحب الانتقال اليه فوجه روجار اليه قطعة اظهرت انها وصلت في
رسالة فخرج هذا النصراني واقاربه في جمعة عند اجتماع الناس للصلاة
وتزيوا بزى البحر يمين فطلعوا اليها وتم لهم امرهم فلم يفتن الناس لهم الا وقد
اقلعوا ولما وصلوا الى صقلية حكمهم عبد الرحمن النصراني صاحب اشغالها
في الجبايات فنصحوا وظهروا . واحتاج روجار ان يوجه رسولا الى مصر فاشار
عليه عبد الرحمن بجرجير هذا فارسله فنصح واقبل بذخائر ملكية حظي بها
مند روجار . ثم مات يحيى بن تميم بالمهديّة سنة تسع وخمسمائة وولي
بعده ابنه علي بن يحيى ف وقعت الوحشة بينه وبين روجار بسبب سفينة
اشاها رافع بن مكن بن كامل بقابس حيث منع منها علي فاستنصر رافع
بروجار ف وقعت المقاتلة بين اسطول علي واسطوله بسببها وقد تقدم ذكر
ذلك مستوفى عند ذكرنا لقابس . ووصل باثر ذلك رسول روجار الى علي
يقضي اموالا كانت تنقفت له بالمهديّة وكان علي عند تلك الوحشة قد
امسك وكلاءه فسرّحهم له علي ووجههم اليه بامواله فلما وصلت اليه وجه
رسولا ثانيا بكاتبة فيها اغلاط وتهديد وتنصير على العادة واساءة في الادب
فانغضب ذلك عليا وصرف رسوله دون جواب . وبلغ عليا ان النصراني يتهدده
ويوصده فامر باستجداد الاساطيل والاستعداد لقتاله فانشا اسطولا قويّا
انفس الناس به ومدحتهم الشعراء بسببه فقال محمد بن بشير من قصيدة له -
واعدت

شاعوا منهم واحرقوا بالنار وكانت عند المراكب التي وردت النصارى فيها ثلاثمائة قطعة تشتمل على ثلاثين الف مقاتل . قال ابو الصلت وكسفت الشمس في هذا العام بيرج لاسد وهو طالع تخطيط المهدي كسوفاً كلياً فجرى بها هذا الواقع بآثر ذلك . قال وكان من اعظم الاسباب فيه مع قضاء الله الذي لا يرد ومشيئته التي لا تدفع غيبة عسكر السلطان عن المهدي ومفاجأة الروم دون استعداد لهم واخذ اهبته للقائهم وخلو كافة الناس من الاسلحة والعدد وقصر لاسوار وتهديمها وتكذيب تنعيم مع ذلك بما يرد عليه من اخبار النصارى وسوء رأي فلان متولي تدبير البلد اذ ذاك في المنع من الخروج اليهم ولقائهم في الماء فتركوا الى ان نزلوا في البر فكان من تغلبهم على المهديتين وعيشتهم فيهما ما هو مشهور معلوم . قال ولما تنعيم الى القصر المعروف بقصر المهدي وهو قصر حصين فاقام به الى ان وقع الصلح بينه وبينهم على مائة الف دينار تدفع لهم ويقلعون بما حصل في ايديهم من المسلمين فدفعت لهم واقبلوا باموال المسلمين ونسائهم وابنائهم قال ولقد استوفى وصف ذلك ابو الحسن بن محمد الحداد في قصيدة طويلة اولها -
انى بلم الخيال او يقف وبين اجفاننا نوى قنق
ويقول فيها -

غزا حمانا العدو في عدد هم الربا كثرة او النصف
عشرون الفا ونصفها ائتلفوا من كل اوب لبئسما ائتلفوا
جاءوا على غرة الى نعر قد جهلوا في الحرب ما عرفوا
وهم من العيش في بلهية وليس للدهر اعين طرف
فايقظوا من سنات غفلتهم لهم عيوننا اجفانها وظف
في سفن كالجمال ليس لها إلا من السم والطبا شغف
هبت رخاء رياحها فجرت كما اشتها وهي عندنا نصف
فان ونث في الهبوب حركها مجادف كالصلال تلتقف
واقام تنعيم بعد ذلك بالمهديّة الى ان مات بها سنة احدى وخمسمائة .

بخفائره فقالوا له انك قد اعظمت التحامل علينا في خفارة مثل المعز وتركنا
 له عظيم والفائدة في اخذه كبيرة فلا تمنعنا منه فلم يزل يوافقهم ويراجعهم
 الى ان خلص المعز وصاحبه الفضل ابن ابي علي ودخل المهديّة . ويقال
 انه كان قد اخرج بعض قطعه البحرية وسيرها في البحر محاذية له خوفا
 مما عساه ان يعرض له في طريقه فلما لحقه الاعراب كما قدمنا ناداه
 ارباب المركب البحري بالبدار اليهم ليلتحق بهم ويحتم بالبحر من اولئك
 الاعراب فلح في السير وابتدأ من الدخول اليهم انفة منه وجلدا الى ان خلص
 وحصل بالمهديّة ودخلها وهو خائف من ولده تميم ان يقبض عليه . فخرج
 تميم للقائه وترجل وقبل الارض بين يديه ومشى امامه ولم يزل في خدمته
 وبرة الى ان مات المعز سنة اربع وخمسين فحينئذ استبد تميم بالملك . وغلبه
 الاعراب على امره فلم يكن له الا حمايته لاسوار بلاده سوى انه كان في
 بعض الاحايين يخالف فريقا من الاعراب فيجد السيل بذلك الى الخروج
 لقتال من يقصده وحصار من يثور عليه ببلد من بلاده . وقد قدمنا ان حمو
 ابن مليل البرغواطى ثار عليه بصفاقس واستبد بها واراد الوصول الى المهديّة
 لمحاصرتها فخرج تميم للقائه فالتقيا بظاهر المهديّة فهزموه تميم وعاد حمو
 الى صفاقس خائبا فاتبعه تميم ابنه يحيى فحاصره بصفاقس واستوفينا ذلك
 مند ذكرنا صفاقس . ولما كانت سنة ست وسبعين واربعائة وصل لحصارة
 ابراهيم بن محمد الثائر بقابس ومعه جمع عظيم من الاعراب اميرهم ملك بن
 علوي الصخري فنزلوا على المهديّة فارسل تميم الى احلافه من الاعراب
 اموالا فهاجموا على مسكر ابراهيم وخرج تميم بمن معه من جنده فهاجم عليه
 من الجهة الاخرى فانهمز ابراهيم هزيمة فاحشة ورجع ابراهيم الى قابس
 وفر ابن علوي الى القيروان فتوجه اليه تميم ومن معه من الاعراب فحاصروه
 بها الى ان خرج منها تحت الليل هاربا ثم عاد تميم الى المهديّة . فلما
 كانت سنة ثمانين واربعائة وقع ما وقع من نزول اهل بيس وجنوة من
 النصارى على المهديّة فاستولوا عليها وعلى زويلة وسبوا اهلها وقتلوا من
 شاعروا

صبرة دار ملكهم الى ان انتقلوا الى مصر بتغلب المعز ابنه عليها سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فصيروا ولاية افرقية الى زيري بن مناد الصنهاجي فسكنها هو وبنوه الى ان خالف المعز بن باديس على بني عبيد وصرح على المنابر بلعنهم وذلك سنة اربع واربعين واربعمائة فجهز اليه وزيرهم المعروف بالبازوري الاعراب الذين غلبوه على امرة واخذوا اكثر بلاده من يده . فلما رأى المعز اختلال الاحوال وتغلب الاعراب على البلاد وان صبرة لا تحصنه منهم بنى على الانتقال الى المهدية فولى ابنه تيمما عليها وذلك في سنة خمس واربعين واربعمائة وجعل ينقل اليها اهله وذخائره شيئا فشيئا وقبدا كان رجاله وخاصته حذروه من تولية ابنه تميم وخوفوه من ان يستبد بنفسه ويمتنع بالمهدية على ابيه المعز فلم يسمع منهم . ووصل تميم الى المهدية فوجد بها عبيدا لابيه كانوا هنالك لضبطها وقد قويت شوكتهم وبين عبيده وبينهم فتنة ومنازعة فبينما هم في ذلك اذ دخل عليه شاعره محمد بن حبيب القلانسي فانشده قصيدة منها —

السيف يسبق قبل الحادث العذلا لا تعمد السيف حتى تعمد السفلا
نقل مدائنك من دنيا لاخرة فكلهم ظن هذا الملك منتقلا
فحركه لآبادة اولئك العبيد فأطلق عليهم ايدي العامة فقتلوا اكثرهم وفرس
بقي منهم الى المعز بصبرة فاتبعهم تميم طائفة من الاعراب لحقوهم قبل وصولهم الى صبرة فقتلوهم اجمعين وبلغ المعز ذلك فقوي في نفسه ما كان يذكر له من تميم من الاستبداد والاستيثار بما حصل لديه من الذخائر ولكنه لم يجد بدا من مداراته ولاغضائه له عن فعلته هذه . فلما كانت سنة تسع واربعين واربعمائة توجه المعز الى المهدية في خفارة رجلين من العرب قد كان صاهرهما ببنتيه يعرف احدهما بالفضل بن ابي علي وهو مرداسي ويعرف الاخر بفارس بن ابي الغيث توجهوا اليه فاستخرجاه من صبرة سرا واحص باقي الاعراب بخروجه فالحقوه في اثناء الطريق فواقفهم فارس بن ابي الغيث في جماعة من قومه وجعل ينبههم على الاستخفاف

زراعة فهذا ما ذكره في صفتها وصبرة هذه غير صبرة التي بالقيروان فانها محدثة بناها بنو عبيد وكانت تسمى بالمنصورة . قال ثم انصرف فوجهه عمرو الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فامرهم برد الجيش وقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول افريقية مفرقة لاهلها غير مجمعة ماوها قياس لا يشربه احد الا افتقرت كلتهم فامر عمرو العسكر بالرجوع الى مصر . قال فلما استشهد عمر رضي الله تعالى عنه واستخلف عثمان رضي الله عنه ولي عبد الله بن ابي سرح مصر وعزل عنها عمرو بن العاصي وكانت ولاية عبد الله سنته ست وعشرين وكان المسلمون يغيرون على اطراف افريقية فيغنمون وكتب عبد الله الى عثمان رضي الله عنه يعلمه بذلك فجمع عثمان رضي الله عنه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم اجمعين واستشارهم في ذلك فاشاروا عليه بغزوها فندب الناس لذلك فسارعوا . وخرج المهاجرون الاولون وخرج عبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الله بن عمر ومروان بن الحكم ومن سائر قبائل العرب واجمع المسلمون على السير وذلك في سنة سبع وعشرين . فجمع عثمان رضي الله عنه الناس وخطبهم وقال في خطبته بعد ان حمد الله عز وجل واثنى عليه اما بعد فاني قد مهدت الى عبد الله بن سعد ان يحسن الى محسنكم ويتجاوز عن مسيئكم وان يرفق بكم ولا قوة الا بالله وقد استعملت عليكم الحارث بن عبد الحكم حتى تقدموا الى عبد الله . فلما قدموا عليه خرج بمن كان معه وبتن قدم عليه فكانوا عشرين الفا فسار يقدم الطلائع امامه حتى بلغ طرابلس وقد اجتمع سن بها من الروم فكرة عبد الله ان يشتغل بها عما قصد اليه من امر افريقية فامر الناس بالرحيل واقبلت مراكب حتى ارسى بالساحل فشد عليها المسلمون ففر كل سن كان فيها الى الماء فاخذ المسلمون جميع سن كان في الفن فكانت اول غنيمة بافريقية . وقد كان المنصور بنى سور صبرة وجعل فيها قصرا لنفسه فكان انتقاله اليها سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وذلك اصل تسمية صبرة بالمنصورية ولم تزل صبرة

أن احب النهوض بنفسه فمنعه اولياؤه منه فتوجهت جيوشه الى سوسة
 وكان ما تجمع لابي يزيد من الجند لمحصار المدينة حسبما قدمنا قبل هذا
 مائة الف خص يسكن في الحص الواحد من الثلاثة اشخاص فصاعدا
 وكان جيش المنصور البري اربعمائة فارس لا يزيد على ذلك فهجموا على
 عسكر ابي يزيد في يوم كثير الغيم واطلقوا النار في مجتمع حطب كان هنالك
 فتطاير شرره الى اخصاص ابي يزيد فاظلم الجو وتخاذل البربر فانهزموا
 واسلوا ابا يزيد فقتل من اتباعه ام كثيرة وتوجه ابو يزيد منهزما الى
 القيروان فلم يقبلوه وقتلوا جماعة من اصحابه فهرب منهم وخرج المنصور من
 المهدية في طلبه بشجاعة نوه بها المورخون فلم يزل يهزمه ويقتفي اثره
 الى ان اخذه جريحا في جبل كئامه وذلك في المحرم من سنة ست
 وثلاثين وثلاثمائة فسلخ جلده وجعل فيه ما ملأه حتى صار صورة هائلة
 وطيف به من جبال صنهاجة بالغرب الارسط الى المهدية ثم صلب بها
 الى ان مزقه الرياح بعد ان مزق شمل العالم في البلاد وكان يبيع دم
 المسلمين ويستحل الفروج ويفعل في الراحة اشد مما يفعل في دار الحرب .
 ولما تم للمنصور امرة ولم يبق له سن ينازعه احب الانتقال من المهدية
 الى مدينة صبرة وهي ملاصقة للقيروان قال ابن الشباط لم يكن بافريقية
 مدينة اعظم من صبرة قال ذكر بعض المورخين ان عمرو بن العاصي
 رحمه الله غزا طرابلس بعد ان افتتح برقة وانه لما علم سن بها من الروم
 قدومه استغاثوا بقبائل من البربر يقال لهم نفوسة وكانوا قد دخلوا في دين
 النصارى فاقام عليهم عمرو حتى افتتحها ثم وجه عبد الله ابن الزبير الى صبرة
 فبالغ في حصار اهلها وقتل كثيرا من ابطالها فلما راوا ذلك لجأوا الى مراكزهم
 وشحنوها بما عندهم وقصدوا صقلية وتركوا المدينة خالية فجمع لها عبد
 الله سن معه من المسلمين واحرقوها قال ابن الشباط وعلى هذا فصفتها التي
 كانت عليها قد تغيرت . وقد ذكرها الطبري رحمه الله حين ذكر الطريق
 من طرابلس الى قابس قال فمن طرابلس الى صبرة وهو بلد معمر تسكنه

جماعة من اصحابه فلما رآه الكتاميون انهزموا من غير قتال ولجأوا الى المهديّة فدخلوا اليها ووصل ابو يزيد في اثرهم الى ان اشرف على المهديّة فاحب نقل اخبيته الى موضعه ذلك فاشار عليه اصحابه بالرجوع الى معسكره وان تكون اقامته به الى ان يستقضي الامور فرجع اليه واقام هنالك اياما ثم انتقل منه وزحف الى المهديّة فوصل الى خندقها واقتحم الماء بمن معه فوصل الماء الى صدور خيلهم وجيوش القائم هنالك متقهقرة منه ووصل ابو يزيد بنفسه في تلك الخطرة الى مصلى المهديّة فلم يبق بينه وبين المهديّة الا رمية سهم حسبما انذر به المهدي عند بناء سورها . فلما وى الناس ذلك لم يشكوا في تغلبه على المهديّة فاجتمعوا الى القائم وعظموا عليه الامر وسالوه الخروج الى ابي يزيد فقال لهم انه قد بلغ اقصى غايته ولن يتجاوزها ولن يجزن الله وعده ثم قال لبعض ممن بين يديه اصعد الى السور فاذا رايت ابا يزيد انتقل عن مكانه من المصلى فاشر لنا باشارة نعرف ذلك بها ففعل الرجل ما امر به ولما اشار لهم قال لهم القائم ابشروا فلن يعود ابو يزيد الى مكانه ذلك ابدا وانتقل ابو يزيد الى الموضع المعروف بترنوط وهو على خمسة اميال من المهديّة فعسكر هنالك واتصل حصاره لها فقتل بين الفريقين في ذلك على توالي الايام ام لا تحصي اكثرها من جيوش القائم . وذكر البكري ان في كتاب الحدائق - اذا ربط الخارجى خيله بترنوط لم يبق لاهل السواد محلول ولا مربوط - اهل السواد اهل الساحل . قال وفيه ايضا - ويل لاهل السواد من محلة ابن كيداد - ويقال من مخذل ابن كيداد . ولما طال على براز ابي يزيد المقام وستموا التغرب عن بلادهم وتحققوا تحصن المهديّة واتناعها عنهم انفصلوا عن ابي يزيد باجمعهم فلم يبق معه الا طوائف من هواره وزناته فحينئذ اقلع عن المهديّة وذلك في صفر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة . ومات القائم في اخر هذه السنة وابو يزيد محاصر لسوسة وقد قدمنا ذلك قبل هذا فولي بعده ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور فبادر بانفاذ جيش بري وجيش بحري الى ابي يزيد بعد ان

أن احب النهوض بنفسه فمنعه اوليائه منه فتوجهت جيوشه الى سوسة
 وكان ما تجمع لابي يزيد من الجند لحصار المدينة حسبما قدمنا قبل هذا
 مائة الف خص يسكن في الحص الواحد من الثلاثة اشخاص فصاعدا
 وكان جيش المنصور البري اربعمائة فارس لا يزيد على ذلك فهجموا على
 عسكر ابي يزيد في يوم كثير الغيم واطلقوا النار في مجتمع حطب كان هنالك
 فتطاير شرره الى اخصاص ابي يزيد فاظمم الحرج وتخاذل البربر فانهمزموا
 واسلخوا ابا يزيد فقتل من اتباعه امم كثيرة وتوجه ابو يزيد منهزما الى
 القيروان فلم يقبلوه وقتلوا جماعة من اصحابه فهرب منهم وخرج المنصور من
 المهدية في طلبه بشجاعة نوه بها المورخون فلم يزل يهزمه ويقتفي اثره
 الى أن اخذه جريحا في جبل كئامه وذلك في المحرم من سنة ست
 وثلاثين وثلاثمائة فسلخ جلده وجعل فيه ما ملأه حتى صار صورة هائلة
 وطيف به من جبال صنهاجة بالغرب الاوسط الى المهدية ثم صلب بها
 الى أن مزقه الرياح بعد أن مزق شمل العالم في البلاد وكان يبيع دم
 المسلمين ويستحل الفروج ويقفل في الراحة اشد مما يفعل في دار الحرب .
 ولما تم للمنصور امره ولم يبق له سن ينازعه احب الانتقال من المهدية
 الى مدينة صبرة وهي ملاصقة للقيروان قال ابن الشباط لم يكن بافريقية
 مدينة اعظم من صبرة قال ذكر بعض المورخين أن عمرو بن العاصي
 رحمه الله غزا طرابلس بعد أن افتتح برقة وأنه لما علم سن بها من الروم
 قدومه استغاثوا بقبائل من البربر يقال لهم نفوسة وكانوا قد دخلوا في دين
 النصارى فاقام عليهم عمرو حتى اختطها ثم وجه عبد الله ابن الزبير الى صبرة
 فبالغ في حصار أهلها وقتل كثيرا من أبطالها فلما راوا ذلك لجأوا الى مراكزهم
 وشحنوها بما عندهم وقصدوا صقلية وتركوا المدينة خالية فجمع لها عبد
 الله سن معه من المسلمين واحرقوها قال ابن الشباط وعلى هذا فصفتها التي
 كانت عليها قد تغيرت . وقد ذكرها الطبري رحمه الله حين ذكر الطريق
 من طرابلس الى قابس قال فمن طرابلس الى صبرة وهو بلد معمر تسكنه

جماعة من اصحابه فلما رآه الكتاميون انهزموا من غير قتال ولجأوا الى المهديّة فدخلوا اليها ووصل ابو يزيد في اثرهم الى ان اشرف على المهديّة فلحّب نقل اخبيته الى موضعه ذلك فاشار عليه اصحابه بالرجوع الى معسكرة وان تكون اقامته به الى ان يستقضي الامور فرجع اليه واقام هنالك اياما ثم انتقل منه وزحف الى المهديّة فوصل الى خندقها واقتحم الماء بمن معه فوصل الماء الى صدور خيلهم وجيوش القائم هنالك متقهقرة عنه ووصل ابو يزيد بنفسه في تلك الخطرة الى مصلى المهديّة فلم يبق بينه وبين المهديّة الا رمية سهم حسبا انذر به المهدي عند بناء سورها . فلما رأى الناس ذلك لم يشكوا في تغلبه على المهديّة فاجتمعوا الى القائم وعظموا عليه الامر وسالوه الخروج الى ابي يزيد فقال لهم انه قد بلغ اقصى غايته ولن يتجاوزها ولينجزن الله وعده ثم قال لبعض ممن بين يديه اصعد الى السور فاذا رايت ابا يزيد انتقل عن مكانه من المصلى فاشر لنا باشارة نعرف ذلك بها ففعل الرجل ما امر به ولما اشار لهم قال لهم القائم ابشروا فلن يعود ابو يزيد الى مكانه ذلك ابدا وانتقل ابو يزيد الى الموضع المعروف بترنوط وهو على خمسة اميال من المهديّة فعسكر هنالك واتصل حصارة لها فقتل بين الفريقين في ذلك على توالي الايام ام لا تحصي اكثرها من جيوش القائم . وذكر البكري ان في كتاب الحدائق - اذا ربط الخارجي خيله بترنوط لم يبق لاهل السواد محلول ولا مربوط - اهل السواد اهل الساحل . قال وفيه ايضا - ويل لاهل السواد من محلة ابن كيداد - ويقال من مخذل ابن كيداد . ولما طال على براز ابي يزيد المقام وسموا الثغوب عن بلادهم وتحققوا تحصن المهديّة وامتناعها عنهم انفصلوا عن ابي يزيد باجمعهم فلم يبق معه الا طوائف من هواره وزناتة فحينئذ اقلع عن المهديّة وذلك في صفر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة . ومات القائم في اخر هذه السنة وابو يزيد محاصر لسوسة وقد قدمنا ذلك قبل هذا فولي بعده ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور فبادر بانفاذ جيش بري وجيش بحري الى ابي يزيد بعد ان

أن أحب النهوض بنفسه فمنعه أوليائه منه فتوجهت جيوشه الى سوسة
 وكان ما تجمع لابي يزيد من الجند لحصار المدينة حسبما قدمنا قبل هذا
 مائة الف خص يسكن في الحص الواحد من الثلاثة اشخاص فصاعداً
 وكان جيش المنصور البري اربعمائة فارس لا يزيد على ذلك فهجموا على
 عسكر ابي يزيد في يوم كثير الغيم واطلقوا النار في مجتمع حطب كان هنالك
 فتطاير شرره الى اخصاص ابي يزيد فاظلم الجو وتخاذل البربر فانهمزوا
 واسلخوا ابا يزيد فقتل من اتباعه ام كثيرة وتوجه ابو يزيد منهزماً الى
 القيروان فلم يقبلوه وقتلوا جماعة من اصحابه فهرب منهم وخرج المنصور من
 المهدية في طلبه بشجاعة نوه بها المورخون فلم يزل يهزمه ويقتفي اثره
 الى ان اخذه جريحا في جبل كتامة وذلك في المحرم من سنة ست
 وثلاثين وثلاثمائة فسلخ جلده وجعل فيه ما ملأه حتى صار صورة هائلة
 وطيف به من جبال صنهاجة بالمغرب الاوسط الى المهدية ثم صلب بها
 الى ان مزقه الرياح بعد ان مزق شمل العالم في البلاد وكان يبيع دم
 المسلمين ويستحل الفروج ويفعل في الراحة اشد مما يفعل في دار الحرب .
 ولما تم للمنصور امره ولم يبق له سن ينازعه احب الانتقال من المهدية
 الى مدينة صبرة وهي ملاصقة للقيروان قال ابن الشباط لم يكن بافريقية
 مدينة اعظم من صبرة قال ذكر بعض المورخين ان عمرو بن العاصي
 رحمه الله غزا طرابلس بعد ان افتتح برقة وانه لما علم سن بها من الروم
 قدومه استغاثوا بقبائل من البربر يقال لهم نفوسة وكانوا قد دخلوا في دين
 النصارى فاقام عليهم عمرو حتى افتتحها ثم وجه عبد الله ابن الزبير الى صبرة
 فبالغ في حصار اهلها وقتل كثيرا من ابطالها فلما راوا ذلك لجأوا الى مراكبهم
 وشحنوها بما عندهم وقصدوا مقلية وتركوا المدينة خالية فجمع لها عبد
 الله سن معه من المسلمين واحرقوها قال ابن الشباط وعلى هذا فصفتها التي
 كانت عليها قد تغيرت . وقد ذكرها الطبري رحمه الله حين ذكر الطريق
 من طرابلس الى قابس قال فمن طرابلس الى صبرة وهو بلد معمر تسكنه

جماعة من اصحابه فلما رآه الكتاميون انهزموا من غير قتال ولجأوا الى المهديّة فدخلوا اليها ووصل ابو يزيد في اثرهم الى ان اشرف على المهديّة فاحسب نقل اخبيته الى موضعه ذلك فاشار عليه اصحابه بالرجوع الى معسكره وان تكون اقامته به الى ان يستقضي الامور فرجع اليه واقام هنالك اياما ثم انتقل منه وزحف الى المهديّة فوصل الى خندقها واقتحم الماء بمن معه فوصل الماء الى صدور خيلهم وجيوش القائم هنالك متقهقرة عنه ووصل ابو يزيد بنفسه في تلك الخطرة الى مصلى المهديّة فلم يبق بينه وبين المهديّة الا رمية سهم حسبا انذر به المهدي عند بناء سورها . فلما وى الناس ذلك لم يشكوا في تغلبه على المهديّة فاجتمعوا الى القائم وعظموا عليه الامر وسالوه الخروج الى ابي يزيد فقال لهم انه قد بلغ اقصى غايته ولن يتجاوزها ولنجزن الله وعده ثم قال لبعض ممن بين يديه اصعد الى السور فاذا رايت ابا يزيد انتقل عن مكانه من المصلى فاشر لنا باشارة نعرف ذلك بها ففعل الرجل ما امر به ولما اشار لهم قال لهم القائم ابشروا فلن يعود ابو يزيد الى مكانه ذلك ابدا وانتقل ابو يزيد الى الموضع المعروف بترنوط وهو على خمسة اميال من المهديّة فعسكر هنالك واتصل حصاره لها فقتل بين الفريقين في ذلك على توالي الايام ام لا تحصي اكثرها من جيوش القائم . وذكر البكري ان في كتاب المحدثان - اذا ربط الخارجي خيله بترنوط لم يبق لاهل السواد محلول ولا مربوط - اهل السواد اهل الساحل . قال وفيه ايضا - ويل لاهل السواد من محلة ابن كيداد - ويقال من مخلد ابن كيداد . ولما طال على براز ابي يزيد المقام وستموا التغرب عن بلادهم وتحققوا تحصن المهديّة وامتناعها عنهم انفصلوا عن ابي يزيد باجمعهم فلم يبق معه الا طوائف من هواره وزناتة فحينئذ اقلع عن المهديّة وذلك في صفر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة . ومات القائم في اخر هذه السنة وابو يزيد محاصر لسوسة وقد قدمنا ذلك قبل هذا فولي بعده ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور فبادر بانفاذ جيش بري وجيش بحري الى ابي يزيد بعد ان

وإدار بها خنادق متسعة تجتمع بها مياه الأمطار فكانت كالربص لمدينة
المهدية . وقد كان العزيز بن باديس جعل عليها سورا عند دخول العرب إلى
أرض أفریقیة سنة أربع وأربعين وأربعمائة وقد خربت هذه المدينة لأن
فلم يبق لها اثر وكان بخارجها الحمى المعروف بحمى زويلة وكان كله
جناث وبساتين بسائر الثمار وأنواع الفواكه فافسده العرب . وأقام المهدي
ساكنا بالمهدية مدة حياته ثم مات بها سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة
فكان جملة إقامته بها تسع عشرة سنة وتولى ابنه أبو القاسم القائم وفي
آخر دولته ثار عليه أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري وسيأتي أن شاء الله
في الفصل الثاني من الباب السادس في دولة العبيديين الفاطميين
إيضاح نسبه وتاريخ بناء المهدية مع طرف من خلاف بين هذا الذي
نقلته من التجاني وبين ما يأتي وكل مهديته على سن نقل عنه وقد تقدم
طرف من حروبه معه . فما زال يفتح المدن ويخرب البلاد إلى أن افتتح
القيروان وهزم جيش القائم لأعظم وأقبل يريد حصار المهدية وكتب إلى
أهل البلاد الداخلين تحت طاعته يستنفرهم لحصار المهدية وذلك سنة
ثلاث وثلاثين وثلاثمائة . فعلم القائم بذلك فأمر بحفر خندق حول أرباض
المهدية وزويلة ووصل أبو يزيد في جيوشه فأحاط بالمهدية وكان مسكوه
بموضع بخربة جميل على أميال قريبة منها فكانت خيله تصل إلى أرباضها
فتقتل وتنهب فاجأ جميع الناس إلى المهدية وأخلوا أرباضها . وأبصر القائم
ذات يوم غرة من أبي يزيد لتفرق جيشه للنهب فأخرج طائفة من جنده
الكتاميين وغيرهم فقصدها أبا يزيد وسبق الخبر بذلك إلى أبي يزيد فوافق
وصول ابنه فضل إليه بجميع عظيم من ضريسه فأمرهم بلبائهم وأن يكف
عن قتالهم ما كفوا عنه فإن أبوا إلا قتاله وجه إليه من يعلمه بذلك فالتقوا
بالموضع المعروف بسوق الأحد وهو فيما بين المهدية ومعسكر أبي يزيد وسطا
فأبى الكتاميون إلا قتال فضل فوجه إلى أبيه يعلمه بذلك فركب أبو يزيد
من حينه بجميع تهن معه فوافاهم وهم يقتتلون وقد هزم ابنه فضل وقتل

وحاولوا تركيبه صعب عليهم فتحه واغلاقه فلم تكن المائدة من الرجال
تحركه فامر المهدي ان يكون مداره على الزجاج فهان امره وعاد الرجل
الواحد يتولى منه ما كانت المائدة تعجز عنه فعجب كل الناس من فطنة
المهدي وغوص فكرته وامر المهدي بحفر موسى المدينة وكان حجرا صلدا
فنقر نقرا وجعله حصنا لمراكبه الحربية واقام على فم هذا المرسى سلسلة
يرفع احد طرفيها عند مرور السفن ثم تعاد كما كانت تحصينا للمرسى من
طروق مراكب الروم وابتنى دار الصناعة وهي من عجائب الدنيا ثم شرع
في حفر الاهراء بداخل المدينة وبناء الجباب والمصانع واختزن لاهراء بالطعام
وملا الجباب بالماء ثم امر بحفظها ولم تفتح الا في ايام ابي يزيد ولولا ذلك
لما اطاقوا المحصار وكان اتساع المهدية في اول بنائها من الجوف الى القبلة
قدر غلوة سهم فاستصغرها المهدي عند ذلك فردم من البحر مقدارها وادخله
في المدينة فانسعت . والجامع الاعظم لان والدار المعروفة في القديم بدار
الحسابات من جملة ما رد من البحر . واخذ عبيد الله في بناء قصوره بها
فبنى قصرة الكبير المعروف به الذي كان به طيقان الذهب وبنى ابنه ابو
القاسم بازائه قصرة المعروف به ايضا وفيها فسحة وبشرق قصر عبيد الله
حيث كان هي دار الصناعة لان ولما كمل سور المهدية وقصورها اراد عبيد
الله الانتقال اليها فثقل ذلك على اوليائه وجنده وصعب عليهم استبدالهم
بالموضع الذي استوطنوه فقال لهم ان صعب ذلك عليكم فنحن ننتقل ونترككم
ههنا ونجري عليكم لارزاق والصلوات وعما قليل ستنتقلون الينا مسارعين .
قال المورخون فلم يكن بعد ذلك الا زمن يسير حتى ارسل الله السماء
بامطار غزيرة اخرجت مساكن رقادة وهدمت دورها واهلكت خلقا عظيما
من اهلها فخرج الناس في الاخبية وكتبوا الى المهدي يسألونه الانتقال
الى المهدية فاجابهم الى ذلك فانتقلوا اليها وتمت عمارتها وانزل المهدي
جنده وخاصته فيها وابتنى لعامة الناس المدينة الاخرى المسماة بزويلته
وهي احدى المهديتين وبينهما قدر غلوة سهم وجعل لاسواق والفنادق بها
وادار

على قرطاجنة وغيرها ومر على جميع السواحل يرتاد موصعا على ساحل البحر
يتخذ فيه مدينة تحصنه وتحصن بنيه من بعده وقد كان عنده علم
حدثاني بقيام قائم على ذريته فاقام يلتمس ذلك مدة فلم يجد موصعا
احسن ولا اجصن من موضع المهدي فبناها هنالك وجعلها دار مملكته قال
وكان اول ما ابني منها سورها الغربي الذي فيه ابوابها وعند ما وضع اول
حجر منه وهو حاصر امر ناشبا كان بين يديه ان يوتر سهمها ويقف على
ذلك الحجر ويرمي ففعل الرامي ذلك فاتتهى السهم الى المصلى ووقع قائما
على نصله فقال المهدي الى ذلك الموضع ينتهي صاحب الحجار يعني ابا
يزيد فقدر ان وصل ابو يزيد الى ذلك الموضع ولم يتجاوزة . قال معلم
الفتيان في تاريخه وامر المهدي بقياس المسافة التي سقط عنها السهم فكانت
مائتي ذراع وثلاثا وثلاثين ذراعا فقال المهدي هذا منتهى ما تقيم المهديته
في ايدينا من السنين . قال ولما تم بناء السور هناك اولياؤه بذلك فقال
لهم ان جميع ما ترون انما عمل لساعة واحدة يعني ساعة وصول امي يزيد
الى المهديته . قال وكان يقف على فرسه فيامر الصناع بما يصنعون قال
وامر بباب الحديد للمدينة فجعل صفائح مصمتة ثم اثبت فيها المسامير
فبقيت تثقل فقال للصناع ما نندكم في هذا فقالوا لا ندرى فامرهم بتسميرها
ثم امر بايقاد النار تحت الباب حتى التهب واتصلت المسامير بالصفائح
فعدت كلها قطعة واحدة فكان ذلك ما عد من معارف المهدي وهذا
تعصب ممن نقله وادنى معرفة الصناع ان يعرفوا هذا القدر ولما تم الباب
على هذه الصفة احب اختبار وزنه فاجمعوا على انه لا سبيل الى ذلك
لا فرط ثقله فامرهم ان يضعوا احد مصراعيه على ظهر سفينة ففعلوا
ذلك ونظر الى منتهى غوص السفينة في الماء ثم انزل وشحن السفينة
بالرمل والحجارة الى ان وصل الماء منتهى ما وصل اولوا واستخرج الرمل
منها ووزن على كرات فكان زنة كل مصراع منهما مائة قنطار وفي كثير من
نسخ المورخين الف قنطار وكذا حكى ابو عبيد في المسالك . ولما علموا قدره

كتابكم اهدى من الوجد ما اهدى فلا تحسبوا اني نقصت لكم هذا
 سرى لي بسر منه عرف معروف افاد بمسراة الصباية والوجد
 حبابي بحب سيد فيه ماجد به شرف الله السيادة والمجد
 نسيم الصبا بالله سر بتحيته فضعت بها من شكره المسك والندا
 وحيي بها عبد الاله على النوى وادرج له اثناءها الفكر والحمد
 كاني به لما جرى البين بيننا ومد حجاب البعد ما بيننا مدا
 يقول جفا او مل او مال او سلى وحال عن لاخلاص او نسي الودا
 غرامي غرامي بالحبيب وان ناي وحيي له حي دنالي او صدا
 واني لمشتاق اليك وصاير اذا لم اجد مما اكابده بدا
 اذا خطرت ذكره يوما بخاطري وجدت لحر الشوق في اثرها بردا
 الا نعمة منكم تبرد باطمني فان قلبي من اليم النوى وقدا
 الا موعد منكم يعطل مهمتي فارتاح للثيا واستنجز الوعدا
 لئن جاءني يوما بشير بقر بكم وهبت له نفسي واهون بها نقدا
 واني لاستجدي وداك انسه اجل نفيس والافاضل تستجدا
 واني لاستهدي سلامك جالبا بمعناه انسي والاكلام تستهدا
 واني لاستدعي جوابك راغبنا ليتمح باب القرب من بعد ما سدا
 لقد صعب لاصحاب عهدي ولا نوى وانت بظاهر الغيب تحفظ لي الودا
 ساشكركم شكر الرياض لسحبها وانظم فيكم من حلى مجدكم عقدا
 واجهد في شكري تهجدكم مسى بختلكم ان تقبلوا مني الجهدا
 ومن المدن التي تاهت في الاسلام وكانت مقر لاحكام مدينة المهديّة
 قسالة العجاني دخلتها فاذا هي مدينة جليل قدرها شهير في قواعد الاسلام
 ذكرها وهي من بناء عبید الله المهدي اول خلفاء العبيديين واليه تنسب
 وكان ابتداء بنائه لها سنة ثلاث وثلاثمائة ولما اكمل بناءها امن بزعمه على
 الفاطميت . قال ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم بن الرقيق في كتابه
 خرج عبید الله المهدي بنفسه في سنة ثلاثمائة الى مدينة تونس فاجتاز
 على

الفقيه ابي جمد الله محمد بن ابي بكر بن ابي زكرياء البلوي تهتمس
تجديد الوداد وتأكيد الاعتقاد فكتبت اليهما في الجواب وجعتهما معا في
الخطاب —

ان لم تقص بدمائها اجفاني لفراق تن اهوى فما اجفاني
او لم اواصل ذكر اخواني فتد اصبحت معدودا من الخوان
من مبلغ عني السلو بان لي في الحب قلبا عند ذي سلوان
عندي لاحكام الوداد شريعة اضحى القضي بحكمها كالداني
لا ارتضي الا الوفاء طريقته ما الغدر من خلقي ولا من شاني
ولئن نسيت فلست انسى صاحبا يصل التذكر لي ولا ينساني
خلي الذي عزت به هواره عزى بصحبته على اخواني
تن قد صرفت اليه وجه مودتي وصرفت لخطي من غل وفلان
ذا المنزع لاحلى الذي اجرى به في الناس حالته على ميزاني
ذات قد اختصت بكل فضيلة فاخصها بالفكر كل لسان
يسدي تقضله الى اخوانه ويعد فيه الفصل للاخوان
كم خصني من نصحه بفوائد اهدى الي حليها فهمداني
ولكم اiban لي الحقائق فكمه فاقام صورتها مقام عياني
ولقد اتاني من لدنه على النوى كتب اتاني الانس حين اتاني
قد وقيت فيه البلاغة حقه ما بين الفاظ وبين معاني
جمع الصنعة والصناعة مازجا تبين احسان بحسن بيان
ورابت في اقصى الصحيفة اسطرا الفن بين الحسن والاحسان
من ماجد اسدى الي اياديا مالي بواجب شكرهن يدان
جاءت تقرر من كريم وداده ما حل من قلبي اجل مكان
لما قرأت خطاياها ففهمته ناديت والسراء ملء جناني
قد الختني بالوداد بنو ابسي ابراد فخر يا بني تجسان
قال ولما وصلتهما قيصدي المذكورة راجعني الهواري بقوله من نظمه —

أكلها عن مجاورها فيجشها حاد من حرها الاصلاح تنصف
خلالها زفرة تشتد طالعسة تكلا من حرها الاصلاح تنصف
علم اليقين بانني ان صحبتكم اردى وشيكا ولم يمهلي التلطف
فقلت ما صحبتة دان تصرفها بعدي بفرقة وقت ما له طرف
وفي رجوعي رجاء لا بقاء له ارجو حصول التلاقي حين تنصرف
فاخار مبدك بعدا بعده صلته على اتصال ببعد الدهر يكثف
فانظر بعين اعتبار ما اثبت به يقيم لي العذر في عليك والنصف
وانت كقائلة اقوام ذوي غرض يردهم قصدهم عن بعض ما عرفوا
فقال التجاني ومما كاتني به صاحبنا الفقيه المتصرف الفاضل ابو عبد
الله محمد بن عبد الله المعروف بالهوارى -

ومن السعادة وصل خل صالح من كل فعل سيء ينهاني
سن لي بخل كان يونس وحشيتي ويومني بالبشر اذ يلقاني
صاحبتهم في الله احسن صحبتة فشكرت منه كل ما اولاني
ورأيت منه توددا ومحبة فضائل زادت على الحساب
لا غرو ان حاز الكمال فانما وقف الكمال على بني تجمان
كم زهرة في روضته سمحت به فرايت بستانا لدى بستان
فوداده عندي نظير دائهم وثنائوه غص بكل اوان
امقدم الالباء دون منازع وسلالة الحسباء والاعيان
واجل خبر قد سما في مصرنا بالعلم والاداب والانتقان
قد جاءني منكم كتاب سرني بالبشر والترحيب اذ هياني
اني لاحي اذ سمعت بذكركم فيميتني شوقي اذا احياني
ولربما ادمي جفوني ذكركم فاحال قلبي فاض من احساني
فالله يجمع شملنا بلقائكم ويزيدكم بالعمو والغفران
وعليكم مني سلام دائهم متعطر ما اهتز فغن البسان
فقال وكان تحت هذه القصيدة اسطر في مخاطبتي بخط صاحبنا
الفقيه

لاحظى بحظ من رويك مقنص واني اذا ما نلت ذاك لغانم
 احن اذا ما مر ذكرك خاطرا بقلبي كما حنت نياق روائهم
 صلى الله ان يدني اياك عاجلا فيحسم هذا البعد والين حاسم
 ومما يسلي النفس انك مودع بحيث تحاماك الخطوب الهواجم
 وتن يك بالولى العاد اعتلاقه فقد نكبت عنه الدواهي الرواسم
 همام توقاه لاسود مهاجرت وتحمس كفيه البهور الخصارم
 عماد بني الدنيا ومولاهم الذي يصادر عنه من عدا ويصارم
 من آل بني حفص الذي قد غدا به حمى الدين في امن وذل المراسم
 حمى حوزة لاسلام قدما بعزمه فعزت له بالله تلك الغرائم
 لقد شمت تلك الربوع بماجد نعمته الى العليا جود كرائم
 يقاسمه في ماله كل مجتهد وليس له في مجده من يقاسم
 كريم اذا ما السحب صنت بقطرها حلیم اذا ما خف بالحلم راقم
 يرى البخل صيانا اذا سال سائل كان عطاية فروض لسوانم
 يذكر يوم الجود والروع حاتمنا وعمرنا ومن مرور لديه وحاتم
 حوى قصب العلياء والغاية التي يرى كل خلق دونه وهو حاكم
 فمن كاي يحيى ندى وشجاعة اذا امت عافت ودارت ملاحم
 هو الجود حتى لو تخلف مجتهد لسارت اليه من يديه الكرام
 لقد غاب من ترشيش اذ غاب انسها ولاحت من لاشواق ما لا تنادم
 تغير منها كل حسن واصبحت يلوح لها وجه من الشوق قسام
 حياة ابي يحيى حياة بني الدنيا وعازاة من كل خصب مواسم
 فلا زال في عز وسعد جدد تقابله لا ينام وهي خسوادم
 ودام على مر الليالي وكرها ينادي بجييا للمنى وينسادم
 قال التجاني وما انشده في مخدونا الفقيه ابو ابراهيم ابن حسينة —
 سخي بنسفي من ايثار صحبتكم يوم الوداع وما لي منكم خلف
 الا فوادا خطيرا حل في شرك ودعته مثل منهل الحيا تكف

يفيء عليها الظل كل عشيته
 بأعظم من شوقي لرويته التي
 لقد طال هذا البعد واشتطت النوى
 إذا ما تذكرت الليالي التي مضت
 أحن لسرى البرق من نحو أرضكم
 وكم هيبت شوقي سواجع أيكسة
 أطارحها رجع المحسين صبابته
 فيا ليت شعري هل يعود بقر بكم
 ويا حبذا دهر قضى باجتماعنا
 بحيث قطعنا العيش وهو مهنا
 وكم قد أدركنا أكوس المن والمنى
 فهل مبلغ ذلك السرور الذي مضى
 إذا جعلته عطر الجو عرفه
 سقى الله صوب الزمن أعلام دمر
 ولا زال مطور الثرا مخصب الذرا
 إذا السحب أذرى فوقه الدمع أصبحت
 وما طلبي سقيا إلا رعيايته
 ومن أجل من حل الحمى يذكر الحمى
 فيا نائبا عني ومثواه في الحشا
 إلى م نوى لا يستطيع احتماله
 إلا زورة تهدي الشفاء على النوى
 ومن لي باللقيا ودون منالها
 أروح وأغدو والصبا متنسّم
 وكم لي على بعد النوى من تحية
 فيا ليتني طارت بكوري على النوى

لا حظي

تذكر هذا قد تقاضى نعيمه كان لياليه المواضي موائسهم
 غلا في صمان الله قلبي فقد غدا يشب عليه من لظى الشوق جاحم
 وبالنفس اذدي جيرة قد تحملسوا فلا القلب مزاج ولا الجفن نائم
 فلوا فنى صبر المقيم اثمهم واي اضطبار بعد حب يلانم
 سورا يقطعون اليد والليل عاصف كانهم فيه نجم موائسهم
 على كل فتلاء الذراعين جيرة سواك لديها سهلها والخيام
 تباري عليها القفر جدا كانما قوائمها عند النجاء قوام
 جدلية لالباء موثوقة القوى سليمة ما نيطت اليه القوائم
 ويا قاتل الله الطي وانما نالت بلعاءي الطي الرواسم
 لقد خلفوا من بعدهم ذا صبابته يروح ويغدو وهو باق وحائم
 اذا ما جرى ذكر العقيق جرت له دموع حكمت لون العقيق سواجم
 فينا جيرة الوادي قراء ميسم تعدى عليه الدهر والدهر حاكم
 لعندكم اني على العهد ثابت اذا صيع العهد القديم مصارم
 واني على رعي الذمام محافظ واني على حفظ الروداد مداوم
 ويا من مع الترحال تحمل كيرة على بعد ما ينوى قلاص سوامم
 لك الله مون والنجاح مرافق وبلغت في دنياك ما انت رائم
 تحمل رعاك الله مني تحببته كما انشق عن زهر الرياض كرائم
 تصرع في وسط النداء كانما تنشق مسكا من شذاها المرائم
 وان حرت مجتازا باربع دمسر ولاحت به للعين منك المعالم
 فخص بهما عني شقيقي واني بحكم النوى والبعد فيه لرغمم
 وصف ما الاقي بعده من تشسوق ووجدت تدند منه الحيزان
 تمطر لاشواق لي فكانهم وما طبياض احرم الفيط لدثهمسا
 اذا لاح برق في غمان سمسابة فمن لما يلتاح منه شوائسهم
 رات نطلة زرقاء في قلب صخرة ممنعة قد غادرتها الحمائسهم

أولهم ، وأمنه خيرا وأقرا جليلا . وإلا فائق عزمه مما أمه ورده الى وطنهم
 ردا جديلا . وأنتم له أجله حتى يستثنى ذلك له في الوقت الذي توهم
 فيه الغوائل . وتتساوى في تهوين صعوبته وتسهيل حزنوته لا وأخو
 ولا وائل والكبر والاصائل . فسانت ياربنا تعلم ما للسلام . ولامة سيدنا محمد
 نبيك عليه افضل الصلاة والسلام . في نظره السديد المبارك السعيد من
 الخير التام والصلاح العام . وناهيك به من دعاء تنزه به عن السمعة والرياء .
 ورفعت به لا يدي الى رافع السماء . وختم بالحمد لله رب العالمين .
 والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين • قال التجاني
 وحضرنا بغمراسن عيد الاضحى ونحن بحالة قد غاب عنها السرور بأسره .
 فقطعنائه ولا اعياد بن عباد في أسره . واستهل بعده شهر المحرم من عام سبعة
 وسبعمئة قال وفي أوائل هذا الشهر وصل الينا الخبر بقتل ملك المغرب أبي
 يعقوب المريني على يد احد فتيانه ثم قتل ولده أبو سالم ثم قتل أخوه أبو
 يحيى واستقر الملك لحفيده أبي ثابت عامر بن عبد الله وكان قتل أبي
 يعقوب على ما تحقق من الكتب الواصلة من هنالك في تاسع قعدة من
 هلم ستة وسبعمئة وقتل ابنه أبو سالم بعده بأيام يسيرة وكذلك أخوه أبو
 يحيى وانتقل أبو ثابت الى مدينة فاس بعد ان سلم مدينة تلمسان
 الجديدة لابني زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن بن زيان المحصور بتلمسان
 القديمة في أكثر ولاية أبي يعقوب . قال التجاني وفي هذا الشهر كتب
 الى شقيقي أبو العباس أحمد التجاني بهذه القصيدة الفريدة من نظمته -
 لامل الحمى أصبوا وان جد لائس وانني على ورد به الدهر حائس
 وما القلب خال من هوى ساكن النوى وان أقفرت منهم واقوت معالم
 علي لهم جفن من الدمع متزعزع وقلب على حكم الصبابة هائس
 حمى الله قلبي كم يحسن الى الحمى ويطرب عهدا للولا التقياسم
 يحسن اشتياقا او يثن صبابته اذا لاح ضحاك من البرق باسم
 وان غردت ورقاء في فسق الدجى يميل بها فغن من لايك ناعس
 تذكر

والنور تسري إلينا من محاسنه انفس ند ولكن دون انفسه
 بالله هي على ناد تبسواه سن للندى في يديه سحب ارزاق
 فكل طمرت بقرب منه فلفسي بالسن الورق في لاوراق اشواق
 ولتسالي لي وعدا باللقاء عسى وعبد التلاقي يجلي ما انا لاق
 وقبلي يا نجم لافق راحتهم مني فبين الدراري قدرها الرائي
 يا راحلين وقلبي راحل معهم عني وان كان لي جسم هنا باق
 لولا رجاء التداني لم اعش زمنا فردا ولا وصفت بالصبر اخلاقي
 عسى الليالي التي بالبعد قد حكمت يجلي دجها من اللثيا باشواق
 لله رفعة مولى قد علقت بمسا اولت من النعمة العظمى باعلاقي
 تضمنت ذكر مملوك والسود من مالك لهما بالفصل سباق
 فالامن واليمن ولاقبال ما بقيت دنياهما لهما من اجله باق
 واتصل بهذا النظم من الشر - يا ايها الملاء اني القى الي كتاب كريم -
 وياشكري لايايدي اني لا ابرح عن شكر هذه اليد ولا اريم . وسن لي ان
 اقوم بواجب حقها . او استطيع السلوك في لاحب طرقها . وهي يد خطتها
 يد اعلى الله قدرها . فما يقدر احد ان يقدرها قدرها . تصول بالقلم والحسام .
 وتصرف على لايايم كصرف الغمام بالنعم الجسم . ولما وصلت العبد احرف
 مولاة . واولة واولى ولده سن لا والد ولا ولد له من التشريف بذكرهما فيها
 ما اولاه . لم يجد لها كفا . ولا عملا مرضيا . الا تصرعا الى سن تمد اليه ايدي
 الرغبات . وتستعد من فضله المنح الجزيلة من الهبات . فقلت اللهم يا
 ارحم الراحمين . اجلني على السلام على تلك العزة واستسلام تلك اليمين
 الكرة بعد الكرة من المراحمين . ثم رفعت البراءة المباركة على راسي اكليلا .
 ووسعها شوقا لليد التي خطتها لثما وتقبيلا . ولم ازل اتنعم بمطالعها بكرة
 واصيلا . ثم وصلت الدعاء بان قلت اللهم ان يكن في علمك الخير التام في
 بلوغ ما ام له وامله فهوون عليه كل صعب . وروه من نعيم لطفك بكل
 منب . واسعد غيبته . وسيره على اتم وجوه السلامة وام انواع الكرامة وعجل

بمضي الأراء مسددة في قول أنفذ أو عــــل
 مولاي قصيدة متــــدح وإفك بشعر مرتجــــل
 طلبت إيصاح فضائلكم فحكمت منها بعض الجمــــل
 فإذا أحسنت فذاك لكم وإذا قصرت فــــذلك لي
 وافت خليك معارضة مرع يا صاح على الطلــــل
 مع ان قصيدة أولنسا فانت سبقا شــــلو لا ول
 وأرجع لمحل حال بها يشكو لفراقك من علــــل
 فاقم للدين تجــــدده في عز باقى مصــــل
 وأخلع أثواب السقم بمبا تكسى للصحة من حلــــل
 فشرط الحج قد ارتفعت لزوال القدرة والسبــــل
 مهدي بعيدك فيه وقد مدوا يد دمع مبتهــــل
 يرجون إيابك من كذب ودنو لفيك عن عجــــل
 كانوا من عهدك في ظلل فغدوا من بعدك في خلــــل
 فأنلهم منك مرادهم وأدفع بالقرب صدى العلــــل
 واجمع شملا بالاهل فقد ماتوا شوقا قبل لاجــــل
 وأسعد وأصعد وتسام وزد وتفرق ونل اقصى لامــــل
 والله يوفق رايبك في حل ازمت ومرتجــــل

غايى إلا سلوكا لنهجه وقصد ان لا يرجع الى تونس إلا بعد تحصيل همه قال
 وكان المخدم وجه لوالدي كتابا بخطه يعرفه فيه بحالتي معه ويصفني
 فيه بما يليق بذاته الشريفة ومرتبته المنيعة فوجه اليه والذي عن
 ذلك كتابا نصه —

يا نسمة الفجر ولا زهار قد رويت مما أدار عليها الوابل الساقى
 والروض قد مسك لاسماء منه ثرى نمت عليه به انفس اجباق
 ولا قرارة إلا قررت خــــسبرا بان دارين منا رأى احداق
 لو انه نشر طيب للتجارة قد سبقت لطائفة منه باوساقي
 والنور

فهل تغرب الغيا وتنصرف النوى وينجز للأمال من قربكم ومسد
لن جمعت أيدي التفرق بيننا فقد تمت العما وقد كمل السعد
قال التجاني وورد على مخدومنا الخبر من بركة من جذب سنتها وعظيم
فتتها ووصل اليه رسم بشهادة عدول طرابلس وخطاب قاضيها بما مضمونه
أن ركبا فيه ما ينيف على سبعمائة نفس لم يبق منهم إلا نحو مائة وأن
سبب ذلك أنهم لا يجدون هنالك ما يقتاتون به إلا لحوم الحياة فعدا عليهم
سمها باكلهم اياها واخبر الذين نجوا أنهم كانوا يمرون في كثير من ارضها
والخيل بها مصروبة وجميع سن بداخلها موق من رجال ونساء واطفال الى
غير ذلك حتى بلغ الامر ان اكلوا لحوم بعضهم ونظم في ذلك الفقيه ابو
ابراهيم بن حصينة قصيدة مطولة يحص فيها المخدوم على الثاني بالحج
في تلك السنة لانه كان محاصدا للحج فيها وكان اول القصيدة —

مرج يا صاحي على الطلل واسكب اجفانك في الخلل

قال التجاني ولا يخصرني لان كمالها * وقد عارضتها —

طلعت كالبدر المكتمل فوارى البدر من النجمل

وإمال اللحظ تماثلها من غصن البان العتدل

هوراء يحار الصب بها ويخلي السلوة كل خلي

حكمت فؤادا في فلم يعدل في لامة حين ولي

فابحت النفس لما احتكمت وخيبت السمع من العذل

جمعت اشتات الحسن فقد زادت بالحسن على الثلل

كاي يحيى تلقى منه اشتات الفحل لدى رجل

مولى زمت لا يام به وتحت من بعد العطلل

يتقيه أبو العباس الى حسب في مرقى المجد علي

شرى بالارث تملكه فتنتقل احسن منتقل

باس كالنار اذا اضطربت وندى كالغيث المنهمل

قد القى الله بحكمه بيديه مثاليذ الدول

مخاطبتنا معا وكان على عنوانه —

السيد ابن اخ ونجل بسارع اسحاق مع عبد الاله يسلمها
لا زال كحل منهما متعلبا بالفصل والاداب دابا مكرما
وفي داخل الكتاب —

هي المعامل والرعان بجمعها رميا لدمرا ذرى الاحبابها
سكنوا الرعان وسكنوه فما لهم ساروا الغداة بخلبة خلاياها
من اجل سن حل الحمى اهوى الحمى واحب لي من لبة البابها
مولى كبر والنجوم صحابه نجل وخذن ارحشا الاصحابها
حلوا بافاق الغلاء كواكبها ايقادها يستعد الالبابها
وكذا الثوابت نورها يسعى لها تايى الجفاء وتالف الادابها
تكفى من المولى جلالة قدره من ان اهيل بذكره الاسهابها
ولذا الممدى حكمة نبويته تبري السقام وتذهب الاوصابها
وحوى البراعة والبلاغة ما نسي مبد لاله وقد نسي الاترابها
فاله يسعدنا بهم ويومهم وينيل كلا منهم الارابها
وطيهم منى السلام مقبلا ترابا يرب ترابه الاترابها
قال وكنت كبت لابن عمي الفقيه لاكرم ابي زكرياء ابن الفقيه لاجل
ابي علي التجاني كتابا مصدرا بهذه الابيات —

اذا الله حي معشرا بتهيئة يقصر عنها المسك في الطيب والند
فحصى بني عمي الذين فخارهم فخاري ويجدي حين اسمو لهم مجيد
وخصص منهم سن تخصص فيهم باوصاف فعل ليس يحصرها العدد
ابا زكرياء الرضى لارفع الذي له منى الشوق المجدد والود
احتنا هل يجمع الدهر بيننا فقد طال هذا الناي واتصل البعد
يذكرنيكم وقت انس لنا معنى وعهد اتلاف حبذا ذلك العهد
غيبو قليل من فرام احببتي وفي القلب للاشواق اصغاف ما يبدو
ثمه بلغت منى النوى كل مبالغ ففي ادعوي ودي وفي احلعي وقسد
فهل

ما دام أبوه جالسا هذه عقيدتهم . قال التجاني وليس لأهل غمراسن ولا
 لأكثر ساكني هذا الجبل في الحقيقة من لاسلام إلا لاسم فقط ولا تجد منهم
 من يعرف للصلاة اسما فضلا عن ان يقيم لها رسما وكذلك جميع الشرائع
 قال واقمنا ما اقمنا معهم فلم نسمع عندهم اذانا ولا طرق صوته لنا اذانا
 وان كنت قد رايت في اعلى قلعتهم موضعا سموة مسجدا وليس يصلي فيه
 إلا رجل غريب من اهل زواوة سكن عندهم وهم ينتحلون مذهب النكارة من
 البربر ولا يغسلون موتاهم ولا يصلون عليهم ولا يورثون البنت شيئا من مال
 ابيها ويمشهم من الغارة على العرب تخرج غازية منهم فتكمن في بعض
 الكامن لمن يمر بها من العرب وخصوصا الجواري . والمخالفة بينهم وبين
 المحاميد لان ابناء جبارة كانت اعداء المحاميد وورثتهم منهم ولا يتألون في
 الغارة على الجواري باصطلاح المحاميد معهم ولا باحترابهم ولهم ايضا حقد على
 النفاتين وبينهم دماء وهم اغبر خلق الله على ضعيف واكرمهم له فاذا حل
 الغريب لديهم واستند اليهم جعلوه من اراسهم وانزلوه فوق رؤوسهم وتحكم
 في انفسهم ولديهم الامن الذي لم يسمع بمثله في بقعة من بقاع الارض .
 قال التجاني وحسبك انا اقمنا ما اقمنا معهم فلم يضع لاحد منا شيء
 مع اني كنت ارى الثياب والامتعة واواني الصفر وغير ذلك ملقاة بين
 الاخبية لا يتعرض احد منهم لشيء من ذلك . ومن احكامهم ان الرجل
 منهم اذا ظهر عليه سرقة او خيانة فانهم لا يجالسونه ولا يكلونه إلا فيما
 لا بد منه ولا يخرجونه من بلدهم اذا كان منهم فان كان من غير بلدهم
 قتلوه . قال واخبرني جماعة منهم ان رجلا ضاعت له دنائير ووجدها
 رجل آخر منهم فتركها في المسجد الذي في قلعتهم فبقيت في ذلك المسجد
 لا تمتد اليها يد الى ان دخل صاحب الامانة بنفسه واخذها . قال
 التجاني ووصل الي باقائي هنالك كتاب من الفقيه الاجل ابي زيد بن
 نزار جوابا عن كتاب كنت بعثته اليه وكان في آخر التسليم عليه بخط
 الفقيه ابي ابراهيم بن حسينة فوصل كتاب الفقيه ابي زيد بضمين

وقد يقال في غمراسن انه من دمر . ومسافة غمراسن تحتوي على قلاع كثيرة
اشهرها قلعة نثيق بكسر النون وتشديد الفاء وقلعة حمدون وقلعة نفيق
احصنهما واليهما يلجأ جميع اهل البلد اذا حل بهم عدو او وصل اليهم
جيش وهو جبل مرتفع في السماء قد سهلت فيه طرق حذيفة لا يسلكها
السالك إلا على غرر . وقد تدرب اهلها على سلوكها فهم يتنازولون فيها
تنازي العصم وكذلك غنمهم وابلهم يسلك البعير منها مسالك لا يستطيع
الادمي سلوكها إلا بالحيلة وتؤدي تلك الطرق الى بيوت منحوتة في الجبل
بعضها فوق بعض من وسط الجبل الى اعلاه فيسمونها القيران واكثر جهات
هارة الجهة الشرقية وتليها في ذلك الجهة القبلية وفي الجهة الغربية
ايضا مساكن قليلة إلا انها الآن غير مسكونة والنور كثيرا ما تاري اليه
وتجتمع قُصُطٌ عليه . وتحف بهذا الجبل مزارع فيها نخل كثير لا يرى
احسن من رطبها وبها ابار ليست بالكثيرة يستقون منها بالغرايز واكثر
مزرعهم الذرة التي يسمونها القصب وسبب قلعة ابارهم ما يعانون في
حفرها من شدة الارض وصلابتها حتى ان الرجل ليكث في حفر البئر العام
والعامين بحسب كبر البئر وصغرها وقوة اعتمادهم في ري الارض انما هو على
ما ينحدر من سيول تلك الجبال في وقت الامطار فانها تجتمع في ابطح ذي
حصباء متناسبة وتربة بيضاء كافرورية تحدد بمزارعهم احداث السور
والسوار وتخترقها مذانب متسربة منه اليها وليس في تلك البقاع ما يرتاح
اليه الخاطر سوى هذا الابطح وبموضع منه احساء عذبة ترد عليه نعمهم
وعلى هذه الاحساء نخل كثير يتغالون في اثمائه اذا تبايعوه بينهم . واهل
غمراسن قوم من البربر ورغبيون وفيهم راحلة مع العرب المحاميد والعداوة
متأكدة بينهما وبين اهل قريظة قريظة منهم يعرفون بالمقدمين لا
تزال الحرب قائمة بينهم . ومن سيرة هؤلاء المقدمين انهم لا يدفنون موتاهم
إلا على هيئة المجالس في كهوف متسعة يحفرونها لهم ويتأكد عندهم الدفن
على هذه الصفة في سن توفي وترك ولدا فانهم يقولون ان عز الولد لا ينقطع
ما دام

التي تبيت بمرعها اذا تخللت اصوافها ويسمى البهمى هو الذي تسميه العرب
الصغار بفتح الصاد وتخفيف الفاء وتسمى شوكةا سفا مقصورا . قال واخبرني
ابو علي الشماخ بن ضرار يصف همارا وانشدني :-

رعى بارض الوسمي حتى كانما يرى بسفا البهمي اخلة ملهج
البارض النبات في اول خروجه والوسمي المطر الذي يسم لارض بالنبات
ولاخلة جمع خلال والمهج الذي قد لهجت فصالة بالرضاع وكانوا يجطلون
على انف الرضيع اذا وجب الفصل خلا لا يمنع من الرضاع فيقال ان هذا
الحمار رعى بارض البهمي الى ان خف وظهر شوكة فلم يستطع رعيه اذ ذاك
فعدا كانما يرى به اخلة ملهج كراهة له ونفورا عنه وعلى هذا البيت قول
لاديب ابو الحسن حازم بن محمد بن حازم في قوله من قصيدة له جيبة -

ترك مطايا لاملين لما سمعت يمناه ما تسقيه اضرب زبرج

فتجم انفسنا لورد جماسم بصدورها من برد ماء الحشرج

وتصد عن رعي الحميم كانما تلقى من البهمي اخلة ملهج

ومعنى الشعرين واحد والحشرج بحاء مهلبة فشين معجمة فراء فميم حسي
يكون في حصى * ومن القلعة المذكورة الى جبل غمراسن مرحلة كاملة . قال
التجاني ووصلنا غمراسن فوجدنا منزلا قد غضب الله على اربابه . فابتلهم
من سكناه والاقامة بمغناه باليم عذابه . وغمراسن اسم لمسافة من الجبل المتصل
الذي اصله جبل درن بالغرب وهو الجبل الاعظم الذي قل على وجه الارض
ما يدانيه سموا وامتدادا وكثرة خصب واتصال عبارة ومبداء من البحر المحيط
في اقصى السوس مارا مع المشرق مستقيما الى ان يصل الى موضع دمر ثم
يمتد فيسمى مسافة منه جبل نفوسة فاذا حاذى طرابلس رق وخفي وامتد
كذلك رقيما الى ان يصل الى طرف اوثان من ارض برقة فينقطع هنالك
وهو من مبداء الى متناه مخصوص بسكنى البربر وبه كل طريفة من الثمار
وغرائب الاشجار والماء ينبع فيه من مواضع معروفة . وهذه المسافة التي
تسمى منه غمراسن هي متصلة بالمسافة التي تسمى منه دمر من جهة شرقيها

في سنة تسعين وثلاثمائة . وبسط هذه الواقعة ان باديس بن المصور كان واليا على افريقية وكانت طرابلس مستثناة عليها لا يليها احد من قبله بل تنتعين ولائها من مصر فاحبب والي طرابلس اذ ذاك ان يرتحل عنها الى مصر فكتب الى الحاكم يطلب ذلك منه ليكون بين يديه وان يوجه اليه من يتسلم البلد من يده فوجه اليه يانس المذكور وكان واليا على برقة فلما وصل الى طرابلس توجه واليها الى مصر ومكنه من البلد فلما علم بذلك باديس وجه الى يانس يستلهمه عن سبب وصوله ويمتدعي منه سجلا ان كان بيده بالولاية . فبعث اليه انما بعثت نائبا عن امير المؤمنين ومثلي يكبر عن ان يولى بسجل . فحيتئذ وجه باديس جعفر بن حبيب المذكور لقتاله فاقام المدة المذكورة بقرب اجاس هذه متلوما عليه وبعث اليه في اثناء تلك المدة بخيرة في واحدة من ثلاث اما بعث السجل ان كان بيده واما القدوم على باديس ليفاضه فيما وصل اليه واما المناجزة بالحرب فعاد جوابه اليه يقول فيه اما الوصول فلا سبيل اليه واما سجل الولاية فانا اكبر من ذلك اذ كنت خليفة امير المؤمنين على ما هو اعظم من طرابلس واما الثالثة فانا اكفيك الحركة الي واوفيك بالحرب اليك . فتحرك جعفر ابن حبيب متوجها اليه ونزل قرب قرية زنزور وخرج اليه يانس ونزل بها ايضا من الجانب الآخر وغابت الزيتون بينهما ثم التقيا فكانت الهزيمة على يانس وقتل اكثر جندة واتخذ هو اسيرا فطلب ممن اسروه ان يحملوه حيا الى جعفر فابوا وقطعوا راسه ثم حملوه الى جعفر ونجا القليل من النهرمين فلجأوا الى مدينة طرابلس وامتنع اهل طرابلس من تمكين جعفر من البلد ومن اللاجئين اليها الى ان وصل اليهم فلعل بن سعيد الزناقي فمكتوه من البلد وهو اصل ملك الزناتيين طرابلس . قال التيجاني ومرنا بالهقلة وهو واد يحمل اوقات المطر فقط واذا جف لم يبق به ماء الا فيما كان مكتفها والعرب تسمي ما انحبس من المياه هقلة . قال وراينا فيها شدائد من شوك البهمي فقد منعنا النوم مما تطل من في ثيابنا وربما قتلت البهائم التي

يبقى لأن منها إلا القليل . قال وفي اختصار اقتبس لأنوار قصّة مدينة
 حصينة عليها سور حجارة وفيها عيون ماء داخل المدينة وهي مفروشة بالبلاط
 وحولها عمارة كثيرة وثمار موصوفة ذكر ذلك اليعقوبي ينسب إليها جماعة
 منهم أبو سعيد جميل بن طارق القصبي لأفريقي يروي عن سحنون ويكنى
 أبا سعيد . وأما نقطة ففيها نهر كبير شديد الجري * وأما تقيوس ففتحها مدن
 بها بقايا قصر مبني بالصخر المنحوت وحوله نهر ويقال أنه كان قصر الملك
 وبعض أهلها يقول أنها سميت باسم ملكها دقيس وكانت خيله تغيّر على
 سيطلة فبنى صاحب سيطلة مدينة قصّة وشحنها بالخيول والرجال والعدة
 ليمنع غارة دقيوس ولذلك بناها بين الجبلين اللذين يسلك منهما إلى نواحي
 سيطلة وأفريقية والله أعلم بصحة ذلك . وأما الحمة فهوها معدل وبها
 عين عذبة يجلب منها الماء قبل للولاة تجوزر وبها دور جليّة عظيمة البناء
 ولكن اليوم على حسب وقتها وصارتها وسبحان من تنزه عن لاولية ذات
 لا ابتداء وتعالى عن لاخرية ذات لا انتهاء . والمتوجه من قابس إلى ناحية
 غمراسن يمر بقرية تبلو على ميلين من قابس ذات مبان قليلة وعليها غابة
 زجّون متسعة وكان بها قبل غابة نخيل فمحت رسومها لاقتان . وبعدها
 قرية مارت وهي قرية حثيرة وعليها غابة نخيل يسيرة وبعدها قرية اجاس
 وهي قرية ضخمة ذات مياه كثيرة ولها غابة متسعة وبها عين خوّارة عذبة
 غير أنها مستوباة ولكنهم احتفروا بئرا بعدها سائلة من الرباء فهم لأن يشربون
 منها ويسقون بها نهم من ماء العين وبها مسجد يذكر أهلها أن له فضلا
 مشهورا عندهم وأن الدعاء مستجاب عنده وجميع أهل هذه القرية على مذهب
 الخوارج وهذا المذهب هو الغالب على سائر البقاع التي بين قابس وطرابلس
 وبهذه القرية كانت أقامة جعفر بن حبيب حين وجهه بلديس بن المنصور
 من الهدية لقتال يانس الصقلي لما أقبل من مصر مدعيا ولاية طرابلس فأقام
 جعفر بن حبيب بقرية اجاس هذه متلوما عليه نحو من ثلاثة أشهر إلى
 أن كانت الواقعة بينهما بظاهر زنزور قرية من قرى طرابلس وذلك كله

وكان ريحان الحياة وروحها مستنشق من عرفها ومطر
 فكانما كسيث بساط زبرجد نشرت يواقيت عليه وجوهر
 زهر كزهر كوكب لالوها يزهر به ذاك البساط الاخضر
 من ابيض يقق واصفر فاقع ذا ازرق زاه وهذا احمر
 والماء تتبعه اليك جداول قد مدعا النهر الزلال الاكبر
 فهر تقسم بالسواء ثلاثه في كل ثلث ستة لا اصغر
 تلك الجداول تسعة مع مثلها كل على الحد السواء مقدر
 صافي على صفة المها بجري على رمل النقا عذب قراح كوثر
 وكانما حصباها في رونق الس ماء الذي يجري عليه جوهر
 وخلاله سمك كصنعة خنجر وكانه من فضة متصور
 ومسارح ومزارع ومباقل وفواكه من كل نوع يذكر
 وجداول بتناسب وازامر كاراتم هجياتها لا تدمر
 زرق النطاق يدور في ارجائها زهر كزهر كواكب اذ ترمز
 ومما شملته عمالة الجريد مدينة قصبة قال ابن الشباط قال البكري
 رحمه الله وهي مدينة كلها على اساطين وطيقان رخام قد بني خلالها
 بالصخر الجليل باحكم عمل ويذكر ان باني هذا السور غلام النمرود وذكر
 اسمه قال ابن الشباط فتركه لعدم صحة تنقيده قال وقد زبر عليه اسمه
 وهو مقرو فيه الى اليوم وسورها كانا فرغ منه بالامس . وداخل مدينة قصبة
 ميان فصاخرتان تنبعان بنهرين حرارين يسقيان بساتينها ومزروعاتها قال
 وفي داخل جامعها عين كبيرة مبنية بالصخر من بنيان الاولين اربعين باعا
 في مثلها . وقصبة اكثر بلاد الله فستقا ومنها ينتشر بافريقية ويحمل الى بلاد
 الاندلس وسجلماسة وبها تمر مثل بيض الحماق وهي تنير القيروان بانواع
 الفواكه والتمر وحولها اكثر من مائة قصر مامرة مملوءة وحواليها المياه تعرف
 بتصور قصبة . قال ابن الشباط اما ما ذكره من العين التي بالجامع فليس
 به في عصرنا هذا عين وكذلك التصور التي ذكر انها كانت في القديم لم
 يبق

فذكروا له الوصية وثمن الصومعة بصغر دون ذلك الضخم وهو الان مميز
 بالبديهة واختار من الجوامير شكلها الموجود الان . قال ابن الشباط
 وشبيه بهذه الحكاية ما اخبرني به بعض الشيوخ من البنائين ان القبة
 التي على الباب الشرقي من الجامع الذي يخرج منه الى سوق الخرازين
 سقط بعض جوانبها السفلية وبقيت معلقة فطلبت لها دعائم تدم بها فما
 وجد ما يساوي ارتفاعها فاتفق ان سقطت تلك الليلة دار ووجدت فيها
 دعائم قدر الحاجة كانها صنعت لها فدمعوها بها وبنيت وفيها يقول الكاتب
 ابو علي بن ابراهيم رحمه الله في وصفها -

خير البلاد لمن اتاها تسوزر يا حبذا ذاك الجنب لاخصر
 والنخل مثل عرائس بجلوة في سندسيات اللباس تبخر
 وكانما نظم الحلي لحرها من لولو وزبرجد يتخير
 نشأت لآلي سلكها من ذاتها وتحولت كزبرجد يتطور
 وترى الزبرجد عسجدا ويواتنا ذا احمر قان وهذا اصفر
 فاذا انتهت ارطابه ابصرته متزججا والارئي منه يقطر
 رطب يريك نواه وهو دوينها من دونه لشفيفه اذ يصر
 يجنيك من ثمر صنوفا جمته لا يستقل بوصفها متفكر
 احلى من العسل المصفى طعمه ومذاقه لا يدعيه السكر
 والدوح قد لبست غلائل سندس تختال في ايدي النسيم وتخطر
 حلت هودبها عقود ازاهر فتبرجت عجباً لمن يتبصر
 ملكت عيون الناظرين بحسنها فدنا اليها كل طرف ينظر
 والطير قد رقيت منابر قضبها خطباوها تشدو بالحن يسحر
 والقضب يثنيها النسيم فتثني بعض يقبل بعضها ويقهر
 كعقائل تبغي السرار فتلقني لمغي الحديث وتارة تتأخر
 والارض عطرة ترف كانما غشي نواحيها عير ينشمر
 وتارجت ارجاوها فكانها مسك يصوع خلالها ارجبر

جداول واحد انها را يدخل المدينة ويجري في مواضع فيدخل الى القصبة
ثم يخرج الى ساقيتين واحدة للرجال واخرى للنساء ثم ينعرج فيدخل
القصبة من ناحية اخرى ثم يمر بدار من دور القصبة فيجري تحت سور
المدينة الى ان يتهي الى باب من ابوابها في ربع ثان فينقسم الى ساقيتين
واحدة للرجال واحدة للنساء فيتهي الى قسمين احدهما الى الجنات والاخر
تحت السور الى ربع ثالث فيدخل الى ساقيتين ثم ينعرج الى موضع آخر
يجتمع فيه مع السابق ثم الى موضع يسقي جنات ذلك الجنب . ويقال
ان جامعها بني على رتبة جامع القيروان وان كان جامع القيروان يفوته عظما
وفخامة . وبتوزر من غرائب البنيان والاتقان ما يقصر عنه الوصف .
وللمدينة توزير اربعة ابواب ولا يعرف وراء قسطلية عمران ولا حيوان الا
الفلك انما هي رسال وارصون سواحة وهم يخبرون ان قوما ارادوا معرفة
ما وراء بلادهم فاستعدوا وتزودوا الازواد وذهبوا في تلك الرمال اياما فلم يروا
اثر العمران وهلك اكثرهم في تلك الرمال . وذكر الفقيه ابو عمرو عثمان بن
ابي القاسم عبد الرحمن بن حجاج رحمه الله في تاريخه ان ابتداء الصومعة
بجامع توزر كانت سنة ثمان مائة واربعمائة وتماها سنة اثنتين وعشرين
واربعمائة وقد اختصت باربعة قباب جملة اعلاها وكملة جلاها كانها عرائس
جليت على منصة وجيبت من بدائع الحسن باوفر حصه وبها من غرائب
البنيان وبدائع الاتقان ما يقف عليه الطرف ويتصر عنه الوصف يقول كل
سن رءاها مهن جال شرقا وغربا بعد او قرب ما رايت مثلها ولا عاينت في
الاقطار شكلها . قال ابن الشباط واخبرني بعض شيوخ بلدنا ان الباني
الذي بناها شرع في بنائها الى ان انتهى في موضع منها بالقرب من اعلاها
وكان يبني كل ما بناه بالصخر العظيم حتى انتهى الى ذلك الموضع فجهزته الوفاة
فقيل له الى سن ترشدنا يتم هذه الصومعة فقال لهم رجل بالقيروان وسماه
ثم صور لهم ثلاثة جوامير من شمع يختار منها ايها احب يصنع مثله فلما
فطن بانبيها فحبه قدمت رفقة من القيروان والرجل المشار اليه صاحبهم
فذكروا

ولكن لي على الاقدار ديسن لوت بقصائه لي الطسول
 فان هي بُلَغْتينيه فكم لي . مع الايام من خبر طويسل
 خرجت من المراد الى حديث نشت بشرحه نفت العلسيل
 اودع ودك الاصفى فانسي دعاني للتوى داعي الرحيل
 واطلب منك زادا من دعاه تواصله ومن ذكر جميل
 وقد اصفيت فحوت باعتقاد صحيح من فواد لي عليل
 وكملت له مامل وعدة وكانت ليلته اول ما اجتمعنا وآخر ما اترقنا •
 ومن العلماء الافاضل الذين ينسبون الى هذه العمالة الجريدية الحمي
 قال في اختصار اقتباس الانوار في حرف الحاء الحمي ينسب الى حمة
 قسطلية روى عنه ابو عثمان سعيد بن محمد ، وفي حرف التون نطقة في
 قسطلية من افرقية منها ابو عبد الله محمد بن الحسن سكن القيروان وكان
 له بها سماع من محمد بن بشر الوراق ومن سفيان بن بشر الكوفي وكان فيه
 تشيع ذكره ابو العرب قال وما سمعته يذكر احدا من الصحابة بسوء مات
 بنطقة سنة اربع وتسعين ومائتين . وفي حرف الفاء الفرشاني ابو الحسن
 ابن اسماعيل من اهل فرشانة قسطلية سكن القيروان وكان قديم السماع
 من سحنون سمع منه سنة سبع عشرة ومائتين وسمع من اصبع بن الفرج
 ومن سعيد بن اسد بن موسى وغيرهما وسمع منه احمد بن ابي سليمان
 وموسى بن عبد الرحمن وجماعة غيرهما من اصحاب سحنون وغيره توفي
 في رجوعه من الحج سنة ثلاث وستين ومائتين ذكره ابو العرب . وقال
 البكري رحمه الله مدينة نطقة مبنية بالصخر عامرة بها جامع ومسجد
 وحمامات كثيرة وهي كثيرة المياه السائحة وشرب جميع بلاد قسطلية بالوزن
 الا نطقة فان شربها جزاف وتسمى الكوفة الصغرى . واما فرشانة فكانت
 في القديم من عمل نطقة ومي اليوم خراب وخرب معها من عملها غيرها ولم
 يبق لها الا درجين . وبلاد قسطلية كلها بها المياه المطرودة الكثيرة . واما
 توزر فان نهرا ينقسم على ثلاثة انهار كبار وينقسم كل نهر منها على ستة

فرحت وفيث حالي لست ادري دبيري ما ايمم ام قبيلي
وها انا قد عزمت على انطلاقي الى صفف وليسوا بالقليل
تركتهم على قدم الترجسي وكل مد سالفة التليل
الى فرج قريب من ايلبي كما يرد الطبيب على العليل
فما ظني اذا ما قيل اكسدي على بحر النداء امل العليل
هناك شماتة الاعداء وتأتي باجهار وضيق في مقبول
وداعا يا حبيبي فاحتفظ بي لعهد قد وثقت به مثيل
سلام سالتك يد الليالي وحش للعز في ظل ظليل
وبلغ دمت تسليمي ولشمي هناك موطن الشرف الجليل
قال فاجبته -

اسحرز غاية الشرف الاثيل ومن قد جل عن كف * مثيل
اتني منك ابيات حسان شمائلها ارق من الشمول
يعز علي ما بينت لي من وقوفك وقفة الرجل الذليل
فاقسم بالهدايا مشعرات تجوز الارض ميلا بعد ميل
اذا اشتكت الطوى بلسان حال قرين بالوخيد او الذميل
توم سيراها اسنى محمل به نزل الكتاب على الرسول
لو انك بالذي استحققت تجزي لما جوزيت الا بالجزيل
وها انا اشتكي لعلاك شكوى تبثك بعض ما بي من غليل
ارى الايام تمنعني مرادي وتلقاني بقصد مستحيل
واطلب للعلا فيها ومولا فيصعب للعلا فيها ومولي
ويصعب الامر غيري وهو دوني وامري لابس ثوب الخمول
وان تلك قد انالني قليلا فمثلي ليس يقنع بالقليل
وما طلبي لها الا لعلى اسوء عداي او ارضي خليلي
وليس ينال حظ باجتهاد ولا يجري على قدر العقول
فحسب المرء تسليم وصبر يهيم منهما احدى سبيل
ولكن

ولكن لي على الاقدار ديسن لوث بقصائمه لي الطسوسول
فان هي بَلَّغْتَنِيهِ فكم لي . مع الايام من خبر طويسل
خرجت من المراد الى حديث نفتت بشرحه نفت العلسيل
اودع ودك الاصفى فانسي دعاني للنوى داغي الرحسيل
واطلب منك زادا من دعاء تواصله ومن ذكر جمسيل
وقد اصفيت فحوت باهتصاد صحيح من فواد لي علسل
وكلت له مامل وعدة وكانت ليلته اول ما اجتمعنا وآخر ما اترقنا *
ومن العلماء الافاضل الذين ينسبون الى هذه العمالة المجرديدة الحمي
قال في اختصار اقتباس الانوار في حرف الحاء الحمي ينسب الى حمته
قسطيلية روى عنه ابو عثمان سعيد بن محمد . وفي حرف النون نفطة في
قسطيلية من افريقية منها ابو عبد الله محمد بن الحسن سكن القيروان وكان
له بها سماع من محمد بن بشر الوراق ومن سفيان بن بشر الكوفي وكان فيه
تشيع ذكرة ابو العرب قال وما سمعته يذكر احداً من الصحابة بسوء مات
بنفطة سنة اربع وتسعين ومائتين . وفي حرف الفاء الفرشاني ابو الحسن
ابن اسماعيل من اهل فرشانة قسطيلية سكن القيروان وكان قديم السماع
من سحنون سمع منه سنة سبع عشرة ومائتين وسمع من اصبع بن الفرغ
ومن سعيد بن اسد بن موسى وغيرهما وسمع منه احمد بن ابي سليمان
وموسى بن عبد الرحمن وجماعة غيرها من اصحاب سحنون وغيره توفي
في رجوعه من الحج سنة ثلاث وستين ومائتين ذكرة ابو العرب . وقال
البكري رحمه الله مدينة نفطة مبنية بالصخر عامرة بها جامع ومسجد
وحمامات كثيرة وهي كثيرة المياه السائحة وشرب جميع بلاد قسطيلية بالوزن
إلا نفطة فان شربها جزاف وتسمى الكوفة الصغرى . واما فرشانة فكانت
في القديم من عمل نفطة وهي اليوم خراب وخرب معها من عملها غيرها ولم
يبق لها إلا درجين . وبلاد قسطيلية كلها بها المياه المطردة الكثيرة . واما
توزر فان نهريها ينقسم الى ثلاثة انهار كبار وينقسم كل نهر منها على ستة

فرحت وفيث حالي لست ادري دبيري ما ايمم ام قبيلي
وها انا قد عزمت على انطلاقي الى صف و ليسوا بالقليل
تركهم على قدم الترجسي وكل مد سافرة التلييل
الى فرج قريب من ايلبسي كما يود الطبيب على الطيل
فما طني اذا ما قيل اكسدي على بحر النداء امل المعيل
هناك شماتة الاعداء وتاتي باجهار وضيق في مقبول
وداعا يا حبيبي فاحتفظ بي لعهد قد وثقت به مثيل
سلام سالتك يد الليالي ومض للعز في ظل ظليل
وبلغ دمت تسليمي ولثمي هناك مواطني الشرف الجليل
قال فاجبته -

اسحرز غاية الشرف الاثيل ومن قد جل عن كفا مثيل
اتني منك ابيات حسان شمائلها ارق من الشمول
يعز علي ما بينت لي من وقوفك وقفة الرجل الذليل
فاقسم بالهدايا مشعرات تجوز الارض ميلا بعد ميل
اذا اشتكت الطوى بلسان حال قرين بالوخيد او الذميل
توم بسيرها اسنى محمل به نزل الكتاب على الرسول
لو انك بالذي استحققت تجزي لما جوزيت الا بالجزيل
وها انا اشتكي لعلاك شكوى تبثك بعض ما بي من غليل
ارى الايام تمنعني مرادي وتلقاني بقصد مستحيل
واطلب للعلا فيها ومولا فيصعب للعلا فيها وموالي
ويمضي الامر غيري وهو دونسي وامري لا بس ثوب الخمول
وان تلك قد انا لثني قليلا فمثلي ليس يقنع بالقليل
وما طلبي لها الا لعلى اسوء عداي او ارضي خيالي
وليس ينال حظ باجتهاد ولا يجري على قدر العقول
فحسب البرء تسليم ومسير ييمم منهما اهدى سبيل
ولكن

لطائف نظمه لي فمنه قوله —

اعبد الله فقت ذوي المعالي حباك الله اياما سعيدة
ونلت منال اباة كرام لهم في المجد اثار حميدة
اردت اليك ارسالا بشعير لاسمع من جوابك لي مزيدة
فانك مستعد من بحر سواحلها غدت مني بعيدة
فان جاوبت عن نظم بنظم بعثت بقطعة ايضا جديدة
ولا ابقيت اطلب منك نظما ولا ابقيت تطلب لي قصيدة

قال واجبته عن ذلك بقولي —

امحز كل منقبة حميدة ومن لم تلف في الدنيا نديدة
اعنت على النظام بحسن طبع وافكار مويده سديدة
وتسالي الجواب وان فكري ليقرر عن مجاريك المديدة
فمهد لي على التقصير عذرا وهون من مطالبك الشديدة
ودم في عزة وبلوغ قصد وسعد دائم وعلا جديدة
قال وخاطبني الفقيه لاجل ابو بكر بن فتح المتقدم الذكر بقوله —
لعاوت فتح فهل لابنهم وقد حل بابك اذن كريم
فخذ منه فالاً ومقلوبهم تفاول كل حسود رجيهم

واجتمعت به فاذا هو شيخ طريف المنزع حلو المحاورة لطيف الاشارة وكان
سبق بيني وبينه وعد لازب من جناب مخدومنا فارسل لي في ذلك
قصيدة بعد الملاقاة يشير بها الى ان الحجاب صدوه عن الوصول —

وقفت بباب عز لا يسامي مليا وثقة الرجل الذي مل
لوعد كان قرت منه ميني جميل جاء عن سعي جميل
وكان القصد تسليمي على سن اليه قطعت ميلا بعد ميل
على كبر وضعف انت تدري بما عانيت منه ومن نحولي
وما اليت عند الباب جهدا معنا للملاطف والمسئول
فابدى الوازعون هناك نجهها وقالوا ما لقصديك من سبيل

يا ليت شعري وفي الناسعة ان اقبلت الحادثات متسعا
هل يرجع الدهر ما مضى فلكم قد عاد من ذاهب وقد رجعا
ام لا يرى عائدا فوا اسفعا على زمان مضى وواجزعا
هيئات تم القضاء وارتفعت مطامع النفس عند ما ارتفع
فلمست مما طلبت عودته اول من في الحال قد طمعا
ههدي بهم والشجون تغلقهم لاجنب منهم يزور مضطجعا
منتشر في البلاد نظمهم يا من رأى السلك بعد ما انقطع
امرا من الله لا مرد لهم لم يبق كهلا منهم ولا يفعا
وخديعة تنم امرها فمضت وكم سديد لاواء قد خدعا
هاك سلامي على البعاد ابا بكر بقلب اليك قد نزعا
وثق بود ادين فيك بسم ملتزما منه كل ما شرعا
ان جال خل عن المودة او اجاب داعي السلوحين دعا
فاني ما قطعت ذكرك بل ما زلت للشكر فيك منقطع
اقسمت بالركن والمقام وتن قد طاف بالبيت نحوه وسعا
ما طاب لي بعدك البقاء ولا وجدت لي في الحياة منتفعا
قال وكتب ايضا من توزر للشيخ المكرم محمد عبد الواحد بن ابي يغمور
الهنائي وهو بنفراوة كتابا صدرته بهذه الابيات —

يا نسمة صدرت من روضة ظهرت في برد رقم بصوب السحب منشور
فكلما يمت في سيرها جهته مرت بذيل على لازهار مجرور
انهي اشتياقي وتسليمي لمجد ابي محمد بن ابي زيد بن يغمور
واعلميه بما يطوي الضمير له من اعتقاد وتعظيم وتوقير
وانني بين قلب للسوداد له مفرغ وفم للشكر مقصود
وقرري ذاك تقريراً يثبت له ولست فيه بمحتاج لتقرير
لا زال في نعم موصولة وصله باق وحظ من لاسعاد موفور
قال التجاني واكثر الفقيه الطيب الفاضل ابو ابراهيم بن حسينة من
لطائف

لا زال هذا الامير العزيز مقصودا منصورا . بالغا من اماله الشريفة ما يكر
من المؤمنين اعيانا ويشرح منهم صدورا . والسلام . . كتم الفقيه ابو بكر في
هذا الكتاب اخذ بلدة وطواه . واوما فيه اليه اكتفاء بما في سواه . فلقد كان

كتب الي قبله كتابا يصف فيه ذلك وكان صدره بهذه الابيات —

يا ايها الراكب الذي طلعا القيت مستوطنا ومنقبعا

انزل وحدث بما تشاء فقد وجدتني للحديث مستمعا

لعل في مقتضى حديثك من انباء ما قد وددته لمعا

استودع الله لا اقول هوى قطع قلبي بصدده قطععا

لاكن صديقا حمدت خلقه لدن شربنا كاس الصفاء معا

من غير ثخانة له خلق على المعالي مزاجها طبععا

انعم صباحا على البعاد ابا محمد لا برحت مصطنععا

واحفظ فوادي لديك انه قد تركته في حماك منقطععا

اما ودادي الذي علمت به فانه في الضمير قد ربععا

لولا ولا ظفرت منك بهم لكنك اشدو بتونس جزععا

وارحمنا للغريب بالبلد — تنازع ماذا بنفسه صنععا

قال التجاني فصدرت الجواب عن كتابه هذا بقولي واشرت الى بسط القضية —

حدث عن الحادث الذي وقعا تلقي مصيحا اليك مستمعا

وحاك ما قد سمعت منه وان تركت قلبي بذاك متصدعا

هل معهد لانس كيف كان فقد عهدته للكمال مجتمعا

وهل حمى العز فيه محترم ام سلب العز منه وانتزععا

واين ناس هناك امهدهم على المعالي جميعهم طبععا

من كل طلق اليمين مبتسم ارضع در السماح فارتفععا

تلغيه كالتجم رفعة وسنا لا بل كبدر الدجى اذا طلعا

فاضطرم حادث ففرقههم واذهب الناس والبلاد مععا

وجر عدوانه فجرهمهم به من الهم ولاسى جرؤعا

وأنا الذي ما زلت احصلك الهوى وامت بالحسب الزكي المغسوس
 اسعى حسود بيننا فلتشعرت عليك من جراي خيفة مونس
 لا تخفرون ذمام اخلاصي فقد اظفرت بالزجر الخطير الانفس
 ان لم تحرك لي فواذك هذه تضرب على الود القديم ونياس
 استغفر الرحمن لا انساك ما لم اطوف في شق الصريح وارمس
 يا معلمين من البدائع اكوسا عاطا الغريب الدار فضل لاكوس
 وتعطفوا برسائل من نحوكم تساق باحسان على العبد المني
 واذا هفت من نحوكم نجدية تهدي نسيم المسك عند تنفسي
 فاشبعوا للمستهام تحية تدني مسرافي وتذهب ابوسي
 لا زلت تلقون في الطواركهم عزاً تدين لديه شوس الارعس
 واتصل بهذه القصيدة من الكتب : سيدي دامت سعودك . وحرس لاجياء
 الاجادة جودك . ان فوقت سهام العتب . فلصنتك بالكتب . وان همت
 بالسلام . فلا بطاء بلاغ السلام . فقد استحال فيما اظن عندك الاحوال .
 وجفت انباؤك ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال . حتى كانت تعرفت بعدي . ما
 احالك عن عهدي . وتلقيت من انباءي . ما صرفك عن ولاهي . وقد
 اكثرت بالمخاطبات . واثقلت بالمراسلات ظهور المواخذات . فما رجعت
 بحرف . بل عادت مودتي على حرف . واتخذتها نسيا منسيا . ونبتتها
 في الظاهر لا اقول في الباطن ظهريا . ومع هذا فلا اشك ان عند سيدي علما
 بما جرت به احكام الليالي . وتشوفا الى تعرف ما تزيد من خاصيتي
 مرهالي . فقد حلبت الدهر في هذه الحادثة اشطره . وخبرت النفس في
 حالتي العسرة والميسرة . الى ان اقتادني السعود بزمام . واحلطني الامال
 الناجحة بمشوى امام ياله من امام . حيث الامر المويد العالي مرفوع
 مناره . واصبحت للسالكين اثاره . والسيادة الوزيرية . الحكمة العلمية .
 ملثني الامال . ومحط الرجال . وناسخت احكام الادبار بالاقبال . فهنالک
 اصاعت لي البركات املي للدهم . ونادت بي المكرمات ألا فلم ألا فلم .
 لا زال

حدث عن الحادث الذي وقعا
 وهاك ما قد سمعت منه وان
 هل معهد لانس كيف كان فقد
 وهل حمى العز فيه يحترم
 وأين ناس هناك اعهدهم
 من كل طلق اليدين مبتسم
 تليفه كالتجم رفعة وسنسا
 فاضطرهم حادث ففرقههم
 وجر عدوانه فجرهمهم

وأنا الذي ما زلت احصلك الهوى وامت بالحب الزكي المغسوس
 اسعى حسود بيننا فلتشعرت عليك من جراي خيفة مونس
 لا تخفرون ذمام اخلاصي فقد اظفرت بالزجر الخطير الانفس
 ان لم تحرك لي فواذك هذه نصرب على الود القديم ونياس
 استغفر الرحمن لا انساك ما لم اطو في شق الضريح وارمس
 يا معلمين من البدائع اكوسا عاظوا الغريب الدار فضل لاكوس
 ويتعطفوا برسائل من نحوكم تاتي باحسان على العبد المسي
 واذا جفت من نحوكم نجديت تهدي نسيم المسك عند تنفسي
 فليبعثوا للمستهام تحييت تدني مسراي وتذهب ابوسي
 لا زلت تلقون في الطواركهم عزاً تدني لديه شوس الارض
 واتصل بهذه القصيدة من الكتب سيدي دامت سعديك . وحرس لاهياء
 الاجادة جودك . ان فوقت سهام العتب . فلضنتك بالكتب . وان هممت
 بالسلام . فلا بطاء بلاغ السلام . فقد استحالت فيما اظن عندك الاحوال .
 وجفنت انباؤك ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال . حتى كانت تعرفت بعدي . ما
 احالك عن عهدي . وتلقيت من انباءي . ما صرفك عن ولاهي . وقد
 اكثرت بالمخاطبات . واتقلت بالمراسلات ظهور المواخذات . فما روجعت
 بحرف . بل عبت مودتي على حرف . واتخذتها نسيا منسيا . ونبذتها
 في الظاهر لا اقول في الباطن ظهريا . ومع هذا فلا لشك ان عند سيدي علما
 بما جرت به احكام الليالي . وتشوفنا الى تعرف ما تزيد من خاصيتي
 مرحالي . فقد حلبت الدهر في هذه الحادثة اشطه . وخبرت النلس في
 حلتتي العسرة والميسرة . الى ان اقتادتني السغود بزمام . واحلتي الامال
 الناجحة بمشوى امام ياله من امام . حيث الامر المويد العالي مرفوع
 مناره . واصبحت للمساكين عاثرة . والسيادة الوزيرية . الحكمة العلية .
 ملقى الامال . ومحط الرحال . وناسخت احكام الادبار بالاقبال . فهنالک
 اضاعت لي البركات املي للدلهم . ونادت بي العكرات ألا فلم ألا فلم .
 لا زال

ايه على الحمي الذين تحملوا والشوق يشبعهم دماء الانفس
 من كل اغلب محوز خصل العلا يوم الرهان وكل اشنب العس
 لا يوحش الله المنازل بالحصى وسقى مهود الغايات الانس
 سقا وتكرمة لما اسلفت من عهد بذات الثرقتين مقدس
 ولئن نسيت فليس انسى جيرة راضعتهم در المني في تونس
 هيهات ما ان شاقني بعد التوى زمن تصرم للظباء الكنس
 لكن تذكر سادة قد انطقوا بصفات مجدهم لسان الاخرس
 يا نسمة سحبت فصول ذيولها ما بين ورد بالعذيب ونرجس
 والورق قد صدحت على افنانها ولارض قد لبست ثياب السندس
 حطي رحال تحييتي في معهد بين الجوانح منه عهد مانسي
 والحمي من تجان فاشرح عندهم فرط اشتياقي نحو ذاك المجلس
 واذا هم سالوك فاذكر انني قد لذت بالعز المكين الانفس
 وحملت ساحة ماجد متهلل سن يعتصم بعلاء يحم وبحرس
 لابن الحكيم مأثر ما زال بالـ سلف الكريم الاصل فينا ياتسي
 ءانست نار الجود من ناديه في ليل الشجون فكنت اسعد مونس
 لولا تالق نور تلك النار من ناديه طال تخبطي في الخندس
 يا ليت قومي يعلمون بانني في دوحه العلياء طاب مغرسي
 ابا محمد العزيز وانـ لدعاء ود في علاك موسـ
 لله درك من بليغ لابسـ من حلة الاداب اسبغ ملبس
 حاشاك ان تنسى على شحط المدي عهدا نقى العرض غير مدنس
 دعني اسدد من حديد ملاقتي سهما يفوت المرسلات من القسي
 هل انت ذو علم بما اصبحت من كاس الشجون لاجل بعدك احتسي
 ما زلت مذ نرحت ديارك اسالـ وكبان بين مهجر ومغلس
 اوحشت من سحر البلاغة محضري ولقد هدتك في التقديم مونسي
 ابديت لي هجرا غير جنايسته والهجر منك بخاطري لم يهجن

تروثته فمات منه . ولا شهر في اسمها توزر بفتح التاء وبعض الناس يضبطها بالصم ولا وجه لذلك فان المستند في اختيار الصم الى مذهب سن راى ان الالفاظ الاعجمية في اي وزن كانت تخلق على ما وقعت في كلامهم ولا يغير منها الا ما غيرته العرب وامسا الى مذهب سن راى انها ان لم توافق وزنا من اوزان العرب غيرت ونقلت الى اقرب ذلك منها . قال التجاني وارض توزر في زماننا هذا من العرب لبني مرداس وقد تقدم ان رئاسة مرداس في بني جامع منهم وهم اشهر عرب افريقية قدما ورئاسة . وبتوزر مصلى كبير يحدق به حائط عظيم مرتفع وبمقربة هذا المصلى مقبرة الفقيه ابي محمد بن يعقوب رحمه الله وهي بدار اعدت هنالك لدفن سن يموت من الغرباء ذوي الاخطار ومعه فيها جماعة سواء وقبر الفقيه ابي محمد في بيت صغير مكتوب عند راسه تاريخ وفاته وكانت في السابع من جمادى الاخرى عام اثنين وسبعمائة . قال التجاني ووصلنا بتوزر قصيدة الفقيه الاجل الاديب ابي بكر محمد بن احمد بن شبرين المجذامي السبي من مستقرة غرناطة وهذا الرجل من اعظم من رايت تحقيقا واحسنهم في النظم والنثر طريقا قال وكنت اجتمعت به في تونس وقد وصل اليها في الخامس لذي القعدة من عام ثلاثة وسبعمائة وكان في نيته التوجه الى الحج فلم يقض له ذلك فاقلم بتونس مدة ثم ارتحل عنها عائدا الى وطنه سبعة وكان رحيله في التاسع عشر من المحرم متفتح عام اربعة وسبعمائة فاتفق بعد وصوله الى بلده من اخذ البلد ما اتفق وطرق اهله من التشتت بسبب ذلك ما طرق فكان هو وابوه ممن انتقل الى غرناطة فخطت هنالك بكتابة الرئيس الوزير ابي عبد الله بن الحكيم الرندي وبعث الي بهذه القصيدة لتونس معرفا بذلك فوجهت الي من تونس وقد كان حصل بيني وبينه مدة اقامته بتونس من المخاطبة والمجاوبة ما ملا سفر اجمعه وسميته نفحات السمرين في مخاطبات ابن شبرين ونص قصيدته هذه —

ما ذا علي صوب الحيا المتبحس لرجداد رسما بالكثير الاوعس
ايه

افريقية بالنمر يخرج منها في اكثر الايام الف حمل واكثر من ذلك فيتفرق
 في نواحي افريقية وبها اخرج خارج عن الحسد في عظم خلقه وطيبه وكثرة
 مائه . وفي اختصار اقتباس لانوار في حرف القاف القسطلاني ينسب الى
 قسطلية وقسطلية فربي قصبة وهي اربع مدائن في ارض واسعة فيها
 النخل والزيتون فالمدينة العظمى توزر بضم التاء وفتحها كما تقدم وبها تنزل
 العمال والثانية الحمة بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم سميت بذلك لان
 بها عين حارة والثالثة تقيوس بفتح التاء وسكون القاف وضم المثناة التحتية
 وبعدها واو واخرها سين مهملة والرابعة نفطة وهي بفتح النون وسكون
 الفاء وطاء مهملة وهاء ساكنة وحول هذه المدن اربع سباح ذكر ذلك
 اليعقوبي منها جماعة من اهل العلم منهم خالد بن نصر كان سمع من سحنون
 واصبح ذكره الشيخ محمد بن احمد التميمي وهو ابو العرب وذكر منها جماعة .
 قال في اختصار اقتباس لانوار توزر ينسب اليها بجيج بباء يين موحدين
 وجيمين هو ابن خراش ابو سعيد المغربي المقرئ يروي عن سحنون وروى
 عنه ابو العرب محمد بن احمد التميمي وكان علي ابن اسحاق الميورقي نزل
 عليها هو واخوه يحيى فحاصروا مدة وقطعا غابتها ولولا الخيانة من اهلها لما
 تملكوا عليها ولما افتتحوها ما لما اهلها الذين باطنوها على فتحهما واستاملا
 اموال لآخرين ثم الزامهم بعد ذلك اموالا اخرى يشتدون بها انفسهم فكان
 الرجل منهم ينادى عليه فان وجد من يفديه اطلق وإلا رمي بعد قتله في
 بئر هناك يسمونها بئر الشهداء اضيفت الى هؤلاء الذين رموا بها وكان هذا
 بعد فرارهما من بجاية عند وصول جيش المنصور اليها سنة اثنتين وثمانين
 وخمسائة ولما بلغ المنصور عنهما ما فعلاه في توزر انفذ ابن عمه يعقوب بن
 ابي حفص بن عبيد المومن اليهما فكانت الموارقة عليه الوقعة المعروفة
 بوقعة عمرة فتحرك المنصور بنفسه ووقع بهما الوقعة المشهورة بظاهر حمص
 مطامطة وقد تقدم ذكرها عند ذكر الحمة وتبعهم الى توزر فتوغلوا في صحرائها
 فرجع عنهم وقد ران مات علي بعد ذلك على توزر وجاءه سهم غائر في

انه قال - صعدت المنار بتوزر مع الفقيه ابى الحسن ابن التقيوسي فاشرفنا على الجنان فقال الفقيه ابو الحسن « كانا البست من سندس حلالة فقلت - وقد الله في احيادها ذهابا - » قال ابن الشباط وهنا وجه آخر من التفصيل وهو ان المدينة التي اختارها الله عز وجل لمهاجرة نبيه صلى الله عليه وسلم اختصت بالتخل وهو خير الانبياء وامامهم وخاتمهم الذي به تم تقدمهم وكمل نظامهم وجعلها الله عز وجل مقرا له بعد الهجرة في حياته ومجلا لجسده الطاهر المبارك بعد وفاته واطهر الايمان والاسلام منها وجعل فتوح البلاد ورحمة العباد صادرة منها فكل بلد اشتمل على نخل فله شرف فشبّه المدينة بشرف لا يتكرر وفخر لا يزال على الايام ينشر ويذكر . واذا عرفت ذلك فاعلم ان بلاد الجريرد انفردت بمزايا لاولى ان اموالها ثابتة لا يخشى عليها التغير مع غيبته صاحبها عنها الثانية لثباتها وعدم تغيرها يداين صاحبها ويعامل حيث كان شرقا وغربا الثالثة ان اهلها لا تنالهم مضرة المجاعة في اوقاتها الرابعة ان اثمان الرباع بها واكرمتها لا تنقص في ايام المجاعة الخامسة ان مناصبهم ومراتبهم محفوظة ما لم تنتقل عن ايديهم السادسة ان اهلها لا يخشون فقرا ولا حاجة ما دامت املاكهم باقية لهم السابعة ان اموالها كافية لكل احد بقدره فان سن كان عنده قليل او كثير كفاه الثامنة ان اهلها لا تتعذر عليهم الاوطان كما تتعذر على غيرهم بكثرة الامطار التاسعة ان بعضهم قال ليس في الارض شجرة يصنع منها للبعير اكافه ورحله وجميع ما يحتاج اليه ثم يقر حمله منها غير النخلة قال ابن الشباط ومع ذلك انه يعلف منها العاشرة انها في بلاد عبادة وزهادة لوجود المياه في كل المواضع وتيسير الاقوات في اكثر الاوقات . واذا تبين ذلك فقد قال الفقيه المحدث ابو العباس احمد بن عمر العذري الدلاعي رحمه الله وتوزر هي ام بلد قسيلية قال في صلة السط والصواب بلاد بالجمع وهي كبيرة وبها جامع شريف واسواق عامرة حولها ارباض كبيرة وهي حصينة منيعة وذلك لقرب النخل من سورها وفي بساطينها جميع الشار حاشا قصب السكر . وتيمر توزر افر يقية

ذوات اطواق مرصعات فيها يصفقن مثقلات
تصفق نسوان على اصوات ما بين اكمام مهدلات
بدت من الكافور صاحكات حتى اذا صرن الى ميقات
رحن من الجوهر موقدات بالذهب الرطب مكلات
ثم تبدلن باوعيات للعسل الماذي ضامنات
بخالص التبر مقنعات

قال ومن ملح التشبيهات قول بعض العرب -

وتمر كاطفال الزنوج اتوا بها وقد عمموا بالتبر منها رغووسها
فما زالت الانياب تقري بطونها كما خرث الاساد يوما فريسها
ومن الطف التشبيه ما ذكره بدر الدين الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقي
في كتابه نسيم الصبا حيث قال فمها نخيل بتحفة غير بخيل :
فجمارة -

جسم رطيب اللس لكنه قد لف في ثوب من الصوف
وظلمه -

كصدر فتاة ناهد شف قلبها سماع فشقت عنه ثوبا مسكا
وباحه -

مكاحل من زمرد خرطت مقنعات الرغووس بالذهب
وبسرة -

كانما خوصه عليه زبرجد مشر مقيقا
ورطبه -

اهليج من الجين مسمر بالنظر
وتمرة -

يشف مثل كروس مملوءة من عطار

قال ابن الشباط واخبرني بعض شيوخ بلدنا ان الفقيه القاضي ابا محمد
عبد الله بن عبد العزيز البكري عن الشيخ الصالح ابي الفضل البكري

وحبذا انت يا صنعاء من بلد ولا شعوب هوا منا ولا نعم
 وحبذا حين تمسي الريح باردة وادي اشي وفتيان به نُعم
 وقوله بوائك قال ابن قتيبة والبوائك الحواصل وفي الصحاح السمان
 من النوق ومن كلامهم انه لمنحار بوائكها وعليه انها النخل القوية الغلاظ
 وقوله ما يبالين السنين اي اعوام الجذب لانهم يشربون بعروقهن وقوله
 قرينا يحتمل وجهين احدهما ان يريد نخلة تجاورها اختها فهي مقرونة
 بها الثاني ان يريد جريدة تقارنها اختها وقوله كان فروعها في كل ربيع
 البيت قال ابن قتيبة يريد ان سعف النخلة منها ينال سعف النخلة
 الاخرى لقرب بعضها من بعض والمناسبة المجازية يقال تناصى الرجلان
 اذا اخذ كل واحد منهما بناصية صاحبه وقوله بنات بناتها وبنات اخرى
 صواد اي طوال وقوله ما صدين اي ما عطش والصداء العطش وهو من
 ابنيات المعاني وقوله وقد روينا مع ما قبله ابطاخ وهو من عيوب الشعر ومن
 مستحسن التشبيهات كما نقله ابن الشباط عن صاحب كتاب تشبيهات
 القراء ان قول كعب ابن الاشرف -

ونخيل في ملاء جملة تخرج الطلع كأمثال لاخف
 وقول الآخر في حسن تأليفها وتشبيه لينها -

جاءت على غرس طبيب ماهر عشرين عشرين بذرع وافر
 ترى لها بعد ابار الابـر مـأزرا تطوى على مأزر
 ولعبد الصمد بن المعذل يصف حمل النخل -

كانه في ناظر الاعصان زمرد لاح على تيجان
 حتى اذا تم له شهران وانسدلت مشاكل القنوان
 رايته مختلف الالوان مثل الاكاليل على العيان
 وقال ابن المعتز يصف النخل -

اعددت للحجار وللغفات روازقا في التحمل مطعمات
 تغزل فيها الطير نغمات كواذب الاقوال صادقات

نوات

شبههن بالفتيات اللبس وهن السم الشفاء لنصارتهن وشدة اخضرار اعاليهن
واللبس في الشفاء من الصفات المستكنة وهو ان يضرب لون الشفة الى
السواد قليلا ومنه قول الآخر -

فان لنا حظائر ناعمات عطاء الله رب العالمين
طلبين البحر بالاذناب حتى شرين جمامه حتى روين
تطاول محرمي صدي اشي بوانك ما يباليين السنين
تخرمها العطاء فكل يسوم يجاذب راكب منها قرينا
سكان فروعهما في كل ريح جوار بالذواتب يتصيننا
بنات بناتها وبنات اخرى صواد ما صدين وقد روينا
والحظائر الحدائق واحدها حظيرة والاصل في الحظيرة ما حظر بحائط او
غيره وقوله عطاء الله رب العالمين منصوب لانه صفة لقوله حظائر ويجوز
ان ينصب باصمار فعل اي اعطانا الله سبحانه ذلك ويجوز فيه الرفع على
اصمار المبتدا اي تلك الحظائر عطاء الله عز وجل والرب المالك والعالمين جمع
عالم بفتح اللام والعالم تارة يطلق على كل موجود سوى الله عز وجل وبهذا
لاعتبار هو جنس لا يصح فيه تثنية ولا جمع وقوله طلبين البحر بالاذناب
معناه انهن طلبن الماء بعروقهن واراد بالبحر الماء الملح وانشد بعضهم للناطقة
في معناه -

من الواردات الماء بالقاع تستقي باذنايبها قبل استقاء الحناجر
والجمام بكسر الجيم جمع جمته بالفتح وهو ما اجتمع من الماء ولاصل في الجملة
والله اعلم انه الموضع الذي يجتمع فيه الماء والجملة البشر الكثرة الماء والمحرم
بفتح الميم وكسر الراء منقطع انف الجبل وصداه جانباة واشي بضم الهمزة
وفتح الشين العجمة وتشديد الياء قال ابن قتيبة واشي واد معروف وقال
البكري واد او جبل في بلاد بني العدوية من تميم وقسال عمارة بن عقيل
اشي واد البراجم وقال غيره بلد قرب اليمامة وقال زياد بن جيل وهو المرار
العدوي -

حسرة وان كان قوله ذات حسرة مفردا لان قوله ذات حسرة لا يراد به الواحدة وانما يراد به الجمع والاصل ذات حسرة فوضع ألفرد موضع الجمع . والصعل بضم الصاد وسكون العين المهملتين جمع اصعل وصعلاء وهو في هذا المكان يحتمل وجهين احدهما ان يريد الصغار الرؤوس والصعل صغر الراس في الناس والنعام يقال رجل اصعل وامرأة صعلاء فنقى عنها صعل الراس لانه دليل على ضعف النخل الثاني ان يريد بالصعل العوجاء من النخيل المجرداء اصول السعف إلا ان هذا فيه اشكال لان فعلاء لا يجمع على فعل لكن يحتمل ان يجمع فعلاء على فعال ويجمع فعال على فعل . ومنه قول الآخر وقد نسبه علي بن حمزة البصري لعامة بن عقيل بن بلال بن جرير -
 دهم الخوافي منطقات خرس تحار في اطلالهن الشمس

• كانهن الفتيات اللبس •

والخوافي اصلها في ريش الجناح فاستعارها لجريد النخل وجعلها دهما لشدة خضرتها حتى تميل الى السواد وهو دليل قوتها ونعمتها . ومنه قوله عز وجل - مدهامتان - وقوله منطقات خرس وصفها بالنطق وذلك يحتمل وجهين احدهما ما يسمع لها من جفيف الجريد عند هبوب الرياح الثاني ما يسمع بها من اصوات الطيور التي تالفها . قال الاعشى -

طريق وجبار رواء اصوله عليه ابابيل من الطير تنعب

والطريق جمع طريقة وهي اطول ما يكون من النخل بلفظة اليمامة والجبار من النخل التي تقوت اليد والابابيل الجماعات قيل واحدا ابول وقيل لا واحد لها وابابيل مما يستعمل في الكترة والجنات التي تكون ملتفة الاشجار تالفها الطيور وتوصف بذلك فيستعار النطق لاجل ذلك كما قالوا روضة فناء اي يغني بها الذباب . وقوله خرس وهو جمع اخرس وخرساء وهو الذي لا ينطق وقوله تحار في اطلالهن بالطاء المعجمة جمع ظل يصفها بالتفافها وتكاثف جريدها . قال علي بن حمزة البصري ولا تحار فيها الشمس إلا لتكاثف الجريد واطراق الخوص . وقوله كانهن الفتيات اللبس

شبههن

لا يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمائم في غضون ذات اوقال
واما قراءة الرفع فاولت ايضا على وجهين احدهما ان الظرف اتسع فيه
فرفع برفع الفاعل الثاني ان الين هنا بمعنى الوصل فالرفع على بابه لا
على الاتساع . واعلم ان ما جاء على الاتساع ما ذكر بعض النحويين من
قولك هذا رجل حسن بين العينين لا قبجه بخفض بين هذا اذا لم
تنطق بما فان نطقت بها ففي ذلك وجهان احدهما ان تجعلها زائدة
فيبقى الحكم على حاله فتقول هذا رجل حسن ما بين العينين لا قبجه
بخفض بين الثاني ان تجعل ما بمعنى الذي وحينئذ لا يجوز في بين إلا
النصب على الظرفية . ثم قال ابن الشباط واعلم ان ما اجازة النحويون
من الاتساع ابعد من حذف ما وبقاء الظرف على حاله فان هذا المعنى
ليس فيه إلا مجاز واحد وهو حذف ما فقط للعلم بها . واما الاتساع ففيه
وجوه من المجاز احدها حذف المضاف الثاني اقامة الظرف مقامه الثالث
ايصال الفعل اليه ونصبه الرابع اخراجه من باب الظرفية الى باب الاسمية
حتى ارتفع فاعلا وانتصب مفعولا على الاتساع . ثم بعد ذلك كله لا يفهم
المعنى حتى يرد الى اصله وينطق بما في تقديره ويبين وجه الاتساع
فيه . وهذه الوجوه كلها معدومة في الوجه الاول ولا شك انه مهما قل
العمل في المجاز كان ارجح إلا في باب الاستعارة المستحسنة . ولهذه العلة
والله اعلم مال النحويون الى هذا الطريق على طوله وكثرة العمل فيه وتركوا
الاول على قربهم وقلة العمل لما في هذا من الاستعارة وعدم ذلك في الاول .
وقوله لا ذات حسرة يحتمل وجهين احدهما ان يستعير له الحسرة وهي
اشد التلief على الفاتئ اي انها ليست بقصار فتلief على ما فاتها من
الطول كما تلief المرأة القصيرة على ذلك اذا رأت الطوال الثاني ان يريد
بالحسرة الانقطاع والاعياء من قولك حسر بعد الشيء لحاقا بالنصب اذا
اعياها كان النخل القصار اعياها ان تلتحق الطوال فنفي ذلك عن هذا النخل
وهذا كله من باب الاستعارة . وقوله قصار جمع وهو نعت لقوله ذات

بالخير خيرات وان شرا فشا ولا نريد الشر إلا ان تشا

يريد ان شرا فشر فاكتفى ببعض الكلمة . فان قلت حذف الموصول وابقاء
صلته ولاكتفاء بها لم يرد في سماع فالجواب بل ورد في السماع وجاء
في الكتاب العزيز وهو قوله عز وجل - والذي جاء بالصدق وصدق به -
اي والذي جاء بالصدق والذي صدق به . قيل الذي جاء بالصدق
هو النبي صلى الله عليه وسلم والذين قالوا هذا القول اختلفوا في الذي صدق
به فقالت طائفة هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقالت طائفة هو علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه وقالت طائفة الذي صدق
به المؤمنون وعلى كل تقدير فالموصول محذوف وقد اكتفى بصلته . فان
قلت تقدم الذي في صدر الاية دل على المحذوف بخلاف المسألة التي
نحن فيها فالجواب هذه قرينة مقالية وتلك حالية ولا فرق بينهما عند
ذوي الاعتبار من اهل النظر . واذا عرفت ذلك فاعلم ان المراد بالزرع هنا
الخلل انفسها اي انها بعيدة في الزرع والغرس . واما الخفض فعلى وجهين
احدهما ان تجعل بين بمعنى البعد والثاني ان تجعل بين بمعنى الوصل
فان البين من الاضداد اي بعيدة وصل الغرس والمراد انها لا وصل بين
غرسها بل هي تباعدة الوصل . وهاتنا وجه ثلث وهو ان تجعل الاصل
بعيدة ما بين الزرع ثم تحذف ما للعلم بها كما تقدم ثم تختص الطرف
على الاتساع لفهم المعنى من دلالة الحال عليه . وفي الكتاب العزيز - لقد
نقطع بينكم - قري بالفتح وهي قراءة نافع وحض والكسائي وبالضم وهي
قراءة باقي السبعة . فاما قراءة النصب فاوالت على وجهين احدهما ان
الفاعل محذوف اي تنقطع وصلكم بينكم اي ما انتم عليه من الشرك
بينكم والثاني ان يكون الفاعل هو قوله عز وجل بينكم . واختلفوا في
مجيئه على الفتح فليل لان اصله الظرفية واكثر استعماله كذلك فابقي
في حال الرفع على هيئته وقيل ان الظرف هنا مبني لبناء ما اضيف اليه
لان المضاف قد يكتسب صفة البناء باضافته الى المبني كما قال الشاعر -
لا يمنع

وهي التي يسافر بها . واعلم ان تشبيه هذا الشاعر النخل بالطفائف هو والله اعلم لما تشتمل عليه من خضرة الجريد وحمرة الثمار وصفرتها كالبوادج التي تزين بالرقم وانواع الالوان ولذلك قال مصروب عليها قباها . وقوله تدر بضم الدال وذلك يحتمل وجهين احدهما ان يكون ذلك استعارة شبه حمل النخلة بلبن الشول والمراد انه اذا عدم در الشول وجد در هذه يريد في علم الجندب الثاني ان يريد بذلك الدبس الذي هو عسل الثمر يسيل منها فشبهه بدر الناقة ولاول اولى . والشول التي جف لبنها وارتفع ضرعها ومضى عليها من وقت نتاجها سبعة اشهر او ثمانية والواحدة شائلة وهو جمع على غير قياس والصحيح انه اسم جمع لا جمع . والصفر الخالي والوطاب جمع وطب وهو زق اللبن . وقوله بعيدة بين الزرع يجوز فيه وجهان احدهما نصب بين والثاني خفضه اما النصب فعلى ان المضاف محذوف للعلم به اي بعيدة ما بين الزرع ثم حذف المضاف اليه وهو ما وهذا الوجه فيه ضعف وقد لا يجيزه بعض التكويين او اكثرهم وجتهد ان الموصول لا يحذف لانه مع صلته كالشيء الواحد فكما لا يجوز النطق ببعض الكلمة كذلك لا يجوز النطق ببعض الصلة ولا بالموصول دونها ولا بما دون الموصول وهذا الاحتجاج وان كان واضحا إلا ان هاهنا ما يعارضه وهو قولهم ان الموصول مع صلته كالشيء الواحد وهو دليل المنع . قال ابن الشباط وما استدلتتم به في المنع هو الدليل على الجواز . فانه لما كان مع صلته كالشيء الواحد كان النطق ببعض دليلا على الباقي المحذوف وذلك مسوغ للحذف لا مانع منه . واذا كانت القرينة الحالية مسوغة للحذف مع انها لا اثر لها في اللفظ فما يكون اللفظ دالا عليه اولى ان يسوغ حذفه . واما قولهم لا يجوز النطق ببعض الكلمة فكذلك الموصول فيه تفصيل . قال ابن الشباط لا يسوغ النطق ببعض الكلمة هذا اذا لم تدل دلالة على المحذوف اما اذا دلت فمسلم . وقد جاء ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم - كفى بالسيف شا - اي شاهدا وفي قول الشاعر -

زيداً لكن عمراً اي لكن اكرمتم عمراً والبيت وردت فيه لكن على خلاف
هذا الحكم فان قوله ليست بسنها ولا رجبية معناه على ما فسر ليست
بمنقطعة الحمل في بعض الاعوام ولا بمدعمة بدعامة فكان يجب على هذا
ان يقول لكنها متصلة الحمل غير محتاجة الى دعامة لاستقامتها وشدتها فهذا
هو المناسب على ذلك التعبير السابق . واما قوله ولكن عرايا في السنين
المجوائح فانه لا يناسب ذلك قال واذا ظهر لك ذلك فاقول لا ولي ان يفسر
السنها بانه لا يباع ثمرها مسانته ورجبية بانه ليست عندهم معظمته
يدخرون ثمرتها لانفسهم فان الترجيب هو التعظيم بل هي مبدولة عرايا في
اوقات الحاجة لاهل الخلعة والسكنة فعلى هذا يلتزم صدر البيت وعجزه
وتكون لكن جارية على حكمها فيكون المعنى انهم لا يبيعون ثمرتها
مسانته ولا يدخرونها لانفسهم ضنانه وبخلاف لكن يخصمون بها ذوي الحاجات
في اوقات الضرورات . ومنه قول الآخر في نعت النخل وقد نسبها علي
ابن حمزة البصري في كتاب التنبهات على اغاليط الرواة لذكوان العجلي
وذكر انه من جيد النعت للنخل -

نواصر غلبا قد تدانت رعوها من النبت حتى ما يطير غرابها
تري الباسقات العم منها كانها طعائن مضروب عليها قباها
تدر اذا ما الشول لم يرج درها وامست من الالبان صفرا وطاها
بعيدة بين الزرع لا ذات حسرة قصار ولا صعل سريع ذهابها
قسولم نواصر اي نواغم وغلبا اي غلاظ ويحتمل ان يريد غلاظ الرقاب فانه
دليل على قوة النخل والاغلب من الرجال الغليظ العنق فاما قولهم حديقتة
غلباء فمعناه ملتفة كما في الصباح ومنه « وحدائق غلبا » . وقوله ما يطير غرابها
يحتمل وجهين احدهما لكثرة حملها او خيرها كما يقال « خير لا يطير غرابه »
معناه يقع الغراب عليه فلا ينفر والثاني ان يريد بذلك تكاثف جريدها
والثغافه حتى لا يجدد الغراب في الغالب مطارا بينها . والباسقات هي
السميات العاليات والعم الطوال والطعائن جمع طعينة وهي المرأة في اليهودج
وهي

وأصبحت قد انكرت قومي كانني جنيت لهم بالدين أهدى الفصائح
وبعد بيت آخر أيضا وهو —

أدين على أئمارها وأصولها لاولى قريب أو لآخر نازح
وقوله أدين بفتح الهمزة أي أخذ الدين وأما أدين بضم الهمزة بمعنى أعطى
الدين يقال دان الرجل إذا أخذ الدين وأدان بمعنى أعطى وفي حديث
الموطأ أدان معرضا والشم بضم الشين العالية المرتفعة والمجلاد الصلاب الشداد
وقال ابن قتيبة في كتاب معاني الشعر له معناه القوية الصبر على العطش
والتفروح جمع قروح والأصل القراويح بالياء فحذفها لضرورة الشعر والخوار
الناقاة الغزيرة اللبن والغار الزفت وقال ابن قتيبة إن النخل إذا اسودت
جذوعها كانت أصلب والماتح بالهمزة الذي ينزل البثر فيملا الدلو إذا قل
ماء البثر والماتح بالمشنة القوية الذي يزيل الدلو من أعلا البثر . قال
صاحب تنقيف اللسان الأعلى للأعلى والأسفل للأسفل من حيث النقط .
وقوله لها قابل أوعى قال ابن قتيبة القابل الذي يتناول الدلو يعني
لستقي النخل والجوانح عظام الصدر وقوله تناول بضم اللام وحذف إحدى
التاءين تخفيفا للعلم بها . والبسار بكسر الباء وبالسین المهملة والراء الميالة
التي في الدلاء وسمي الدلو بسارا لاشتعاله عليها . والسنهاء التي تحملها
وتحول عاما . والرجبية بضم الراء وتشديد الجيم ويروى بتخفيفها النخلية
التي يخشى عليها أن تسقط فيبنى بأسفلها رجبة وهي مثل الدكان والرجبة
بضم الراء وسكون الجيم جمعها رجب كركبة وركب ومنه قول حباب بن
المنذر — يوم سقيفة بني ساعدة — أنا عذيقها المرجب — وجذيلها المحكك .
والعريّة النخلية يعطى الرجل أهل البيت ياكلونها . قال ابن السبط
وهذا البيت ينشده الفقهاء شاهدا على العريّة ثم قال وأعلم أن ما تقدم
ذكره من تفسير السنهاء والرجبية هو الذي ذكره اللغويين في ما علمت إلا
أن البيت عندي فيه اشكال وهو أن حكمه لكن ، أن يكون ما بعدهما
مخالفا لما قبلها كما تقول أكرمت زيدا لكن عمرا لم أكرمه وما أكرمت

عمان و عمان هنا بضم العين وتخفيف الميم وهو موضع باليمن فاما عمان بفتح
 العين وتشديد الميم فهو موضع بالشام . قال ابو العلاء المذكور للاسدي صفها
 قال : سيب افيح . وفصاك صحصح . وجبل صودح . ورمل اصبح . فقال
 له فما مالك . قال النخل . فقال له فاين انت من الابل . قال ان
 النخل حملها غذاء وسعفها ضياء وجذعها بناء وليفها رشاء وخرصها وعاء
 وقرءها انا . قوله سيب هو بكسر السين المهملة الشاطي وفيه اشكال ان
 اراد به سيب البحر فانه يناقض ما قبله وان اراد سيب نهر من الانهار
 فلا اشكال وقد يكون قوله سيف بالفاء اخت القاف تصحيفا من سيب
 بالباء الموحدة وهو مجرى الماء فيكون قوله افيح اي واسع والصصح المكان
 المستوي والاصبح الذي تعلو بياضه حمرة والقرء وعاء من جذع النخل
 ومنه قول عمران الكاهن حين اعلم اهل سبا بتفريقهم في البلدان وتشيتهم كما
 قال الله عز وجل - ومزقناهم كل ممزق - ووصف لهم البلدان ليخفروا منها
 المواضع التي ينزلونها فقال - ومن اراد الراسخات في الوحل المطعمات في
 الحبل فليالحق بيثرب ذات النخل - فالحقت بها الاوس والخزرج ابناء
 حارثة بن ثعلبة بن عمرو وعمران الكاهن هو اخو عمرو بن عامر الملقب
 بالمزيقياء لانه كان يمزق كل يوم حلة اذا لبسها فلا يعود اليها . ومنه ما
 حكاه صاحب تشبيهات القرء ان قال ابو حاتم من فضيلة النخل ان الله
 تعالى لم يجعله في بلد كفر وما منه شيء الا في بلاد الاسلام او ما قد وصل
 اليه الاسلام . واما ما ورد من ذلك في الاشعار فمنه قول سويد بن
 الصامت الانصاري وقد ذكره دعبل بن علي الخزاعي في طبقات الشعراء -
 ادين وما ديني عليك بفسرم ولكن على الشم الجلاذ القراوح
 على كل خوار كان جذوعها طلسين بقرار او بحماة مائح
 لها قابل اوعى الجوانح كلها تناول كفاه البسار الجوانح
 وليست بسناء ولا رجيسته ولكن مرايا في السنين الجوانح
 وقبل هذا البيت بيت اخر وهو -

وامبحت

والثانية التاكيد والثالثة الدلالة على المباشرة كما قالوا في قوله عز وجل -
فامسحوا برءوسكم - وهنا وجه رابع وهو ان يكون • وهزي بيدك جذع
التخلّة • ثم حذف ذكر اليد للعلم به فيكون هذا كما قيل في قوله تعالى -
وامسحوا برءوسكم - ان لاصل وامسحوا رءوسكم بالماء ثم قلب فصار وامسحوا
بالماء رءوسكم ثم حذف ذكر الماء للعلم به وبقي وامسحوا برءوسكم وهذا من
باب مفهوم العكس واستشهد له ببيت كتاب مسبوويه وهو - كنواح ريش
حمامة نجدية - ولاصل فيه ومسحت اللثتين بعصب الاثمد ثم قلب
على نحو ما تقدم ، وقوله حين نفست ويقال نفست المرأة بالكسر اذا
اصابها النفاس وهو وجع الولادة ويقال نفست المرأة غلاما على بناء ما لم يسم
فاعله والولد منفس كذا في الصحاح • قال وفي الحديث ما من نفس
منفوسة الا وقد كتب مكانها من الجنة او النار • وذكر ابن القوطية ان
قولك نفست بفتح النون وكسر الفاء اذا ولدت ونفست على ما لم يسم
فاعله حاصت وولدت وذكر غيره انه لا يقال في الحيض الا بالضم • وذكر
صاحب كتاب تشبيهات القراءان هذه الحكاية التي تقدمت في كتاب
قيصر الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه - ان رسلي اخبروني ان قبلكم
شجرة تخرج كأذان الحمير ثم تنفلق عن مثل اللولو المنظوم في مثل قضبان
الذهب فيصيبون منه مع ذلك ثم يكون كالياقوت الاحمر ولاصفر ثم
ينضج كالفالودج فهو صمة المقيم وزاد المسافر فان تصدق رسلي فهي شجرة
من الجنة - فاجابه عمر رضي الله عنه - هي التخلّة التي انبتها الله على
مريم عليها السلام حين نفست بعيسى عليه السلام فاتق الله ولا تجعله
من دونه إلهًا - ان مثل عيسى عليه السلام كمثله ادم خلقه من تراب :-
ومنه ما يحكى عن ابي العلاء المعري انه قال - قلت لاعرابي اسدي من
اهل عمان أنى لك هذه الفصاحة - قال - سكنا ارضا لا نسمع فيها ناجحة
التيار - هي بالنون والجميم والخاء المعجمة صوت البحر والتيار البحر والاسدي
بفتح الهمزة وسكون السين ويقال ازدي ايضا بالزاي وهم اسد عمان وازد

كصدر فتاة ناهد شغ قلبها سماع فشقت عنه ثوبا ممسكا
ونشر على طويل ذلك المتن شرحه وطرز بحواشيه بأحـ
مكاحل من زمرد خرطست مقمعات الرءوس بالذهب
وخلع على عسير جذعه لطيف يسره واطلع تحت اهلة جريدة ثريا بسره
كانما خوصمه عليه زبرجد مثمر ثقيفا
ولا موائد رتبته بجفان رطبـ

اهليلج من لجين مسمر بالنظار
حتى بان انضاج ثمرة فجنوا بانامل الشكر يواقيت ثمرة
يشف مثل كووس مملوءة من عسار
لا يستكثر في باهر قدرته جل جلاله خلق عيسى عليه السلام من غير اب
من بنت عذراء ولكن جعله عليه السلام آية فرقت بين سن سمع وعصى
يوم السم وبين سن اكد الطاعة بالامتثال البت - وما كنا لنهتدي لولا
ان هدانا الله - . ورحم الله شرف الدين ابا عبد الله محمد بن سعيد بن
حماد بن محسن بن عبد الله بن منهاج بن هلال الصنهاجي البوصيري
ونفعنا به ءامين في قوله -

كيف وحَدَّثتمْ أَلْهًا نَفَى التَّوْحِيدَ عَنْهُ الْإِبَاءُ وَالْإِبْنَاءُ
أَلَّا مَرْكَبَ مَا سَمِعْنَا بِأَلِّ لَذَاتِهِ أَجْزَاءُ
الْكُلِّ مِنْهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَلِكِ فَهَلْ لَا تَمِيزُ الْإِنْصِبَاءُ
وَذِيلُ هَذَا الْمَقَامِ بَيِّتَيْنِ -

ورفضتم جميل جذع اتي منه لمعبودكم غذا وشـ
كان من سبركم عبادة عيسى فاعبدوا ما به لديه غذا
ويقال هاهنا ما الفائدة في دخول الباء في قوله تعالى - وهزي اليك بجذع
النخلة - والجواب من وجهين أحدهما ان يكون المفعول محذوفا اي هزي
العرجون او التمر بجذع النخلة الثاني ان تكون صلة في المفعول كما قال -
« نضرب بالسيف ونرجو بالفرج » وعلى هذا فلها فوائد أحدها الاصاق
والثانية

عارض ذلك ما شك انه سمع مثل الينق الابيض او الدر الابيض . وقوله
ثم ترطب بضم التاء يقال ارطبت النخلة اذا صار بسرها رطبا وارطب البسر
صار رطبا . والفالوذج بفتح الذال المعجمة وبالجميم وهو الجاري على اللسان
والوارد في بعض الاخبار وهو طعام يصنع بالعسل والسمن . قيل للحسن
البصري رحمه الله تعالى ان فلانا يعيب الفالوذج فقال ايعاب البر بلعاب
النخل بخالص السمن ما اعاب هذا مسلم ذكر ذلك ابن قتيبة في عيون
الاخبار والمخاظ في البيان وفي تفسير القرءان للنعماني رحمه الله في شرح
قوله تبارك وتعالى - لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم - روي عن عائشة
رضي الله عنها وابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
ياكل الدجاج والفالوذج وكان يعجبه الحلو والعسل وقال المومن حلو يحب
الحلاوة وقال في بطن المومن زاوية لا يملأها الا الحلو . وروي ان الحسن
كان ياكل الفالوذج فدخل عليه فرقد السبخي فقال يا فرقد ما تقول في
هذا فقال لا اكلمه ولا احب اكلمه فاقبل الحسن على غيره كالتعجب وقال
لعاب النخل بلباب البر مع سمن البقر يعيبه مسلم . وجاء رجل الى
الحسن فقال ان لي جارا لا ياكل الفالوذج قال ولم قال يقول لانودي شكره
فقال الحسن ايشرب الماء البارد قال نعم قال ان جارك جاهل ان نعمة الله
تعالى عليه في الماء البارد اكثر من نعمته في الفالوذج . وقوله ان تهز
بجذعها الجذع كان يابس وكان رثن شتاء فهزت به فعاد نخلة وتساقطت
عليها رطبا جنيا . قال جامع غفا الله عنه واحياه موات النخلة لاجل عيسى
عليه السلام تاكيد لدفع ما يريب مريم عليها السلام واقامة دليل على سن
ينكر صديقتها . ولسان حال الخارقة يقول ان من شأنه ان يطلع هذه
النخلة من جذع يابس لا مطمع في حياته بعد ان اجري ماءها فاحياها ثم
انبت لها ورقا فطلعت واطلعت ووشى صفتي عذارها باقراط جمارها -
جسم رطيب اللبس لكنسهم قد لف في ثوب من الصوف
وانبت زرعها واطلع طلعه -

بصلعاء بني عبد الله بن غطفان فان ذلك التخصيص لا فائدة فيه والله اعلم .
والصلعاء هنا بالصاد والعين المهملتين وقد جاء في غير هذا الخبر الصلفاء وهي
الارض الصلبة وقد يكون ارضا بعينها ايضا . وقوله ضرست اي قامت
اضراسك وفي الصحاح الضرس بالتحريك كلال في السن من تناول شيء
حامض وقد ضرست اسنانه بالكسر وقال ابن القوطية وضرس الرجل ضرسا
وجعته اضراسه من اكل الحامض . قال ابن السباط والمراد بالضرس في هذا
الخبر والله اعلم قالم اضراس اكل الزبيب من رض عجمه واما الحموضة
وان كانت توجد في بعض اصنافه فلا يبلغ حالة اكله مع ذلك الى
الضرس إلا ان يكون الكلام خرج على جهة المبالغة والله اعلم . وقوله
غرثت بكسر الراء اي جعت يقال غرث الرجل بالكسر غرثا بالفتح فهو
غرثان * واما ما جاء عن غير الصحابة رضي الله عنهم فمنه ما ورد في
الاخبار ومنه ما ورد في الاشعار اما ما ورد في الاخبار فمنه ما يحكى ان
ملك الروم كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه - بلغني ان بارضكم
شجرة تطلع مثل اذان الحمر ثم تنشق عن مثل اليقق الابيض او الدر
الابيض ثم تخضر عن مثل الزبرجد الاخضر ثم تصفر عن مثل الذهب
الاخضر ثم تحمر عن مثل الياقوت الاحمر ثم ترطب فتكون احلى من
الفالودج اكلا ثم تيبس فتكون قوتا للمقيم وزادا للمسافرين فان صح ذلك
فهذه شجرة من الجنة . فكتب اليه عمر رضي الله عنه بما معناه ما اخبرتك
به رسلك صحيح وهي الشجرة التي امر الله عز وجل مريم بنت عمران ان
تهز بجذعها حين نفست بعيسى عليه السلام فاتق الله ولا تتخذة الاها من
دون الله . وقوله تطلع بالفوقية اي تخرج طلعا يقال اطلعت النخلة اذا
ابدت طلعا وقوله عن مثل اليقق الابيض كذا سمعته من بعض اصحابنا
فيما يغلب على ظني إلا ان فيه اشكالا فان اليقق هو الشديد البياض
الناصع فاذا قلنا اليقق كان في تقدير شديد البياض فكان قوله الابيض
بعد قوله اليقق تكرارا لا فائدة فيه لكنه يحمل على المبالغة والتأكيد وقد

عارض

الذي ليس له عسل ولذلك ليس كالصقر الذي في رءوس الرقل والصقر
 إنما يخرج من التمر بعد ما يزول من رءوس النخل ويبقى مدة . وقال
 في الصحاح الدبس ما يسيل من الرطب . وقال ابن قتيبة وأهل الحجاز
 يسمون الدبس الصقر . وقوله ليس كالصقر كلام فيه حذف ويحتمل وجهين
 أحدهما أن يكون المراد ليس شيء من الثمار كالصقر الثاني ليس الزبيب
 كالصقر . والرقل بفتح الراء المهملة وسكون القاف الطوال من النخل وأحدهما
 رقلة وقوله الراسخات أي الثابتات والوحد بسكون الحاء وفتحها الطين
 والمراد أنها تنبت بالطين وتنمو على ذلك ولا يتزحزح أصلها بخلاف أكثر
 الأشجار ولا يضرها كونها في الوحد دائما بخلاف غيرها . وذهب بعضهم إلى
 أن المواد بالراسخات في الوحد التي تشرب بعروقها من الأرض والأول أظهر
 والله أعلم . والمحل المجدب يقال أحل فهو ماحل وقد جاء محل في الشعر
 وقوله تحفة بفتح الحاء والتعلة بفتح التاء وكسر العين المهملة وتشديد اللام ما
 يعلل به المرء والمعنى أن الصبي يعلل به عن اللبن أو غيره فيذهب بكاره
 وعلته . وقوله ونزل مريم بضم النون والزاي قال أبو علي في تفسيره والنزل
 ما ينساع من الطعام وقيل الأولى أن يحمل قوله النزل هنا على ما يهيا
 للنزول من الطعام والنزول هو الضيف يقال نزل بالضم والسكون . وقوله
 وينضج بفتح الصاد أي يطيب يقال نضج اللحم والتمر بالكسر نضجا بضم
 النون ونضجا بفتحها إذا أدرك فهو نضيج وناضج وانضجته أنا . وقوله ولا
 يعني بالتشديد أي لا يتعب والعناء التعب . وقوله ويحترش بالحاء
 المهملة والشين المعجمة أي يصاد والضب حيوان معروف والصلعاء الأرض
 التي لا نبت فيها هذا قول أبي علي البغدادي رحمه الله . وقال البكري
 الصلعاء أرض لبني عبد الله بن غطفان قال ولأرض التي لا نبات فيها ضب
 والصلعاء هذه مضبة . قال ابن الشباط يحتمل أن يكون قول أبي علي محمولا
 على الضب التي تكون خالية من النبات ويكون فيها وجر الضب وأن
 كان ما حولها فيه النبات وحملت على هذا أولى من أن يخص ذلك

لنا في مدنا اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك وانا عبدك ونبيك وانه
دعاك لمكة وانا ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثله معه - ثم
ويدعو اصغرو ولد يراه فيعطيه ذلك التمر . وفي رواية اخرى عن مالك
فاذا اخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه على وجهه ثم قال - اللهم
الى عاخرة . ومنها ما ذكره صاحب تشبيهات القرءان قال كان النبي صلى
الله عليه وسلم يقول - اذا اقبل الرطب فهينوني فاذا ذهب فعزوني -
وقال - اطعموا نفساءكم الرطب فان الله عز وجل لو علم شيئا خيرا منه
لاطعمه مريم حين نفست بعيسى - عليه السلام . قال انس بن مالك اولم
النبي صلى الله عليه وسلم على صفيّة بتمر وسويق . وذكر كمال الدين
الدميري رحمه الله في مادة الدود من كتاب حياة الحيوان ما نصه وروى
ابن عدي بسند فيه عصمة بن محمد بن فضالة عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال - كلوا التمر على الريق فانه يقتل
الدود - . واما ما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فمعه ما جاء في الامالي
عن ابي علي القالي قال ذكروا عند عمر رضي الله عنه ايما افضل الرطب
ام الزبيب قال - ليس كالصقر في رءوس الرقل الراسخات في الوحل
المطعمات في المحل تحفة الصائم وتلة الصبي ونزل مريم ابنة عمران وينضج
ولا يعني طابخه ويحترش به الضب من الصلعاء ليس كالزبيب الذي
ان اكلته ضرست وان تركته غرثت - . والقالي منسوب الى قايقلا مدينة
من مدن ارمينية وابو علي يقال له ابو علي البغدادي لسكانه ببغداد والله
اعلم وقيل له القالي لانه ورد بغداد مع قوم من اهل قايقلا فكانوا يكرمونه
لمكانه من الشعر ومكانهم قريب من بلده فانتسب اليهم فغلب عليه القالي
وهو مشهور لا يحتاج الى اطناب . والصقر بفتح الصاد المهملة وسكون القاف
الدبس بكسر الدال وسكون الباء الموحدة وهو عسل التمر وليس المراد بقوله
ليس كالصقر والله اعلم الصقر نفسه وانما المراد التمر فسماه صقرا لاشتماله على
عسله وان ذلك يقطر من بعضه وهو على رءوس النخل بخلاف الزبيب
الذي

مومرة من امرت الشيعي امره بالمد اذا اكثرت به يقال امر الشيعي بالكسر
 وامرته ثم غير على رايه للاتباع لقوله صلى الله عليه وسلم ما بورة . واعلم
 ان هذا التغير لا ينبغي ان يسار اليه الا بدليل وقد جاء امرته بالتقصير
 بمعنى امرته بالمد اي كثرت فيجتمعا ما جاء في الحديث على هذه اللغة
 لا على الاتباع والحديث حجة على ما سواه . واما السنة فمنها ما جاء
 في الموطا وفي كتاب مسلم بسنده عن عبد الله ابن دينار انه سمع عبد الله
 ابن عمر رضي الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ان من
 الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانه مثل المسلم فحدثوني ما هي - فوقع الناس
 في شجر البواقي قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فوقع في قباي انها
 النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال فقال - هي
 النخلة - قال فذكر ذلك لعمر قال لان تكون هي النخلة احب الي
 من كذا وكذا . وفي حديث آخر في كتاب مسلم ايضا - مثلها مثل المؤمن .
 ومنها ما جاء في كتاب مسلم ايضا في فضائل ابي طلحة لانصاري رضي الله
 عنه انه جاءه صلى الله عليه وسلم بالمولود الذي ولد بعد موت ولد كان
 له قبله قال فوضعه في حجرة صلى الله عليه وسلم ودعا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بعجوة من عجرة المدينة فلاكها في فيه الشريف صلى الله عليه
 وسلم حتى ذابت ثم قذفها في فم الصبي فجعل الصبي يتلطمها قال فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم - انظروا الى حب لانصار النمر - قسالة فمسح
 وجهه وسماه عبد الله . واعلم ان كل حديث ورد في هذا المعنى فهو دليل
 على فضل النخل والتمر . ومنها ما جاء في كتاب الشبهات من قوله صلى
 الله عليه وسلم - نعم المال الراستخات في الوحل المطعمات في المحل . وقوله
 صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مابورة وفرن مامورة . ومنها في الموطا
 عن ابي هريرة انه قال كان الناس اذا راوا اول التمر جاؤوا به الى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فاذا اخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال -
 اللهم بارك لنا في تمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك

منبهة على وجه المنة والنعمة بخلق النخل . و ابو العباس الدلاعي منسوب الى دلاية قرية من قرى لاندلس من اعمال المرية وهو احمد بن عمر بن انس العذري يحدث مشهور جليل القدر سمع من ابي ذر و ابي العباس الرازي وغيرهما ومن طريقه يروي الفقيه ابو حفص التوزري رحمه الله كتاب مسلم مولده ليلة السبت لاربعة خلون من ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة توفي بالمرية ليلة الاربعاء وبها دفن بعد صلاة العصور لعشر بقين من شعبان سنة ثمان وتسعين واربعمائة وصلى عليه ابنه انس . وكتاب الفقيه ابي العباس في البلدان من اجل ما صنف في هذا الشأن قال صاحب السيط وقد وقفت على بعضه وكتب الفقيه ابو حفص في آخر الكتاب من صحيح مسلم قال ابو علي يعني شيخه ابا علي الصدي رحمه الله انتهيت بالسماع على ابي العباس العذري في قراءة ابي الحسن طاهر مفرز بن احمد بن مفرز الماعري بمسجد المرية من شرقي لاندلس من كتاب العذري قال وانا امسك بكتابي هذا ايضا بعد ان علم بعلامته العين واراها لشيخه ابي علي رحمه الله قرأته على الفقيه ابي العباس احمد بن عمر بن انس العذري المعروف بابن الدلاعي بيلنسية سنة اربعين واربعمائة قال وحدثني به عن ابي العباس احمد بن الحسن بن مغدار ابن جبريل الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابراهيم بن احمد بن سفيان قال حدثنا مسلم بن حجاج قال صاحب كتاب تشبيهات القرءان بعد ما ذكر ما قيل من انه تعالى عني بالشجرة الطيبة النخلت ويشهد لهذا العاويل ما جاء في لائبر من فضيلة النخل وان النبي صلى الله عليه وسلم بارك وقال - خير المال سكة مابورة و فرس مامورة - السكة الطريقة المصطفية من النخل والمابورة بالهمزة الملقحة من لا بر وهو القاح النخل يقال ابرها بالفتح يابرها بالكسر ابرا بالسكون ولا بار بكسر الهمزة لاسم والتابير مصدر ابر بالتفديد . وقسوله صلى الله عليه وسلم و فرس مامورة ويروي ومهرة مامورة وهي الكثيرة الولادة والنسل واصله عند بعض الادباء

مومرة

ان شرك القدر ضرر فلا مزاج له فات الرجيع وسل عن دار الحيان
 قوم توأصوا باكل الجار بينهم فالكلب والشاة والانسان سيان
 وليس يوقف لوقت بناء توزر على تحقيق لقدم العهد في ذلك وبعض
 المؤرخين يقول ان بناءها من زمن الطوفان من نوح عليه السلام . قال
 التجاني ولما افتتح المسلمون توزر بنوا بازاه كل كنيسة مسجدا قال ابو محمد
 محمد العيني في كتابه عقد الجمان توزر بضم التاء وسكون الواو وفتح الزاي
 وفي اخرها رائة مهملته قاعدة بلاد قسطنطينية ولها نخل ومحضات ونهر يستقي
 بمساتينها . قال ابن سعيد وبلادها جزائر في وسط الرمل والصحاري المكتشفة
 بها وبها الكتان والحماة . وفي صلة السمط قال الفقيه ابو العباس الدلاعي
 رحمه الله في وصف مدينة توزر ناقلا عن اختصار اقتباس الانوار بعد تقديم
 ما جاء من الفضل في النخل ما نصه : اعلم ان من ذلك ما جاء في الكتاب
 العزيز الذي هو القرآن والحجة البالغة والفرقان ومنه ما جاء في السنة
 السوية عن سيد البرية صلى الله عليه وسلم ومنه ما جاء عن الصحابة
 الابرار وغيرهم من ذوي الحكمة والاعتبار فاما ما جاء من ذلك في الكتاب
 العزيز فقولہ جل جلالہ وتبارکت اسماءہ - فیہما فاکہتہ ونخل ورمان -
 فعد ذلك سبحانه في نعيم اهل الجنة وقوله جل وعز لمريم ابنة عمران
 - وهزي اليك بجذع النخل تساقط عليك رطبا جنيا - وقوله جل وعز -
 وضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء توفي
 اكلها كل حين باذن ربها - قيل الكلمة الطيبة لا اله الا الله والشجرة
 النخل وقوله عز وجل - ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
 ورزقا حسنا - وقوله عز وجل - ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات
 من اعناب - وقوله عز وجل - وفي الارض قطع متجاورات وجنات من
 اعناب وزرع ونخيل - وقوله عز وجل - واصرب لهم مثلا رجلين جعلنا
 لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل - وقوله عز وجل - والنخل
 باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد - الى غير ذلك من الايات التي وردت

أيامنا مصقولة أطرافهم — بك والليالي كلها أفجسار
 قال التجاني وأهل توزر من بقايا الروم الذين كانوا بأفريقية قبل الفتح
 الإسلامي وكذلك أكثر بلاد الجريد لأنهم في حين دخول المسلمين أسلموا
 على أموالهم وفيهم قوم من العرب الذين سكنوها بعد الافتتاح وفيهم أيضا من
 البربر الذين دخلوها في قديم الزمان عند خروجهم من بلادهم فإن بلاد البربر
 إنما كانت أرض فلسطين وما جاورها من بلاد الشام وكان ملكهم جالوت
 المذكور في القرآن العظيم فلما قتله داود عليه السلام تفرقوا في البلاد وتوجه
 أكثرهم إلى إفريقية وبلاد المغرب وكانت إفريقية للروم فاجلتهم البرابر إلى
 جزائر البحر كصقلية وغيرها ثم تراجعت الروم إلى بلادها على مواعد وصلاح
 مع البربر فاختارت البربر سكنى الجبال والرمال وأطراف البلاد وصارت الروم
 إلى البلد والعمائر حتى جاء الإسلام وافتتحت البلاد ففر جميع سن فيها إلا
 سن أسلم أو أدى الجزية كأهل الجريد هؤلاء . وقد اشتهر عندهم ما اشتهر من
 بيع فضلاتهم وهم يعمرون بذلك كما يعبر أهل قابس . ويعبر هؤلاء أيضا بأكل
 لحوم الكلاب . قال التجاني ولم أر منهم إلا مقرا بأكلها مستطيبا للحومها
 وقديما ما هجى سن هجى بأكل لحوم الكلاب . ومن اشتهر بذلك من قبائل
 العرب بنو أسد ثم بنو فقص . وقد قال الفرزدق -

إذا أسدي جاع يوما يلسدة وكان سمينا كلبه فهو أكله

وقال مساور بن هند -

إذا أسدية ولدت غلاما فبشرها بلوم في الغلام
 يخرسها نساء بني دبير بأخبث ما يكون من الطعام
 ترى أظفار عقد ملقيسات بواضنها على وضغ الثمام
 يخرسها أي يجعلن لها الخرس بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وهو طعام
 الولادة وقال مساور بن هند أيضا -

بني أسد أن تعمل العام فاقصن فهذا أذن دهر الكلاب وعامها
 وقال حسان بن ثابت يذكر هذيلًا ويعيرهم بأكل لحم الكلاب ولحوم الناس -
 أن

بين مباني الغابة ومباني داخل البلد فمباني الغابة اصخم واحسن .
وبداخل البلد جامعان للخطبة وحمام واحد ومفرجهم بموضع يعرفونه .
يباب النشر وهو من احسن المفرجات لان مجتمع الماء هنالك ومنه يتفرع
كما تقدم ويجتمع به القصارون فينشرون هنالك من الشياح الملونة والامنة
الموشية ما يعمه على كبره فيكخيّل للناظر انه روض تفكحت ازهاره واطردت
انهارة . وليس بتوزر احسن من هذا الموضع وهو خارج عن غابيتها والغابة
ملاصقة لسور المدينة وبذلك تمت حصانيتها . وقد وصفها بعض شعرائها
فقال من قصيدة طويلة ارتبها على حسب ما اخترت منها -

زر توزرا ان شئت روية جنة تجري بها من تحتك الانهار
فهر على رمل يسيل كأنهم رقة تماع على النظر تمار
ابا وفاكهة حوت وحدائقها غلبا تغرد فوقها الاطيوار
جنانها مثل الجنان فارضها مسك ونشر نسيمها معطار
دوح يزف ومنظر يسبي النهى وبود روض وشيها الازهار
ومذانب مثل القواصب جردت خلعت عليها لونها الاشجار
وتناثرت مثل الدراهم فوقها انوارها فتصاعفت انوار
فاذا يهب نسيمها ذاعت به من نشر ازهار لها اسرار
والنخل مثل عراقس مجسوة تبدي بدائع حليها الاطوار
واذا هزرت بجذعهن تساقطت رطبا جنيا نثرهن ثمار
قطر من الاقطار اشرق حسنه فكانما الليل البهيم نهار
كم فيه من معنى جمال رائق تصبو لروية حسنه الابصار
كملت بحاسنه وطاب حديثه فبذكره تنزين الاسمار
يا ايها الثاوي به من اهلهم او غيره ممن حوته الدار
لا تصبون الى سواه فانهم للدين والدنيا هدى ومنار
هو جنة قد اصبحت محفوفة بمكاره هي للقلوب شعار
يا جنة لولا شوائب صفوها تم النعيم بها وعز الجوار

احسن ما قال وانشدنيہ لنفسه الفقيه الحكيم الفاضل ابو ابراهيم بن
حسينته يصف هذه السبجة وما لقيناه في قطعها —

قطعنا الشاكوت سرى وسرنا صبيحة يومنا حتى الزوال
فلا تسال بما قاميت فيسه من لاهوال والركب الثقال
فناك ليس يشبهه عناء يضيق لديه متسع القسال
وليل لا تسير به نجسوم كان نيطت الى بعض الجبال
وارياح تصم الاذن منها تهب عن اليمين مع الشمال
تصد عن الطريق القصد قصدي وتضرب حر وجهي بالرمال
ولا اسطيع فتح العين فيها لبعض الامر الا باحتيال
واجهد في دفاع النوم عني لخوفي من سقوط او ضلال
وما زلنا نكابد في سرانا مهالك لا تقايل باختيال
الى ان لاحت الغابات ظهرا بظاهر توزر مثل الخيال
فهنا بعضنا بعضا سرورا ولنا راحة بعد الكلال

وبعد هذه السبجة بقريب مدينة توزر خارجها يجمع نوع الحسن ويستوفيه
وداخلها يصدق ما قاله ابن زنون فيه واشعار ابي عبد الله محمد بن زنون
فيه اشهر من ان تذكر . وتوزر هي قاعدة البلاد الجريدية وليس في بلاد
الجريد غابة اكبر منها ولا اكثر مياها واصل مياها من ميون تنبع من الرمل
وتجتمع خارج البلد في واد متسع تشعب منه جداول كثيرة تتفرع عن كل
جدول منها مذائب يقسمونها بينهم على املاك لهم مقررة ومقاسم من المياه
معروفة ولهم على قسمتها امانا من ذوي الصلاح فيهم يقسمونها على الساعات
من النهار والليل بحساب لهم في ذلك معروف وامر مقرر مالوف وعلى ذلك
الماء ارحاء كثيرة منصوبة . ومن العجب ان هذا الوادي يحتمل ما يحتمل
من غناء او غيره فاذا انتهى ذلك الى القسم اشرق هنالك اجزاء بالسوية
على عدد المسارب فمضى كل قسم منها الى مسرب منها قال التجاني وهذا
ما شاهدته فيها عيانا . وكثير من اهلها انما يسكنون بغاباتها ولا مناسبة

بين

اغفلها المورخون واهمل وصفها الاخباريون فانها اميال في اميال سطحها واحدا
 كاللجين المسبوك او المرمر المحكوك يكاد ينفذ البصر لصفاته وكانما هو غدير
 جمد بمائه قال وان وقت صلاة الصبح والناس يمشون فيها كأنهم صلوا منها
 على بساط من الكافور او سطح من البلور وبها معالم من جذوع النخل تمنع
 السالك من الخروج عن طريقها المسلك يمينا وشمالا لان ما على يمينها
 وشمالها من الارض لا تثبت عليه قدم ولا يسلكها احد جاهلا بها الا غاص
 فيها لما لا قعر له . قال البكري في المسالك وقد هلك فيها الجماعات
 والعساكر ممن دخلها ولم يدر امرها واذا غاص فيها احد التامت عليه الارض
 في الحين وعادت كما كانت . وذكر محمد بن ابراهيم بن جامع الرديسي قال
 سلكتها قافلة لنا فيها النى جمل ففر بعير منها عن الطريق وتبعه باقي الابل
 فلم يكن اسرع من ان ساخت لارض وغاص فيها لائف جمل ثم عادت
 لارض كما كانت وكان لم يكن لتلك الابل اثر . قال ابو الحجاج يوسف
 وكنا خططناها وتماهى بنا المشي الى وسط النهار وتولى عليها تكسروا الحافور
 وتردد لاثار وغرق منها نحو مائة ذراع فيما يقرب من البر فكل ما تاخر من
 الحمولة ولائقال ابتلعه وساخت الجمال باجمالها فما اخرجت الا اشلاء
 بعد نحرها حيث ساخت فهلك بذلك جملة من الراملة وذهب اكثر
 الحمولة . قال التجاني واما انا فشاهدت الرجل يضع سافلة الرمح على
 لارض ويعتمد عليها الى عاليته ولو زاد دفعا لازداد نزولا فاذا جذبته عادت
 لارض الى حالتها الاولى . قال ووجدنا كثيرا من تلك المعالم قد سقطت
 وابتعدت الرياح عن مكانها وتحمت كثير منها عظام والى جانب عمود منها امرأة
 قد صلب يديها على طفلة فماتا معا . ويذكرون عنها انها غاصبت زوجها
 بنفزاوة وحلفت ان لا تبيت يومها ذلك الا بتوزر او غاصبت بتوزر وحلفت
 ان لا تبيت الا بنفزاوة وخرجت من حينها مع ابنتها فماتا بطريقهما . ومن
 العجب ان هذه السبخة لا يمكن ان يشرب فيها ماء عذب فان الماء اذا
 استسحب فيها عاد يهراتها ملحها اجاجا على طبعها . قال التجاني ومن

سائل بقصة هل كان الشقي لها بعلا وكانت له حمالة الخطب
لا كان من كافر بالله الهبسا فكان بالكافر الاشقي ابا لهب
وكان يقال فيه الزويلي بالياء آخر الحروف كان معربا اديبا شاعرا مورخا
راوية روى عن ابي مروان بن قرمان ولازمه كثيرا وكان اتعد الناس به
وروى عن ابي الحسن بن هذيل وجماعة كبيرة واخذ الناس عنه لعلوه
بابن قرمان وهو آخر سن حدث عنه بالسماع وسمع منه ابن عساكر وابو
اسحاق بن عبيد الله الخطيب قاله ابن الزبير ابو جعفر الاستاذ وكان
ثقة . ومن اهل قصة اسماعيل بن علي ابو طاهر المعروف بكتاب
الكرامة . قال ابن رشيقي في الانمذج شاعر لطيف حلو الكلام كتب
الكرامة للعزیز بالله ثم فارقه وتوجه الى ناحية الشرق سنة ثلاث عشرة
واربعائة ولم يظهر له خبر ولا حفظ له إلا قوله -

ولقد قطعت الليل في دعة من غير تائم ولا ذنب

باعز من بصري على بصري واحب من قلبي الى قلبي
وكان مستعفا مشهورا بذلك ولا ادري هل اتى عليه او لا . وعلى مقدار
اثنى عشر ميلا من طرة قرية بشرى وهي القاعدة الثانية من اقليم نفزاوة يمر
الواصل اليها على قرى كثيرة منها قرية تعرف بكليكل وقرية تعرف بياسك
وقرية تعرف ببني ابي يوسف وقرى سواها . وقرية بشرى قرية ضخمة
بالنسبة لما قبلها من قرى نفزاوة وبخارجها حين تعرف بعين تاورغي اعظم
اتساعا من عين طرة واقوى ماء إلا ان في تلك حسنا ليس في هذه وبها
السفرجل قل ان يناظره في جميع البقاع او يقرب منه طيب مطعم وضخامة
جرم وكثرة ماء وخلوص صفاء وليس يشبهه إلا السفرجل الموجود بتاجورة
من قرى طرابلس . قال التجاني وصلت العيد في مصلاها فسمعت خطيبا
في غاية الفصاحة وخطبة في نهاية البلاغة فقيل لي انها من انشاء ابي
عبد الله محمد بن حيون من اهل نفزاوة . وبعد قرية بشرى السبخة المعروفة
بالتاكرت قال ابو الحجاج يوسف ابن المنصور هي من غرائب الدنيا التي
اغفلها

هيون وبقيلها مدينة أولية تعرف بالمدينة وطليها سور وبها جامع وحمام
 وسوق وحولها عيون وبساتين وبين مدينة نفزاوة وقابس ثلاث مراحل
 وبينها وبين قصعة مرحلتان وهي على ثلاث مراحل من قيطون بياضنة
 فمن قيطون الى نقطة مرحلة ومنها الى توزر مرحلة ومنها الى نفزاوة مرحلة
 ومنها تسير الى بلاد قسطلية وبينهما ارض سواخة لا يهتدى للطريق فيها
 إلا بخشب منصوبة فان صل احد يميننا او شمالا غرق في ارض ديماس
 تشبه في الرطوبة بالصابون وقد هلك فيها العساكر والجماعات ممن دخلها
 ولم يدر امرها وتصل هذه الارض السواخة الى مدينة غدامس . وفي مياومة
 الفاضل مما يتعلق بذكر طرة - قال وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة
 وصل الخبر بان الميورقي حصر ياقوتا نائب قراقش في طرة حتى اخذه واخذ
 من الغز الذين كانوا معه مائة فارس اضافهم الى جنده فاطبقت على طاعته
 العربان واستولى على بلاد الجريد . وفي فصل من تاريخ ابن نخيل قال
 ولما وصل الناصر الى افرريقية في سنة احدى وستمائة خرج الميورقي من
 تونس ووصل بعسكره الى القيروان فاقام بها اياما ثم انتقل منها الى قصعة
 ومن قصعة الى جبل دسر وفي خلال تنقله الى تلك الجهات بلغه من اهل
 طرة من اقليم نفزاوة ما غيره عليهم فوصل اليها وقتلها حتى افتتحها ثم اطلق
 الجند عليها فقتلوا الرجال وانهبوا الاموال واقتصروا الابكار وخرّبوا المنازل والديار
 ووجد الميورقي بها رجلين من اجناد الموحدين كانا قاطنين بها منذ زمان
 فصرّب رقابهما صبرا وترك طرة خاوية على عروشها وخرج سن سلم من
 اهلها ففرقوا في بلاد نفزاوة . ومن ذكر قصعة ابراهيم الزوال لاندلسي ذكره
 الصفدي في الجزء الحادي والعشرين من كتابه الوافي في حرف الهمزة بما
 نصه : ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن اغلب الخولاني
 الاديب لاندلسي المعروف بالزوال بالزاي والواو والالف واللام سمع وروى
 وقال الشعر وتوفي سنة ست عشرة وستمائة بمراكش ومولده في شهر رمضان
 سنة اربعين وخمسمائة ومن شعرة في فتح قصعة -

أهل الوصول الهمج الرعاع الذين هم لكل ناعق اتباع قد أوثق الغي عقولهم
فهم في ريسهم يترددون ءافتي معرفتي أرى الشر من ذي النباهة قريب
وكانني بسيدي يقول شب عمرو عن الطوق وما أحوجهم في حقيقة الشرع
وحالة التصوف الى شيء من الذوق واعلم انه لا تظهر حالة حسنة إلا
بملازمة اصل صحيح فان كنت ممن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وأتاب
الى الله بقلب سليم فما انا اقبل قد ميك متبع لما يوحى اليك والّا فاطو عني
طومار الهذيان ولا تتعقع لي - يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم
ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا - يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمان صيا - يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمان
فتكون للشيطان وليا - قال - سلام عليك ساستغفر لك ربي انه كان يبي
حفيا - ولما استبان الصبح ادرج ضوءه بانواره انوار ضوء الكواكب اشرق
في الليل نور بهجته ولاح حتى طقات المصباح -

ما زلت انكر ايامي واعرفها متى استبانته فلا يبيض ولا سود

وجائل في بحار الكشف مختبئا لا القرب قرب ولا الابعاد تبعيد

جعلنا الله وياكم من الموحدين المتبعين ولا جعلنا من المالمحين المتبدعين

- وما كان لنا ان نانيكم بسلطان إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المومنون -

وعلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى ءاله وصحبه اجمعين *

- قال ابن الشباط رحمه الله اعلم ان نفزاة تشتمل على بلاد كثيرة اعظمها

مدينتان احدهما يقال لها بشرى والاخرى يقال لها طرة وبها تنزل العمال

وكلتاها فيهما العيون والمياه الجارية والنخيل والثمار ويصنع بها انواع من

الملابس الحسنة مما يتنافس فيه . قال البكري رحمه الله ولدينة نفزاة

مين تسمى بالبربرية تاورغى وهي كبيرة لا يدرك لها قعر . قال ابو الحكم

صلت ابن الدلاعي يرمى فيها الرمح فيرتفع فوق الماء بقدر ما غاص فيه .

قال البكري رحمه الله ولدينة نفزاة سور صخر وطوب ولها ستة ابواب

وبها جامع وحمام واسواق حافلة وهي على نهر كثير النخيل والثمار وهو الهيا

ميون

على مائة العقل وحقيقته وقد الفته وافيا بمقصودك غير وافي بمقصودي
ولست ممن منع من الدر بالصدف واقتى ملوما لم يومر بها شرعا فلست غرقت
فيها همته حتى نزلت به قدم الغرور في مهواة من التلف وكلما تذرره
رياح الموت فالهمة تقتضي تركه وقد استشهدت بالحديث في النظر في
تغير الاسباب والترقي منها الى متسبها فالامر كما ذكرت لكن ليست اسباب
هي ظلمات ثلاث بل هي اسباب نورانية يستدل بها على متورها بمعرفة
النفس وهو مقام محمود وهو مقام المقربين الذين يمزج من شرايهم الصرف
لاعجاب اليمين فالمقرب من عرف نفسه موهدا لربه وهادئا نظرا لا يسلم
الآ لسن سلم من رهونات البشرية والمخطوط النفسانية ويمكن الارتفاع الى
سن عرف ربه موهدا لنفسه . وقد من الله سبحانه بعلوم جليلة ربانية
مجدية يعصدها الشرع ويشهد لها العقل السليم الجامع بين لاصل والفرع
كاجمع ولا انحراف وخرق السبع الطباقي وحقيقة المورخين - وما اشتملت
عليه ارحام الانبيين - والترقي من الالين الى حيث لا اين وكيفية الارواح
والاشباح وسكون اليل وانفلاق الصباح واختلاف اللسن والاصوات ومنطق
كل شيء وعجائب لايات الى غير ذلك مما لم يلف قط مسطورا وقد اضمحل
الوجود وبطل دعواه وبرز المكنون على كل شيء كلابل هو الله وامرب بلسان
فلطق فصيح غمزا او رمزا - هل تحس منهم من ااحد او تسمع لهم ركزا -
بل لو ترائنا والاحبة بيننا لرايت غزلانا تصيد سباعا
بل لو ترائنا تلك البقاع وحسنها لظللت بالحسن البديع مراعا
كذا وقع مراعا وفعله ثلاثي فانما هو مروع -

شوقي طباع واصطباري كلفة وارى التكلف لا يزيل طباعا
وكثيرا ما يشير الى مطالعة كتب حرام الوقوف عليها عقلا وشرعا ولنا في رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة - سن يطع الرسول غفد اطاع الله -
وكفى بهذا جمعا والحنيفية السمحة قد اشرق سراجها وغمر نورها وقهر
سلطانها كل اشوس صافي القلب ليس له تحقيق اهل لاصول ولا ترفيق

عليه من الرنق والطلاوة . وبمقربة من هذه العين قصبة البلد حيث كانت
وقد اعادها الخراب دكا فلم يبق منها الا سورها المحيط بها وبخارج هذه البلدة
فخيل منفرد يدعى بنخيل فرعون يعتقد جميع اهل ذلك الموضع انه غرس
فرعون وهو غير مستملك وثمرة مباح لمن اجتاز به من الغرباء . ومن الغريب
ما اختصت به هذه البلدة من شدة صنف الريح واتصال ذلك غير مختص
بفصل من فصول العام وهم ينسبون ذلك الى طلسم كان مدفونا بها وان
بعضهم اخرجه وكسره فكان ذلك سبب دوام الريح هنالك ويزعم اهل نفزاوة
ان الرياح انما يشتد صفها بيلدم عند نزول الجيوش عليها ويعدون ذلك
من جملة الرفق بهم لان الجيوش تسرع لارتحال بسبب ذلك عنهم . ونفزاوة
اسم نقل الى الموضع من اسم القبيلة التي سكنت به في اول الدهر وهم بنو
نفزاو بن لأكبر بن زيد بن قيس بن الياس بن مضر بن نزار . قال
الشريف في كتابه المؤلف لروجار ومن ولد نفزاو هذا جالوت الذي قتله
داود عليه السلام واسم جالوت ضريس بن الاصغر بن نفزاو . وعن نفزاو
تفرعت زناتة كلها وهم في الاصل عرب وانما تبرأوا بمجاورتهم للبربر من
العصاميد ومخالطتهم لهم . وقد اختلف الشيوخ في ضبط نفزاو فبعضهم يفتح النون
منها وبعضهم يكسرها ومن المنتسبين الى طرة هذه الشيخ ابو يعقوب الطري
صاحب الرسالة التي اولها « الحكمة صناعة نظرية يستفيد منها الانسان
تحصيل ما عليه الوجود في نفسه » قسم فيها مدلولات لفظ العقل ومراتبه
تقسما اخذ جله من كلام الامام ابي حامد الغزالي رحمه الله تعالى فوقف
على رسالة الشيخ ابي علي النفطي رحمه الله تعالى فخطابه بالرسالة التي
اولها - الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق -
اما ان من صبح الرشاد تنفس وحتى متى ليل الضلال معسوس
تراني ارى فجر الهدى متعرضا وما لي اصباح ولا امشط حنوس
وما حذري الا شعوب مغيرة فينزع للترحال صب معروس
من شيبان الابل الى الخبر ابي يعقوب اما بعد فان كتابك قد ورد مشتملا
على

أما يرد سليماً ما يباشـسـرة وفيه للنفس ترغيب وترهيب
 هاذي اعاديه قد صارت مقسمة على البلايا فمقتول ومسلوب
 وعلى قدر منزلة من المحمة لناحية نفزاة قرية تعرف بمجزم وهي قرية
 كبيرة وعليها نخيل ممتدة وقصور ومنازل ضخمة بالنسبة إلى البادية وبعدها
 منزلة تعرف بعيون رحال وهي قفزة تتبع بها عينان نساختان وإلى جانبها
 نخيلات يسيرة . وفي تلك المرحلة إليها تنتهي أرض بني أحمد وتبتدي أرض
 زغب وزغب قبيلة تنسب إلى زغب الأصغر بن زغب الأكبر بن جرو
 ابن مالك يجتمعون مع ذباب فبهذا المعنى يقول الذبابيون أن زغباً منهم
 يريدون لهذا القرب الذي بينهم في الكسب . قال التجاني وقد تبين
 من كلامنا هذا وما تقدم أن زغب الأكبر ولد ولدين زغب الأصغر وربيعه أبا
 ذباب فذباب على هذا هو ابن أخي زغب الأصغر وإذا تداعى الزغبون
 بزغب فأنما يعنون به الأصغر ولو ضلوا به الأكبر لدخلت معهم في ذلك
 ذباب ولكانت ذباب من زغب . قال التجاني والأشهر في زائه الصم
 والأجدابي قد ضبطها بالكسر قال التجاني وكذلك سمعت النصحاء من
 أعراب زماننا ينطقون به وكذا ذكر الرشاطي هذا النسب في كتابه قال هو
 منسوب إلى زغب بزاي مكسورة وعين مهملة قبيل الأمير ابن ماكولاء في
 الأكمال له وإلى اليوم منهم خلق بالحجاز زغبون ولهم غفارة في طريق مكة
 وبين مجزم هذه وبين طرة مرحلة وطرة إحدى قاعدتي بلاد نفزاة وهما
 طرة وبشرى . قال التجاني وقفت عليها ورايت بلداً بالاسم وقرية
 بالعين وهي محفوفة بالنخيل وبها التمر المفضل على جميع البلاد وليس فيها
 ما ينظر إليه على الجملة غير العين المعروفة بعين طرة فإنها بركة ماء
 تسعة حسنة النظر شارحة للنفس تدخل البهائم إليها عند الشرب إلى
 محل معلوم لا تتجاوزة وإن جاوزته غابت في مغائص لا قعر لها ويذكرون
 أن لها في كل عام رجلاً تقتله لا بد لها من ذلك وأكثر ما يكون ذلك في
 الغرباء ومن ماء هذه العين يكتسب صبغ بلاد نفزاة عند الغسل ما يظهر

ونازعتهم نفوس الهند انفسهم فلم يفدهم على الهيجاء تغريد
فهم على التوب صرعى مثله مددا ان كان يقضى بان التوب معدود
ولوا فلا صاحب عن نفس صاحبه يغني ولا والد يرجوه مولود
يوم جدير بتعظيم الانام له فما يقاس به في حسنه عيود
اصحت على فضله الايام تحسده ان النبیه الرفيع القدر محسود
ثم توجه المنصور الى قصعة فحاصرها حصارا شديدا الى ان خرج اليه اهلها
راغبين اليه في العفو فشارطهم على تامين اهل البلد انفسهم خاصة وتبقى
املاكهم بايديهم على حكم المساواة وجميع من عندهم من الحشود والغرباء
ينزلون على الحكم فوق لاتفاق على ذلك وخرج جميع سن في البلد من
اهله وغيرهم حتى لم يبق فيه الا النساء فميز اهل البلد وامروا بالرجوع الى
بلدهم وبقي سن كان به من الغرباء والحشود والاجناد ومن جعلتهم ابراهيم
ابن فراتكين المعروف بسلاح دار المتقدم فثقفوا ساعة ثم جلس المنصور يظفر
صلاة الظهر بموضع جلوسه واخذ الناس مراتبهم وامر باولئك المثقلين فقيدوا
اليه فامر بذبحهم فذبحوا بين يديه اجمعين لم يقتل احد منهم وكان
الاعمى الفهمي حاضرا وهو نحوي فاضل وكان الخليفة يعينه لقراءة اولاده
فطلب للمنصور ان يسمح له بشخص منهم يتولى ذبحه بيده فاجابه الخليفة
الى ذلك ولما اجمع له طلب يسيرا من الملح والصحر كما يفعل العامة
بالضحايا فاضحك بهذا الفعل جميع سن حضروا وامر المنصور بهدم سور قصعة
وقسمه على جميع سن بالمحلة فاعادوه في مدة يومين اثرا بعد عين وفي هذه
الخطرة هلك اكثر النخيل اذ كان المنصور قد الى ايام حصاره لها ان يقطع
كل يوم الف نخلة وفي هذا الفتح يقول ابو بكر بن مخير -

ما غر قصعة الا انها اجترست فلم يكن مند اهل الحلم تثريب
ما بالها زار امر الله حوزتها فلم يكن مندعا اهل وتثريب
تلك البغي التي خانت فحاق بها وبالزنت بها رجم وتثريب
قد فض شملهم عنهما وقد نعت فيها من الحين قربان غرابيب
اما

أما يرد سليما ما يباشـرة وفيه للنفس تـرغيب وتـرهيب
 هاذي اعاديه قد صارت مقسمة على البـلايا فمقتول ومسلوب
 وعلى قدر منزلة من الحممة لناحية نفزاة قرية تعرف بمجزم وهي قرية
 كبيرة وعليها نخيل ممتدة وقصور ومنازل ضخمة بالنسبة الى البادية وبعدها
 منزلة تعرف بعين رحال وهي قفـرة تنبع بها عينان نضاختان والى جانبها
 نخيلات يسيرة . وفي تلك المرحلة اليها تنتهي ارض بني احمد وتبتدي ارض
 زغب وزغب قبيلة تنسب الى زغب الاصغر بن زغب الاكبر بن جـرو
 ابن مالك يجتمعون مع ذباب فبهذا المعنى يقول الذبابيون ان زغبا منهم
 يريدون لهذا القرب الذي بينهم في الكسب . قال التجاني وقد تبين
 من كلامنا هذا ومما تقدم ان زغبا الاكبر ولد ولدين زغبا الاصغر وربيعه ابا
 ذباب فذباب على هذا هو ابن اخي زغب الاصغر واذا تداعى الزغبون
 بزغب فانما يعنون به الاصغر ولو ضاوا به الاكبر لدخلت معهم في ذلك
 ذباب ولكانت ذباب من زغب . قال التجاني والاشهر في زائه الصم
 والاجدائي قد ضبطها بالكسر قال التجاني وكذلك سمعت النصحاء من
 اعراب زماننا ينطقون به وكذا ذكر الرشاطي هذا النسب في كتابه قال هو
 منسوب الى زغب بزاي مكسورة وعين مهملة قبـال الامير ابن مـاكولاء في
 الاكمال له والى اليوم منهم خلق بالحجاز زغبون ولهم غفارة في طريق مكة
 وبين مجزم هذه وبين طرة مرحلة وطرة احدى قاعدتي بلاد نفزاة وهما
 طرة وبشرى . قال التجاني وقفت عليها ورايت بلدا بالاسم وقرية
 بالمعنى وهي مخوفة بالنخيل وبها التمر المفضل على جميع البلاد وليس فيها
 ما ينظر اليه على الجملة غير العين المعروفة بعين طرة فانها بركة ماء
 متسعة حسنة المنظر شارحة للنفس تدخل البهائم اليها عند الشرب الى
 محل معلوم لا تتجاوزة وان جاوزته غابت في مغائص لا قعر لها ويذكرون
 ان لها في كل عام رجلا تقتله لا بد لها من ذلك واكثر ما يكون ذلك في
 الغرباء ومن ماء هذه العين يكتسب صبغ بلاد نفزاة عند الغسل ما يظهر

ونازت بهم نفوس الهند انفسهم فلم يقدم على الهيجاء تغريد
فهم على الترب صرعى مثله مددا ان كان يقضى بان الترب معدود
ولوا فلا صاحب عن نفس صاحبه يغني ولا والد يرجوه مولود
يوم جدير بتعظيم الانام له فما يقاس به في حسنه عيود
اصحت على فضله الايام تحسده ان النبیه الرفيع القدر محسود
ثم توجه المنصور الى قصته فحاصرها حصارا شديدا الى ان خرج اليه اهله
راغبين اليه في العفو فشارطهم على تامين اهل البلد انفسهم خاصة وتبقى
املاكهم بايديهم على حكم المساواة وجميع من عندهم من الحشود والغرباء
ينزلون على الحكم فوقع لاتفاق على ذلك وخرج جميع سن في البلد من
اهله وغيرهم حتى لم يبق فيه إلا النساء فميز اهل البلد وامروا بالرجوع الى
بلدهم وبقي سن كان به من الغرباء والحشود والاجناد ومن جعلتهم ابراهيم
ابن فرائكين المعروف بسلاح دار المتقدم فتقفوا ساعة ثم جلس المنصور بغير
صلاة الظهر بموضع جلوسه واخذ الناس مراتبهم وامر باولئك المثقفين فقيدوا
اليه فامر بذبحهم فذبحوا بين يديه اجمعين لم يفلت احد منهم وكان
الاعمى الفهمي حاضرا وهو نحوي فاضل وكان الخليفة يعينه لقراءة اولاده
فطلب للمنصور ان يسمح له بشخص منهم يتولى ذبحه بيده فاجابه الخليفة
الى ذلك ولما اجمع له طلب يسيرا من الملح والصعتر كما يفعله العامة
بالضحايا فاضحك بهذا الفعل جميع سن حضروا وامر المنصور يهدم سور قصعة
وقسمه على جميع سن بالمحلة فاعادوه في مدة يومين اثرا بعد عين وفي هذه
الخطرة هلك اكثر النخيل اذ كان المنصور قد الى ايام حصاره لها ان يقطع
كل يوم الف نخلة وفي هذا الفتح يقول ابو بكر بن منبجر -

ما غرق قصعة إلا أنها اجترمت فلم يكن عند اهل الحلم تثريب
ما بالها زار امر الله حوزتها فلم يكن مندها اهل وترغيب
تلك البغي التي خانت فحاق بها وبالزنا بها رجم وتغريب
خذ فض شملهم عنها وقد نعت فيها من الحين غربان غرابيب
اما

يعقوب بن عبد المومن ملك المغرب على علي بن اسحاق الميورقي وسن معه من العرب والغز في بلاد افريقية فتحرك الى تونس فلما وصل اليها وجه ابن عمه يعقوب بن ابي حفص بن عبد المومن في عسكر ضخيم للقاء الميورقي فالتقوا بمقربة من قصبة فكانت للميورقي عليهم الوقعة المعروفة بوقعة عمرة قتل فيها اكثر جيوش المنصور وحمل سن سلم من القتل فوصل الى قصبة فاستدعاهم الميورقي موها لهم لاما ن فلما اجتمعوا اجال السيف على جميعهم فامتنع المنصور من ذلك ونكب واستبد برايه وتحرك من تونس واستخلف عليها اخاه السيد ابا اسحاق ونزل وادس متلوما وقد ظهر تكلم الناس فعاقب اقواما على تاخرهم وتوجه فلما كان على فرسخين من الحمة سرح سرية الى منازل العرب الذين مع الميورقي فشنت الغارة عليهم ونهبت اموالهم فقل ذلك شوكتهم ثم لبس المنصور لامته وناجزهم الحرب مباشرا لها بنفسه فاستوصلت الموارقة وافلت علي بن اسحاق وقرافش فتبعهما الموحدون ساكنين سيلهما حتى اشرفوا على توزر فوجدوهما قد توغلا في صحرائها فرجعوا عنها وانصرف المنصور الى قابس فاحاط بها برا وبحرا الى ان فتحوا له ابوابها مستسلمين وفي ذلك يقول ابو بكر بن فجر من قصيدة طويلة -

لقد برزت الى هول المنايا وجوه كان حجبها اللثام
وما اغنت قسي الغز عنها وليست تدفع القدر السهام
وهي ثابتة في ديوان شعرة ، وما قاله هو والجواري في هذه الوقعة وثبتت
القصيدة في ديوان الجواري -

راى الشقاء ابن اسحاق احق به من السعادة والمحمود محسود
وكيف يحظى بدنيا او بأخرة مخالفة عن طريق الرشد مطرود
اعنى ونور الهدى باد له وكذا سن لم يساعده توفيق وتسديد
والسيف ابلغ في سن ليس يردعه من الغواية ايعاد وتهديد
اولى له لو تراخى ساعة لغدا وروده وهو بالخطي مسرود
انجى الزمان على الاغزاز واجتهدت في قطع خسراتهم احداثه السرد

مخالفة هؤلاء وساكنوهم بمنازلهم هذه وكانت ارضهم ارض مسلاتة وما قارب منها وامسا الاصابعه فمنتسبون الى رجل كانت له اصبع زائدة وذباب يطعنون عليهم في نسبهم ويذكرون انهم خارجون عنهم . وبعدهم الحمه وتعرف بحمة مطماطة تفرقة بينها وبين حمة توزر المعروفة بحمة البهاليل وهي مدينة حاضرة تحف بها غابة نخل وجميع مياه هذه البلاد شروب وهي في غاية السخانة وبسخانة مائها سميت الحمه والحمه في اللغة هي العين التي في مائها سخانة . وجاء في الحديث مثل العالم مثل الحمه قال الهروي في غريبه الحمه عين حارة يستشفى بها المرضى وذكر ابو عبيدة في كتاب الامثال ان من امثالهم العالم كالحمة ياتيها البعيد ويزهد فيها القرباء لم يزد ابو عبيدة على هذا وهو اثر وتماه فينما هم كذلك اذ غار ماوها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكرون بالنون اي يتندمون تفكنا تفكنا وقرا ابو حازم فظلم تفكنون وهو من هذا والنسبة الى الحمه حمي . وذكر ابو عبد الله ابن علي المصري في صلت السمت انه سمع في ذلك حامي بالالف وهو من شواذ النسب وهذه البلدة في اكثر اوقاتها سالمة من الوباء فاذا وبنت بفتح الواو وان شنت ضمنت استاصلت اهلها وكانت في ذلك اشد من قابس وكان عليها سور مرتفع قال التجاني رايت مواضع منه تهدمت ولم يشتغل اهلها برمها فسالتهم عن ذلك فقالوا نحن لا نعتمد على سور وانما سورنا سيوفنا قال فذكرت قول الشاعر —

اذا صدق الحسام ومنتصيه فكل قرارة حصن حصين

وما لث العرين بذبي امتناع اذا لم يحمه الا العريس

وبناء داخل هذه المدينة في نهاية الارتفاع وهم يتنافسون في ذلك قال ورايت بقصبتها وهي موضع سكنى الوالي اثارا تدل على ضخمتها غير ان الحراب استولى الان على كثير منها وبهذه القصة قناة ماء تنسرب اليها من خارجها في غاية القوة وقد بني عليها بيت على شكل حمام جاء في نهاية الظرف والحسن وبظاهر هذه البلدة كانت الرقعة للصنوبر ابي يوسف بن يعقوب

قتلوا وبقي الباقيون تحت طاعتهم فلما كان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة
 ثار أهلها على النصارى وقتلوا منهم جماعة كبيرة فغزاهم النصارى من عامهم
 ونقلوا على الجزيرة ثانيا فنقلوا أكثر أهلها سبيا إلى بلادهم ولم يبقوا بها إلا
 سن لا حاجة لهم به ثم تملكها المسلمون بعد ذلك ولم تنزل من أول الفتح
 للإسلامي على هذه الصفة مترددة بين تملك المسلمين وتغلب النصارى إلى
 أن غزاها النصارى سنة ثمان وثمانين وستمائة وملكوها . وبجانب جربة
 المعروفة جربة القديمة قال التجاني قال أبو الصلت دخلتها وجست
 خلالها فرايت بقايا مدينة صغيرة الصنع مربعة الوضع ويحدها سور
 مرتفع هو باق وبجانبه جامع حسن البناء وقد تخرب الآن فليس الباقي إلا
 آثاره . قال ورايت على جهة منه نقشا لم تصل يد الفناء إليه فوجدته
 في غاية الاحتفال وحسن الصنعة ولم يصل به أحد وفي آخر المدينة بقايا
 أطلال القصبية حيث كانت سكنى حافظ البلد وقد استولى الخراب على
 جميع الأولى وفي موضعها الآن شجرة عظيمة من السدر المعروف في هذه
 البلاد بالسدر المصري قد ملأت ذلك المكان وهذا السدر مخالف لسدر
 بلادنا هذه وهو أكبر ثمرا وأطر رائحة وأما المطعم ففيه فتاة قال ورايت
 منه بتوزر وما والاها من البلاد شجرا كثيرا وإنما نسب إلى مصر لكثرة بها
 وكان إلى جانب هذه القصبية حمام صغير هو إلى الآن باق لم يتسلط الخراب
 عليه وأما الناحية التي يخرج بها من قابس لجهة توزر فالمرحلة بها
 أرض ذباب في منازل بني أحمد وهم بنو أحمد بن ذباب بن ربيعة بن
 زغب وربما شاركهم في منازلهم هذه بنو يزيد وبنو يزيد أربعة أفخاذ من
 قبائل تغلخت وانتسبت إلى مدلول الزيادة لا إلى رجل متسم بيزيد وهم
 الصهبية والحمارنة والخرجة والاصابعة فإما الصهبية بسكون الهاء فبنو
 صهب بن جابر بن فائد بن رافع بن ذباب والحمارنة بنو حمران بن
 جابر أخوتهم وأما الخرجة بسكون الراء فجماعة من آل سليمان بن
 رافع بن ذباب أخرجهم بنو عمهم إلى سالم بن رافع من أرضهم فمالوا إلى

عليهم فقطعوا اكثره . واختصت ايضا هذه الجزيرة دون غيرها بحسن الاصواف
المحمودة التي ليس بافريقية لما ينسج من اثوابها نظير وذلك معلوم من امرها
شهير . واكثر مساكن اهلها اخصاص من النخيل يجعل كل واحد منهم في ارضه
واحدا او اثنين او اكثر من ذلك ثم يسكنه بعياله وليس فيها بناء قائم الا
دور قليلة وهم ينقسمون الى فرقتين فرقة تعرف بالوهبية ورناستهم في بني
سمون وارض هذه الفرقة من الجزيرة الجهة الغربية فما والاها من جهة
الشمال وفرقة تعرف بمستارة ورناستهم في بني عزون ارضهم الجهة الشرقية
فما والاها من جهة الجنوب وكان مدينة جربة فاصلة بين ارضهم . وكان
الناظر النكاري قام على المعز بن باديس سنة احدى وثلاثين واربعمائة
ووصل الى جربة فافتحها وقتل من اراد من اهلها وسبى ذرارهم واسر ابن
كلدين مقدمهم ثم قتله وصلبه فجهز اليه المعز اسطولا وقتل اصحابه قتلة
شنيعة واستقرت جربة تحت طاعته وتوفي المعز فتار اهلها واطهروا العناد
والفساد وانشاوا مراكز يقطعون بها في البحر على سائر السواحل . قال ابو
الصلت في كتابه الذي ذيل به على كتاب الرقيق لما ولي ابو الحسن بن
يحيى بن تميم بن المعز وذلك آخر سنة تسع وخمسمائة واستتم له امره
واستوثق ملكه امر باعداد الاساطيل لغزو جزيرة جربة وحركه في ذلك ما
ترادف عليه من قطع اهلها في البحر واخافتهم المسافرين فيه فتم ذلك وقدم
على الاسطول قائد الجيش ابراهيم بن عبد الله واصحابه من اهل الدولة
للمشورة فساروا اليها وذلك في سنة عشر وخمسمائة فحاصروها واخذوا بمخنقتها
الى ان انقاد اهلها بالطاعة للسلطان واذعنوا لامره ونزلوا على حكمه وضمن
اشياخهم ومقدمهم قطع جميع الفساد الواصل الى ساحل افريقية من قطاعهم
واشراهم وان لا يتعدوا متاجرهم المهدية وانقطع ذلك الضرر . قال التجاني
قال ابو الصلت وكان من امر جربة في القديم من ايام ابناء ابي الحسن
واجداه ان مصوا عليهم على اتساع ملكهم وكثرة جيوشهم ووفور اموالهم ثم
تقلب النصارى على جربة في سنة تسع وعشرين وخمسمائة فقتلوا من
قتلوا

وما كان منه مرتقعا لم يكن فيه ماء إلا في حين حمله عند نزول الامطار .
 وثبتت به غابة مشتبكة من الطرفاء وغيرها وبعده مجاز الجرف ومنه تظهر
 جزيرة جربة وعرض هذا المجاز من الجرف الى ساحل الجزيرة اربعة
 اميال وبعد المجاز من جانب الجزيرة يسمى ساحل اجيم بالف ممدودة
 وتشديد الجيم وبه مسجد مبارك يذكر ان الامام المهدي سكن به في اول
 جوازة الى المشرق . وجزيرة جربة من اعظم الجزائر خطرا واشهرها في سالف
 الزمان عمارة وذكرها وطولها من المغرب الى المشرق ستون ميلا كذا ذكره
 التجاني ناقلنا عن الشريف في كتاب روجار ومنها الى جزيرة قرقة في البحر
 ستون ميلا وعرض الراس الشرقي منها خمسة عشر ميلا وهو اضيق مكان بها
 قال ابن الشباط قال البركي قال حنش الصنعاني غزونا مع رويفع بن
 ثابت الانصاري المغرب فافتتح قرية من المغرب يقال لها جربة فقام
 فينا خطيبا فقال ايها الناس اني لا اقول فيكم إلا ما سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول يوم خير قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال - لا
 يحل لامرء يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسقي ماءه زرع غيره - يعني اتيان
 الجبالى من السبي . وذكر الشيخ ابو عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان
 معاوية امر رويفع بن ثابت على طرابلس سنة ست واربعين فغزا من
 طرابلس افرقية سنة سبع واربعين وانصرف عنها فعلى هذا يكون فتح جزيرة
 جربة سنة سبع واربعين والله اعلم وهي ارض كريمة المزارع عذبة المزارع
 واكثر شجرها النخيل والزيتون والعنب والتين وبها اصناف كثيرة من سائر
 الفواكه إلا ان هذه هي اكثر ثمرتها وغيرها من كرائم الارضين يقاربها على
 الجملة في ثمارها او يساويها وتقلحها لا يوجد في بقاع الارض نظير لما
 يوجد بها منه صفاء وجفاء وطيب مذاق وطارة استنشاق ورائحته توجد
 من المسافة المديدة والاميال العديدة وكان من شجرة بهذه الجزيرة قبل هذا
 كثير ثم قل الان بسبب ان النصارى يتخفون به ملوكهم وكبارهم دون
 تعويض لاربابه عنه فرأى اهل الجزيرة ان غيره من الشجر اعود بالفائدة

منبعها أيضا بركة متسعة القطر بعيدة القعر ومنها يكون لا بداء بسلوك منازل
البربر المتسكين بمذهب الخوارج المستقلين لدماء المسلمين واموالهم .
قال التجاني وهذا المذهب هو الغالب على جميع البقاع التي بين قابس
وطرابلس وخصوصا اهل الساحل منهم فهم بهذا المذهب يتقربون ببيع سن
يهر بهم من المسلمين الى النصارى فتجد الناس لاجل ذلك يتحامون الانفراد
في قراهم ويتجنبون ايادهم . وقراهم من بقايا الشذمة التي قام بها ابو يزيد
مخلد بن كيداد في افريقية فانه لما اظفر اليه بمراراج البلاد والعباد منه
تفرقت اتباعه في لاقطار فسكنت هذه الشذمة بهذه المواضع وسكنت طائفة
اخرى بجبال بجاية وقسنطينة وما والاها الى بونة ومالت طائفة اخرى الى
بلاد المجريد فاستوطنت نفطة ونفزاوة وما والاها . وبعدها وادي مجسر اصل
دائه من الجبل المتصل من المغرب الى المشرق في جهة الجنوب ينحدر ماوه
فيجتمع عند جبل صغير يعرف براس تاجرا على نحو خمسة عشر ميلا منه حيث
ارقع الشيخ ابو محمد بن ابي حفص بالميورقي ابن غانية وقعته المشهورة التي
استاصل فيها اكثر اجناد ابن غانية واروى من دمانهم المراقبة ظما حداده وهي
الوقعة المعروفة بوقعة تاجرا وكانت سنة اثنتين وستمائة قال ابن نخيل
وكانت الغنائم من عسكرة يومئذ ثمانية عشر الفا من احمال المال والمتاع
والخزني والآلة . ثم يفترق من تاجرا واديان ينتميان الى البحر احدهما
هذا الوادي وهو وادي المجسر والآخر الوادي لاعلى الى جهة المشرق وهو
المعروف بوادي الفجاء فلا بد لكل سالك بين تاجرا والبحر من قطع هذين
الوادين . وادي مجسر منهما معروف بكثرة الاسود وهي موصوفة بشدة
الاسر وقوة النصر . وقد كان بني في وسط هذا الوادي قصر واحييت هنالك
مزارع وجعلت لها من الوادي مشارع فاجلت الاسود ناسها واكثرت فيهم
افتراسها ففارقوا مغناها ولم يستطيعوا لاجل ذلك سكناها . وهذا الوادي ما كان
من ارضه منخفضا كان الماء به دائما الا انه يعود بطبع الارض ملحا اجاجا
ولاسيما ما قرب منه الى ارض البحر . وتوجد فيه انواع من الحوت مستطابة
وما كان

وقال من ابيات اخزى على عين السلام —

على عين السلام سلام صب غـذاءه ماوها العذب النـمير
تاود ايكنها وجرت صباها — وشـم لها كما فتق العبير
وابرد ما يكون الجو فيها — واندى حين يحتدم الحـجير
وما ادري ايجري فوق در ام ابتسمت بمنبعها الشـغور
وقد قام المنار على ذراها — كما قام العروس او الامير
بناه يزوري ايوان كـسرى لـديه والخـورنق والسـدير
قال التجاني وقد ورد علي من والدي ونحن على قابس مكتوب وفيه —
حملتم القلب اذ جد الرحيل بكم من الصباية ما لا تحمل الابل
فلو ملكت سبيل الحزم ما عجزت اذ ذاك مني عن دفع النوى الحـيل
لكن عراني ذهول يوم بينكم صا يكابد من احبابه الرـجل
فالله يجمع منا الشمل عن عجل فالحـير اجمل ما في نيله العـجل

وبعد قابس رئاسة الوشاحين وفي الغالب انها محصورة في قبيلتين
الجواري والمحاميد وسن عدا هاتين القبيلتين من بني وشاح كالعمور والجواوابة
يضاف اليهما وهما قبيلتان متكافئتان في العدد والقوة فهما نقص من احدهما
فارس بموت او غيره نقص من الاخرى نظيرة عادة اجراها الله تعالى بينهم فتجد
احدى الطائفتين اذا مات واحد من الاخرى يتوقعون موت مقابله منهم فيقع
ذلك عن قرب . ورئاسة المحاميد في بني رحاب منهم وهم بنو رحاب بن محمود
ابن طوق ابن بقية بن وشاح . وبعد رئاسة قرية كنانة وهي قرية صغيرة
ملتفة الشجر حسنة المنظر كانها بستان واحد خضرة ونضرة وعامة شجرها
الزيتون وكان غرسه بها ايام ولاية الامير ابي زكرياء على قابس سنة اربع
وعشرين وستمائة ولاهها قصر كبير يلاون اليه وبها من فؤارة عذبة قد
اجتمعت منها بركة ماء متسعة تلاصق سور القصر من جهة غربية وتخرج
مذائب ومسارب تحترق الغابة فتعمها بالسقي . وبعدها قرية الزارات
وهي قرية ذات نخل كبير وماء نـمير ينبع من عين حمئة قد اجتمعت من

لانه واياهم من سليم ويعيرهم انقيادهم لقراقش ويستدعيهم للوصول لحضرته --
يا ايها الراكب الساري لطيبته على عذافرة يشفى بها الالام
بلغ سليما على بعد المزار بها بيني وبينكم الرحمن والرحم
يا قومنا لاتشبوا الحرب ان خدت واستمسكوا بعري الايمان واعتصموا
يقودهم ارمي لا خلاق له كانه فيهم من جهلهم علمهم
الله يعلم اني ما دعوتكم دعاء ذي بزة يوما فينتقم
ولا لجأت لامر يستعان به من الامور واهل الحق قد علوا
لكن لاجزى رسول الله عن رحم تمنى اليه وترعى تلكم الذمم
فان اتيتم فحبل الود متصل وان ابيتم فعند السيف نحتكم
ومن غريب الاتفاق ان ما حف بقابس من عين سلام ومن المنار والعروسيين
والوادي كل ذلك اسماء اماكن حفت بقلعة بني حماد ابن علي بن حماد
نصا ساء وحيثما ورد شيء من هذه الاسماء في شعر ابي عبد الله محمد فانما
يعني بذلك مباني القلعة فانه كان ولوعا بنديها كقوله من ابيات ينسب
بها تلك المعاهد —

اين العروسان لا رسم ولا ظلل واين ما شاد منه السادة الاول
ومجلس النوم قد هب الزمان له بحادث قل فيه الحادث الجلل
وما رسوم المنار الان مائلت لكنها نبد يجري بها المثل
وكقوله من اخرى —

الا ليت شعري هل ابيتن ليلته بوادي الجوا ما بين تلك الجداول
وهل اسمعن تلك الطيور عشية تنجاوب في تلك الغصون البلايل
وهل اردن عين السلام على الصدا فابرد من حر الصلوع النواهل
وانظر طيقان المنلر مطلته على الوجنات الزاهرات الحمائل
كان القباب المشرقات بافقه نجوم تبدت في سعود المنازل
فان ثنت الايام عنها امنيتي وانزلني في غير تلك المنازل
فصبر جليل غير ان حبابتي مستبقي بقاء الطالعات الاوافل
وقال

فاجتمع عليه الذباييون ونهضوا معه الى جبل نفوسة فاستولى عليه واستخلص منه اموالا عظيمة ارضى بها العرب . وكان من الاتفاق ان مسعود بن زمام امير الرياحيين خالف في ذلك الزمن على بني عبد المومن وفر امامهم فوصل الى هذه البلاد فكان تارة يكون مع زغب وتارة مع ذباب . فلما سمع بوصول قراقش وسن عنده من رماة الغز سر بهم وتوجه بسن معه من ابطال الرياحيين اليهم فحصر قراقش بهم طرابلس وصادف بلادا لم تستوقع ثائرا ولا مخالفا فهي خالية من الاجناد ومن العدد والاقوات فاستولى عليها فعظم اذ ذاك امرة وتوقع من تونس وغيرها شرة ووصلت اليه العربان من كل مكان فاحتاج الى تكليف الرعية فوق طاقتهم فبغضه الناس بعد ان كانت القلوب كلها قد مالت اليه واقبلت عليه ولم يزل امرة من تلك الافعال الشنيعة ومخالفته على بني عبد المومن وتلاعبه بالمهاجرة اليهم وفراره عنهم ودام ذلك نحو من اربعين عاما الى ان قتله الميوري . واما ابراهيم ابن قراتكين فانه سار بجمعه ووقع في خائطة المهاجرة الى بني عبد المومن والركوب عندهم فصده اشباح العرب المخالفون عليهم وحملوه على الانفراد وطلب الرئاسة وساروا معه الى قفصة فاستولى على جميع منازلها وارسل الى بني الزند رساء قفصة فمكنوه من البلد لانحرافهم عن بني عبد المومن وحبهم في الخطبة العباسية التي القوها فدخلها ابراهيم وخطب فيها للخليفة العباسي ثم لصالح الدين . وقدّر ان كان قتل ابراهيم المذكور وجملته اجناده بعد ذلك على يد المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المومن في قفصة . وكان يقال لقراقش المظفري لانه مملوك الملك المظفر والناصري لانه كان يخطب للملك الناصر صلاح الدين وكذلك كان يكتب في طهائره قال التجاني وقفت على ظهير بتسويغ املاك لبعض اهل طرابلس سمى فيه نفسه - قراقش الناصري ولي امر المومنين - بسكون الميم في لفظة امر . وكتب علامة الظهير بخطه - وثقت بالله وحده - وتاريخ الظهير عام تسعة وسبعين وخمسائة . وكان الميوري يكتب العلامة في كتبه - وثقت بالله وحده - ويجعلها في اسفل الرسم الذي بينه وبينهم

الداعي اول الحال الى وصول قراقش الى هذه البلاد ان صلاح الدين يوسف ابن ايوب كان ملك مصر هو وعمه اسد الدين شيركوه بجيش نور الدين محمود ابن زنكي وقوة سلطانه وهما في ذلك من جملة امرائه واعوانه ثم بعد استيلائه عليها وموت عمه اسد الدين حدثت بين صلاح الدين ونور الدين وحشة خاف بسببها صلاح الدين ان يتحرك نور الدين على مصر ويستولى عليها فاحتاط لنفسه وبني على لاندفاع امامه وكان ذلك في سنة ثمان وستين وخمسمائة فانقسم امره بين بلاد اليمن وبلاد المغرب فقال له اخوه توران شاه ابن ايوب انا اتوجه الى اليمن وافتتحها واعيدها لك ان اجتجت اليها فتجهز اليها في السنة المذكورة وافتتحها في السنة التي بعدها وهي سنة تسع وستين وخمسمائة وقال له الملك المظفر تقي الدين ابن اخيه شاهنشاه بن ايوب انا اتوجه الى المغرب فافعل مثل ذلك فاشتغل تقي الدين بالنظر في حركته ثم انه زهد في بلاد المغرب وعرف ما بينه وبين افريقيّة من العربان والمهالك فاستعفى من ذلك وقد كان اسر خبر تغريبه الى جمع من جنده وخواصه فاشرفوا لذلك وبنوا عليه فلما امتنع تقي الدين من التغريب فر بطائفة منهم مملوكه شرف الدين قراقش لارمني وبطائفة اخرى ابراهيم بن قراتكين سلاح دار المعظمي وهو منسوب الى الملك المعظم شمس الدولة اخي صلاح الدين وكان في اجناد تقي الدين فجاز المذكوران بمن معهما الى المغرب . واما جاوزا العقبة رايا ان يفتقرا لينفذ كل واحد منهما بما قدر له من الملك والرئاسة فسار قراقش الى ستريّة فافتتحها وخطب فيها للسلطان صلاح الدين ولاستاذة تقي الدين بعده وكتب اليهما بذلك وافتتح زلة واولجة وازال من بلاد فزان دولة بني خطاب الهواريين وكانت قاعدة ملكهم زويلة وهي المعروفة بزويلة بني خطاب وعذب ملكها محمد بن خطاب بن يصلث بن عبد الله بن صنف بن خطاب آخر ملوكهم على المال حتى هلك وخطب فيها لصلاح الدين ولتقي الدين ولم يزل على هذه الطريقة يفتتح البلاد ويخطب فيها لمن ذكر الى ان وصل الى طرابلس فاجتمع

وتضرب بالحق الصحيح كلا العدا اذا كان حظ البطل من غيرك المرح
وتطلع فجر العدل في مشرق الهدى اذا امتد من ليل اعتداء العدا جنح
وتسرد من عاي العلا سورا لها براهين لا يخفى لها ابدا شرح
تقوم لها بالتكهرات دلائل كما قام من مستودع الروضة النفع
فلا زلت فتاح البلاد مهـدا جوانبها ما لاح من بارق لمح
ودان لك الداني وقص من الذي بغى طافيا ريش وصح له ذبح
وبقيت قابس في حكم الميورقي الى ان وصل الناصر الى افريقية في سنة
أحدى وستمئة فاستنقذ من يده قابس وغيرها وتردد عليها حفظ الموحدين
من قبل الناصر مدة اقامته بافريقية ومن قبل الشيخ ابي محمد بن ابي
حفص بعد انفصال الناصر وهلم جرا . وفي الر هذا استقر قراش بودان فتوجه
الميورقي اليه بمن استصحب معه من العرب الذبايين الموثورين من قبل
قراش فحاصره بها الى ان فنى طعامه واعطى بيده سلما واشترط على العرب
ان يقتلوه قبل قتل ولده وكان شديد المحبة له فلما خرج هو ولده اليهم
قال له الولد - يا ابيت الى اين يروحون بنا - فقال له - الى اين رحنا
بآبائهم - فقتلوه وقتلوا ولده بعده وصلبه الميورقي بظاهر ودان وذلك في سنة
تسع وستمئة . وهذا الخبر من صفة موت قراش كان تلقاه التجاني من افواه
العرب حسبا نص عليه بقله في رحلته قال والعرب الذبايين الذين روى
عنهم يزعمون انهم اخذوا ذلك عن آباءهم عن حضر لذلك من اجدادهم .
وترك قراش ولدا آخر اشتهر امره بعد مدة وكان شجاعا كريما حسن الصورة
جدا تميل العيون الى شخصه والاسماع الى ذكره رتبة الخليفة المستنصر
بالحضرة في اجناده وقدمه لطافته منهم فحدثته نفسه ان يثور واراد ان
ينسج على منوال ابيه فهرب من اصحابه ولحق ببلاد ودان فانفذ اليه
ملك كان من قتله واراح منه ومن قسسته تلك البلاد وحمل براسه الى بلاده
فطيف به بها وذلك في سنة ست وخمسين وستمئة وقد كان البطالون
من الاجناد بالحضرة قد اشتغلوا بذكره واكثروا الخوض في امره . والموجب

عددا . لم نفسح لهم في اقتصائها امداء . فعجزوا واستكانوا . وتضاءلوا بذلك
 كانهم غير الذي كانوا . فوسعهم الثفات ديني ونظر على الرحمة مبني حقف
 المتون . فاضحت المائة وهي ستون . وهم في شانها مفيضون . وعما عداها
 معرضون . فخطبناكم بهذا الفتح الذي اشرقت من جانبيه شمس النجح .
 لناخذوا من المسرة بحص من تبين لعينه تبلج الصبح . فقد تقرر لدينا مما
 تعتقدون من الاعتماد علينا والاقتصار . وتزيدون النظر كل حين في احكام الطاعة
 والاستبصار . ما صدد خبره بالاختبار . ولم يرتفع منه الا ما وقع بالواقعة وجاء
 على الاختيار * - وتاريخ الكتاب العشر الاخير من ربيع الثاني سنة احدى
 وتسعين وخمسائة . وفي هذا الفتح والتخفيف على اهل قابس فيما طلبوه
 يقول ابو محمد عبد البر بن فرسان المذكور وزعم ابن نخيل في تاريخه ان عبد
 البر قال هذه القصيدة عند فتح طرابلس - قال التجاني وليس كما زعم -
 اجل انه النصر المهني والفتح طواه الدجى وقتا وبينه الصبح
 صوا ثم جاءوا طائعين امامهم مماية غي كان آخرها النجح
 هدوا للهدى بعد اقتحام مظلة باوجههم من قبح صرائها لفتح
 صوا عن سبيل الرشدة ابصروا وقد كان نشوان الضلالة لا يصح
 وفاءوا وعن حين اقتراء سماتهم الى غرة قد كان منهم بهما قرح
 اجالوا قداح الراي اثناء هزمهم فحين انابوا فاز بالامل القدرح
 وما اذعنوا للشرط حتى اراهم يردى فهم في كل حرب لهم بـرح
 فما ورث منهم زناد استقامته من الشر حتى حك في مسها القدرح
 جشوا لقبول العفو في مجلس الرضى على بذل مال بان عنهم به الشرح
 فباستعتهم عفوا وخففت عنهم من المال ما لولاه ادهم الفتح
 وهبت الذي لوطن فيرك انه يفوز به لم ينجمهم عندها الصلح
 وما المال الا للنفوس وقايمة خسارته في حب ما يتقى ربح
 تفقد الجيوش الدهم برا والجمسة ففي سبب وخد وفي لجة سبح
 تنازل سن عاداك في قعر دارة فتزله لو كان منزله المصرح
 وتضرب

راحة . واضاء باسراق الدعوة العباسية كل جهة من هذه المدينة كانت
 مظلمة وساحة . بعد لحاجة شيطانها . ومكابرة قطانها . وتصييق اعطانها .
 بمجانيق مسامية لمانيها . مواشكة على ثوانيتها . لا تبلع اهلها ريقا . ولا
 تجدي للدافعة طريقا فريقا . ترهب على البعد وتقتل فريقا . وكنا قبل
 رضع تاجها . وخلق رتاجها . وكسر مهابتها . والتوغل في غابتها . خاطبنا
 جمهورهم . واستزلنا معمرهم . للطاعة ومغمرهم . رغبة في الابقاء عليهم .
 وانذارا لم يكن بد من تقدمهم اليهم . فرفعوا عوامهم . وركبوا هراهم . واستنهضوا
 اغوياءهم فنصبوا للشقاوة لواءهم . وكان فيها من رجال الدرق . ورماء
 المحدث . غنائم اسندوا اليهم ظهورهم فانقصمت . وتمسكوا بعراهم فانقصمت .
 وغواهم استنفروا من الجبال وكدوا بعد الهبوب . وعرفوا سوم تلك الحبوب *
 ومن فصول هذا الكتاب - فاخذهم هول المحصار . واحاطت الخيام بالاسوار .
 حتى كانت المدينة معها كالزبد في ضمن السوار . وكالغلق تحت مخيط
 الازار . والكرز للفلك الدوار . وكما لاحت في هالتها اجسام الاقمار . لا
 ينسبون الا على اذن واعية . ولا يتسللون الا على عين مراعية . فضجوا من
 ثلاث ساقهم الى الشحب سوق احتاث بعد القصوة . وانصداع عصي
 الاسوة . والعجز عن حماية الاولاد والنسوة . ولما سقط في ايديهم . ولم يجدوا
 راحيا يعصمهم ممن يوذهم . سلكوا للطاعة طريقة . وتظاهروا بها مجازا او
 حقيقة . فقبلت على حكم التسليم والتفويض . والقيام باعباء طيبة المثل
 والنهوض . وانتقلوا من الحرم الى الحل . ومن الحرور الى الظل . وقصر عن
 المدحد السيف المطل . وتفقدوا سوادهم فوجدوه طامس الاثار . فشجت
 الاشجان بغور المياه الغزار . لا منورا ابقث لايدي منه ولا منشورا . يقول
 فاطمة متعجبا ومعتبرا - وكان الله على كل شيء مقتدرا - * وفي فصل منه -
 واذن تقرر على الشرط حكم الاصطلاح . وجرى المسترزق منهم والتطوع من
 ملابس السلاح . وحمل غويهم الومن في نفسه واهله مع ما اختار صحبته
 من جنده الخاسر على ذات الدسر والالواح . فرضنا عليهم مائة الف دينار

بايعته اول اقباله وانتقضت عليه فحصلت طرابلس وقابس تحت يديه .
 ووقع بينه وبين يحيى بن اسحاق الميروي تغير والميروي اذ ذاك ببلد
 الجريد فصار الميروي اليه الى طرابلس وخرج قراقش الى لقائه فالتقيا
 بخارجها فانكسر قراقش وفر الى جبالها ولم يدخل الى البلد خوفا من
 الحصار . ثم اخذ الميروي ايضا في الحركة الى قابس وكان نائب قراقش قد
 خرج منها لما انهزم قراقش ووجه اليها الشيخ ابو سعيد بن ابي حفص من
 تونس حافظا من الموحدين يعرف بابن تافراجين . فتحرك الميروي اليها
 ووصل الى المنزل المعروف بزريق بتقديم الزاي على الرءا وكتب الى اهل
 قابس ينذروهم ويحذروهم . ومن فصول كتبه في ذلك — ولما عزمنا على قرع
 بابكم . والحلول بجنابكم . راينا تقديم لانذار اليكم . وايراد النصيحة عليكم .
 والكف عنكم ثلاثة ايام . لا تمد لكم فيها يد . ولا يتقدم اليكم بالاضرار
 احد . لعلم ما عندكم . ويتبين غيكم او رشدكم . فان ائثرتم الطاعة .
 وتبعتم الجماعة . وطانا لكم اكناف العدل . واتبعنا فيكم كريم القول وصحيح
 الفعل . وان ابيتتم الا الخلاف فقد ابغنا النفس عدرا . واتينا بالبر ومن
 امركم يرى . ولا تغتروا باهل طرابلس فلو كان لهم سواد يقطع . او مياه
 تضدع وتمنع . فجهروا الى الطاعة . وحملوا انفسهم منها فوق الاستطاعة .
 فلما انتضى اجله الذي حده ولم ير منهم اجابة ولا انس منهم اناية . زحف
 اليها بجموعه فحاصرها حصارا شديدا وقطع جميع غابتها . فيقال انه لم
 يبق منها الا نخلة واحدة تركها مبرة لهم . فانابوا له بعد ان اشترطوا عليه
 مسالمة واليهم ابن تافراجين وان يتوجه باهله وماله في البحر فاشترط لهم
 ذلك ووفى به واغرمهم ستين الف دينار عقوبة لهم . وقد وصف ذلك كله
 كاتبه ابو محمد عبد البر بن فرسان في كتاب كتبه عنه لاهل طرابلس وهي
 اذ ذاك في طاعته مبشرا بافتتاحه لقابس ونقل التجاني ذلك الكتاب في
 رحلته وكان بطرابلس بخط شيخه الفقيه ابي فارس عبد العزيز بن عبد
 العظيم ابن عبيد يقول في بعض فصوله — الحمد لله الذي اعاض من النصب
 راحة .

مملوك الملك الظاهر تقي الدين بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي بن أخي
السلطان صلاح الدين وكانت بينه وبين علي ابن اسحاق الميوري
مهادنة ومصالحة وكانا يجتمعان في أكثر حروبهما ويقومان الدعوة العباسية
بهذه الجهات . وسأذكر سبب وصوله الى هذا البلد باثر الفراغ من خبري
هذا ان شاء الله تعالى . فتحرك اليها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد
المومن فكانت له الوقعة المعروفة بوقعة الحامة وذلك في سنة ثلاث
وثمانين . وسيأتي خبر هذه الوقعة عند الكلام على الحامة ان شاء الله
تعالى . وفر قراش والميوري فدخلوا الى صحراء توزر ورجع المنصور الى
قابس فاستسلموا له وفتحوا ابوابها وسلموا له اتباع قراش وشيعته وقد كان
اعدها حصنا وشحنها باهله واتباعه وامتنع اهله بقصر العروسين منها يومين
ثم نزلوا الى المنصور راغبين في الامان فبعث بهم في البحر الى حضرة تونس
ثم رفعوا بعد الى مراكش والى المغرب . فظهر قراش لالانابة وماجر الى
الموحدين وذلك في سنة ست وثمانين وقد مات علي بن اسحاق الميوري
وولي اخوه يحيى . فاجتمع قراش بتونس بالسيد ابي زيد ابن السيد ابي
حفص وهو اذ ذاك الوالي عليها من قبل المنصور فاقام بها زمانا تحت
كرامة ثم انصرف فاراه عنه ورجع الى قابس وخادع اهلهما حتى دخلها
فقتل جماعة منهم واطهر الرجوع عن الالانابة واستدعى اشياخ العرب
الدبايين فقتل اعيانهم بقابس . ومن جملة من قتل منهم محمود بن طوق
ابن بقرية واليه تنسب المحاميد وحيد بن جارية وهو ابو الجوارى في
سبعين من كبارهم وذلك بدخل قصر العروسين في موضع منه معلوم الى
الان . قال التجاني والمحرني ابو صبرة مساعد بن لازرق والضريس ان
الدي ابن ابي عمار لما تغلب على قابس سنة اثنتين وثمانين ونتمائة امر
بحفر ذلك الموضع لبناء احب اعدائه هنالك قال فوافق الحفر موضع دفنهم
فرفعوا منه بين ايدنا نيفا وستين راسا فامر الدي بنقلها الى غير ذلك الموضع
فدفنت به . ثم توجه قراش الى طرابلس بعد اختطافه قابس وكانت قد

يهني المدافع ان الله حولهم سعدا ينال به كل الذي رام
قم فافتح الارض فالاملاك كلهم سواك اصحوا عن العلياء نواما
وانشد له من ابيات ذكر انه قالها يوم قتله -

اكذا اموت وما بلغت مرادي بجن الصوارم والقنا الميساد
حيث العيون لوامح وطوامح ما بين احباب وبين اعادي
وذكر صاحب الحريدة ايضا ان ابا مكن عامر بن محمد بن مكن ابن كامل
ابن جامع خلص يوم خروجهم واتصل به الفرار الى دمشق فاستوطنها وقال
يذكر ايامهم بقابس -

يا جار طرقي غير حاجع والدمع من عيني حامع
ولقد ارقت مسامرا نجما بدا في الشرق طالع
متذكرا بصروى دمع را أصبحت فينا قواطع
اني من الشم الاولى شادوا العلا ابناء جامع
اهل المراتب والكتا قب والمواهب والصنائع
يتسابقون الى المعالي كلهم فيها مسارع
ولقد ملكنا قابسا بالمشرفيات القواطع
تسعين عاما لم يكن فيها لنا احد منازع
وجنابنا للمعتفين من بزاهر المعروف يانع
واذا شهدنا مجمعا يومى الينا بالاصابع
عبثت بنا ايدي الزمان واحدثت فينا البدائع

وذكر ابنه مكن بن عامر وقد ورد ايضا الى دمشق وكان موجودا بها سنة
احدى وتسعين وخمسمائة وانشد له -

اذا عز سن اهوى اغض له طرقي واخفي الذي بي من سقام ومن ضعف
واكتم عن سري هواه ميانته ولو كان في كتمانها ابدا حثفي
مخافة ان يشكو فوادي صبايتي الى مقلتي يوما فتبدي الذي اخفي
وتقلب على قابس بعد خلوصهما للوحدين شرف الدين قراقس الارمني
مملوك.

لله فعلك أم المال تجمعهم — وكيف ذاك وقد شتمه مرقا
 وكان مالا تشدد المكرمات به — اشد ما هو توفيراً اذا محققاً
 وملك قابس بعد دخول رافع للقيروان محمد بن رشيد من بني جامع ايضاً
 وغلب على دولته مولاة يوسف . واتفق ان خرج محمد من قابس لحرب عدو
 له وترك احد بنييه نائباً عنه بها فطرد يوسف مولى ابيه منها واستولى على
 المدينة وانتسب الى طاعة روجار . فقام عليه اهل قابس ودفعوه الى العرب
 فعذبوه عذاباً شديداً وقطعوا مذاكرة لانهم نسبوه للتعرض لحرم مولاة . وكان
 ليوسف اخ اسمه عيسى ففر الى صقلية مستنصراً بطاغيته وزعم له ان اخاه
 انما صنع به ما صنع وهو منتسب الى طاعته فخرج روجار اسطوله لحصار
 قابس فحاصرها مدة ثم رجع . وكان اخر سن ملكها من بني جامع مدافع
 ابن رشيد بن مدافع بن كامل بن جامع ومن يده اخذها الموحدون . وقد
 كان عبد المؤمن بن علي لطفه واستدعاه باشعار خاطبه بها ويلوم عليه
 فامتنع من جوابه فلما وصل الى حصار المهدية انفذ اليه عسكرياً قائده ابنه
 عبد الله . فلما علم مدافع باقباله جمع اهل وعشيرته وسن انحاش اليه
 وفر ولقيه عسكري عبد الله فاتبعته شذمة منه فوافقها ساعة ثم انهزم وقتل
 جماعة من اهل وعشيرته وملك الموحدون قابس وتوغل مدافع في الهرب
 فاستجار باعراب طرابلس فاجاروه . وكان شاعراً حافظاً للسير والاخبار عالماً
 بالانساب . فلما مر عليه امان طريداً شريداً استشار عشيرته باللاحاق
 بعبد المؤمن فاشاروا عليه بذلك فسار اليه فلقية بمدينة فاس فرضي عنه
 واسكنه هنالك فتوفي بها وقد ناهز التسعين . وكان له ايام ملكه وزير
 يعرف بسلام بن فرحان بذل نفسه دونه يوم خروجهم من قابس وقاتل
 عنه الى ان قتل . وانشد له العماد الاصبهاني في الخريدة في مدح مدافع
 المذكور —

ما زلت افرى اديم لارض منفرداً اطوي المفاوز فيطانا وءاكاما
 حتى حططت رحالي في ذرى ملك غير المواهب للقصاد بساماً

والتناصر عن رافع في هذه المسألة حفظا لما بينه وبين زوجها من المصالحة .
 فزاد علي في ذلك وحنا عليه فامر ببقية اسطوله فاخرج للبحر ووجهه الى
 قابس فوجد الروم قد نزلوا من قطعهم لضيافة اعدوا لهم وافع فلم يرعهم إلا
 وصول لاسطول فبادروا الى قطعهم فغلبهم المسلمون وقتلوا منهم جماعة كبيرة .
 وكان ذلك من اشد الاسباب في الوحشة بين زوجها وعلي وسياقي ان
 شاء الله طرف من تراجم هؤلاء عند استقلالهم بولاية افرقيته متبعا بالسنين
 المذكورا في الباب السادس عند ذكر الامراء الذين قتل ولادة آل عثمان .
 ولقد اوجب عارض هذه الحركة التي وقعت بين علي ورافع تغلب الروم
 على المهدية وانقراض دولة بني مناد منها وفي هذا الفتح يقول محمد بن عبد
 الله الكاتب يمدح علي بن يحيى من قصيدة ضعيفة النظم -

ليهن المعالي ان تملك رقبها علي بن يحيى بالجمي والتكرم
 جرى وجرى صيد الملوك فردهم الى غاية بالمجد لم تتقدم
 وصمم تصميم الحسام مبادرا لاطفاء نار اذنت بالتصميم
 تعدت عن لاعلاج في بحر قابس وسار اليهم في الخيس العرم
 فولوا على الادبار رعبا واجفلوا بناب نبا منها وظفر مقلسم
 ولما تم هذا الفتح لعلي دون قبائل العرب واعد لاساطيل المحاصرة قابس
 وذلك في سنة احدى عشرة وخمسمائة . فلما بلغ ذلك رافعا ارسل جماعة
 من وجوه قومه الى علي رافعا في المصالحة فلم يجبه علي اليها فرأى انه
 ليس له قبل بقتال علي فقصده الى القيروان وكانت تحت ملك العرب
 فانفق بنو عمه على ان اعطوه اياها ففي دخوله اليها يقول محمد بن رشيد
 من كلمات -

سل رافعا ما الذي اجرى تنصرة وهل يقي الذل عنه من به وثقا
 لو لم ير الروم اهلا والصليب ابا لم يشك من ميسر في قابس رنقا
 اتفاق المال في العلية تلتحمه فالقيروان التي تعددها نفقا
 ابدت له مرة للجهالين يد وكان ستر عليه قبل فانخرقا

فاجتمع عليه الذباييون ونهضوا معه الى جبل نفوسة فاستولى عليه واستخلص منه اموالا عظيمة ارضى بها العرب . وكان من الالتحاق ان مسعود بن زمام امير الرياحيين خالف في ذلك الزمن على بني عبد المومن وفر امامهم فوصل الى هذه البلاد فكان تارة يكون مع زغب وتارة مع ذباب . فلما سمع بوصول قراقش وسن عنده من رماة الغز سر بهم وتوجه بسن معه من ابطال الرياحيين اليهم فحصر قراقش بهم طرابلس وصادف بلادا لم تستوقع ثائرا ولا مخالفا فهي خالية من الاجناد ومن العدد والاقوات فاستولى عليها فعظم اذ ذاك امره وتوقع من تونس وغيرها شرة ووصلت اليه العربان من كل مكان فاحتاج الى تكليف الرعية فوق طاقتهم فبغضه الناس بعد ان كانت القلوب كلها قد مالت اليه واقبلت عليه ولم يزل امره من تلك الافعال الشنيعة ومخالفته على بني عبد المومن وتلاعبه بالمهاجرة اليهم وفراره عنهم ودام ذلك نحو من اربعين عاما الى ان قتله الميورقي . واما ابراهيم ابن قرانكين فانه سار بجمعهم ووقع في خسارة المهاجرة الى بني عبد المومن والركوب عندهم قصده اشياخ العرب المخالفون عليهم وحملوه على الانفراد وطلب الرئاسة وساروا معه الى قفصة فاستولى على جميع منازلها وارسل الى بني الزند روساء قفصة فمكنوه من البلد لانحرافهم عن بني عبد المومن وحبهم في الخطبة العباسية التي القوها فدخلها ابراهيم وخطب فيها للخليفة العباسي ثم لصالح الدين . وقدّر ان كان قتل ابراهيم المذكور وجعلته اجنادا بعد ذلك على يد المنصور بعقوب بن يوسف بن عبد المومن في قفصة . وكان يقال لقراقش المظفري لانه مملوك الملك المظفري والناصري لانه كان يخطب للهك الناصر صلاح الدين وكذلك كان يكتب في ظهائره قال التجاني وقفت على ظهير بتسويغ املاك لبعض اهل طرابلس سمى فيه نفسه - قراقش الناصري ولي امر المومنين - بسكون الميم في لفظة امر . وكتب علامة الظهير بخطه - وثقت بالله وحده - وتاريخ الظهير عام تسعة وسبعين وخمسائة . وكان الميورقي يكتب العلامة في كتبه - وثقت بالله وحده - ويجعلها في اسفل الرسم الذي بينه وبينهم

الداعي اول الحال الى وصول قراقش الى هذه البلاد ان صلاح الدين يوسف ابن ايوب كان ملك مصر هو وعمه اسد الدين شيركوه بجيش نور الدين محمود ابن زنكي وقوة سلطانه وهما في ذلك من جملة امرائه واعوانه ثم بعد استيلائه عليها وموت عمه اسد الدين حدثت بين صلاح الدين ونور الدين وحشة خاف بسببها صلاح الدين ان يتحرك نور الدين على مصر ويستولى عليها فاحتاط لنفسه وبني على لاندفاع امامه وكان ذلك في سنة ثمان وستين وخمسمائة فانقسم امره بين بلاد اليمن وبلاد المغرب فقال له اخوه توران شاه ابن ايوب انا اتوجه الى اليمن وافتتحها واعيدها لك ان اجتجت اليها فتجهز اليها في السنة المذكورة وافتتحها في السنة التي بعدها وهي سنة تسع وستين وخمسمائة وقال له الملك المظفر تقي الدين ابن اخيه شاهنشاه بن ايوب انا اتوجه الى المغرب فافعل مثل ذلك فاشتغل تقي الدين بالنظر في حركته ثم انه زهد في بلاد المغرب وعرف ما بينه وبين افريقية من العربان والمهالك فاستغنى من ذلك وقد كان اسر خبر تغريبه الى جمع من جنده وخوادمه فاشرفوا لذلك وبنوا عليه فلما امتنع تقي الدين من التغريب فر بطائفة منهم مملوكه شرف الدين قراقش لارمني وبطائفة اخرى ابراهيم بن قراتكين سلاح دار المعظمي وهو منسوب الى الملك المعظم شمس الدولة اخي صلاح الدين وكان في اجناد تقي الدين فجاز المذوران بمن معهما الى المغرب . ولما جاوزا العقبة رايا ان يفترقا لينفذ كل واحد منهما بما قدر له من الملك والرئاسة فصار قراقش الى ستريته فافتتحها وخطب فيها للسلطان صلاح الدين ولاستاذة تقي الدين بعده وكتب اليهما بذلك وافتتح زلة واوجلة وازال من بلاد فزان دولة بني خطاب الهواريين وكانت قاعدة ملكهم زويلة وهي المعروفة بزويلة بني خطاب وعذب ملكها محمد بن خطاب بن يصلث بن عبد الله بن صنفل بن خطاب آخر ملوكهم على المال حتى هلك وخطب فيها لصلاح الدين ولتقي الدين ولم يزل على هذه الطريقة يفتح البلاد ويخطب فيها لمن ذكر الى ان وصل الى طرابلس فاجتمع

وتصرب بالحق الصحيح كلا العدا اذا كان حظ البطل من غيرك المرح
وتطلع فجر العدل في مشرق الهدى . اذا امتد من ليل اعتداء العدا جنح
وتسرد من أي العلا سورا لها براهين لا يخفى لها ابدا شرح
تقوم لها بالتصكرات دلائل كما قام عن مستودع الروضة النفع
فلا زلت فتاح البلاد مهـدا جوانبها ما لاح من بارق امح
ودان لك الداني وقص من الذي بغى طاغيا ريش وصح له ذبح
وبقيت قابس في حكم الميوري الى ان وصل الناصر الى افريقية في سنة
احدى وستمائة فاستنقذ من يده قابس وغيرها وتردد عليها حفاظ الموحدين
من قبل الناصر مدة اقامته بافريقية ومن قبل الشيخ ابي محمد بن ابي
حفص بعد انفصال الناصر وهلم جرا . وفي الثر هذا استقر قراش بودان فتوجه
الميوري اليه بمن استصحب معه من العرب الذبايين الموترين من قبل
قراش فحاصره بها الى ان فنى طعامه واعطى بيده سلما واشترط على العرب
ان يقتلوه قبل قتل ولده وكان شديد المحبة له فلما خرج هو وولده اليهم
قال له الولد - يا ابي - الى اين يروحون بنا - فقال له - الى اين رحنا
بآبائهم - فقتلوه وقتلوا ولده بعده وصلبه الميوري بظاهر ودان وذلك في سنة
تسع وستمائة . وهذا الخبر من صفة موت قراش كان تلقاه التجاني من افواه
العرب حسبا نص عليه بقلمه في رحلته قال والعرب الذبايون الذين روى
عنهم يزعمون انهم اخذوا ذلك عن آباءهم عن حضر لذلك من اجدادهم .
وترك قراش ولدا آخر اشتهر امره بعد مدة وكان شجاعا كريما حسن الصورة
جدا تميز العيون الى شخصه والاسماع الى ذكره رتبة الخليفة المستنصر
بالحضرة في اجناده وقدمه لطائفة منهم فحدثته نفسه ان يشور واراد ان
ينسج على منوال ابيه فهرب من اصحابه ولحق ببلاذ ودان فانفذ اليه
ملك كان من قتل وارج منه ومن فتته تلك البلاد وحمل براسه الى بلاده
فطيف به بها وذلك في سنة ست وخمسين وستمائة وقد كان البطالون
من الاجناد بالحضرة قد اشتغلوا بذكره واكثروا الخوض في امره . والواجب

عددا . لم نفسح لهم في اقتصاصها امدا . فعجزوا واستكانوا . ورضاءوا بذلك
كانهم غير الذي كانوا . فوسعهم الثقات ديني ونظر على الرحمة مبني حقف
المثون . فاضحت المائة وهي ستون . وهم في شانها مفيضون . وعما عداها
معروضون . فحاطبناكم بهذا الفتح الذي اشرقت من جانبيه شمس النجح .
لتأخذوا من السرة بحص من تبين لعينه تبلج الصبح . فقد تقرر لدينا معل
تعتقدون من الاعتماد علينا ولاقتصار . وتزيدون النظر كل حين في احكام الطاعة
ولااستبصار . ما صدد خبره بالاختبار . ولم يرتفع منه الا ما وقع بالوافقة وجاء
على الاختيار • - وتاريخ الكتاب العشر الاخير من ربيع الثاني سنة احدى
وتسعين وخمسائة . وفي هذا الفتح والخفيف على اهل قابس فيما طلبوه
يقول ابو محمد عبد البر بن فرسان المذكور وزعم ابن نخيل في تاريخه ان عبد
البر قال هذه القصيدة عند فتح طرابلس - قال التجاني وليس كما زعم -
اجل انه النصر المهني والفتح طواه الدجى وقتا وبينه الصبح
صوا ثم جاءوا طائعين امامهم هماية غي كان آخرها النجح
هدوا للهدى بعد اقتحام مظلة باوجههم من قبج صرائها لفتح
عموا عن سبيل الرشدة ثمة ابصروا وقد كان نشوان الضلالة لا يصح
وفاءوا وعن حين اقتراء سمائهم الى غرة قد كان منهم بهما قرح
اجالوا قداح الراي اثناء عزيمهم فحين انابوا فاز بالامل القدرح
وما اذعنوا للشرط حتى اراهم ردى فهم في كل حرب لهم بـرح
فما وريث منهم زناد استقامته من الشر حتى حك في مسها القدرح
جشوا لقبول العفو في مجلس الرضى على بذل مال بان عنهم به الشح
فاوسعتهم عفوا وخففت عنهم من المال ما لولاه ادهم الفتح
وهبت الذي لو ظن فيرك انه يفوز به لم ينجمهم عندنا الصلح
وما المال الا للنفوس وقايسته خسارته في حب ما يتقى ربح
تعود الجيوش الدعم برا والجمسته ففي سبب وخذ وفي لجة سبح
تنازل سن ماداك في قعر دارة فتنزله لو كان منزله الصرح
وتضرب

راحة . واضاء باشراف الدعوة العباسية كل جهة من هذه المدينة كانت
 مظلمة وساحة . بعد لجاجة شيطانها . ومكابرة قطانها . وتصييق اعطانها .
 بمجائيق مسامية لمبانيها . مواشكة على ثوانيتها . لا تبلع اهلها ريقا . ولا
 تجدي للدافعة طريقا فريقا . ترهب على البعد وتقتل فريقا . وكنا قبل
 رضع تاجها . وخلع رتاجها . وكسر مهابتها . والتوغل في غابتها . خاطبنا
 حمهورهم . واستنزلنا معمورهم . للطاعة ومغمورهم . رغبة في الابقاء عليهم .
 وانذارا لم يكن بد من تقدمه اليهم . فرفعوا عوامهم . وركبوا هراهم . واستنهضوا
 اغوياءهم فنصبوا للشقاوة لواءهم . وكان فيها من رجال الدرق . ورماء
 الحدق . غنائم اسندوا اليهم ظهورهم فانقصمت . وتمسكوا بعراهم فانقصمت .
 وغوغاهم استنفروا من الجبال وكدوا بعد الهبوب . وعرفوا سوم تلك الحبوب *
 ومن فصول هذا الكتاب - فاخذهم هول الحصار . واحاطت الخيام بالاسوار .
 حتى كانت المدينة معها كالزبد في ضمن السوار . وكالغلق تحت مخيط
 الازار . والكرز للفلك الدوار . وكما لاحت في هالتها اجسام الافكار . لا
 ينسبون إلا على اذن واعية . ولا يتسللون إلا على عين مراعية . فضجروا من
 ثلاث ساقهم الى التشعب سوق احتثاث بعد القصوة . وانصداع عصي
 الاسوة . والعجز عن حماية الاولاد والنسوة . ولما سقط في ايديهم . ولم يجدوا
 راحما يعصمهم ممن يوذهم . سلكوا للطاعة طريقة . وتظاهروا بها بجازا او
 حقيقة . فقبلت على حكم التسليم والتفويض . والقيام باعباء طيبة الملل
 والنهوص . وانتقلوا من الحرم الى الحل . ومن الحرور الى الظل . وقصر عن
 المدحد السيف المطل . وتفقدوا سوادهم فوجدوه طامس الاثار . فشجت
 الاشجان بغور المياه الغزار . لا منورا ابقت لا يدي منه ولا منشورا . يقول
 فاطمة متعجبا ومعتبرا - وكان الله على كل شيء مقتدرا - * وفي فصل منه -
 واذن تقرر على الشرط حكم الاصطلاح . وجرد المسترزق منهم والمتطوع من
 ملابس السلاح . وحمل غويهم المومن في نفسه واعلمه مع ما اختار صحبته
 من جنده الخاسر على ذات الدسر والالواح . فرضنا عليهم الف دينار

بأبعثه أول اقباله وانتفضت عليه فحصلت طرابلس وقابس تحت يديه .
 وقع بينه وبين يحيى بن اسحاق الميورقي تغير والميورقي اذ ذاك ببلد
 الجريد فسار الميورقي اليه الى طرابلس وخرج قراقش الى لقائه فالتقيا
 بخارجها فانكسر قراقش وفر الى جبالها ولم يدخل الى البلد خوفا من
 الحصار . ثم اخذ الميورقي ايضا في الحركة الى قابس وكان نائب قراقش قد
 خرج منها لما انهزم قراقش ووجه اليها الشيخ ابو سعيد بن ابي حفص من
 تونس حافظا من الموحدين يعرف بابن تافراجين . فتحرك الميورقي اليها
 ووصل الى المنزل المعروف بزريق بتقديم الزاي على الرء وكتب الى اهل
 قابس ينذرهم ويحذرهم . ومن فصول كتبه في ذلك — ولما عزمنا على قرع
 بابكم . والحلول بجنابكم . راينا تقديم لانذار اليكم . وايراد النصيحة عليكم .
 والكف عنكم ثلاثه ايام . لا تمتد لكم فيها يد . ولا يتقدم اليكم بالاضرار
 احد . لنعلم ما نندكم . ويتبين فيكم او رشدكم . فان اثرتم الطاعة .
 وتبتم الجماعة . وطانا لكم اكناف العدل . واتبعنا فيكم كريم القول وصحيح
 الفعل . وان ابستم الا الخلاف فقد ابغنا النفس عذرا . واتينا بالبر ومن
 امركم يرى . ولا تغتروا باهل طرابلس فلو كان لهم سواد يقطع . او مياه
 تصدع وتمنع . فنجروا الى الطاعة . وحملوا انفسهم منها فوق الاستطاعة .
 فلما انقضى اجله الذي حده ولم ير منهم اجابة ولا انس منهم انابة زحف
 اليها بجموعه فحاصرها حصارا شديدا وقطع جميع غابتها . فيقال انه لم
 يبق منها الا نخلة واحدة تركها عبرة لهم . فانابوا له بعد ان اشترطوا عليه
 مسالمة واليهم ابن تافراجين وان يتوجه باهله وساله في البحر فاشتروا لهم
 ذلك ووفى به واغرمهم ستين الف دينار عقوبة لهم . وقد وصف ذلك كله
 كاتبه ابو محمد عبد البر بن فرسان في كتاب كتبه عنه لاهل طرابلس وهي
 اذ ذاك في طاعته مبشرا بافتتاحه لقابس ونقل التجاني ذلك الكتاب في
 رحلته وكان بطرابلس بخط شيخه الفقيه ابي فارس عبد العزيز بن عبد
 العظيم ابن عبيد يقول في بعض فصوله — الحمد لله الذي عاض من النصب
 راحة .

مملوك الملك الطاهر تقي الدين بن شاهنشاه بن ايوب بن شادي بن اخي
السلطان صلاح الدين وكانت بينه وبين علي ابن اسحاق الميوري
مهادنة وصالحته وكانا يجتمعان في اكثر حروبيهما ويقومان الدعوة العباسية
بهذه الجهات . وساذكر سبب وصوله الى هذا البلد باثر الفراغ من خبري
هذا ان شاء الله تعالى . فتحرك اليها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد
المومن فكانت له الوقعة المعروفة بوقعة الحامة وذلك في سنة ثلاث
وثمانين . وسياتي خبر هذه الوقعة عند الكلام على الحامة ان شاء الله
تعالى . وفر قراش والميوري فدخلوا الى صحراء توزر ورجع المنصور الى
قابس فاستسلموا له وفتحوا ابوابها وسلموا له اتباع قراش وشيعته وقد كان
اعدها حصنا وشحنها باهلها واتباعه وامتنع اهلها بقصر العروسيين منها يومين
ثم نزلوا الى المنصور وراغبين في لاملان فبعث بهم في البحر الى حضرة تونس
ثم رفعوا بعد الى مراکش والى المغرب . فاطهر قراش لاناثة وهاجر الى
الموهدين وذلك في سنة ست وثمانين وقد مات علي بن اسحاق الميوري
وولي اخوه يحيى . فاجتمع قراش جنود بالسيد ابي زيد ابن السيد ابي
حفص وهو اذ ذاك الوالي عليها من قبل المنصور فاقام بها زمانا تحت
كرامة ثم انصرف فارا عنه ورجع الى قابس وخادع اهلها حتى دخلها
فقتل جماعة منهم واطهر الرجوع عن لاناثة واستدعى اشياع العرب
الدبايين فقتل اعيانهم بقابس . ومن جملة من قتل منهم محمود بن طوق
ابن بقية واليه تنسب المحاميد وحيد بن جارية وهو ابو الجواري في
سبعين من كبارهم وذلك بدخل قصر العروسيين في موضع منه معلوم الى
لان . قال التجاني واخبرني ابو صبرة مساعد بن الاورق والعريسي ان
الدي ابن ابي عارة لما تغلب على قابس سنة اثنتين وثمانين وستمائة امر
بحفر ذلك الموضع لبناء احب اهدائه هنالك قلل فوافق الحفر فوضع دفنهم
فرفعوا منه بين ايدينا نيفا وستين راسا فامر الدي بنقلها الى غير ذلك الموضع
فدفنت به . ثم توجه قراش الى طرابلس بعد اختطاحه قابس وكانت قد

يهني المدافع ان الله خولسه سعدا ينال به كل الذي رام
قم فافتح الارض فالاملاك كلهم سواك اصحوا عن العلياء نواما
وانشد له من ابيات ذكر انه قالها يوم قتله -

اكذا اموت وما بلغت مرادي بجن الصوارم والقتا الميساد
حيث العيون لوامح وطوامح ما بين احباب وبين اعادي
وذكر صاحب الحريرة ايضا ان ابا مكن عامر بن محمد بن مكن ابن كامل
ابن جامع خلص يوم خروجهم واتصل به الفرار الى دمشق فاستوطنها وقال
يذكر ايامهم بقابس -

يا جار طرفي غير حاجع والدمع من عيني هامع
ولقد ارقت مسامرا نجما بدا في الشرق طالع
متذكرا بصروى دمع ر اصبحت فينا قواطع
اني من الشم الاولى شادوا العلا ابناة جامع
اهل المراتب والكتا قب والمواهب والصنائع
يتسابقون الى المعا لي كلهم فيها مسارع
ولقد ملكنا قابسا بالمشرفيات القواطع
تسعين هاما لم يكن فيها لنا احد منازع
وجنابنا للمعتفي من بزاهر المعروف يانع
واذا شهدنا مجمعا يومى الينا بالاصابع
عشت بنا ايدي الزما ن واحداثت فينا البدائع

وذكر ابنه مكن بن عامر وقد ورد ايضا الى دمشق وكان موجودا بها سنة
احدى وتسعين وخمسائة وانشد له -

اذا عز سن اهوى اغص له طرفي واخفي الذي بي من سقام ومن ضعف
واكتم من سري هواه صيانة ولو كان في كتمان ابداء حتمي
مخافة ان يشكو فوادي صبايتي الى مقلتي يوما فتبدي الذي اخفي
وتغلب على قابس بعد خلوصهما للوحدين شرف الدين قراقص لارمني
مملوك

لله فملك ام الهال تجمعهم وكيف ذاك وقد شتمه مرقا
 وكان مالا تشدد المكرمات به اشد ما هو توفيراً اذا محققاً
 وملك قابس بعد دخول رافع للقيروان محمد بن رشيد من بني جامع ايضاً
 وغلب على دولته مولاة يوسف . واتفق ان خرج محمد من قابس للحرب عدو
 له وترك احد بنييه نائباً عنه بها فطرد يوسف مولى ابيه منها واستولى على
 المدينة وانتسب الى طاعة روجار . فقام عليه اهل قابس ودفعوه الى العرب
 فعذوبة عذاباً شديداً وقطعوا مذاكرة لانهم نسبوه للتعرض لحرم مولاة . وكان
 ليوسف اخ اسمه عيسى ففر الى مقلية مستنصراً بطاغيتهما وزعم له ان اخاه
 انما صنع به ما صنع وهو منتسب الى طاعته فخرج روجار اسطوله لحصار
 قابس فحاصرها مدة ثم رجع . وكان اخر سن ملكها من بني جامع مدافع
 ابن رشيد بن مدافع بن كامل بن جامع ومن يده اخذها الموحدون . وقد
 كان عبد المومن بن علي لطفه واستدعاءه باشعار خاطبه بها ويلوم عليه
 فامتنع من جوابه فلما وصل الى حصار المهدية انفذ اليه عسكرياً قائده ابنه
 عبد الله . فلما علم مدافع باقباله جمع اهلهم وعشيرته وسن انحاش اليه
 وفر ولقيه عسكري عبد الله فاتبعته شزيمة منه فواقفها ساعة ثم انهزم وقتل
 جماعة من اهلهم وعشيرته وملك الموحدون قابس وتوغل مدافع في الهرب
 فاستجار باعراب طرابلس فاجاروه . وكان شاعراً حافظاً للسير والاخبار عالماً
 بالانساب . فلما مر عليه عامان طريداً شريداً استشار عشيرته باللاحاق
 بعبد المومن فاشاروا عليه بذلك فسار اليه فلقية بمدينة فاس فرضي عنه
 واسكنه هنالك فتوفي بها وقد ناهز التسعين . وكان له ايام ملكه وزير
 يعرف بسلام بن فرحان بذل نفسه دونه يوم خروجهم من قابس وقاتل
 عنه الى ان قتل . وانشد له العماد الاصبهاني في الخريدة في مدح مدافع
 المذكور —

ما زلت افري اديم لارض منفرداً اطوي الفاوز غيطانا وءاكامنا
 حتى حططت رحالي في ذرى ملك غير المواهب للتصاّد بسماءنا

والتناصر عن رافع في هذه المسألة حفظا لما بينه وبين روجار من المصالحة .
 فزاد علي في ذلك وحنا عليه فامر ببقية اسطوله فاخرج للحين ووجهه الى
 قابس فوجد الروم قد نزلوا من قطعهم لصياقة اعدما لهم وافع فلم يرهم إلا
 وصول لاسطول فبادروا الى قطعهم فغلبهم المسلمون وقتلوا منهم جماعة كبيرة .
 وكان ذلك من اشد الاسباب في الوحشة بين روجار وعلي وسياقي ان
 شاء الله طرف من تراجم هؤلاء عند استتلالهم بولاية افرقيته متبعا بالسنيين
 المذكورا في الباب السادس عند ذكر الامراء الذين قتل ولاء آل عثمان .
 ولقد اوجب عارض هذه الحركة التي وقعت بين علي ورافع تغلب الروم
 على المهدية وانقراض دولة بني مناد منها وفي هذا الفتح يقول محمد بن عبد
 الله الكاتب يمدح علي بن يحيى من قصيدة ضعيفة النظم —

ليهن المعالي ان تملك رقهها علي بن يحيى بالجنى والتكرم
 جرى وجرى صيد الملوك فردهم الى غاية بالمجد لم تتقدم
 وصم تصميم الحسام مبادرا لاطفاء نار اذنت بالتصيرم
 تعدت عن لاعلاج في بحر قابس وسار اليهم في الخيس العزوم
 فولوا على الادبار رعبا واجفلوا بناب نبا منها وظفر مقلسم
 ولما تم هذا الفتح لعلي دون قبائل العرب واعد لاساطيل لمحاصرة قابس
 وذلك في سنة احدى عشرة وخمسائة . فلما بلغ ذلك رافعا ارسل جماعة
 من وجوه قومه الى علي رافعا في المصالحة فلم يجبه علي اليها فرأى انه
 ليس له قبل بقتال علي فقصده الى القيروان وكانت تحت ملك العرب
 فاتفق بنو عمه على ان اعطوه اياها ففي دخوله اليها يقول محمد بن رشيد
 من كلمات —

سل رافعا ما الذي اجرى تنصره وهل بقي الذل عنه من به وثقا
 لولم ير الروم اهلا والصليب ابا لم يشك من عيشه في قابس رنقا
 انفاقك المال في العلياء تلحقه فالقيروان التي تتعدا نفقا
 ابدت له مرة للجاهلين يد وكان ستر عليه قبل فانخرقا

قاضي وكان سعي الميرة فتحته اهل قابس وبعثوا الى عمر بن المعز بن باديس اخي تميم بن المعز وكان مخالفا عليه فامروه على انفسهم وذلك في سنة تسع وثمانين واربعمائة . فلما علم تميم بولاية اخيه تحرك الى قابس وجد في حصارها الى ان افتتحتها وكان قبل ذلك متراخيا عنها قليل له لم ذلك فقال لما كان فيها قاضي اخو ابراهيم كان بمنزلة مبد من ميدي فكان زواله سهلا علي متى اردت واما لان ابن المعز بالمهديّة وابن المعز بقابس صعب على النفوس . ولي فتحها يقول الشاعر -

صحك الزملن وكان قدما عابسا لما فقت بجد سيفك قابسا

اصدقت عذرتها نكاحا جائزا سحر القنا وبواترا وفوارسا

من كان باليحيى القواصب خاطبا حلت له ميض البلاد عرائسا

ثم خالفت قابس بعد ذلك على تميم ورجعت الى طاعة العرب واختلف عليها امرؤهم فوليا منهم مكن بن كامل بن جامع وهو الذي اجار حمو بن مليل البرغواطى الفائر بصفاقس لما اخبره منها تميم ابن المعز وقد ذكرنا ذلك قبل هذا وبعده ابنه رافع بن مكن وهو الذي كتب اسد في عروسيها كما تقدم . وتوفي تميم ورافع باق على ولاية قابس ثم ولي يحيى بن تميم فضالجه وداراه طول حياته . ثم توفي يحيى وولي بعده ابنه علي فانف من مصالحته رافع وكان رأي يحيى يحتمل امورا لرافع لم يحتملها علي منها ان رافعا انشا بساحل قابس سفينة امدعا لما يعرض له في البحر من الامر فلم يقد يحيى انكارا لذلك بل اعانه عليها وامده بما يحتاج اليه فيها . فلما ولي علي انف هن ذلك وكرة ان يقاومه احد من اهل افريقية في اجراء السفن في البحر خافذ اسطولا الى ساحل قابس لمنع هذه السفينة من لا قلاع واخذها ان اقلعت . ولم بذلك رافع فكتب لروجار صاحب صقلية يساله لاعانة على علي ويخبره انه لما انشا تلك السفينة ما قصد بها الا ان يبعثها هدية اليه . فبعث روجار الى قابس اسطولا ضخما لنصرة رافع . فلما بلغ ذلك غلبا جمع رجال دولته واستشارهم في ذلك فكلهم اشار عليه باسترجاع اسطوله

الصقلي بقصيدته التي يقول فيها —

افلا يحالفني الرشاد وسميتي قصدت عزيمتها لاميرو رشيدا

قال التجاني وقد وقفت في بعض ابواب القصر على اسطر كتبت نقشاً في الحجر نصها — امر بعمل هذا الباب لاميرو رافع ابن امير لامراه مكن بن كامل بن جامع في رجب سنة خمس مائة — فان كان ما يذكره اهل قابس من ان راشداً هو الذي ابتناه صحيحاً فيكون هذا الباب خاصة هو الذي امر ببنائه رافع بن مكن . وقال التجاني واخبرني بعض الطلبة من اهلها انه وقف لبعض المورخين على ان صنهاجة هم الذين ابتدأوا بينائه وانتهوا به الى قدر ثلثيه فاتمه بنو جامع الهلاليين . وكانت ولاية قابس ايام الشيعة مترددة في بني لقمان الكتامين وفي بعض امرائهم يقول الشاعر —

لولا ابن لقمان حليف النداء مل على قابس سيف الرداء

فلما ملكت الشيعة مصر وانقلبت الدولة الكتامية بافريقية صنهاجية رجعت ولاية قابس في صنهاجة وعييدهم فوليهما في اول امرهم بنو عامر ثم وليها ابراهيم بن يوسف بن زيري وهو اخو باديس ثم منصور بن فارس ثم توالى بعد في اقوام من برغواطة ولاهم المعز بن باديس . فلما اجتازت العرب الى افريقية بتدبير الوزير الباروني حسبما تقدم قبل هذا فتغلبوا على اكثر البلاد والجاوا المعز الى المهديّة كان والي قابس اذ ذاك المعز بن محمد بن ولوية الصنهاجي وكان اخواه ابراهيم وقاصي قائدان للمعز بن باديس على جيوشهم فعزلهما لغرض من لم يفروا عنه مغاضبين ولحقاً بمونس بن يحيى الهلالي الصنبري امير رباح من لاعراب القادمين من مصر فاكرمهما وكساهما ثياباً . وصلت اليه من مصر وسر بقدميهما وانصرفا الى قابس فاجتمعا باخيهما فاتفقوا على قطع اسم المعز بن باديس من الخطبة وصرف الطلعة الى مونس بن يحيى فكان ذلك اول تملك العرب بهما ولحق المعز بن محمد بمونس فكان في صحبته واقام ابراهيم والياً على قابس وهو في طاعة مونس الى ان توفي المعز ابن باديس وولي بعده ابنه تميم . ثم ملت ابراهيم بقابس فولى بعده اخوه قاصي

وقبست من شوقي لقابس جذوة شبت على قلب سواها شاقه
 من بلدة في العين اظلم جوعها مع انها ما انكثرت اشراقه
 قد كان منظرها يروق بعين سن يشكو النوى لو ان شيئا راقه
 لكن بقبر ابي لبابة لي هوى ما من هوى للنفس الا فاقه
 امل بنفسي لو ظفرت بتربسه فجعلت ائمد ناظري دقاه
 وتمثل القبر الكريم بمقلتي فدنوت منه والتزمت عناقه
 فوثاق ذنبي ارتجبي لفكاكه عن افك قول العالمين وثاقه
 صلى الاله على النبي محمد واناله بجواره استحقاقه
 وعلى صحابه وعترته السني لزمتم رضاه واقتفت اخلاقه
 وقضى لنا من بطنا في سيرنا يوم الجزاء على الصراط لحاقه
 وبشرقي قابس موضع يعرف بالمنارة كان به منار مرتفع يظهر للآقي من جهة
 المشرق قبل وصوله الى البلد بمسافة بعيدة وقد سقط الان فلم يبق له اثر .
 وذكر البكري ان الحداة يحدون عند قدومهم من مصر الى افريقية فيقولون -
 لا نوم لا نوم ولا قرارا حتى ارى قابس والمنارا
 وفي وصف بطحاء قابس وهي في سرتها يقول ابو عبد الله محمد بن العطار
 القرطبي -

لهفي على طيب ليال خلت بجانب البطحاء من قابس
 كان قلبي عند تذكارها جذوة نار في يدي قابس
 وبداخل المدينة مسجدها الجامع وهو مسجد متسع له منار مرتفع قد مال
 وخرج عن الوزن الا انه لصحة موضعه لا يخشى من وقوعه . وبقرية
 من هذا الجامع قصبة قابس وبها المبنى المشتهر المعروف بالعروسيين الذي
 لا يرى مثله طرفا وحسنا وقد استولى الخراب على القصبة وعليه . والعروسيان
 من بناء بني جامع الهاليس الذين كان لهم امر قابس فطوت ايدي التوحيد
 آثارهم ومحت اخبارهم . واهل قابس ينسبون بناء لرشيد بن مدافع بن
 جامع احد سن تملكها منهم ومدوخ ابي محمد عبد الجبار بن حمديس

من ذلك الثالث . واختاف في ذنب ابي لبابة ف قيل هو تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما غزا النبي صلى الله عليه وسلم ورجع ندم ابو لبابة فربط نفسه لسارية وقال والله لا احل نفسي منها ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى يتوب الله علي او اموت فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفه بتوبة الله عليه فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم فحمله بيده فقال يا رسول الله ان من توبتي ان اهجرج دار قومي - الحديث . وقيل بل ذنبه اشارته الى حلفه لبني قريضة حلفائه بآشارة ان نزلتم على حكم سعد بن معاذ فنزلت فيه - يا ايها الذين ءامنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا امانتكم - ثم تاب الله عليه والله اعلم . وانشد ابو الحكم المحسن بن عبد الرحمن بن عذرة في كتابه الكبير الذي سماه منتهى السؤل في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لابي المطفر بن صيرة وقد انصرف من قبر ابي لبابة -

خبر الاحبة ما الذ مساقمه وجنى القطيعة ما امر مذاقمه
وهوى القلوب لها عليه شواهد سبقت بناطق حالها استنطاقه
اي المنازل ان ذكرت عهدهما فتهيج من كلف بها اشواقه
يعتاده منها جوى بين الحشا والصدر رقرق دمعها وراقه
ويبيت منها كالسليم وماله راق اذا مد الظلام وراقه
حمل الغرام وما استقل بحمله قبل النوى فالان كيف اطاقه
ورمت به الاقدار كل تنوفة لم تاله لجمالها اغراقه
قفرت تشاكينا الفراق لديه والاشهى لنا ان نستديم فراقه
وموارد حملت اجنة اجسن يلتى بها طعم النوى سن ذاقه
خفق الجوانح دونه ويرد سن افضى اليه مع الصدى اخفاقه
ما زلت اقطعها مهامه لم تزل بالصبر حتى خرقت اخلاقه
حتى وقفت وما افقت بمنزل كالظلم في صدري ارى اخذاقه
وقبست

طوري الزيتون والتين . فاما النخل فجمع عظيم . وطلح هظيم . وسكك مابورة .
ونواعم في الحدودر مقصورة . وان بقعته لوارفة الظل . آمنة الحرم والحل . جنة لو
فزع ما في صدور اهلها من الغل . وبالجملة فهو تام الغرابة . مدهام الغابة .
مستاثر بسيد من سادات الصحابة . ولا عيب بتربته إلا وخامة مائها . وحميات
قلما يعرى من عدوانها . وفي فصل من رسالة اخرى له يصف شدة الوباء بها
وكثرة عقاربها - وهذه البلدة الان في ضلال من شرح الشباب . وظلال
من ثمرات النخيل والاعناب . فهي لا عيب فيها إلا هواء وخامته تخاف .
وماء غير من خالصة الماء المضاف . ولييوت المدينة دواجن سيئة الجوار .
سريعة الى القطان والزوار . كراها تنفيه . وسرها تخفيه . وصاحبها لا يطمع
احد فيه . فقبحت شائنة الاذئاب . شاملة بالعذاب . كامنة بارزة .
هامزة لامزة . تطرق بالبلية . وتنقسم شرها بين البر والفاجر بالسوية .
قال دبت عندنا ليلة لمن كان يرمى ذبيها . ويحاول قبل ان تصيبه ان
يصيبها . فاقعته به لدغا في القدم . فلاقى اشد الم . قال وبات وبتنا
معه في ليلة اخي ذبيان . وجل الله ما اطول ما كانت واهول ما كان .
واشار ابو المطرف في الرسالة السابقة مستاثرا بسيد من سادات الصحابة
الى ما يذكره اهل قابس ان ابا لبابة . الانصاري مدفون ببلدهم وقبره عندهم
مزار مشهور - وبقابس ايضا مسجد ينسبون له اليه قال التجاني ولم ار
احدا من المورخين عد ابا لبابة ممن دخل افريقية من الصحابة فلعله
ان ثبت قبره هنالك مما اغفل المورخون ذكره منهم . واسم ابي لبابة بشر
ابن عبد المنذر وهو ممن شهد العتمة وبدرا ويقال بل امرة النبي صلى الله
عليه وسلم على المدينة في غزوة بدر ولم يشهدا غير ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امرة ايضا على المدينة في غزوة السويق ومات في خلافة علي
رضوان الله عليه ولعل قدومه الى افريقية كان هجرانا لدار قومه بسبب
ذنبه الذي اذنبه فتاب الله عليه قال يا رسول الله ان من توبتي ان اهجّر
دار قومي وان انخلع عن مالي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك

والبحر يرمقنا بمقلته أزرق والبر يرمقنا بمقلته اعسف
 في جنة لولنت من خلد بها قصدي بلغت الى النعيم الاكبر
 ومحل انس قلت بين رياضه برياضة قادت لابهى منظر
 ملنا بمنعرج المصلى نحسوه حذر الرقيب وليته لم تحذر
 وجري لنا فيه حديث كله لطف حضرنا منه اطيب محضر
 فنجري احاديث الصبا والصبا بارق من مسرى الصبا المتعطر
 وندير كاسات المحبة بيننا فنميل منها بالحلل المسكر
 حتى اذا ولى العشي وعان ان نمتاز عن نظر المراد الانصر
 قمنا نجر من العفاف سوابغا لما نغيرها بصبغة منكر
 واليوم قابس جنة الدنيا وفي قلبي لوشك الين حرقة مسعر
 ومن المكاره التي حفت به جنة قابس ما يتعدى اليها من الوباء وينال
 ساكنها من الامراض وسبب ذلك فيما يذكر اهلها كثرة شجر الدفلى بها
 فيكتسب الماء منه لدى جريه سمية ومرارة تضر بابدان سكانها كثيرا
 ولذلك لا تجد وجوه كثير من اهلها الا مصفرة . وفي هذه البلدة ايضا فساد
 وتغير وسببه كثرة عفوناتها وليس في جميع مياهها ما يسلم من ذلك الا العين
 المعروفة بعين الامير والعين الاخرى المعروفة بعين سلام فان ماء هاتين يسلم
 من الفساد لعدم مروره على الدفلى والاولى منهما منسوبة للامير الاسدي
 المعروف بابن الصغير واما الثانية فالمشهور في اسمها عين سلام باللام المخففة
 وهي انما توجد في عقودهم القديمة عين سنام بالنون . ومما يذكر اهل
 قابس وهو من جنس الخرافات ما حكاه البكري عنهم ان مدينتهم كانت سالمة
 من الوباء الى ان احتفروا فيها موضعا تودموا ان فيه مالا فاستخرجوا منه
 تربته فبراء فحدث الوباء عندهم . وقد اشتهر عن اهل قابس ما اشتهر من
 بيع فضلتهم وهم يقرون بذلك ويدعون شدة احتياجهم اليه وان النخيل في
 بلادهم لا يثمر الا به . ومن رسالة لابي مطرف بن عميرة في وصف قابس
 وكان ولي قضاءها في اول مدة الخليفة المستنصر - بلد غوطي البساتين .
 طوري

طوري الزيتون والتين . فاما النخل فجمع عظيم . وطلح هظيم . وسكك مابورة .
ونواعم في الحدور مقصورة . وان بقعته لوارفة الظل . آمنة الحرم والحل . جنة لو
نزع ما في صدور اهلها من الغل . وبالجمله فهو تام الغرابه . مدهام الغابة .
مستاثر بسيد من سادات الصحابة . ولا عيب بتربته إلا وخامة مائها . وحميات
قلما يعرى من عدوانها . وفي فصل من رساله اخرى له يصف شدة الوباء بها
وكثرة عقاربها - وهذه البلدة الان في ضلال من شرخ الشباب . وظلال
من ثمرات الخيل والاعناب . فهي لا عيب فيها إلا هواء وخاتمه تخاف .
وماء غير من خالصة الماء المصاف . وليبوت المدينة دواجن سيئة الجوار .
سريعة الى القطان والزوار . كراها تنفيه . وسرها تخفيه . وصالحها لا يطعم
احد فيه . فقبحت شائلة لا ذناب . شاملة بالعذاب . كامنة بارزة .
هامزة لامزة . تطرق بالبالية . وتنقسم شرها بين البر والفاجر بالسوية .
قال دبت عندنا ليلة لمن كان يرمق دبيها . ويحاول قبل ان تصيبه ان
يصيبها . فارتفعت به لدغا في القدم . فلاقى اشد الم . قال وبات وبتنا
معه في ليلة اخي ذبيان . وجل الله ما اطول ما كانت واهول ما كان .
واشار ابو المطرف في الرسالة السابقة مستاثرا بسيد من سادات الصحابة
الى ما يذكره اهل قابس ان ابا لبابة الانصاري مدفون ببلدهم وقبره عندهم
مزار مشهور - وبقابس ايضا مسجد ينسبون له اليه قال التجاني ولم ار
احدا من المورخين عد ابا لبابة ممن دخل افريقية من الصحابة فلعله
ان ثبت قبره هنالك مما اغفل المورخون ذكره منهم . واسم ابي لبابة بشر
ابن عبد المنذر وهو ممن شهد العتبة وبدرا ويقال بل امره النبي صلى الله
عليه وسلم على المدينة في غزوة بدر ولم يشهدا غير ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امره ايضا على المدينة في غزوة السويق ومات في خلافة علي
رضوان الله عليه ولعل قدومه الى افريقية كان هجرانا لدار قومه بسبب
ذنبه الذي اذنبه فتاب الله عليه قال يا رسول الله ان من توبتي ان احجر
دار قومي وان انخلع عن مالي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك

والبحر يرمقنا بمقلته أزرق والبر يرمقنا بمقلته اعــــفر
 في جنة لو نلت من خلد بها قصدي بلغت الى النعيم لاكبر
 ومحل انس قلت بين رياضه برياضة قادت لابهى منظر
 ملنا بمنعرج المصلى نحوه حذر الرقيب وليلة لم تحذر
 وجرى لنا فيه حديث كله لطف حضرنا منه اطيب محضر
 فنجري احاديث الصبا والصبا بارق من مسرى الصبا المتعطر
 وندير كاسات المحبة بيننا فنميل منها بالحلل المسكر
 حتى اذا ولى العشي وعان ان نمتاز عن نظر المرآة الانصر
 قمنا نجر من العفان سوابغا لما نغيرها بصبغة منكر
 واليوم قابس جنة الدنيا وفي قلبي لوشك البين حرقة مسعر

ومن المكاره التي حفت به جنة قابس ما يتعدى اليها من الوباء وينال
 ساكنها من الامراض وسبب ذلك فيما يذكر اهلها كثرة شجر الدفلى بها
 فيكتسب الماء منه لدى جريه سمية ومرارة تضر بابدان سكانها كثيرا
 ولذلك لا تجد وجوه كثير من اهلها الا مصفرة . وفي هذه البلدة ايضا فساد
 وتغير وسببه كثرة عفوناتها وليس في جميع مياهها ما يسلم من ذلك الا العين
 المعروفة بعين الامير والعين الاخرى المعروفة بعين سلام فان ماء هاتين يسلم
 من الفساد لعدم مرورة على الدفلى والاولى منهما منسوبة للامير الاسدي
 المعروف بابن الصغير واما الثانية فالمشهور في اسمها عين سلام باللام المخففة
 وهي انما توجد في عقودهم القديمة عين سنام بالنون . ومما يذكر اهل
 قابس وهو من جنس الخرافات ما حكاه البكري عنهم ان مدينتهم كانت سالمة
 من الوباء الى ان احتفروا فيها موضعا توهموا ان فيه مالا فاستخرجوا منه
 تربته فبراء فحدث الوباء عندهم . وقد اشتهر عن اهل قابس ما اشتهر من
 بيع فضلتهم وهم يقررون بذلك ويدعون شدة احتياجهم اليه وان التخيل في
 بلادهم لا يثمر الا به . ومن رسالة لابي مطرف بن عميرة في وصف قابس
 وكان ولي قضاءها في اول مدة الخليفة المستنصر - بلد غوطي البساتين .
 طوري

من جميع جهاته وبهذه الغابة من الطلع الباسق . والخيل المتناسق . ما
يستوقف الطرف . ويستوفي الحسن والظرف . ويحق ما قيل ان قابس
جنة الدنيا وانها دمشق الصغرى وهي مدينة بحرية صحراوية فان الصحراء
متصلة بها والبحر على ثلاثة اميال منها فهي احق بقول ابن عيينة —
زر وادي القصر نعم القصر والوادي وحذا اهله من حاصر بادي
تزهو قراقرة والعيس واقفست والصب والنون والفلاج والحادي
وبقول الخليل بن احمد —

يا جنة فاقت الجنان فما لعلتها قيمة ولا نمن
ظاهر حيطانها الضباب بها فهذه جنة وذا خممن
من سفن كالنعم مقلبت ومن نعم كانها سفن
ويقال انه لا يجتمع صيد البر وصيد البحر واصناف الثمر في مائدة إلا
في مائدة تن يسكن قابس وعلى قابس سور صخر جليل من بناء الاول ولها
ارباح واسعة وجل اسواقها في ارباضها وقد دار بسورها خندق متسع يجرون
الماء اليه اذا خافوا من نزول عدو عليهم فيكون امنع شيء لها ولها وادي
يسقي بساكنيها ومزارعها ويخترق في مواضع كثيرة من مواضع الغابة ودورها
وشوارعها واصل هذا الوادي من عين خراقة في جبل بين القبلت والمغرب
منها واكثر جناتها فيما بين المدينة والبحر وبذلك الجهة الساحة المعروفة
بساحة عنبر قال التجاني وانشدني الفقيه الكاتب البليغ ابو الفضل
محمد بن علي التجاني لنفسه يصف احدى عشايه بتلك الجهة في تلك
الساحة وما اقتصبه بها من لانس والراحة —

اذكر عشيتنا بساحة عنبر والجو يتحفنا بنكهة عنبر
حيث الخيل عرائس نسج الحيا بسطا لها من اخضر او اصفر
والشمس تستحي فتستر وجهها عنا بستر للعروس محبر
والتور بين مفضض ومذهب والتون بين مدرهم ومسدنر
والنهر والمندر ادرعن تحصنا اذ صفت الغابات صف معسكر

قبل ذلك وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما أرسله سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنهما سنة سبع وعشرين ومرو على طرابلس وأخذ منها مغنما كثيرا عظيما وكان معه عشرون ألفا سار إلى قابس فحاصرها فإشار عليه أصحابه بتركها وتأخير أمرها فسار وبث السرايا حتى وصل إلى أفر بيقته وكان ملكها وطاغيها يقال له جرجير فكان بين عبد الله وبينه مراسلة وخيرة فيما بين الاسلام والمجزية فامتنع من الاسلام وقال لو سألتموني درهما واحدا ما أعطيته فعزم عبد الله على قتاله فلما رأى ذلك جرجير اشتد رعبه وأرسل ديدباناً من خشب فصعد بحيث ينظره العسكر وأمر بنشر السلاح وأمر ابنته فصعدت الديدبان مع خدمها وكانوا خمسين خادما عليهم الحلبي الرفيع والجوهر النفيس وأسفرت ابنة جرجير عن وجهها وأقسم أبوها بدينه لاهل عسكرة لا يقتل احد منهم ابن أبي سرح إلا زوجها أياه ويبلغه عنده من المنزلة ما لا يبلغه احد من قومه فما زال حتى انتهوا إلى عسكر عبد الله وبلغه فقال عبد الله والذي جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقتل احد منكم جرجيرا إلا نفلته ابنته وخدمها ثم حمل بمن معه من المسلمين والتحمت الحرب وكان المسلمون في عشرين ألفا والمشركون في مائة ألف وعشرين ألفا فضاق بالمسلمين أمرهم واختلفوا على عبد الله بن أبي سرح في الرأي فدخل فسطاطه ليخلو برأيه ويفكر في أمره قال عبد الله ابن الزبير فرايت من جرجير غرة والناس في مصافهم وذلك اني رايتهم على برذون خلف أصحابه منقطعا ومعه جاريان تظللانه بريش الطواويس من الشمس فاتيت فسطاط عبد الله فاعلمته فخرج فرأى ما رايت فقال أيتها الناس أنتدبوا مع ابن الزبير قال عبد الله فانتدبت إلي طائفة وقلت أحملوا ظهري وأنا أكفيكم أمره ثم تسارع إلى جرجير فهرب منه فادركه عبد الله وقتله وحمل المسلمون قتلوا النصارى كيف شاءوا . اهـ من ابن السبط .

قال التجاني دخلتها فرايت بلدا قد استوفى المحاسن واستغرقتها . وادكر بمنظرة الانضر وورقه الاخضر جنة الخلد واستبرقتها . وقد احدثت غابته

من

المشهور كان قبل سنة اربعمائة كذا نقله من اختصار اقتباس الانوار . وقال
 البكري رحمه الله مدينة قابس مدينة جليلية مسورة بالصخر الجليل من
 بنيان الاول ذات حصن حصين وارباض واسواق وفنادق وجامع وحمامات
 كثيرة وقد احاط بجميعها خندق كبير يجرون اليه الماء عند الحاجة فيكون
 امنع شيء ولها ثلاثة ابواب ثم زيد لها باب رابع وشرقها وقلبيها ارباضها
 ويسكنها العرب والافارق وفيها جميع الثمار واللوز بها كثير وتمتاز على
 القيروان بكثرة الفواكه وبها الثوت الكثير ويقوم من الشجرة الواحدة من
 الحرير ما لا يقوم من خمس شجرات من غيرها وحريرها اطيب الحرير وارقم
 واتصال بساتين ثمارها مقدار اربعة اميال ومياها سائحة مطردة يسقى بها
 جميع اشجارها واصل هذا الماء من عين خراة في جبل بين القبلية والمغرب
 منها يصب في بحرها وتصب السكر كثير بها . وبين ساحل قابس والبحر
 ثلاثة اميال قال ابن الشباط وانشدني والدي ابقى الله بركته علي وجعل
 رضاء نورا يسعى بين يدي هذه الابيات ولم يسم قائلها —

لئن كان من قبل التفرق مذهبي سوى ما عليه الاشعيون اصفقوا
 بان المسمى غير الاسم فما انسا اقول سواء حين جد التفرق
 الم تر اني كلما قلت قابس صبا قس من جانب القلب يحرق
 وان قلت ان الشمل منها ممزق فان فوادي عند ذاك يمزق
 قال ابن الشباط ناقلنا عن مختصر الطبري ان معاوية بن ابي سفيان عزل
 معاوية بن حديج عن مصر سنة خمسين وولى مسلمة ابن مخلد مصر
 وافريقية وجمع له ولاية طرابلس وباب قابس وهو اول من جمع له
 المغرب ولم يزل واليا حتى هلك معاوية بن ابي سفيان رحمه الله . قال
 ابن الشباط قوله باب قابس يريد والله اعلم انه ولاه قابس واعمالها فانها
 الباب الذي يسلك منه من رام السير من المغرب الى المشرق او من
 المشرق الى المغرب ليس له ساوك الا منها ولا عبور الا عليها فكانت كالباب
 الذي يدخل منه الى مكان ويخرج لآخر قال وهذا يؤذن انها افتتحت

الى قتال . ويقال ان الميورقي اجتاز عليه واراد محاصرته ففتح اهلہ باب
الحصن ووقفوا دونه يقاتلون فلم انه لا مطمع له فيه فتجاوزة الى غيره
ولم يتعرض له واهله قوم من هوارة كانوا ساكنين قبل هذا بالقصور المعروفة
بقصور بني خيار فاجلتهم العرب منها فانتقلوا الى هذا الحصن وكان مسجدا
خاليا للعبادة والرباط فابتنوا ديارا الى جانبه وجعلوا على الجميع سورا .
وقصور بني خيار قال التجاني مررت بها سنة ست وسبعمائة وهي خالية
خربة في جبال مسلانة من شرقي طرابلس . وبعد المحرس في اول المرحلة
المورد المسمى بصعيب وهم يكرهون هذا الاسم فيكونونه باي سهل . وفي
منتهى اخر مرحلة طويلة منه قصور المباركة وهي كلها عامرة قال التجاني
واهلها موصوفون بالبخل وهي منتهى ارض بني عوف وبعدها ارض بني دباب
ابن ربيعة بن زغب بن جرو بن مالك بن خفاف بن امرء القيس بن
بهية بن سليم بن منصور قال التجاني كذا تلقينا هذا النسب من علماء
الاعراب المولمين بحفظ الانساب وكذا ذكره الرشاطي في كتابه وهذه الارض
لطائفة من الدبابيين يعرفون بالنوايل ينسبون الى نايل بن عامر بن جابر
ابن فائد بالغاء ابن رافع بن دباب وهم اخوة لبني وشاح بن عامر وبني
سنان بن عامر وبعدها قصر وذرف قصر متسع وحوله نخيلات وعيون ماء
جارية وفي هذا الموضع يقول ابو عبد الله محمد بن محمد المزدوري الهنتاتي
ايام اضطره الحال الى الخروج من تونس والسكنى بتلك الجهات على ما
رواه عنه التجاني في رحلته قال انشدني --

هذي عيون وذرف دع العيون تذرف

بذلت من ارضي بها وا اسفي وا اسفي

ومنها بيسير تظهر قابس قال ابن الشباط بينها وبين القيروان اربع
مراحل وقابس مدينة عظيمة على البحر المالح عامرة كثيرة الاشجار والعيون
الجارية واهلها اخلاط من العرب والعجم والبربر ينسب اليها جماعة من
العلماء منهم ابو الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي الفقيه المالكي الزاهد
المشهور

اربعين وهو المؤلف لآخبار الشيخ ابي اسحاق الجبائني التي نقل التجاني منها ما تقدم وانشد لنفسه في كتابه المذكور شعرا ضعيفا وولده ابو بكر ابن عبد الرحمن كانت له رئاسة وسعة حال وكان من اهل الادب والنهم وله شعر حسن اخبر عنه ابن شرف في تاريخه . ومن شعراء صفاقس ايضا ثم من الفريانيين روائها عبد الله بن عبد الرحمن بن علي الفرياني مولده بمالقة من بلاد الاندلس وابوه هو المنتقل اليها من صفاقس له رحلة ابعد النجعة فيها شرقا وغربا . قال التجاني اخبرنا عنه صاحبنا ابو العباس احمد بن عبد السلام الاموي التاجوري وقد رآه وجالسه بطرابلس كثيرا وسمع منه بعض شعرة وكان هجاء ومن شعرة حين ولي السعيد مراکش وكان السعيد اسود اللون —

كان الخلائف قبل في مراکش صورا من الكافور يعجب خالصة
فاق علي بعدهم ختما لهم كالمسك لونا ليس فيه خصائصه
وله في مثل ذلك —

اسفا على مراکش وولاتها لم يبق للايام فيها رونق
كانوا حماما فالليالي لم تدع في دارهم الا غرابا ينعق
والم ابن الابار في التحفة بذكر جماعة من هجاء الشعراء فذكر اولهم ابا محمد عبد الله بن عبد الرحمن الفرياني وكان باشبيلية ناظرا في المواريث لابي سليمان داود وانشد له بيتين في هجاء ابن زهر وهو غير الذي ذكرنا وان توافقا في الاسم واسم الاب والنسب والصفة لبعدهما بينهما في الزمن فان مولد الفرياني الذي ذكرناه سنة تسع وستمائة ولعله سنة وفاته . وبقریب منها طينة قال التجاني بكسر الطاء وفتح النون وبعدها نقطة بفتح النون وتشديد القاف وهما قصران ويقال ان جماعة من اصحاب معروف الكرخي رحمه الله رابطوا بقصر نقطة هذا وماتوا به فقبروهم هنالك وبعدهما المحرس وهو قصر قديم البناء سام للسماء ينسب بناؤه لابن لاغلب والى هذا الحصن يلجا جميع اهل تلك القصور اذا وصل اليهم عدو او اضطروا

فاصلا وكان لابي الطاهر ولد يسمى عبد الله اديب شاعر ظريف ذكره ابن رشيقي في الانموذج واخبر ان صفاقس موطنه وان بها منشاءه قال وكانت له نباهة ونظافة في جميع احواله مع نزاهة نفس وبعد همة قال واجتمعت به في صفاقس فكنت اقطع القرية بقربه ثم انصلت الى المحصورة فلم يكن إلا قليل حتى اجتاز علينا متوجها الى لاندلس فسألته عن سبب ذلك فاخبرني ان عليه ديننا ثقيلًا قد استغرق ذمته وانشدني لنفسه وهو يتمايل وكان متعلق النفس بجارية له ام ولد تركها بموضع -

ما ضرب في بلاد الله برا وبحرا بالسفائن والركب
الى ان تنكر لاحساب مني ثواني بالمغرب واغترابي
لا كسب ثروة وافيد مالا وابلي عذر نفسي في الطلاب
فان نلت المراد فذاك حسبي وان احرم فاني ذو احتساب
وما فارقت اخواني واهلي ومن احببت إلا عن غلاب
قال وارتحل فاتصل بالحاجب الموفق مجاهد بن عبد الله فكرمه وعظمه
وادناه وقربه وكشف عنه فوجد فضلا وجلالة فاستمسك به وحسده على
مكانه منه فوجد في منزله مذبحا وسكين لاقلام بين يديه مغالطة كانه
فعل ذلك بنفسه وبقية الروح فيه فسأله عن به فاشار الى فقيه الموضع
وكان الفقيه المذكور كثير الملازمة له وهلك من ساعته فقال الفقيه انما
اشار الي بالوصية فعيد وسجن الى ان جاء ولي الدم فطلبه فلم يتوجه
له عليه حق فاطلقه وكانت وفاة عبد الله سنة خمس عشرة واربعمائة .
ومن منازل صفاقس ايضا قرية ليبد كذا تحققتها سماها الرشايطي ليبد
ينسب اليها الفقيه الصالح ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد الحضرمي
الليدي . قال ابن شرف في صلاته لتاريخ الرقيق كان بقية اهل العلم
ولم تصانيف في الفقه وبها الفتيا وذكر الرشايطي ان كتابه المسمى بالشرح
والتفصيل لمسائل المدونة كتاب كبير قال وتوفي قريبا من سنة ثلاثين
واربعمائة وابن شرف قد نص في تاريخه على ان وفاته كانت سنة
اربعم

الصفاسي . وبحسن صفاس قبر الامام ابي الحسن علي بن محمد الريعي المعروف بالخمعي وهو فقيه فاضل دين متقن ذو حظ من الادب والحديث حسن الخلق قيرواني نزل صفاس وتلقه بابن محرز وابي اسحاق التونسي والسيوري وغيرهم وتلقه به جماعة منهم الامام ابو عبد الله المازري وابو الفضل الكوي والكلاعي وابو علي ومبد الحميد الصفاسي وله تأليف حسنة مفيدة من احسنها تعليق على المدونة مفيد سماه التبصرة حاز رئاسة افریقیة جملة وبعد صيته بها توفي سنة ثمان وسبعين واربعمئة رحمه الله ونفعا به آمين . ومن منازل صفاس الراجعة الى عملها المحتوية على من يذكر من الفضلاء جنيانة التي منها الشيخ الصالح العالم ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن علي بن سالم وكان جده علي بن سالم قاضي بصفاس فلما مات تولى ابنه احمد خارج افریقیة في ايام بني الاغلب فتورط معهم وكان من اهل الادب والفهم ثم ارتقت حاله معهم الى ان كان مشاورا ووزيرا وكان اذا مشى مشى في عسكرة وبين يديه ومن خلفه النجائب كما كان الوزراء يمشون اذ ذاك وكان له بصفاس نيف واربعون دارا وربى الشيخ ابو اسحاق رحمه الله في مثل هذا الحال . قال التجاني اخبرني بذلك من رآه وهو صبي وقد وكل بحفظه خمسة عشر صقليا يحفون به اذا مشى ثم ترك ذلك لله لما ناهز الحلم ولبس عباءة وفر عن والده والدته على تلك الحالة التي كانا عليها مع بني الاغلب . وكان ابو اسحاق يتطوف على من بالساحل من العلماء والصالحين فاذا علم ان اباه طلبه اخفى نفسه الى ان اختلفت الدولة وطلب ابوه في من طلب واخذت املاكه ومنازله وربوعه وامن في نفسه لزم الخير وقراءة العلم والقرآن ثم توجه الى الحج فحج ومات رحمه الله . واشتهر ابو اسحاق بالعلم والعبادة ولزم سكنى جنيانة الى ان توفي بها رحمه الله وكانت وفاته في التاسع عشر المحرم مفتح سنة تسع وستين وثلاثمئة ودفن بشرقى جنيانة . قال التجاني وزرت قبره ودعوت عنده واخبراه رحمه الله مولدة مشهورة وولده ابو الطاهر كان صالحا

فاقرا بها واخذ عنه علمها واثروا عليه وعاد منها الى القيروان فوجه صاحبها
الصنهاجي رسولا الى القسطنطينية فمات في طريقه اما واردا او صادرا وذلك
بعد سنة اربع واربعين ذكره ابو عمر بن الحراء في تسميته رجاله الذين
التقى بهم فقال قدم علينا بطليطلة وسنه نحو الخمسين وكانت له رواية
واسعة ومعه كتب كثيرة قد رواها بالعراق والشام والحجاز ومصر وتحول
عندنا بالاندلس نحو عامين ثم انصرف الى القيروان وكان في صديقا
وتكررت كتبه الي من القيروان الى ان ارسله الصنهاجي الى القسطنطينية
فبلغتنا وفاته وذكره الحميدي ايضا فقل كان حافظا عاقلًا ثقات عليه كثيرا
وكتبته هته وانشدني —

إذا ما عدوك يوما سما الى حاجة لم تطلق نقضها

فقبل ولا تانفن كفه اذا انت لم تستطع عصمها

وذكره ابو القاسم بن بشكوال في الصلة واثني عليه واخبر عنه انه قال بعث
الي خمران القيروان حين مقامي بها منهم ابن رشيق وابن شرف وابن هجاج
والعطار يسالوني ان ارسل اليهم بشعري فقلت للرسول انه في مسوداته
فقال احمله كفا هو فاخذته وكتبته عليه ارتجالا ثم بعثت به هـ

خطبت بناقي فارسلتهن اليك عواطل من كل زينته

لتعلم اني ممن يجود بمحض الوداد وليس ضنينه

قال فلجابوني عن بطة بهذه الابيات —

اتتنا بناتك يرفلس في ثياب من الوشي يفتن زينه

فلما سفرن فضحن الشموس وسرب الطبسا واخجلن عينه

ولما نطقن سحرن العقول وظل القرين ينادي قرينه

اني بابل نحن ام في العراق وفوق البسيطة ام في سيفينه

فدعني اراقب ضوء الجميع لتسمع من كل مدح عيونه

وابو عمرو هذا اول سن ادخل الى الاندلس كتاب غريب الحديث للخطابي

وله جزء تضمن عوالي كتبها لابي محمد عبد الرحمن بن هتاب تعرف بعوالي

الصفاطسي

قد نشرنا صحافى الحزن نشرنا وطوينا العزاء بعدك طيبا
 واطلنا البكا عليك واني لعليم ان ليس يرجع شيئا
 فالى الله من فراق رمانى عنك بعد الدنو مرمى قصيا
 ولكم قد حذرت منه ولكن كان امرا مقدرا مقتضيا
 قال وفوق النهاية من شعرة قوله في الوظ والزهد —
 للمرء في اياميه واعظ لو فكر المغرور في اسسه
 كم من قرير العين في غبطة اعراه صرف الدهر عن لبسه
 ففارق لاجباب من كرهته واستبدل الوحشة من انسه
 يا رب غفرانك يرجو الذي اسرف في الدنيا على نفسه
 ومنهم مطر بن تميم الفزاري قال ابن رشيقي موطنه صفاقس وهو شاعر
 حسن الطريقة في الشعر وانشد له —

يا سن عذيري من شوقي وتسهيدي وسن معني على نوحى وتعيدي
 تطاول الليل وامتدت غرائبه وضح لي ورد عين غير مورودي
 لا اطمع الغصن الا ان يطيف به طيف ويذهب مفقودا بمفقودي
 قال هذا من حر الكلام ونفيسه وفي هذه القصيدة يقول —
 وما استقرت على بحر الهوى سفن شطت بهم عن كيب القلب معبود
 استودع الله سن ولى واودعني شوقا اليه جديدا غير مجدود
 قال قوله جديدا غير مجدود من غريب الشعر والمجدود هنا المحظوظ واو
 جعلته من الجدد الذي هو القطع كانه قال غير مقطوع لكان جيدا ولاول
 اشهر . ومن علماء صفاقس وشعرائها ولم يذكره ابن رشيقي في الانموذج وهو
 من المعاصرين له ابو عمرو غسان بن ابي بكر بن حمودة الصديقي المعروف
 بابن الصابط لآمام المحدث الشاعر له رحلة الى المشرق واخذ فيها عن
 جماعة يطول تعدادهم منهم الحافظ ابو نعيم محبته باصبهان وكتب عنه
 كثيرا ذكر انه كتب عنه بخطه مائة الف حديث وكان يقول لم ار مثل
 ابي نعيم علما وعيلا ثم توجه الى لاندلس سنة ست وثلاثين واربعمائة

ان الشيخ مشغول بالعزاء في والده الذي بصقلية والنعلن الذي رايت نعشه
وقد مز على موته والسلو عنه ولا لك جواب إلا ما رايت . فلما بلغ ذلك
طائفة صقلية امر بالشيخ ابي الحسن فسحب الى المشنقة بوادي عباس
فشق وهو يتلو كلام الله الى ان فاصت نفسه رحمه الله تعالى وكان انتقاض
صفاقس على النصارى سببا في انتقاض سائر بلاد السواحل وزوالها من ايديهم .
واقام عمر يدبر امر البلد الى ان نزل الخليفة عبد المومن بن علي الى افريقية
لحصار المهدية فوصل اليها عمر المذكور مع جماعة من اشياخ صفاقس فاذعنوا
له بالطاعة وعين لهم عبد المومن حافظا من الموحدين وامر عمر بالرجوع
الى بلده وان تكون الاشغال المخزنية تتصرف على يده . فاقام على ذلك
الى ان توفي وخلفه في ذلك ولده عبد الرحمن بن عمر وقام مقامه فوصل
اليورقي الى صفاقس واستولى عليها فرغب اليه عبد الرحمن ان يسرحه الى
الجبل فارتحل باهله ولم يعد وبقي بعض ولده بصفاقس وذريتهم بها ومنهم
سن له شعر وسياقي ذكر ما امكن منهم ان شاء الله تعالى . ومن ذكر ابن
رشيق في الانموذج من شعراء صفاقس علي بن حبيب التنوخي قال موطنه
صفاقس وبها نشأ وهو شاعر مذهب اللفظ لطيف المعنى سهل الطريقة قليل
التكلف رحل الى المشرق ولقي جماعة من رؤساء العرب فخطب عندهم واقام
بمدينة لك هذه الى ان تشاجرت القبائل على يديه ونجا بشعره من شر عظيم
قال وانشدني لنفسه في غلام جاء في طلبه الى الحضرة بعد ان امتحن عليه -

يامعشي من صندب مودة برد غليل جوانحي العطشى

انرى الذي ارجو افوز به منكم فقد كان الذي اخشى

ولقد شخصت اليك من بلد قد اظلمت ارجاؤه وحشا

وتنكرت للعين بهجته منذ ارتحل كاني اعشى

والله ما من ساعة عبرت إلا طي لذكركم يغشى

قال ومن جيد كلامه قوله من قصيدة -

يا ليالي في ذرى ابن حسين هل معاد قبل الممات اليها

قد نشرنا

العزیز بن عمار فی الجملة وكان فی هذه الصناعة ابصر الجماعة فقال له
یحیی كيف ترى ما سمعت فقال حسن الحوك محكم العرد فقال اتعرف
قلقه قال لا قال هو ذلك المجلس يشير الي فعلاه فتور ونفور عن الاستماع
بحسب ما يعرض من العوام الرعاع عندما ينشدون لمن جمعهم واياه مكان
وزمان وان كان فی اول جريرة ذوي الاحسان وانما عتوا باستداح القديم
وتعظيم العظم الرميم وسبب ذلك الحسد فكثيرا ما يعيد الصواب محالا
والقوام اعوجاجا والعذب ملحا اجاجا . ثم ولی یحیی علی صفاقس ابنه علیا
وهو ولی عهدة فلما كانت سنة تسع وخمسمائة توفي یحیی وعلي بصفاقس
فوصل واستبد بالملك وكان يبعث الولاة لصفاقس الى ان توفي وولي ابنه
الحسن ف وقعت الوحشة بينه وبين روجار فوجه روجار اساطيله لمحاصر
الهدية وكان من تغلبه عليها وخروج الحسن منها ما ياتي ذكره مستوفيا بعد
هذا ان شاء الله تعالى . فلما تملك الهدية واستقر عامله بها وذلك فی سنة
ثلاث واربعين انفذ منها اسطولا لمدينة صفاقس فملكها وامن اهلها وقد اسكن
بها جماعة من النصارى الذين افتكها بهم وحصل منها رهائن منهم شيخ
البلد وصالحه ابو الحسن الفرياني وبقي ولده عمر بن ابي الحسن متصرفا
فی اعمال البلد وكان ذا اقدام وشهامة ولما ودعه ابوه قال له - يا بني اني
قد كبرت واشرفت على الموت وقد صدقت نفسي على المسلمين فان امكنتك
الفرصة فی هولة النصارى الذين عندك فاقتنمها ودعني اقتل . فلما كانت سنة
احدى وخمسين وخمسمائة امثل ابو علي وصية ابيه وثار على سن بصفاقس
من النصارى فقتلوا قتلا ذريعا فبلغ ذلك طاغية صقلية غليلم بن روجار فقيد
الشيخ ابا الحسن وسجنه وارسل الى ابنه عمر يهدده بقتل ابيه ان لم يرجع
الى الطاعة . قال الرسول - فوصلت الى صفاقس فلم امكن من النزول الى البر
ولما كان من الغد سمعت فی البلد ضججة ثم فتح باب البحر وخرج الناس
يكبرون ويهللون ومعهم نعش قد رفعوه على رؤوسهم فحطوه ثم تقدم عمر
فصلى بهم ودفنه وعزاه الناس وانفصلوا - قال - فاستدعيت الجواب فقيل لي

وكتب اليه تميم يوعده ويهدده وتمثل فيه بقول الشاعر -

ستعلم ليلى اي دين تدانيت واي غريم للتقاضي غريمها
فراجعه منه مظفر متمثلا بقول قيس بن الذريح -

ستعلم ان شطت به غربة النوى وزالوا بليلى ان هلك زائل

وفي روايته ان مظفرا تمثل له في مراجعته عن هذا الكتب بقول جرير -

زعم الفرزدق ان سيقتل مربعا ابشر بطول سلامته يا مربع

وكتب اليه في اثر وقعة كانت له عليه كتاب ايناس والطاق فراجعهم

متمثلا بقول عبد الله بن محمد الطار -

لا تظن امرءا اغضبه سبب ثم انتقصى ذاك السبب

سالم الصدر من الحقد ولو اظهر الود ولم يبد الغضب

كرماد النار يبقى حرها كامننا فيه وان زال اللهب

ولما افتتح تميم صفاقس كانت ولاتها تتردد من قبله الى ان توفي سنة

احدى وخمسمائة وولي ابنه يحيى فولى عليها ابنه ابا الفتح فقام عليه

اهلها ونهبوا قصره وارادوا قتله فغضب يحيى لذلك واخذ في تفريق كلمة

اهل صفاقس وتشتيت شملهم ولم يزل يولي عليهم البوس ويملا منهم الحبيس

الى ان شفى نفسه منهم ثم عفا عنهم بعد ذلك وفي الواقعة يقول ابو الصلت

يذكرها ويشكر ليحيى عفوهم من قصيدة طويلة -

ورب اناس اججوا نار فتنة يجنبها الاتقى ويصلى بها للاشقى

وجر عليهم جهلهم حلم ممالك يرق ويحنوكلها ملك الرقبى

ولو شاء روى السيف منهم فطالما نصاه فسقاء من الدم ما استسقى

ولكن دعاه الحلم والفضل والحجى الى ان يكون الاحلم الاكرم للاتقى

سحبة مجبول السجايا على الهدى اذا غضب استانى وان ملك استبقى

واول هذه القصيدة -

قضى الله ان تقضى مذاك وان تبقى وتخلد حق تملك الغرب والشرقا

قال ابو الصلت انشبت يحيى هذه القصيدة وخاصته بين يديه وبعد

العزير

في جماعة من اصحابه فاكرمه تميم ورتب له جرايته فلم ترصه وبلغه
عن تميم ما اوحشه وكان داهية ذا مكر وخبت فخرج يوما في جماعة مع
يحيى بن تميم يتصيد فلما ابعدوا عن المدينة قبض التركي على يحيى وعلى
جماعته وتوجه به هاربا فافلت رجل من حضر فوصل يركض الى تميم
فاعلمه فاستعظم ذلك تميم وانفذ الخيل تطلبه ففات ولجأ الى صفاقس
فاكرمهم حمو بن مليل وبالغ في امر يحيى وحبسه عنده ثم خاف ان يولييه
اهل صفاقس عليهم فاحب اخراجه من البلد فكتب الى ابيه يعرفه انه
ان بعث اموال الترك الهاربين واهلهم وجه اليه ابنه يحيى ففعل تميم
ذلك ووجه اليه ابنه يحيى فلما وصل يحيى الى تميم رده لحصار صفاقس
كما ذكرنا فرجع عنها ولم يفتحها . فلما كان سنة ثلاث وتسعين توجه اليها
تميم بنفسه فانتحها وفر حمو منها فاستجار بمكن بن كامل الرياحي بقابس
وكان لحمو بن مليل ايام ملكه لصفاقس كاتب يعرف بمظفر بن علي مشهور
بالبلاغة وحسن الكتابة وكان يكتب عن حمو الى تميم ما يغيظه ويبلغ منه
كل مبلغ فلما فر حمو الى قابس لم يشعر تميم الا بمظفر قائم بين يديه
يطلب العفو فعفا عنه تميم على شدة حقده عليه . قال ابو الصلت ومثل
هذا الذنب لا تغفوه الملوك بل يجاوز فيه الشريب الى التعذيب ويتعدى
العقاب الى ضرب الرقاب . وذكر ابو الصلت جملة مما تمثل به مظفر
في الكتب عن مخدومه الى تميم قال امكنت حمو فرصة في طائفة من جند
تميم فقتلهم بصفاقس وكتب مظفر في ذلك الى تميم متمثلا بقول ابي الطيب
فان كان اعجبكم عامكم فعودا الى مصر في القابل
فلن الحسام الخصيب الذي قتلت به في يد القاتل
قال وتحدث مرة بالمهدية بموت حمو وبلغه ذلك فامر مظفرا ان يكتب
الى تميم في هذا المعنى فكتب اليه متمثلا بقول ابي الطيب ايضا -
كم قد دفنت وكم اقبرت عنكم ثم انتفضت فزال القبر والكفن
ما كل ما يعنى البرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

صفاقس وجردته من النصارى دمرهم الله . وبها جامع حسن ذكر البيهقي
 في اخبار الشيخ ابي اسحاق الجبيني رحمه الله تعالى ان علي بن سالم
 جد الشيخ ابي اسحاق هو الذي بناء وكان سجنون اولاه قصاب صفاقس
 وهو ولده من الرضاة ارضعته زوجته ام محمد بن سجنون مع محمد قال وهو
 الذي بنى ايضا سور صفاقس بالطوب وبني المحرس المعروف في القديم
 بمحرس علي وعرف بعد بالمحرس الجديد . قال التجاني وقد شاع في
 الناس تسمية صفاقس بلعنة الله وبلغ الامر في ذلك الى ان بعض الملوك
 قال لبعض سن راجعه الكلام اذهب الى لعنة الله فاخذ في الارتحال الى
 صفاقس وكانت ولائها في القديم تتردد عليها من قبل صنهاجة الى ان ولي
 المعز بن باديس طيها منصور البرغواطي وكان من الفرسان المعروفين
 بالاقدام فاراد ان يثور بها واخذ في مخالفة العرب فعاجله ابن عمه حمو
 ابن مليل وقتله غدرا في الحمام وذلك سنة احدى وخمسين واربعمائة ولما
 قتله وصل خلفاء منصور من العرب فحصبوا حمو بصفاقس فبعث اليهم
 يسالهم هل قصدتم الاخذ بشار ابن عمه منه او المال فقالوا نحن لا ندخل
 بينكم في الدماء وانما غرضنا الاموال فالتزم لهم بالمال ما رضوا به وعجل لهم
 ما تيسر وانفصلوا وكان حمو بصفاقس واظهر العناد على بني مناد ومات المعز
 ابن باديس سنة اربع وخمسين وولي تميم ولده قطع حمو في تمام الاستبداد
 والتغلب على غير صفاقس من البلاد فخالف جماعة من العرب عديا ولائين
 ومن ضامهم وزحف بهم وبعث معه من رجاله الى بعض القرى فملكها
 واستحوذ عليها ثم نهض الى المهدية يريد حصرها فنهض تميم للقائه فولى
 فنته حمو اذ بارها واسرعت فرارها ورجع الى صفاقس ودام امر حمو بصفاقس
 زمانا ثم وجه تميم ابنه يحيى لمحاصرته فجاصره اياما ثم رجع عنها . ويقال
 ان يحيى احب الابقاء على حمو فلم يبالغ في حصاره وكان حمو يقول ان
 هذا لعجب بالاس اخلص يحيى من القتل يشير الى حكاية ذكرها ابو
 الصلت وغيره من المؤرخين قال كان فلان التركي هاجر من المشرق الى تميم
 في جماعة

في جماعة من اصحابه فاصبره تميم ورتب له جراية فلم ترصه وبلغه
عن تميم ما اوحشه وكان داهية ذا مكر وخبت فخرج يوما في جماعة مع
يحيى بن تميم يتصيد فلما ابعدها عن المدينة قبض التركي على يحيى وعلى
جماعته وتوجه به هاربا فافلت رجل من حضر فوصل يركض الى تميم
فاعلمه فاستعظم ذلك تميم وانفذ الخيل تطلبه ففات ولجا الى صفاقس
فاكرمهم حمو بن مليل وبالغ في امر يحيى وحسبه عنده ثم خاف ان يوليه
اهل صفاقس عليهم فاحب اخراجه من البلد فكتب الى ابيه يعرفه انه
ان بعث اموال الترك الهاربين واهلهم وجه اليه ابنة يحيى ففعل تميم
ذلك ووجه اليه ابنة يحيى فلما وصل يحيى الى تميم رده لحصار صفاقس
كما ذكرنا فرجع عنها ولم يفتحها . فلما كان سنة ثلاث وتسعين توجه اليها
تميم بنفسه فانتحها وفر حمو منها فاستجار بمكن بن كامل الرياحي بقابس
وكان لمحو بن مليل ايام ملكه لصفاقس كاتب يعرف بمظفر بن علي مشهور
بالبلاغة وحسن الكتابة وكان يكتب عن حمو الى تميم ما يغيظه ويبلغ منه
كل مبلغ فلما فر حمو الى قابس لم يشعر تميم الا بمظفر قائم بين يديه
يطلب العفو فعفا عنه تميم على شدة حقده عليه . قال ابو الصلت ومثل
هذا الذنب لا تتغفره الملوك بل يجاوز فيه الشريب الى التعذيب ويتعدى
العقاب الى ضرب الرقاب . وذكر ابو الصلت جملة مما تمثل به مظفر
في الكتب عن مخدومه الى تميم قال امكنت حمو فرصة في طائفة من جند
تميم فقتلهم بصفاقس وكتب مظفر في ذلك الى تميم متمثلا بقول ابي الطيب
فان كان اعجبكم عامكم فعودا الى مصر في القابل
فلن الحسام الخضيب الذي قتلتكم به في يد القاتل
قال وتحدث مرة بالمهدية بموت حمو وبلغه ذلك فامر مظفرا ان يكتب
الى تميم في هذا المعنى فكتب اليه متمثلا بقول ابي الطيب ايضا -
كم قد دفنت وكما اقبرت عندكم ثم انتصت فزال القبر والكفن
ما كل ما يمتنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

صفاقس وجزيرة من النصارى دمرهم الله . وبها جامع حسن ذكره البيهقي
في اخبار الشيخ ابي اسحاق الجبيني رحمه الله تعالى ان علي بن سالم
جد الشيخ ابي اسحاق هو الذي بناه وكان سكنون اولاء صفاقس
وهو ولده من الرضاة ارضته زوجته ام محمد بن سكنون مع محمد قال وهو
الذي بنى ايضا سور صفاقس بالطوب وبني المحرس المعروف في القديم
بمحرس علي وعرف بعد بالمحرس الجديد . قال التجاني وقد شاع في
الناس تسمية صفاقس بلعنة الله وبلغ الامر في ذلك الى ان بعض الملوك
قال لبعض من راجعه الكلام اذهب الى لعنة الله فاخذ في الارتحال الى
صفاقس وكانت ولائها في القديم تتردد عليها من قبل صنهاجة الى ان ولى
المعز بن باديس طيها منصور البرغواطى وكان من الفرسان المعروفين
بالاقدام فاراد ان يثور بها واخذ في مخالفة العرب فعاجله ابن عمه حمو
ابن مليل وقتله غدرا في الحمام وذلك سنة احدى وخمسين واربعمائة ولما
قتله وصل خلفاء منصور من العرب فحصبوا حمو بصفاقس فبعث اليهم
يسالهم هل قصدتم الاخذ بشار ابن عمه منه او المال فقالوا نحن لا ندخل
بينكم في الدماء وانما غرضنا الاموال فالتزم لهم بالمال ما رضوا به وسجل لهم
ما تيسر وانفصلوا وكان حمو بصفاقس واظهر العناد على بني مناد ومات المعز
ابن باديس سنة اربع وخمسين وولى تميم ولده فطمع حمو في تمام الاستبداد
والغلب على غير صفاقس من البلاد فخالف جماعة من العرب عديا ولائهم
وسكن صامهم وزحف بهم وبمن معه من رجاله الى بعض القرى فملكها
واستحوذ عليها ثم نهض الى المهدية يريد حصرها فنهض تميم للقائه فقلت
فنته حمو ادبارها واسرعت فرارها ورجع الى صفاقس ودام امر حمو بصفاقس
زمننا ثم وجه تميم ابنه يحيى لمحاصرته فحاصره اياما ثم رجع عنها . ويقال
ان يحيى احب الابقاء على حمو فلم يبالغ في حصاره وكان حمو يقول ان
هذا لعجب بالامس اخلص يحيى من التل يشير الى حكاية ذكرها ابو
الصلت وغيره من المؤرخين قال كان فلان التركي هاجر من المشرق الى تميم
في جماعة

والنساء يمد بها ويجزر عنها كل يوم فاذا جزر استوث السفن على الحماة واذا
مد عامت وفي هذا المد والجزر يقول بعض المجيدين من شعرائها وهو علي
ابن حبيب التنوخي وسياقي ذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى -

سقى الارض صفاقس ذات المصانع والمصلى
يحمي التصير الى الخلية يح بقصرها الساهي المعلى
بلد يكاد يقول حبيب ن تزوره اهلا وسهلا
وكانه والبحر يجب زر قارة عنه ويمسلا
صب يريد زيسادة فاذا راى الرقباء ولى

واين هذا من قول ابي عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح ابي تميم المعز بن
سليمان يذمها ويخيل ان هذا الجزر هروب من البحر عنها لقبها وقد كان
ولي اشرافها سنة خمس وستين وستمائة -

صفاقس لا صفى عيش لسكانها ولا سقى ارضها غيث اذا انسكبا
فاحيك من بلدة تن حل ساحتها عانى بها العاديين الروم والعربا
كم ظل في البر مسلوبا بضاعتهم وبات في البحر يشكو لاسر والعطبا
وليتها فتولتى الهموم وقصد لقيت من سفري في ارضها نصبا
قد عاين البحر قبحا في جوانبها فكلها هم ان يدنو لها حربا

فقال في عقد الجمال في باب السين ما نصه : صفاقس بفتح السين والفاء
وبعد الالف قافى مصبوته وفي آخرها سين مهملة ذكرها الرشاطي في
باب السين المهملة وذكرها غيره في باب الصاد وهي مدينة شرقي المهدية
ماثلة الى الجنوب وهي صغيرة ولها سور و ابار يشربون منها ولها بساتين
يسيرة وهي في مستوى من الارض والجبل جنوبيها بينها وبين قفصة مرحلتان
ويسمى ذلك الجبل جبل السبع . قال الذرعي وصفاقس حصن مسور في
ارض قفصاء جذبة يابسة بيضاء لا نبات فيها وقبائلهم في البحر جزيرة
قريبة فيها رياضهم واشجارهم وثمارهم ونخلهم يقطعون اليها بالصنادل في
بحر قصير لا تجري به السفن الكبار وذلك من الاسباب التي منع الله بها

درج اخرى للطلوع والنزول وفي الدور الخامس دربوز ايضا وفي السادس
 درج ايضا للطلوع والنزول كما في ما قبله والدربوز لاول فيه ثلاثة ادوار
 دواميس ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وفي الثاني اقل مساحتته وهلم
 جرا الى تمام والدرج التي به كل درجة مساحتها ثلاثة اشبار طولاً ومعرضاً
 إلا ان العرض اقل ييسر وله بابان للدخول فيه والخروج منه . وفي زماننا
 هذا انهدم منه بعض النواحي وكان غالبها من اذن محمد باي ابن مراد باي
 لما كان يلجأ اليه ارباب الفساد من العربان وما مر احد بتلك النواحي إلا
 انتهوه فامر لاجل ذلك بثلثه وبعضه اخفى عليه القدم وكساه حلية الهرم
 وفي الجهة القبليّة منه بعض انصداع وحشوع وايحاء للركوع وسبحان من
 تنزه عن الاخرية والفرجة التي انهدمت منه عرضها في مقدار ستة وثلاثين
 شبرا عرضاً وفرجة اخرى من ناحية الجبل اقل من الاولى ورفعت تلك
 الاجار من محالها وكان من جعلها الحجر المكتوب فيه تاريخ البناء الاول
 والحامل على ابتكار الجهم على ما حدث به القيس المذكور قال كان ملوك
 النصارى ومعظم توابعهم يجتمعون في الادوار المذكورة ويخرجون الاسود
 والنمور وغرائب الحياوانات تصدر منهم عجائب المواخذة والاتراس السبعي
 بحيث يمتعون بالنظر وهم في امان من تعديهم عليهم ويجتمع خارج القصر
 من ارباب الملاهي والصنائع الغريبة وانواع المصارعة والمسابقة والرمي
 ويحصل لهم بذلك الحظ الوافر وذلك دايهم . ومن البلدان المشهورة صفاقس
 قال التجاني دخلتها فرايت مدينة حاضرة ذات سورين يمشي الراكب
 بينهما ويصرب البحر في الخارج منها وكان بها قبل غابة زيتون ملاصقة
 لسورها فافسدتها العرب فليس بخارجها الان شجرة قائمة وفواكهها مجلوبة
 من قابس وماوا شراب لا يستساغ وانما يتخذون في شرايهم على ما يدخرونه
 من مياه الامطار ويصطاد بها من السمك انواع تقوت الاحياء وبجهرها
 يوجد صوف البحر الذي يعمل منه الثياب الرفيعة الملوكة وربما وجد في
 بحر ما صنف يشتمل على لولو صغير الحب ومساها مرسى حسنة مئة ثلثة
 والماء

نفعا الله به وكان قصر زياد يسمى دار مالك لكثرة سن به من اهل العلم
 في ذلك الزمان وبين هذا القصر وصفاقس جزيرة قرقنة وهي جزيرة قوية
 العمارة شهيرة الذكر من القديم قال التجاني والنصارى في وقتنا هذا وكانت
 سنة ست وسبع مائة متغلبون عليها متحكمون في اهلها ليس لها سور ولا
 دور وانما سكنى اهلها في اخصاص يجعل كل واحد منهم في ارضه ما احب
 منها وفي الجهة الغربية منها كهوف يتحصنون بها وطول هذه الجزيرة ستة
 عشر ميلا وعرضها ثلث ذلك . وقد مر بقريب ذكر قصر الحزم ولما وصل
 القلم الى هنا اتصلت بقطعة معربة ممن له وثيق خبرة باللسان لاسبينولي
 عن ما قبهه القيس الذي ورد لتونس وانشا المارستان لمريض النصارى
 شرقي جامع ترشيش داخل باب البحر وكان ذلك المكان به حمام وبازائه
 حانات خمر وما يخص تقييده ان هذا القصر جعل للالهى والتشوهات في
 اعياد النصارى وهو في ارض مرتفعة قليلا يظهر بنيانه للناظر من بعد على
 هيئة بيضة الا ان فيه قليل انحراف ولا يتبين ذلك لانحراف بديهة
 الا بعد التامل دورة الف قدم واربع مائة قدم وارتفاعه مائتان وخمسون
 شبرا به اربعة ادوار في كل دور ثمانون طاقة ما بين الطاقة والطاقة
 نصف سارية براسها وكل طاقة ارتفاعها خمسة عشر شبرا وعرض كل
 سارية ثلاثة اشبار وطولها ثلاثون شبرا ثم الدور الاول ارتفاعه اربعون شبرا
 والدور الثاني ارتفاعه اربعة وثلاثون شبرا والدور الثالث ارتفاعه عشرون
 شبرا والدور الرابع ارتفاعه خمسة عشر شبرا بنيانه كله بالحجر المخوت من
 مقطع الحجر الذي قرب المهديّة وقدر الحجارة المبنى بها من سبعة اشبار
 الى ما دون ذلك في وسطه رجة متسعة وفي وسط الرجة بئر وفيها ست
 طبقات دوايس وعليها لادراج كلها والدوايس الاولى تفتح من خمسة عشر
 شبرا عرضا وعليها دربوز دائر بالقصر المذكور وبه ضوء كثير لكثرة ما به
 من الطاقات وفي الدور الثالث من الدوايس المذكورة درج للطلوع الى ما
 فوق ودرج للنزول الى ما تحتها وفي الدور الثالث دربوز ايضا وفي الرابع

على حالة حسنة معلومة واسطر متناسبة منظومة فابطل لانفساد اكثر ذلك
وعلى هذا الزيتون كان مدار غلات افريقية في القديم . وقد روي ان ابن
ابي سرح لما افتتح افريقية وقتل ملكها وجد اكبر اموالهم الذهب والفضة
فغنم منها ملء ايدي جنده وسالهم انى لكم هذا فجعل احدهم يلتبس شينا في
الارض حتى اتاه بنواة زيتون فقال له من هذا اصبنا هذه الانوال . قال
الرشاطي في كتابه المسمى باقتباس الانوار وانما سمي هذا الموضع الساحل
وليس بمساحل بحر لكثرة ما فيه من سواد الزيتون والشجر والكرم قلل وهو
كله قرى معصلة البعض ببعض . وذكر من المنسوبين اليه من العلماء
اسرائيل بن روح الساحلي واخبر انه لقي لامام مالكا رضي الله عنه وحدث
منه قال ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب اخبرنا ابو الفرج احمد
ابن علي قال حدثنا احمد الواعظ قال حدثنا عبد الله بن احمد بن زياد
قال حدثنا اسماعيل بن حصن قال حدثنا اسرائيل بن روح الساحلي قال
سالت مالك بن انس فقلت يا ابا عبد الله ما تقول في اتيان النساء في
ادبارهن فقال اما انتم قوم عرب هل يكون الحرث الا في موضع الزرع اما
تسمعون الله تعالى يقول - نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم - قائمت
وقاعدة وعلى جنبها ولا تعدوا الفرج فقلت يا ابا عبد الله انهم يقولون انك
تخبر بذلك فقال يكذبون علي وكررها ثلاثا . ويحصل بهذه الغاية منزلة تعرف
بام الاصابع لدى قصر قد شيد في سالف الزمن بنيانه واحكم تاسيسه واتقانه
وجعلت ابراجا مستديرة اركانها الا ان طول الزمان المتباعد قوض احد تلك
الاركان من القواعد وهذه البناءات التي وصلوها من بعد ليتداركوا بها ما
انهدم لا مناسبة بينها وبين ما كان وجلت الابراج المستديرة به سمي ام
لاصابع لانها بقيت لارتفاعها مما اتصل بها من البنيان كانها اصابع قائمة
وقريب منها قرية صغيرة ذات هضور مرتفعة مفترقة تعرف ببرشانة
وقريب منها قصر زياد على ساحل البحر وهو قصر حصين في اعلى نجدة
موصوفة بالشجاعة . قال الليدي في اخبار الشيخ ابي اسحاق الجبلياني
ففعنا

العلم من سحنون بن سعيد وصحح عليه جميع نسبه ودعى الله ان يخمل ذكره
فكان لا يولد له . ولما دخل عبيد الله الشيعي افريقية وغلب التشيع على
اهلها جمع ابو محمد هذا اهلهم وقال لهم ان امر هؤلاء القوم قد اشتهر فامسا
لن تتركوني افر بدينني الى بلاد لا حكم لهم عليها واما ان احمل نفسي
على الاشتغال برعي البقر لعلي اسلم من فتنهم فعظم ذلك عليهم ثم راوا ان
رعي البقر خير لهم من مفارقتهم فاجابوه الى ذلك فكان يحمل مصحفه معه
ويبعد عن العمران ويقبل على القراءة فاذا جن الليل اقبل بالبقر الى منزله
وربما اراد بعض الناس زيارته فاذا رآهم من بعد صاح وهول يريهم ان في
عقله اختبالا توفي سنة تسع وتسعين ومائتين . وقبلته بنجر مرحلة الحصن
المعروف بالجهم وهو اعظم حصون افريقية واشهرها على القدم وليس بافريقية
بعد الحناينة التي بقرطاجنة بناء اصنم منه ولا اعجب وشكله مستدير
وارتفاعه في الهوي مائة ذراع وذكر البكري ان تكسير دائرته في الارض
ميل ويقال ان الكاهنة المتقدم ذكرها المعروفة بكاهنة لواتة حصرها هدها
في هذا الحصن فحفرت منه سربا في الحجر الصلد نفلت به الى مدينة
سلقطة وكانت اختها هنالك فكان الطعام يجاء به اليها في ذلك السرب
على ظهور الدواب وتسلم خبر الكاهنة واسمها ياتي في الفصل الرابع من
الباب الثالث في فتح افريقية . وقد قاتل هذا الحصن يحيى بن اسحاق
الميورقي فاعياه وارتحل عنه خائبا ويذكر انهم رموه منه بعد الحصر الطويل
بالسلك حيا وانهم جلبوه من ذلك النفق النافذ الى سلقطة فحينئذ ايس
منهم وارتحل منهم . والى جلفب هذا الحصن قرية عامرة بها جنات
ومزارعات متسعة ومسجد جامع واسواق نافقة يسكنها قوم من البربر كانوا
قبل ساكنين بقصر مليته من ارض زوارة فاجلتهم العرب منه فسكنوا بهذه
الارض . وتمام ارض حكيم وطرود مبدا ارض اخوتهم حصن ومن مفارقتهم
ارض الجم يدخل السائر في الزيتون القديم المتصل المعروف بزيتون الساحل
وقد ذهب اكثره بفساد العرب وتغيرت اسطوره بعد استوائها فانه كان مغروسا

حدثني ابو اسحاق ابراهيم بن سعيد بالفسطاط قال قال لنا القاضي ابو الحسن بن مخر اخبرني بعض شيوخ البصريين ان ابا القاسم نصر بن احمد التجزوري الشاعر دخل على ابي الحسن بن المثنى في اثر حريق المريد فقال له هل قلت في هذا شيئا فقال ما قلت شيئا فقال اويحسن بك وانت شاعر البصرة والمريد اجل شوارعها واعظم اسواقها ولا تقول فيه شيئا فقال ما قلت شيئا ولكني اقول الان وانشد مرتجلا -

اتسكم شهود الهوى تشهد فما تستطيعون ان تحمدوا
فيا مربديون ناشدتكم على اني منكم كممد
جرى نفسي صاعدا نحوكم فمن اجل ذا احترق المريد
ولولا دموع جرت لم يكن حريقكم ابدا يخمد
وهاجت رياح حنيني لكم فظلت بها فاركم تزود

قال الحميدي فاقى باللعنى وزيادة وذكر هذه الحكاية ابن بشكوال في الصلوة فاقلا لها عن الحميدي . وقبل ارض سوسة ارض دلاج وقبلت ارض دلاج ارض حكيم وطرود وقبلتها بلدة تعرف بزرمدين بفتح الزاي وسكون الراء وكسر الدال المهملة هكذا ضبطه التيجاني وبها حصن حصين اسفله حجارة واعلاه طين يازي اليه اهلها وبخارجها مقبرة الشيخ ابي محمد السيد الزرمديني من اهلها يذكر عنه صلاح وفصل وبقر بها بلد جمال وبنواحي تلك البقاع قصور عديدة وقرى متفرقة قد اخلتها العرب واجلت ناسها وهنالك قصور الوردانيين وهي القرية التي ازمع اهلها على قتل الشيخ الصالح ابي يوسف الدهماني رحمه الله ايلم سكناه بمسجد غانم على قرب منهم واتفقوا مع بعض العرب فظهرت له معهم الكرامات المشهورة ولقيه العربي فخر عن فرسه لائما قدمي الشيخ طالبا منه الدماء وعرقه بالقصية وسال منه ان يركب فرسه فاسعه بذلك وقال له يا بني علم الله ضعفني وقلته قدرتي على المشي فاتاني بك وثاب العربي وحسنت حاله ، وينسب الى الوردانيين هذه ابو محمد يونس بن محمد الورداني كان صالحا جليل القدر ثبتا في روايته المخذ العلم

وقوله يخاطب بعض الروسا وقد قدم له فرسا اشهب حديدي لركوبه —
اركب باقبال السعادة اشهباً مثل الصباح اذا يشوب الغيبها
ما شاب من مر السنين وانما لاقى سنالك فراح يحكي لاشيها
قد الجموة بالثرى فانشئ ينقص في ليل العجاجة كوكبا
وكان يداعب طلبته من اهل تونس بسؤالهم عن قول الشاعر —

لا تلني على الدنساءة اني تونسي وجزت يوما بسوسة
اي البلدين يقتضي الشعر ان يكون اعظم دناءة فيقولون له سوسة وهذا
البيت ذكره جعفر بن شرف في تاريخه . قال التجاني كما انشدته
وسمعت كثيرا من مشايخنا يقولون انه مغير وان البيت المشهور انما هو
غير ذلك ما اضربنا عن ذكره . قال التجاني ونختم هذا الفصل من ذكر
سوسة وشعرائها بحكاية ذكرها الحميدي في تاريخه فقال اخبرنا بعض
اصحابنا بالاندلس عن سليمان بن محمد المهدي الصقلي قال كان بسوسة
افريقية رجل اديب شاعر وكان يهوى غلاما جميلا من غلمانها وكان الغلام
يتجنى عليه ويعرض عنه قال فينما هو ذات ليلة يشرب وحده على ما اخبر
عن نفسه وقد غلب عليه السكر اذ خطر بباله ان ياخذ قس نار ويحرق
عليه دارة لتجنيه عليه فقام من حينه وفعل ذلك وانفق ان رءاه بعض
الجيران فبادروا النار بالاطفاء ولما اصبحوا نهضوا الى القاضي فاعلموه فاحضره
القاضي وساله عما فعل فانشأ يقول —

لما تمادى على بعادي واصرم النار في فوادي
ولم اجد من هواه بدا ولا معينا على السهاد
حملت نفسي على وقوفي ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبي اقل في الوصف من زناد
فاحرق الباب دون علي ولم يكن ذاك عن مرادي
قال فلستظرفه القاضي وتحمل منه ما افسده واخذ عليه ان لا يعود وخلي
سيله قال الحميدي كنت اظن ان هذا المعنى ما تقدر به هذا الشاعر حتى

فرحت والدينار في يدي مثل الدرهم
فان غدوت ملحا لغيره من ميسم
فجائز ضرورة على حدود الحرمة
كلما ان عدتهم صليت بالتيمم
لاجلن ما حبيب ت ذكره شغل فسم
وان امت فشكرة في القبر شغل اعظم
لا زال طول عمره مويدا بالعصم
مستسكا من معدة بعروة لم تغصم
ربوة ماهرولة بسابقات النعمم
وسرة محمودة من العداة بالسدم
ما اومضت بوارق في جنح ليل مظلم
وما شئت حمائم على فروع السلم

قال التجاني ومما ينسب الى سوسنة هذه شيخ شيوخنا ابو عبد الله محمد
ابن عبد الجبار الرقيني السوسي قديم المولد كان يسمى ماجق لاباء بالابناء
لطول امدته وقدم مولده توفي بتونس في الثاني والعشرين لذي القعدة سنة
اثنين وستين وثمانمائة وكان مولده سنة سبع وستين وخمسمائة وكان له
اخ شاعر توجه الى المشرق فمات بالوصل سنة اثنين وعشرين وثمانمائة
وانشد له ابن سعيد في خزنة الاداب -

مكفنا على الكاس في جنه نحاكي بها ميل الغصانها
ورسل النسيم بها سحرة تحوش ما بين ربحانها
اطن تغاريد الحانها زحها فاصغت بأذانها

ولايي عبد الله شعر حسن والموجود منه قليل ومنه قوله من بداية قصيدة
يمدح بها الشيخ ابا محمد عبد الله بن الشيخ المقدس ابي محمد عبد الواحد
ابن ابي حفص -

وجردت عزمك صارما مسلولا ملك ولكن ما يبل غليلا

وقوله

يا حاسديه انتهبوا من رقدة التوهم
 انطمعون في عبلا قد حازها او هم
 كلا ولو رقيتم الى السما بسلم
 ابا عنان زد مسلا على محل لانجس
 اقسمت بالبيت الحرا م والصفى وزمزم
 لانت من بعد النبى ي المصطفى المكرم
 وءاله وصحبه اهل الوفى والذم
 اجل سن تحت السما ه من جبيع لادم
 لو كنت يا ابن لاكميد ن في الزمان لاقدم
 لا فزلت في فضلك الا يكمل المتمم
 مفصلات سوسو من الكتاب المحكم
 انت الذي لو لم اكن من عزة في حرم
 لقلت للدهر الظلمو م الجملير الحكيم
 يادهر ان شئت فصل حلي او شئت اصرم
 وان تشا لن واستقم وان تشا جر واطلم
 فمسا اباليك ولا القاك كالمستعصم
 اني من ابن كامل ذي الباس والتكرم
 في ظل سيف مرهف وقائل منسجم
 وعزة قد خيمت بين السهى والمرزم
 قد رفعت من الثرى الى الثريا قسدي
 فالنجم لي مجالس كانه من حرم
 والسعد لي سعاد كانه من خذم
 هو الذي لو امه كل الورى لم يسام
 ولو سخرى بنفسه لسائل لم ينسدم
 علمني الجود بمسا قلدني من انعم

وافى على طامي الحشا
 من الهلال مشرج
 من الضحى مجهل
 مقلدا بصـارم
 ثم انثنى يسبح في
 فاجفوا امـامه
 كأنه مينا غـم
 حتى اذا الليل دجا
 وروع السرحان من
 وجئت معـزرا الى
 الفيتة خير فتى
 يلقاك من قبل الندى
 الى كريم خيمـه
 عاراة في الحادثنا
 وصله امنع من
 وخلقته احسن من
 فهابه الى القعنا
 هيد من العرب الاولى
 وكانت الارض ارتوت
 من دير سمعان الى
 بجانبى وادي القرى
 ثم انفضوا وذكرهم
 من بعد ما اوصوا بني
 بالصبر في وقت الوسا
 فجاء يقفوا مجدهم
 قبل الشواء مقدم
 من الثريا ماجم
 من المصبا مجسم
 نصب للهز مخنم
 يجر الردى الملتطم
 بعضا على بعضهم
 سطت بسرب الغنم
 وانهل صوب الذبم
 طول الطوى الخنم
 منزله في العنـم
 طرقت في الظلم
 بالبر والتبسم
 منج وفي الذبم
 ت نغذ كلابهم
 وصوى لكل مجرم
 برة بائر السقم
 ل والمقام لامطم
 كانوا ملوك الامم
 منهم بجسود ودم
 نجد بوادي اطم
 فالدوخ من ذي سلم
 كالشهد في كل قسم
 هم مكرما عن مكرم
 والكف منذ المغنم
 وحسن تلك الشيسم

يا حاسديهم

وقامتي قويمة
 والدهر لم يخط الى
 فلا نهاني مذلتي
 ثم انقمت بسرعة
 كاني كنت ارى
 يا ربع احباب نورا
 انعم صباحا واسلم
 ان لم امت من اسف
 كذبت لي دعوى الهوى
 كاني بالوصل من
 ولم ابت ريمان من
 في لهاتين ليلتي
 ما بين تفاح الخدو
 وبين زمان النهو
 في فوش وثيرة
 حق تولى الليل في
 واقبل العيباج في
 كاني لما بين ندا
 وجه لاميرو ابن لاميرو
 جلقين كامنيل
 الفاس الذي اذا
 وصل كل مرهف
 واضربت نمار الرغي
 واشفق لابلال من
 وحشرت نفس الجبا

شبابها لم يهرم
 مسلتي بدم
 ولا لحاني لومي
 ايلم ذاك الموم
 عشي بها كالحلم
 من مدنف متيم
 سقيت نوء السرزم
 وحسرة عليهم
 لست بهم بمنهم
 احبتي لم انعم
 رشف عقار البسم
 وليل شعر اسحم
 د العاطر الموشم
 د الارج المكرم
 لم تفتش الحرم
 خمسه النهزم
 محله العزم
 يشرق تحت الظلم
 ولاكرم بن لاكم
 ينقف النداء والكرم
 اسرج كل شيطم
 وطرق كل لهزم
 وفر حامي الحزم
 وقع القنا المقوم
 ن من كروب المقوم

اصحت خلاه بلقيا
 لا تسمع لاذن بها
 بواليا كالرمم
 الى صرير جنيدب
 الى صبيح طلوب
 الى قزير مغيصم
 ولا ترى العيس سوى
 وشرذق ونقش
 خدرنق مغيصم
 بعد السرور والنبا
 ولقلق وشيهبم
 والغانيات كالدمى
 ولامل المعصم
 من ابيض محبر
 واحمر معشق
 واصفر مسهم
 من كل خود كحلت
 جينها من قمر
 مقلتها بالسقم
 وفرصها من قلم
 وخدعها من قلم
 ويوح في بنانها
 وقم من الوعدى في
 قفتر من مفلج
 مذبذب مذهب
 حلو المما وانمسا
 من كل ريم مناس
 وصالة من سكر
 مبتم عن جودر
 ان حناء في برقع
 قامت له مدامعي
 ماليا لذات تروها
 ايتام كانت لتي
 مبردة كالحصم
 وعيشي المعصم

صني هدتي والعين الكحيله مع عين الرقيب واخذ النائم بالعين
هني اتقيت عدوا من لاربعة ما اجلب العين مذ كانت الى حني
ومنهم التراب السوسي ذكره عماد الاصبهاني في الخريدة وانشد له من
قصيدة يمدح بها جلالة بن كامل المتولي على سوسنة وقد قدحنا الخبر على
تملكه لها -

بات بالابرق برق يتسامى فجفى الجفن لروياه المناما
طلعت راياته خافقه خيفة خفقان القلب امسى مبهما
بذمام الحب ينا برق عسى لك علم جهم اعنى الاناميا
انسوا علما فلما يليكوا رقى قلبي اوحشوا عاما فعاما
واستمالوني بوصل خادع فكما ملت راوا وصلي حراما
ومنها في مدح جلالة -

فاذا ابصرتم اكبرتم واذا خاطبتم خاطبت هياما
واذا استصرخت في حداثته فعلى الحادث جردت حساما
وله فيه هذه القصيدة قلل التجاني وقد اولع اعراب زماننا بانشادها وكثرة
تردادها ولاجل ذلك ذكرناها بكاملها وان كان فيها بعض طول فان الحسن
غير ملول -

سلم على ذي سلم مغنى الهوى المستغنى
وقف بها مساملا من ساكن والخيم
واستطرو العين بها صوب دموع ودم
فهذه اطلالهم مندرسات الارسم
وهذه عراضهم مستوحشات المعلم
كانهم اسطبر لم تبقى منهم الضبسا
سوى ثلاث صامسا تقاتمات جشم
واشعث مطسرح ببربرها الهادم

صرفت بهجري وقرعتني بدمع يفيض ولا يقطر
وعايتني كيف اشكو الهوى كما يشتكي فقده العسر
قال ابن رشيق لله انفاس البغداديين النفيسة لم ينفخها طبع ولا اعجزتها
منعته ولو مزج هذا الكلام بكلام العباس بن لاهنف طريف الشعراء لامتزج
بمع امتزاج الخمر بالماء والنور بالهواء ولا بن مبدون في ملعب سوسة وهو مما
انشده ابن رشيق -

اين سن شاد ذا وسن رفع السمك لك واحلاه فوق ما يحتاج
اين ذاك الملك الشديد الذي كان وذاك السرواح والادلاج
اين ذاك الدهم الذي يرجف الارض من جيوشا يعيق منها الفجاج
اين تلك الخدور اين بدور هجتها الحبوش والاعلاج
اين اربابهم وسن رفع التاج على راسه واين التساج
ضمت الارض والبلاد عليهم فطوتهم وطما ادمساج
طحتهم طحن الرها فاذا لاند سان والدهر صخرة وزجاج
ومنهم عبد الحليم بن عبد الواحد السوسي الكاتب لم يذكره ابن رشيق
 وذكره ابن الصلت في الحديقة وانشده له -

هممت بان تخفي بقايا شبيرة كفرة ليل اوحشاشة مهسزوم
تري الشعرات السود والبيض حولها كمثل اسارى الزنج في عسكر الروم
وانشد له في هود نشابة -

لليالي في نقص حالي مظلمات حار في وصفها ذوا الالباب
صرت في الخوص بعد لبس الخوافي واهتمادي بازرق كالشهاب
بعد ذنب الكماة عن حرم العذرت تنقلت بي لذنب الذباب
وله ما لم ينشده ابو الصلت -

نذرت لله اذا ما التفتت شفاها بعد النوى للقبيل
صومي على الراح سوى ما حوى مبسمها العنكب وراح القمل
وله ايضا -

وافيض اجفاني لديك كما فاضت عليك وما بها تدري
قال ابن رشيقي رقة الشوق طاهرة على هذا الشعر ولطف الحضارة مع مائه
تكد تنبع من جانبته فهو اندى من الزهر غب القطر واحلى من الوصل
بعد الهمز قال ولما سمعها جعفر ازداد به اعجابا وفيه رغبة فتمعه من
السفر فكتب الى ثقة القولة يسأله فيما سأل فيه ولده ويشكر ما قاله
من الجود ويذكر وطنه ايضا -

يا قصر طارق همي فيك مقصور شوقي طليق وخطري منك ماسور
ان نلم جارك اني ساهر اسدا ابكي عليك وباكي العين معذور
عندي من الوجد ما لوفاض من كبدي اليك لاحترقت من حولك الدور
ومدح فيها ثقة الدولة فلم يجد عندهما ما يشتهي فخرج عنهما مسارقة
قال ابن رشيقي ومن ملح ما رايت له قوله لجعفر حين استاذنه في الرجوع
الى وطنه فكتب عليه وجبه -

ولما رايت الهدى قمت مسلما عليه واظهرت الخضوع لديه
وقلت له ان الامير بن يوسف شبيهك قد عز الوصول اليه
فكن لي شفيعا عنده ومذكرا اذا جشته تبغي السلام عليه
قال فكتب هذه الابيات ولقيه بها في منزله له فطرب واعجب بها اعجابا
شديدا وامر له بمال كثير قال والابيات مأخوذة من قول ابن الرومي -
بالله يا قمر السما كن لي لمن اهوى شفيعا
قال ومن عجيب كلامه قوله -

اتبصر ام انت لا تبصر هو الحب يجري بما يقدر
تذلل وكن خاضعا خاشعا فذل الهوى جزك الاكبر
ولا تنكرن احكام الهوى فاحكامه فوق ما ينكر
لذا مز دمع فخر الهوى به ولبك ان البكا اعسر
ايا واخذ الحسن اوحدتي لسا بي وان كن لي معسر
يحامون دوني ولكن حمى قوادي ابيح ولم يشعروا

واظمتا فاستسقي ثناياه طامئنا فتفتي ثناياه عن القهوه الصرفة
واجفان دهرى مفضيات على القذى وابانه يقطن باللهو والتصف
وانشد له ايضا يصف حيارا —

جسم لجين يكاد يجري لولا تزدية ثوب سيلم
ما اعترضته العيون الا وانت به مقبض الحسام

ومنهم محمد بن عبدون التوسى قال ابن زريق اصله من القيروان وهو من
اكابرها وابوه هو المشعل الى سوسة قال وهو شاعر وطبع الكلام كلف بهذوبته
اللفظ والتوصل الى المعنى البعيد بلطافة وسكون جليش وكانت له رحلة الى
ثقة الدولة يوسف بن عبد الله يعني الى صقلية فامدحه واصافه الى
ولده جعفر فادناه وقربه وكان من احكم الناس عنده وساله الرجوع الى
وطنه ورفع اليه قصيدة يشوق فيها معاهدة منها قوله —

بالله يا جميل العسكر دح ربح الجنوب لعلها تسري
كحيا اسافلها فتخبرني ما يفعل الحيران بالانصر
يا قصر طارق الذي طرقت احشاي فيه بلابل الصنوبر
والله ما قصرت من قلشق لكنتي قصرت بالانصر
فساك منهل الحيا وسقى صبرا تقضى فيك من صصر
يا رجع كم لي فيك من غصن يهوى صبا به وكم بسدر
ومناسب لاوصاف اتقلبه حقف يكاد ينوء بالانصر
قد طال ما عذبت قلثمه مني مكان قلثد النحر
ولثمت صدرا فاح غبسه من غير ما طيب ولا مطر
وضعت انفاي عليه وقصد انفقت من نفسي الذي يسري
وكان صدري لا ملوح له وكان قلبي بان عن مدري
اعطى عهد الله منقصة من اعطى العهد بجانب الحجر
لو استطيع سجت من طرب شوقا اليك سواد ذا البصر
حتى اقبل جانبك كحيا قبلت فيك مرأشف البسدر
وافيص

ولم تر عيني كالشباب وحسنه اقر لاجلنا القيان ولا احسبلى
ولا كبايخ الشيب في اعمى الدمى قذى هسما يفضي القذى لامين النجلا
فلا غرو ان ارقى الشباب وعصره ولا لوم ان انعى الشيب ولا عذلا
قال ابن رشيق ما رايت اعجب من البيت الثاني من هذه الابيات
اما ينظر الناس الى هذا المعنى الغريب والمخلص العجيب في اللفظ الرائع
المتكبر والنظم الرائق المستحسن . ومنهم ابو الفتح بن محمد قال ابن رشيق
نشا بسوسة وهو من اهلها وشعره سهل وطوي لا يتكلف فاذا تكلف طهر عليه
اقر ذلك وانشد له يمدح حسن بن البلبل متولي سوسة وقد رفع عليه مال
وقيل في اقوال فلم يصبر ذلك -

دم حاكذا دم طلى رغم العدا ابدا ملاك في اليوم تعلها هلاك غدا
قد قدر الله ان تعطى ممالك وما اطفى حموك الا بالين والكما
ومنهم ابو موسى عيسى بن ابراهيم السوسي المعروف بالقطان قال ابن رشيق
كان شاعرا مشهورا بالشعر مليح المقطعات قال كيت اسمع بذكره وهو بسوسة
الى ان اجتمعت به فانشدني بعض شعره ثم قال كيف رماك عما سمعت
فقلت احسن روى واتمه فتكلم بكلام جميل ولم اره بعد ذلك لاجتماع
وانشد له في لانهودج -

اهدى الى العنصر الرطيب قواما والى فوادي لونه وغوامها
طبي اعلى الطي منه محاسنها واعارني من ستمهن سقامها
ما صبره لو كان مع كلني بسمة يهدي الي مع الرياح سلامها
قال وهذه الفاظ طيبة ومعاني رائقة . ومنهم عبد الوهاب بن خلف بن
القاسم السوسي ويعرف بابن القلس قال ابن رشيق هو من ابناء سوسة
ومستوطنها وهو شاعر متدرب قد جمع الى رقة المعنى متانة اللفظ وقرب
التصدد وانشد له -

وكم ليلة جاذبت من واهقي هسا نهذا العذارى في قميص الدجى الزحف
وبت يعطيني العنقا مهلهف هميم الحشا مخطوفه واقر الردف

موسى وبالفكر لما ضح بينهم من العداوة التوارثة . ومن شعراء سوسة
في القديم المتقدمين بالزمان المشهورين بأصابة فرض الاحسان محمد بن
الحسين بن ابي الفتح بن ميخائيل القرشي قال ابن رشيق في الامتزاج هو
من اهل سوسة وسكن القيروان قال وكلن يسلك مسلك قدامة في اعتقاده
للشعر ومطالبته للحقائق وربما سهل الفاطم وعبت بطلح كقولها -

صور عبد الله من مسكته وصور الانسان من طين

ابدعه الخالق سبحانه كمثل حور الجنة العين

(نقص في كل النسخ) سيف علي يوم صفين

في مثلد يومصل جبل الصفا وتوثر الدنيا على الدين

قال ابن رشيقي لم انصلح هذه لايات الا مرة واحدة فوجدتها قد علفت بنفسي وخفت على لساني حتى صككت اتهمه فيها لولا طلي به . يقال وكثيرا ما يجري ذلك في الشعر المطبوع حتى ان قائل لايات ربما استعاب بها لسهولة طبعه فاستطاعه . وشعر ابن ميخائيل هذا في الانموذج وغيره كثير مشهور . ومنهم علي بن احمد بن الصغار السوسي كذا وجدته بتقديم الصاد على الفاء وياي بعده ذكره بالقلب وقبل الصاد ولم اقف على الثابت منها قال ابن رشيقي هو شعر متسع القافية سالم الطبع عالم باللغة ومن شعرة -

انست بالعلياء نارا لها سنى ليلى بليل قد دجا وتغننا

وما اوقعت إلا لخباط ظلمة وصل وصيف جاء يتعادي صيفنا

فما بلغا حق اكلا والصفى قلوبيهما بالارض من شدة الونا

قال وهذا كلام عربي صريح قلها ياقى مثله للتقدمين المحسنين فضلا عن المتأخرين لا سيما في هذه القافية قل وانت ترى حال ابي نواس فيها على جلالة وجراته ، ولابن القصار المذكور من قصيدة اخرى ونذكر الشهاب قال ابن رشيق وهو مليح جدا -

ارای الیص لا یمکن ذالک الیص منعت سوی منعت تهری الکتابه او تبلی

كان لا ينام الشاب بماله مستمرا طبلين لا ينام الشيب بها فحلا

3

الخمر ولوا للجز واجعين فسلوا بذلك ومات العز بعد ذلك سبعة اربع
 وخمسين وسوسة مخالفة عليه فلما ولي ابنه تميم انايوا له فعنى منهم وتقدم
 ذنوبهم وذلك سنة ست وخمسين . وتوالت على سوسة بعد ذلك امراء
 من العرب ملكوها حين استولوا على البلاد وانزعوها من ايدي صنهاجة
 واستقرت علخرا تحت ملك جبنارة بن كامل بن سرحان بن ابي العين
 القادسي العهد الصيت المشهور بالجود ومن يده اخذها النصارى حين اخذوا
 المهدية من يد الحسن واستولوا على بائر بلاد السواحل . ولما وصل عبد المؤمن
 الى افريقية واستنقذها من ايدي النصارى وقام اهل كل بلد على من عندهم
 منهم امثال اهل سوسة ذلك وزجل اشليخهم الى عبد المؤمن ورحل اليه
 ايضا جبلة بن كابل المذكور فقدم على اهل سوسة حافظا من الموحدين
 يعرف بعبد الحق بن طناس الكومي فطرقهم اسطول الصراني ثانيا وهم
 على شرة فاستولى على البلد وقتل من اهل سوسة قتل وسى سن سى وخرب
 البلد تخريبا عظيما لانه لم يبين على الاقامة فيه واسر الحافظ المذكور
 واهله وولده وتوجه بهم الى صقلية فاقاموا بها مدة ثم افتدوا بعد ذلك
 وغرجوا ومن حينئذ استولى الخراب على مدينة سوسة وهلم جرا . وكفى فخرا
 لسوسة ان المستير الذي وردت الاحاديث في فضله محروس من محارستها
 ومنسوب اليها ويقرب منها جبل وسلات وفي السابق يعرف بجبل مطور
 وسبب تسميته بذلك ان معاوية بن حديج لما وصل الى افريقية نزل
 على هذا الجبل فاصابه فيه طر شديد فقال ان هذا الجبل مطور اذهبا بنا
 الى ذلك القرن فسمي الجبل مطورا وسمي ذلك الموضع القرن . واما ما ادعاه
 ابن شرف في تاريخه من ان اهل سوسة في الاصل عبيد لاهل القيروان
 فحسب ذلك انه لما اقتضت افريقية اشتدت فارة الروم على مدن البحر
 فاجتثت القصور على السواحل كقصور سوسة وغيرها وجعل بها من عبيد اهل
 القيروان ومن انتدب معهم قوم للرباط فكثروا هنالك واستقلوا بمدنتهم فمجرد
 دعوى حملت عليها العداوة والعدوى والواجب ان لا يقبل كلام قروي على

ابن الخوارزمي صدعا عن سوسة فما طلع السمر والاقبصار
 وجلا دلتها في طائر بينهما في النقع دون الحصينات الهام
 وقال اخذ من اقلح من قديم هجراتها في
 مدينة سوسة بالغرف لغير قدين له المدائن والشعور
 لقد لعن الذين بغوا عليها حكما لعنت مزينة والنظير
 اتلها الخارجون ليملكونها فكان من الاله لها نصيب
 ولولا قصرة الجبروت فوات يفت لها الفل الصغير
 يبلغ ذكر سوسة كل ارض ويغنى ارضها الجم المغير
 ولقد خالف اهل سوسة ايضا على المعز من باديس صاحب افريقية سنة
 خمس وأربعين ولزعمائه ومنعوا ما كانوا يصلون اليه من المال وقالوا نحن
 اولى به لنطلب به عن بلدنا ونوفيت اخذ المعز منهم فمضوا اموالها واما
 من ترجعها اليه فبعث المعز لهم في ذلك فقالوا لرسوله كيف نذفع اليه
 اموالنا يتقوى بها علينا بل نتقوى بها نحن على مدافعه وجر به فبعث للمعز
 اليهم من المهدية اسطولا ضخما فاصبح بموسى سوسة فاحرق ما فيها من
 المراكب وكانت فيها وستين مركبا اكثرها لاهل سوسة فعد اهل سوسة الى
 سن حكان منهم من اهل القيروان فاحذوا اموالهم واهانهم اشد لاهانتهم
 فوجه المعز اليهم جيشا فيه مائة فارس وامرهم ان يظافروا مع الاسطول على
 حصار سوسة لياخذوا بمخزنها برا وبحرا فكان من قدر الله الغريب لاتفاق
 ان اجتاز على سوسة يوم خروج هذا الجيش اسطول من قبل صاحب صقلية
 فضاخه اسطول المعز فانصرف راجعا الى المهدية ولا علم عند المعز بذلك
 ووصل جيش المعز الى سوسة فسألوا عن الاسطول فاصبروا باقلاعه فسقط في
 ايديهم فخرج اهل سوسة وسن حف بها من لاعواب اليهم فادخلوهم الى
 المدينة واجالوا السيوف على جميعهم ونصبوا رءوسهم على السور قال ابن
 شرف اخبرني من شاهدها ان عدتها نيف وخمسون راسا قال وانما سلم سن
 سلم من الجيش لضعف في دوابهم منعتهم من السحاق ياخوانهم فلما تحقروا
 الخبر

الخوارج عليها . ومن سوسة هذه ركب اسد بن الفرات البحر غازيا الى
صقلية سنة ثنتي عشرة ومائتين فاستفتح كثيرا من معاقلها وتغلب على كثير
من مدنها وملت في العام الذي يليه وهو محاصر لها . قالوا ونزل الروم بها
في الزين القديم في ثلاثين الف مقاتل فبلغ ذلك معلوية بن حديج
السكوني وقيل القبيبي وقيل الكندي قال ابو عمر بن عبد البر والصواب
ان شاء الله السكوني وغطاه الرصاص في هذا وقال اذا كان سكونيا فهو
تجبي وكندي . وكان معاوية هذا واليا على افرنجية من قبل عمرو بن
العامر فبعث عبد الله بن الزبير الى سوسة في جمع كيف ليحييها فوجه
عبد الله ونزل بجمعه على شرف مال بينه وبينها اثني عشر ميلا ولحقوا فلما
علم الروم يوصله زفوا جميع سفنهم الى شاطئ البحر وازمعو على الارتحال
فوصل عبد الله بجمعه من الفدح حتى انتهى الى سور المدينة ثم نزل عن فرسه
وقام يصلي بالناس بعض الصلوات فجعل الروم يتعجبون من اقدامه وقلة
اكرائهم بهم فاخرجوا له جمعا من حماتهم فزحفوا اليه وهو مقبل على صلاته
لا يهول ذلك حتى اذا قضى صلاته ركب فرسه وحمل عليهم فانكشفوا
عنه وولوا ادبارهم فصعدوا الى مراكبهم واقلعوا الى بلادهم . ولم تزل سوسة
مخروقة بالامتناع على سن راميها واهلها يوصفون بالبأس والنجدة وهيبك
من امتناعها ونجدتهم ان ابا يزيد لما تملكها وفعل فيهم لافعال الشنيعة
من قتل الرجال وسبي النساء وقطع لاهياء وبقر البطون خالفوا عليه وبايعوا
ابا القاسم القائم الشيعي ووجهوا عامل ابي يزيد اليه وذلك كله عام اثنين
وثلاثين وثلاثمائة فوصل اليها ابو يزيد بنفسه في ذلك العلم وحاصرها
حصولا شديدا وكان مما تحصل من جند ابي يزيد الخارجي انهم صنعوا
مائة الف خص في كل خص نحو الثلاثة او لاربعة انفس فكان يقاتل
سوسة كل يوم مرة له ومرة عليه ولم يزل محاصرا لها الى ان توفي القائم في
العام المذكور وولي بعده ابنه اسماعيل الملقب بالنصور فوجه الى ابي
يزيد جرحا حسان بسببه ارتحاله عنها وفي ذلك يقول بعض شعرائها -

بالفعل اذ هو اظهر اوصافه فنعنا الله به ءاجين فقلت -
 ذا صريح لابي راوي الفحل ما راى صكوبا به الا وحل
 يحمل الكل ويحمي جواره وبايديه تعاليم الوصول
 ذاتي كالم الوصول في حالاته فرقى مرتبة لانس ويصل
 ولذا اتوا لدى تاريخه لك سر يا ابا راوي الفحل
 فلما رءاه قال انه توفي في وجب وودت لو انك زدت ذكر رجب في
 التاريخ لكان احب للنفس فقلت له ان العدد لا يعقل اشتراكه لجهتين في
 لفظ واحد فالج علي فقلت استعين بنفس لاساذ ولعل الله يفتح من فضله
 فجاء كما تراه -

رس به يرجو الموصل ما طلب وبه تساقى لديه غايات لارب
 اذ فحل ءاساد الولاية حله وامير مرتبة العناية والتسرب
 يروي ظما الآمال حتى انسه يدي ابا راوي فلاتك ذا عجب
 تحذف المعارف حلة فراى بها في حضرة القدس لذا ذات الطوب
 فطلما احبى الرغائب قبل ما ان ارخوا ولقد توفي في رجب
 وسوسة مدينة خصينة على سلج جبل عال وعليها سور عظيم متبع من الصخر
 يتهيئ البحر اليه ويصرب في جدرانها وبها ءثار لاول وبها جامع للخطبة
 حسن كان بشاره في ولاية ابي العباس احمد بن محمد بن لاغلب بن
 ابراهيم بن لاغلب سنة ست وثلاثين ومائتين على يد خادمه مدام وكانت
 سوسة اذ ذاك قرية واقى بعدها ابن احميه ابو ابراهيم احمد بن محمد بن
 لاغلب فجدد سورها والحققها بالمدن وكان تجديدده لسورما سنة تسع واربعين
 ومائتين وبصحن جانها المذكور بيت قد كتب فيه بخط قديم نقشها في
 الحجر - القراءان كلام الله ليس بمخلوق - وكتب مثل ذلك ايضا في عمد
 الجامع وذلك كله تنبيهه على مذهب اهل السنة وتثبيت له بسبب كثرة
 ما كان بها وبجميع بلاد افريقية في القديم من المذاهب المنخرقة من
 المذهب السني ثم ما كان بها منها في زمن الروافض ثم في زمن تغلب
 الخوارج

من حملة العلم منهم يحيى بن عمر الكتاني ويكنى ابا زكرياء راجع من لاندلس
فسمع بافريقية من سمعون وابي زكرياء الجعزي وغيرهما وسمع بمصر وسمع
منه اهل القيروان ومن اتصل بهم وكان فقيها حافظا للرأي ثقة في روايته
صابطا لكتبهم وسمع منه اهل لاندلس ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين ومات
بسوسة في ذي الحجة سنة تسع ولما نين ومائتين رحمه الله تعالى واليهما
تغيب الثياب الرفيعة السوسية ، وقيل ابن الشبلط رحمه الله ما نصه :
ووقع في التاريخ المنسوب الى الملقب الحافظ ابي الطاهر السلفي رحمه الله
تعالى ان معاوية بن حديج غزا افريقية وكلفت خرابات كلها وذلك سنة
خمس وأربعين في زمن معاوية بن ابي سفيان رحمه الله تعالى بعث
معاوية في جيش كثيف من نحو عشرة آلاف مقاتل وكان معه عبد الله
ابن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الملك بن مروان
ويحيى بن ابي الحكم بن ابي العاص واشراف قریش وغيرهم فبعث ملك
افريقية بطريقا في ثلاثين الفا فنزل بساحل سوسة فلخرج اليه معاوية بن
حديج عبد الله بن الزبير في خيل كثيفة فسار حتى نزل على شرف مال
يفطر منه بينه وبين سوسة اثني عشر ميلا فلما بلغ ذلك الطريق اقلع
في البحر منهزما واقبل ابن الزبير حتى نزل باب سوسة ووقف على البحر
وصلى بالمسلمين صلاة العصر والروم يتعجبون من جرأته وقتل جزمه
فاخرجوا اليه خيلا وابن الزبير مقبل على صلاته لا يهوله امرها حتى قضى
الصلاة ثم ركب وحمل بمن معه على الروم فانهزم الروم منكشفين ورجع ابن
الزبير الى معاوية وهو بالجبل . وهذه المدينة الولي الذي اغنى اشتهار
اسمه عن ايضاح اسمه كنز البركات وكهف الغايات والمعد لمعظم لازمات
تمت اصححت اغاثته لذوي الرجل كالفيت بعد المحل النور الساطع والسراج
اللامع الشيخ ابو عبد الله محمد بن عمران ابو راوي الفحل وكانت وفاته سنة
لعمري وثلاثين وتسعمائة ولقد كلفني بعض مخلصي لاعتقاد في علي جنابه
وكثيره بالترداد على العلية اجابته ان اضع له تاريخا مستلزما ذكر لقبه

العينى هي جنوبي تونس وشرقيها وهي في طرف داخل البحر قليل العمارة
لاستيلاء العرب عليها ولها سور من لبن وفي العزيزي بين للهدية وسوسة
مرحطان . وقال ابن الشباط قال البكري رحمه الله تعالى ومن القيروان
الى مدينة سوسة ستة وثلاثون ميلا قد احاط بها البحر من ثلاث فواح
الشمال والجنوب والشرق وسورها صخر منيع حصين متقن البناء يصرب فيه
البحر ويدخل الى دورها من فناء من الجهة الشرقية وفي ركنها بين الغرب
والقبة منار عال يعرف بمنار خلف القتي ولها بابان غريان يقابلان الملعب
قال جامع عفى الله عنه وأتفق اني وقفت ببابها الغربي مع بعض فقهاءها
فالتفت في نحو المدينة فاذا البحر يضطرب بانفراطه والراكب مرائس
تجلى على مورد بساطه فقال لي هل لتونس هذا المنظر الشهي وهل هو إلا
لسوسة دونها فقلت له لم لم تكن كذلك وهي ركن من اركان عسها
وزاوية من زوايا حرسها ولا تستكثر هذا المقدار في جنبها فانها لما احييت
اليها خلعت هذه الخلع عليها . وبها الملعب وهو بنيان عظيم للاول افناء
مرتفعة واسعة معقودة بحجر النشف الخفيف الذي يطفو على الماء المحلوب
من بر صقلية وهوله اقباء كثيرة يقضي بعضها الى بعض وحول مدينة
سوسة اثار عظيمة للاول وبنائها كله بالصخر المحكم وبها اسواق كثيرة
وهي مخصصة بكثرة لامتعة والشر ولحم مراعيها من اطيب اللحم وهي
رخيصة الفواكه كثيرة الخير وهي قديمة البنيان وبخارجها محارس وروابط
وسجاعات للصالحين ولاخبار وداخلها محرس عظيم كالمدينة مسور بسور متقن
يعرف بقصر الرباط وهو ماوى الصالحين داخله حصن ثان يسمى القصبية
وهو بجو في المدينة متصل بدار الصناعة في سفح الجبل الذي هي في سند
من جهة الشرق والمدينة في سند عال يرى دورها من البحر والمحاكاة بها
كثيرة ويقال كان في الصدر لاول يباع المثلث من فائق غزلها بمثلثين ذهباً
وبها تقصر الثياب الرفيعة . قال العيني رحمه الله ومنها فتح المسلمون
جزيرة صقلية . وفي اقتباس لانوار سوسة من بلاد افريقية نزلها جماعة

من

من الارض مبداء من الجزائر الخالدات التي هي اقصى بلاد المغرب الى مدينة شيراز الى اقصى بلد الصين وذلك على الخط الموازي لدائرة معدل النهار فراس هذا الخط الذي مبداء الجزائر الخالدات هو نظير درجة الشمس بالسواء اذا كانت الشمس براس الحمل وطول هذا الخط مائة وثمانون جزءا من اجزاء الفلك واما مبدا عرض البلاد فانه من ناحية مجرى سهيل من ارض الحبشة على مسافة عشرين ليلة في سمت مهب الجنوب وهي بعد بلاد الصقالبة والجزر . اه . وانما شرح القلم الى هذا المقدار وان كان في اكثر ما هو المطلوب فقد قال من قبلنا والحديث شجون وطرف المناسبة في مطلق الكمية اضاف ذلك وبالجملته فانه غريب ولا يقف عليه النظر في مكان . ومما اندرج في خلال افريقية ذكر بعض مشاهير بلادها ومدنها فاعظمها بعد تونس مدينة القيروان وقد ذكرت في فصل فصل افريقية لمناسبة الاحاديث التي جاءت فيها وذكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو ابو زمعة البلوي رضي الله عنه فان هذا المقدار احق ان يضاف لفصل افريقية . ومنها التنستير وقد سبق ذكرها في فصل فصل افريقية ايضا كما وقفت عليه . ومنها سوسة قال التمجروتي ومدينة سوسة مسورة سورها متقن وهي صغيرة ضعيفة العبارة وبها جامع مليح فاسح وكانت في القديم يرغب العلماء في سكانها وبها عدة فقهاء منهم يحيى بن عمر من اعيان مذهب الامام مالك رحمه الله تعالى ويذكرون انه هو المدفون خارج بابها البحري وبها ايضا الفقيه عبد الحميد بن عمر بن الصائغ مدفون خارجها في شرقها وفيها غيرهما من الافاضل وعلى شاطئ بحرها مقام الولي الصالح الشيخ ابي جعفر زرتة سنة خمس وعشرين ومائة والف وختمت عند صريحه دلائل الخيرات ثم اخذني النعم فرايت النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على حافة حرم لامتاز ورجل بين يديه قال له يا رسول الله ادع لهذا و اشار للفقير فرفع النبي صلى الله عليه وسلم كفيه الشريفتين ودعا فلم اسمعه فعلت ان لصاحب المقام شانا واحتنا نفعا الله به وبامثاله . قال

ستمائة وخمسون ميلا والله اعلم بحقيقة ذلك . قال ثم ضربوا ذلك في ثلاثمائة وستين وإذا قسم دور الارض على ثلاثة وسبع كان ما يخرج مقدار الارض وإذا ضربوا القطر في الدور كان ما يبلغ مسافة جميع الارض مكسورا . ولذلك قال ترجمان الفيلسوف ان دور جميع الارض على ما امتحنه ازدواستاقس (كذا) الحكيم احد وثلاثون الفا ومائتان وخمسون ميلا قال والارض كلها مسيرة خمسمائة علم ثلث عمران وثلث بحار وثلث براري غير مسكونة . وذكر في السفر الثاني ان دائرة الارض ست وثلاثون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثني مئتين الف ذراع والذراع اثنان واربعون اصبعاً ولاصبع ست حبات وتسعان مصفوفة بعضها الى بعض فيكون ذلك تسعة آلاف فرسخ . قللت وهذا غير ما تقدم في كثرة العدد وكبر الذراع . ثم قال وانما نقل في كل موضع من هذا الكتاب على حسب ما نجده لا على ما نقطع بصحته . وقد مسح جماعة ممن اتى بعد بطليموس مقدار الدرجة من درج الفلك فيما بين مدينة الرقة وتدمر على ما ذكر فوجد حسب الدرجة الواحدة خمسة وعشرين فرسخا فوجب على هذا ان تكون مساحة اعظم دائرة تقع على كرة الارض تسعة آلاف فرسخ إلا ان بطليموس وثيوس صاحب كتاب الافلاك افكروا ان تكون مساحة الدرجة الواحدة تنتهي اكثر من ستمائة وستين ميلا وثلثي ميل . وقيل ان قدر محيط كرة الارض ثمانية آلاف فرسخ وقدر قطرها الفان وخمسمائة واربعون فرسخا ونصف فرسخ وتكسير سطحها عشرون الف الف وثلثمائة واربعة وستون الفا فرسخ وتكسير الربع المسكون خمسمائة الف واحد وتسعون الف فرسخ . وبعد القمر عن مركز الارض خمسة وسبعون الف فرسخ وثمانية فراسخ وبعد فلك الشمس عن فلك القمر الف الف فرسخ وثمانمائة الف فرسخ وستة آلاف واثنان وخمسون فرسخا وبعد الشمس عن مركز الارض الف الف فرسخ وثمانمائة الف فرسخ واحد وثمانون الف فرسخ وسبعون فرسخا والله اعلم . وذكروا ان المعمور من الارض اقل من الثلث واكثر من الربع وطول الجزء المعمور

من

اصبعا قال الدولاني وهو ذراع السواد وذلك الفان وثلاثمائة وثلاثون خطوة وهو بالذراع الهاشمي ثلاثة آلاف ذراع ثلاثة عشر الفا وخمسمائة ميل وذلك من اقصى جزائر اقنابس الستة واقنابس البحر المحيط الذي لا يدري ما وراءه غربا الى اقصى عمران الصين شرقا والشمس اذا غابت في اقصى الصين طلعت على الجزائر وبالعدد . وبالأقليم السابع الدبيل والصين له الميزان والشمس . وذكر صاحب كتاب الزيج عن خالد بن عبد الله المروزي انه رصد الشمس للامون بيرية ديار ربيعة وبيرية سيحان فوجد مقدار درجة من الفلك ستة وخمسين ميلا من الارض فضرب العدد في ثلاثمائة وستين ميلا فانتهى ذلك عشرين الفا ومائة وستين ميلا فهو دورة كرة الارض المحيطة بالبر والبحر فقطراها الى هذا ستة آلاف واربعمائة واربعة عشر ميلا ونصف عشر بتقريب والمعمور نصف هذا القدر والقطر من خط الاستواء الى الشمال ومنتهى العمران في الشمال جزيرة قول في برطانية . وفي الجغرافيا ان عدد هذه الارض المعمورة عشرة آلاف ميل وخمسمائة وثلاثون ميلا وان عدد البحار المحيطة بالارض خمسة وجميع العيون الكبار مائتان وثلاثون عينا ولا نهيار الكبار المجارية مائتان وتسعون . وذكر ان طول كل اقليم من الاقاليم السبعة تسعمائة فرسخ في مثلها . وقد زعم صاحب المجسطى ان دور كرة الارض اربعة وعشرون الفا وثلاثون ميلا وان قطرها وعمقها سبعة آلاف وستمائة وتسعة وثلاثون ميلا وقال غيره هي سبعة آلاف وانهم ادركوا ذلك بان اخذوا ارتفاع القطب الشمالي في مرتين على خط واحد على ان يكونا جميعا واقعين على خط نصف النهار فيتفقان في الطول ويختلفان في العرض مثل لاتفاق الذي وقع بين تدمر في بر العراق والرقعة فوجدوا ارتفاع القطب الشمالي في الرقة خمسة وثلاثين وفي مدينة تدمر اربعة وثلاثين وثلاثا ثم مسحوا مسافة ما بينهما فوجدوه تسعة وثمانين فوجب ان يكون مقدار الدرجة من الفلك في الارض ستة وستين ميلا وثلاثي ميل للتقريب . قلت وانظر هذا مع ما تقدم فانه قال قبله مقدار درجة الفلك

المشرق فيمر على مثال بلاد الصين الى ان قال ثم يمر على بزقة وافريقية
ويتهي الى بحر المغرب . وقال في الاقليم الرابع ما نصه : وسطه من حيث
يكون النهار لا طول اربع عشرة ساعة ونصف الى حيث يكون اربع عشرة
ساعة وثلاثة ارباع الساعة وارتفاع القطب سبعة وثلاثون جزءا وذلك مسافة
ثلاثمائة ميل يبتدي من المشرق فيتهي الى خراسان . وما هنرا بمواد نستوفي
منها ذكر بلاد افريقية كلها ولكن حيث لم يمكن ان نستوفي ذكر البلاد التي
شملها هذا الاقليم الرابع فلا اقل من بعضها لان افريقية جرتها بالاضافة .
فمن المدن التي اندرجت في خلال هذا الاقليم المبارك فرغانة قال في القاموس
وفرغانة ناحية بالمشرق وفرغان قرية بفارس وبلد باليمن وصميرة واسروشنه
وسمرقند وبخارا والري واصبهان ونهاوند والدينور وحلوان وسهيل ورودس
والموصل ونصيبين وآمد ورأس عين وقاليقلا وشمشاط وحران والرقية وقرقيسيا
ويمر على شمال الشام وفيه من المدن هناك بالس ومنبج ومطية والقنطرة
وحلب وقنسرين وانطاكية وطرابلس الشام وعلى جزيرة قبرس ورودس ثم
يمر في ارض الغرب على بلاد طنجة ويتهي الى بحر المغرب وفي هذا الاقليم
تقع قرطبة وما حولها لان طول نهارها في نهاية اربع عشرة ساعة وثلاثي
الساعة . قال جامعہ عفی اللہ عنہ ودليله في ان قرطبة من الرابع واحتجاجه
لذلك بطول النهار الخ هو دليلنا وجتنا فلا محيص ان تكون افريقية في
الاقليم الرابع من غير منازع اذ بلدنا تونس وقرطبة في العرض والغاية
مستويان كما نص عليه في مسالك الممالك واللہ اعلم بحقيقة ذلك .

فسائدة . طول الاقليم جميعا من المشرق الى المغرب وهو مسافة اثنتي
عشرة ساعة من دور الفلك وبين عرض كل اقليم والذي يليه نصف ساعة
معتدلة من النهار لا طول فالاقليم الاول يمر وسطه على المواضع التي يكون
طول نهارها لا طول ست عشرة ساعة وقال القرطبي قال ابو عبيدة وانتقوا
على ان طول العمران من لاميال التي الميل منها اربعة الاف ذراع بالذراع
الذي وضعه المامون للزرع الثياب ومسلحات البناء وهي اربعة وعشرون
اصبعا

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يورك لسجنون في اصحابهم انهم بكل بلد لا يمتة . قال وحدثني عبد الله بن محمد كان يقول الذي يحضر مجلس سجنون من العبد اكفر ممن يحضره من طلبة العلم كانوا ياتون من اقطار الارض اليه .

الفصل الثاني في حد افريقية وذكر ما اشتهر

من مدنها وبلادها حسبما وقفت عليه

قال البكري رحمه الله طولها من برقة شرقا الى مدينة طنجة الخضراء غربا وعرضها من البحر الى الرمال التي هي اول بلاد السودان وهي جبال ومل عظيمة متصلة من الغرب الى الشرق وبها يصاد الفئك الجيد قوله وهي جبال ومل بالجيم ويقع في بعض الاطراف جبال ومل بالحاء المهمة لان الجبل هو المستطيل من الرمل والفئك بفتح الفاء والنون حيوان يتخذ منه الفراء وهي لاقليم الرابع حسبما نص عليه القرطبي في مسالك الممالك حيث قال والرابع من لاقاليم السبعة مصر وافريقية والبربر والاندلس وله الجزاء وطارد . قال جامع عفى الله عنه ويظهر من كلامه رحمه الله شبه تناقض من حيث انه لما ذكره اجمالا حكم عليه بانه الرابع حسبما رايت مصرحا به ولما فصل كل اقليم وما اندرج تحته من المدن ذكر ان افريقية في الثالث وظاهرة مشكل ولكن طريق المسلك فيه الى التحقيق والله اعلم ان اعظم المعتمد في ذلك اعتبار الاعاريض والغايات اذ هي الموازين التي يدرك بها من هذا الفن الغايات ومن المقرر المعلوم الذي لا مرية فيه ان عرض مدينة تونس ست وثلاثون درجة وثلاثا درجة وفاية طول النهار بها حسبما هو مقرر ايضا اربع عشرة ساعة ونصف والحالة انه قدر عند تفصيله كل اقليم بنفسه ان الثالث من لاقاليم وسطه حيث يكون النهار لاطول اربع عشرة ساعة الى حيث يكون طوله اربع عشرة ساعة وربع ساعة ومن حيث يكون ارتفاع القطب ثلاثين جزءا وثلاثة اقسام ونصف خمس الى حيث يكون اربعة وثلاثين جزءا وذلك مسافة ثلاثمائة ميل وهو يتندي من

منظمان شيئا وكان رجلا واصل بعض اخوانه بالثلاثين دينارا ونحوها ولكن
 اول من شرد اهل لاهواء من الجامع وكان الجامع فيه خلق من الصغرية
 ولا باحية مظهرين لزيغهم وكان لم يهب سلطانا في حق . وذكر انه لقي في
 الفقه ابن القاسم واشهب وغيرهما ولقي في الحديث سفيان بن عيينة وابن
 وهب وأنس بن عياض ووكيعا وعبد الرحمن بن مهدي ويزيد بن مروان
 والوليد بن مسلم وغيرهم وتوفي رحمه الله يوم الثلاثاء لسبعة ايام مضت من
 رجب سنة اربعين ومائتين وكان خروجه لطلب العلم سنة ثمان وثمانين
 ومائة وكان قدومه افریقیة سنة احدى وتسعين ومائة وكان مولده سنة
 ستين ومائة ومناقبه كثيرة . وذكر حمديس القطان انه سمع سحنون بن
 سعيد يقول سمع مني العلم سنة احدى وتسعين ومائة اهل اجدابية وفي
 تلك السنة مات عبد الرحمن بن القاسم ثم ذكر ابن ابي العرب رحمه الله
 جماعة من اهل سحنون وذكر قبل ذلك اسماءهم واخبارهم عن بعضهم
 انه قال مرست فدعوت ليلة عرسي جماعة من اصحابنا منهم احمد بن
 نصير وغيره فاتوني قال وكان فيمن دعوت شيخ من اهل المشرق كان قدم
 علينا من اصحاب احمد بن حنبل وكان الناس يسمعون منه العلم وكان
 شيخنا نبیلا قلما راينا مثله قال وكان اصحابنا في اول الليل في قراءة وتحزن
 وبكاء وخشوع ثم اخذوا بعد ذلك في مسائل العلم والمناظرة ثم ابتدروا بعد
 ذلك زوايا الدار يصلون احزابهم قال فنظر الشيخ الحنبلي اليهم فقال - سن
 اصحاب هؤلاء ومن معلمهم العلم والله ما رايت قط انبل من هؤلاء اخذوا في
 اول الليل في قراءة القرآن والتفسير والخشوع وبعده ذلك اخذوا يتناظرون
 في مسائل العلم ثم بعد ذلك وثبوا الى القيام والتهجد باحزابهم والله ما رايت
 انبل من هؤلاء والله لا يصعب هؤلاء رجل الا سعد . فسقيل له - هؤلاء
 اصحاب سحنون . قال وسمعت محمد بن مسكين يقول - حدثني بعض
 طلبته العلم من الاندلسيين من ابن عجلان قال قال ابو العرب فقلت سن
 ابن عجلان هذا فقال عالم من علماء الاندلس انه قال ما يورك لاحد بعد
 اصحاب

وسلم قال - لياتين الناس من امتي من افريقية جميع القيامة ووجههم اشد نورا من نور القمر ليلة البدر - وقوله سخنون قال في تكملة معالم الايمان راوده الامير ابو العباس احمد بن الاغلب حولا كاملا على ان يوليئه القساء فابى فعزم عليه بالايمان التي لا يخرج منها فلما راي ذلك سخنون اشترط على الامير شروطا كثيرة فاعطاه كل ما سال واطلق يده في كل ما اشترطه حتى قال له - اني ابدأ باهل بيتك وعرابتك واعوانك فان قبلكم ظلامات للناس منذ زمان طويل . فقال له الامير - نعم لا تتبدي إلا بهم واجبر الحق على مفروق راسي . فولى القساء بهذه الشروط ولما يعلم ان ليس احد يستحق هذا الامر وان لا يسعه إلا الغبول وكان ذلك في شهر رمضان سنة اربع وثلاثين ومائتين واقام قاصيا ستة اعوام ولم ياخذ على ذلك اجرا وكان سنة اربعا وسبعين سنة . وسخنون بفتح السين وبعضهم يقول فيه سخنون بضم السين قال صاحب تثقيف اللسان والصواب فتحها قال اخبرني الثقة عن ابي عمران رضي الله عنه يعني ابا عمران الفاسي موسى بن ابي هاج انه ما لفظ به قط إلا مفتوح السين وكان لا يلحن في كلامه قال وانكر ابو علي الجلولي رحمه الله الصم فيه حين سألته عنه وقال ما سمعت احدا من علمائنا ابن السمين وغيره يقوله إلا بالفتح قال ابو علي واري ان وزنه فقلون لا فُطُول والنون فيه زائدة قال صاحب تثقيف اللسان واذا كان كذلك كان كعبدون وحميدون قال غيره وسمي سخنون باسم طائر حديد لحدة ذهبه في المسائل وهو لقب واسمه عبد السلام بن سعيد قال قلت ان كان هذا الاسم عربيا مشتقا من السخنة فهو مصروف وان كان اصله اعجميا فتحكمه ان لا يصرف واخبار سخنون وفصائله مشهورة . وقال في كتاب الطبقات سخنون ابن سعيد بن حبيب بن عبد السلام بن عبد القدوس التنوخي من صليبة العرب واصله من الشام من حمص وكان ثقة حافظا للعلم فتيها اجتمعت فيه خصال ما اجتمعت في غيره الفقه البارع والورع الصادق والزهادة في الدنيا والعشش في اللباس والطعام والسجادة وذكر انه كان لا يقبل من

امنحنا صاحبي الذي كان فيه . كل يوم تحية وثناء
لما بالشاغور بالمسجد الله مجور واستمطرا له الانواء
ثم قولا له اعتبرنا الذي فيه . ما مادحا وكان سماء
وقبلنا فيه اعتذارك مما قاله الجاهلون عنك اقراء
وقال فتيان رايته بعد موته في النوم فقلت له ما فعل الله بك فقال
انشدته قصيدة ما في الجنة مثلها فتعلق بحفظي منها -

يا هذه اقصري عن العنذل فليست في الحل ويك من قبلي
يا رب ها قد اتيت معترفا بما قد جتته يداي من زلل
ملئان كف بكل مائمتة صفر يد من محاسن العمل
فكيف اخشى نارا مسعرة وانت يارب في القيامة لي
قال فوالله منذ فرغت من انشادها ما سمعت حسيس النار . ومن بعده -
يا ابن الذين ترفعوا في جحدم وعلت اخاصمهم فروع شمام
انا عنالم ملك بكسر السلام في ما ادعيه لا بفتح السلام

ومن املاء شيخنا ابي العباس احمد برناز ان الحسن بن زياد القيرواني
وهو اخو الشيخ علي بن زياد سمع من ابي حنيفة كما سمع منه اسد بن
الفرات ثم سمع من ابن القاسم صاحب الامام مالك وكتب مدونة واتى بها
القيروان ثم سمع بعده سحنون وكتب عليه مدونة فرجع فيها عن اشياء
كتبت في مدونة اسد بن الفران فلما اراد سحنون التوجه بها الى القيروان
كتب معه ابن القاسم كتابا الى اسد بن الفران يقول له فيه اصلح كتابك
من كتاب سحنون فاستمع اسد بن الفران من الاصلاح محتجا بانني اخذته
عنه مشافهة واذا اصلاحت صرت اخذا بواسطة ولا ارجع عما اخذته
مشافهة الى ما اخذته بواسطة . وقال الشيخ ابو علي البغدادي في كتابه
البارع حدثني حبيب بن نصر بن سهل واحمد بن ابي سليمان وعيسى بن
مسكين قالوا حدثنا سحنون عن عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زياد
عن ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمران رسول الله صلى الله عليه
وسلم

واسلوب الحق في تعليل القراءات العشر وشي من الشواذ مجلدان والتذكرة
السفرية اربعة اكراسة والعروض مختصرا محررا والحاكم في مذهب الشافعي
مجلدان ومختصرا في اصول الدين والمقامات هذا فيها حذو الحريري وديوان
شعر. قال في الواحي وكان ملك النخاعة طوبوما متناسب الاحوال والافعال
يحكم على اهل التمييز بحكم ملكه فيقبل ولا يستقل وكان يقول هل سيويه
الا من رعتي ولو ماش ابن جني لم يسعه الا حمل غاشيتي يضم يده على
المائة والمائتين ويمسي وهو منهما صفر اليدين مولع باستعمال الحلوات
السكرية واهدائها الى جيرانه وطلع عليه نور الدين محمود يوما خلعة سنية
فمضى بها الى منزله فرأى في طريقه حلقة مجموعة على تيس يخرج الخبايا
فلما وقف عليه للفرجة قال معلم التيس قد وقف في حلقتي رجل عظيم
التدريعات الذكر ملك في زي سوفة اعلم الناس واكرمهم واجملهم فارني اياه
فشق ذلك التيس الناس ومخرج حتى وضع يده على ملك النخاعة فلم يمالك
ان التي عليه تلك الحلقة فبلغ ذلك نور الدين فعاتبه وقال استغففا بنا
فقال هل مذري واضح لان في هذه المدينة ما يزيد على مائة الف تيس
فما منهم من عرفني الا هذا التيس فجازته على ذلك فصحك نور الدين
منه وكان اذا ذكر احد من النخاعة يقول كلب من الكلاب فقال له رجل
يوما حيث انت ملك الكلاب لست ملك النخاعة فاستغاط غضبا وقال اخرجوا
هي هذا الفضولي وصمت يده يوما سنورة فربطها بمنديل فقال فتيل بن
علي بن قتيان النحوي الاسدي -

صبت على قط ملك النخاعة وقلت اتيت بغير الصواب
صصت يدا خلقت للندا وبث العلم وصرب الرقاب
فاعرض عني وقال اتسد اليس القطاط اعادي الكلاب
فلغته فاستحي قتيان وانقطع منه فصكتب اليه ملك النخاعة جوابا عن
ابيات يحذر فيها -
يا خليلي فلتما النعماء وتسنمتا العلا والعلاء

مع الامن بالنقاط الطير الحب لانه يتوالى دفعة بعد دفعة واما ابن الخز
فانه كان خائفا يختلس الثقيل ويسرقه كما يفعل العصفور في ثغر الرطب
اليانع لانه يقدم جازعا خائفا من الناطور فلا يطمئن فيما يلتصقه الا ترى
الاخر كيف قال فلحسن -

اقبله على جسري ككسب الطائر الفرع
راى مالا فواقعه وخاف مواعيد الطمع

ومن شعر ابن رشيقي -

قد حكمت مني القبسا رب حكل شيء غير جودي
ابدا اقول لئن كسبت لست لا قبض يدي عديدا
حتى اذا التريت عسدت الى السلاحة من جديد
ان اللقاع بمثل حاسا لي لا يتم مع القسود
لا بد لي من رحلتك تدني من الامل البعيد

ومن -

محققة يعلو الحبلى متونها فتعصبه فيها نثير جومان
ولت من لحن راحة لمديرها فطافت له من مسجد بينان

واخذ ابن رشيقي الادب من ابي عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني
النحوي وغيره من اهل القيروان وكفى بابي عبد الله القيرواني سندا اذ
من تلامذته الحسن بن صالح بن عبد الله بن نزار بن ابي الحسن المعروف
بملك النخلة قرا مذهب الشافعي على احمد الاسنهي والاصول على ابي
عبد الله القيرواني واصول الفقه على ابي الفتح بن برهان والخلاف على اسعد
الميهني والنحو على ابي الحسن علي بن ابي زيد الفصيصي حتى برع فيه
ودرس النحو في الجامع ببغداد ثم سافر الى خراسان وكرمان وغزنة وعاد
الى الشام واستوطن دمشق الى ان مات سنة ثمان وستين وخمسائة
ودفن بباب الصغير وقد ناهز الثمانين وكان صحيح الاعتقاد كريما ومنصف
العمد في النحو والمنقخب في النحو وهو كتاب جيد والمقصد في التصريف
واسلوب

وقائلة ما ذا المشحوب وذا الصنا فقلت لها قول المشوق المتيسم
هواك اتاني وهو ضيف اعزّه فاطعمته لحمي واسقيته دمي
ومنهم -

ذمت لعينك اعين الغزلان قمر اقر لحسنه القميران
ومشت فلا والله ما حقف النقا مما اوتك ولا قضيب البنان
وثن الملاحه غير ان ديانتي تاني علي عبادة الاوثان
ومنها في المديح -

يا ابن الاعزّه من اكابر حمير وسلالة الاملاك من قحطان
من كل ابلج امر بلسانه يضع للسيوف مواضع التيهان
ومنهم -

في الناس من لا يرتجى نفعه إلا اذا من باضبرار
كالعود لا يطعم في طيبه إلا اذا احرق بالنهار
ومنهم -

اقول كالماصور في ليله القت على الافاق ككاليها
يا ليله الهجر التي ليلها قطع سيف الهجر اوصلها
ما احسنت حملا ولا اجملت هذا وليس الحسن إلا لها
ومنهم -

ومن حسنات الدهر عندي ليله من العمر لم تترك لايامها ذنبا
خلونا بها نفى القذا عن عيوننا بلولة مملوءة ذهباً سكبا
وملنا لتقبيل الثغور ولشمها كمثل جنوح الطير يلتقط الحبا
قال الاسوردي وما هذا باحسن من قول ابن المعتز -

كم من عناق لنا ومن قبيل مختلصات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة من النواير يانع الرطب

قال في الوافي قلت مقام ابن المعتز غير مقام ابن رشيق لان ابن رشيق ذكر
انه في ليله امن وهي عنده من حسنات الدهر فلهذا حسن تشبيه التقيل

ولم يزل بها الى ان هجم العرب عليها وقتلوا اهلها وخرّبوها فانتقل الى صقلية
واقام بمارزا الى ان مات وهي قرية بجزيرة صقلية منها المازري رحمه الله
واختلف في تاريخ وفاته قال ابن خلكان رايت بخط بعض الفضلاء انه
توفي سنة ست وخمسين واربع مائة قال ولاول ماصح قال وقيل انه توفي
ليلة السبت غرة ذي القعدة سنة ست وخمسين . ومن شعرة -

يا رب لا اقوى على دفع لاذي . وبك استعنت على الضعيف الموزي
مالي بعثت الي الف بعوضة . وبعثت واحدة الى نمـرود

وكان بينه وبين عبد الله بن ابي سعيد بن احمد المعروف بابن شرف
القيرواني مناقشات ومهاجات وصفت عدة رسائل في الرد عليه منها رسالة
سماها ساجور الكلب ورسالة نصح الطلب ورسالة قطع لانساف ورسالة
نقص الرسالة الشعوذية والقصيدة الدعية والرسالة المنقوصة ورسالة رفع
لاعكال ودفع المحال وله كتاب انموذج الشعراء شعراء القيروان ورسالة
قرائنة للذهب والعمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وهيبه وهو كتاب
جيد وغير ذلك . قال صاحب الرواي في الجزء الثالث والعشرين منه ما
نصه : وقد وقفت على هذه المصنفات والرسائل المذكورة جميعها فوجدتها
تدل على تبحره في اللانب والاطلاع على كلام الناس ونقله لمواد هذا الفن
وتبحره في النقد وله كتاب في شذوذ اللغة يذكر فيه كل كلمة جاءت
شاذة في بابها . ومن شعرة -

احب اخي وان اعرضت عنه . وقل الى مسامحة كلامي

ولي في وجهه تقطيب راض . كما قطبت في وجه الدام

ورب تقطب من غير بغض . وبغض كامن تحت ابتسام

ومنـه -

اذا ما هفت لعهد الصبـا . ابت ذلك الخمس والاربـعونـا

وما ثقلت كبرا وطـباقـي . ولكن اجر وراهـي السنينـا

ومنـه -

وقالـتـه

وسلم قال - لياتين إنلس من امتي من افريقية يوم القيامة وجههم اشد نورا من نور القمر ليلة البدر - وقوله سخنون قال في تكملة معالم الايمان راوده الامير ابو العباس احمد بن لاغلب حولا كاملا على ان يوليئه القساء فابى فعزم عليه بالايمان التي لا يخرج منها فلما رأى ذلك سخنون اشترط على الامير شروطا كثيرة فاعطاه كل ما سال واطلق يده في كل ما اشترطه حتى قال له - اني ابدا باهلك وقرابتك واعوانك فان قبلكم ظلمات للناس منذ زمان طويل . فقال له الامير - نعم لا تبدي إلا بهم واجر الحق على مفروق راسي . فولى القساء بهذه الشروط ولما يعلم ان ليس احد يستحق هذا الامر وانه لا يسعه إلا القبول وكان ذلك في شهر رمضان سنة اربع وثلاثين ومائتين واقام قاصيا ستة اعوام ولم ياخذ على ذلك اجرا وكان سنة اربعا وسبعين سنة . وسخنون بفتح السين وبعضهم يقول فيه سخنون بضم السين قال صاحب تثقيف اللسان والصواب فتحها قال اخبرني الثقة عن ابي عمران رضي الله عنه يعني ابا عمران الفاسي موسى بن ابي حاج انه ما لفظ به قط إلا مفتوح السين وكان لا يلحن في كلامه قال وانكر ابو علي الجلولي رحمه الله الصم فيه حين سألته عنه وقال ما سمعت احدا من علمائنا ابن السمين وغيره يقوله إلا بالفتح قال ابو علي وارى ان وزنه فعلون لا فُعلول والنون فيه زائدة قال صاحب تثقيف اللسان واذا كان كذلك كان كعبدون وحمدون قال غيره وسمي سخنون باسم طائر حديد لحدة ذنبه في المسائل وهو لقب واسمه عبد السلام بن سعيد قال قلت ان كان هذا لاسم عربيا مشتقا من السخنة فهو مصروف وان كان اصله اعجيبا فحكمه ان لا ينصرف واخبار سخنون وفضائله مشهورة . وقال في كتاب الطبقات سخنون ابن سعيد بن حبيب بن عبد السلام بن عبد القدوس التنوخي من صليبة العرب واصله من الشام من حمص وكان ثقة حافظا للعلم فتيها اجتمعت فيه خصال ما اجتمعت في غيره الفقه البارع والورع الصادق والزهادة في الدنيا والعفش في اللباس والطعام والسجاجة وذكر انه كان لا يقبل من

امنحنا صالحى الذي كان فيه . كل يوم تحية وثناء
لما بالشاغور بالمسجد الله مجور واستمطرا له الانواء
ثم قولا له اعتبرنا الذي فيه . ما به مادحا وكان سماء
وقبلنا فيه اعتذارك معنا . قاله الجاهلون عنك افتراء
وقال فتيان رايته بعد موته في النوم فقلت له ما فعل الله بك فقال
انشدته قصيدة ما في الجنة مثلها فتعلق بحفظي منها -

يا هذه اقصري عن العنذل . فلست في الحلو يك من قبلي
يا رب ها قد اتيت معترفا . بما قد جتته يداي من زلل
ملئان كف بكل مائسة . صفر يد من محاسن العمل
فكيف اخشى نارا مسعرة . وانت يارب في القيامة لي
قال فوالله منذ فرغت من انشادها ما سمعت حسيس النار . ومن شعرة -
يا ابن الذين ترفعوا في مجدهم . ولت اخاصهم فروع شمام
انا عنالم ملك بكسر اللام في . ما ادعيه لا بفتح السلام
ومن املاء شيخنا ابي العباس احمد برناز ان الحسن بن زياد القيرواني
وهو اخو الشيخ علي بن زياد سمع من ابي حنيفة كما سمع منه اسد بن
الفرات ثم سمع من ابن القاسم صاحب لامام مالك وكتب مدونة واتى بها
القيروان ثم سمع بعدة سحنون وكتب عليه مدونة فرجع فيها من اشياء
كتبت في مدونة اسد بن الفرار فلما اراد سحنون التوجه بها الى القيروان
كتب معه ابن القاسم كتابا الى اسد بن الفرار يقول له فيه اصلح كتابك
من كتاب سحنون فامتنع اسد بن الفرار من لاصلاح محتجا بانني اخذت
عنه مشافهة واذا اصاححت صرت اخذا بواسطة ولا ارجع عما اخذته
مشافهة الى ما اخذته بواسطة . وقال الشيخ ابو علي البغدادي في كتابه
البارع حدثني حبيب بن نصر بن سهل واحمد بن ابي سليمان وعيسى بن
مسكين قالوا حدثنا سحنون عن عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زياد
عن ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمران رسول الله صلى الله عليه
وسلم

واسلوب الحق في تحليل القراءات العشر وشي من الشواذ مجلدان والتذكرة
السفرية اربعائة كراسته والعروض مختصرا محررا والمحاكم في مذهب الشافعي
مجلدان ومختصرا في اصول الدين والمقامات هذا فيها حذو الحريري وديوان
شعر. قال في الواحي وكان ملك النجاة مطبوعا متناسب الاحوال والانفعال
يحكم على اهل التمييز بحكم ملكه فيقبل ولا يستقبل وكان يقول هل سيويه
إلا من رعبتي ولو عاش ابن جني لم يسهه إلا حمل غاشيتي يضم يده على
المائة والمائتين ويمسي وهو منهما صغر اليدين مولع باستعمال الحلالات
السكرية واهدائها الى جيرانه وخلع عليه نور الدين محمدا يوما خلعة سنينة
فمضى بها الى منزله فرأى في طريقه حلقة مجموعة على تيس يخرج الخبايا
فلما وقف عليه للفرجة قال معلم التيس قد وقف في حلقتي رجل عظيم
القدر شائع الذكر ملك في زبي سوقه اعلم الناس واكرمهم واجملهم فارني اياه
فشق ذلك التيس الناس وخرج حتى وضع يده على ملك النجاة فلم يمالك
ان التي عليه تلك الخلعة فبلغ ذلك نور الدين فعاتبه وقال استخفافا بنا
فقال بل مذري واضح لان في هذه المدينة ما يزيد على مائة الف تيس
فما منهم من عرفني إلا هذا التيس فجازيته على ذلك فصحك نور الدين
منه وكان اذا ذكر احد من النجاة يقول كلب من الكلاب فقال له رجل
يوما حيث انت ملك الكلاب لست ملك النجاة فاستشاط غضبا وقال اخرجوا
هني هذا الفضولي وضعت يده يوما سنورة فربطها بمنديل فقال فتيلان بن
علي بن فتيان النحوي الاسدي -

تبت على قط ملك النجاة وقلت اتيت بغير الصواب
صصت يدا خلقت للندا وبث العلم وضرب الرقاب
فاعرض عني وقال اتسد اليس القطار اعادي الكلاب
فلنته فاستحي فتيان وانقطع منه فصكتب اليه ملك النجاة جوابا عن
ابيات يعذر فيها -

يا خليلي فلنبا النعماء وتسنمتا العلا والعلاء

مع الامن بالتقاط الطير الحب لانه يتوالى دفعة بعد دفعة واما ابن المخز
فانه كان خائفا يختلس التثليل ويسرقه كما يفعل العصفور في نقر الرطب
اليانع لانه يقدم جازعا خائفا من الناطور فلا يطمن فيما يلتمسه الا ترى
الاخر كيف قال فاحسن -

اقبله على جسري هكشرب الطائر الفرع
راى مالا فواقعه وخاف عواقب الطمع

ومن شعر ابن رشيقي -

قد حكمت مني القبعا رب كحل شيء غير جودي
ابدا اقول لئن كسبنا من لا قبض يدي عديدا
حتى اذا اثربت مددنا الى السباحة من جديد
ان للقام بمنزل حانا لي لا يتم مع القعود
لا بد لي من رحلتنا تدني من الامل البعيد

ومنه -

معتقة يعلو الجبل متونها فتعصبه فيها نثير جمان
ولت من لجن راحة لديرها فطافت له من مسجد بينان

واخذ ابن رشيقي الادب من ابي عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني
النحوي وغيره من اهل القيروان وكفى بابي عبد الله القيرواني سندا اذ
من تلامذته الحسن بن صالح بن عبد الله بن نزار بن ابي الحسن المعروف
بملك النخاعة قرا مذهب الشافعي على احمد الاسنهي والاصول على ابي
عبد الله القيرواني واصول الفقه على ابي الفتح بن برهان والخلاف على اسعد
الميهني والنحو على ابي الحسن علي بن ابي زيد النصيبني حتى برع فيه
ودرس النحو في الجامع ببغداد ثم سافر الى خراسان وكرمان وغزنة وعاد
الى الشام واستوطن دمشق الى ان مات سنة ثمان وميتين وخمسمائة
ودفن بباب الصغير وقد ناهز الثمانين وكان صحيح الاحقاد كريما ومنصف
العمد في النحو والمنتخب في النحو وهو كتاب جيد والمقصد في التصريف
واسلوب

وقائلة ما ذا الشحوب وذا الضنا فقلت لها قول المشوق المتيسم
هواك اتاني وهو ضيف اعززه فاطعمته لحمي واسقيته دمي
ومنسه -

ذمت لعينك اعين الغزلان قمر اقر لحسنه القمران
ومشت فلا والله ما حقف النقا مما ارتك ولا قضيب البان
وثن الملاحه غير ان دياصتي تاني علي عبادة الاوثان
ومنها في المديح -

يا ابن الاعز من اكابر حمير وسلالة الاملاك من قحطان
من كل ابلج امر بلسانه يضع للمسيوف مواضع التيجان
ومنسه -

في الناس من لا يرتجى نفعه إلا اذا مس باضـرار
كالعود لا يطمع في طيبـسه إلا اذا احرق بالنـهار
ومنسه -

اقول كالماسور في ليلـته القت على الافاق ككـالها
يا ليلـة الهجر التي ليلـها قطع سيف الهجر اوصالـها
ما احسنت هملا ولا اجملت هذا وليس الحسن إلا لـها
ومنسه -

ومن حسنات الدهر عندي ليلـة من العمر لم تترك لايامها ذنبا
خلونا بها ننفي القذا عن عيوننا بلولة مملوءة ذهباً سكبـها
وملنا لتقبيل الثغور ولشمـها كمثل جنوح الطير يلتقط الحبا
فقال لا سوردي وما هذا باحسن من قول ابن المعتز -

كم من عناق لنا ومن قبل مختلسات حذار مرتقب
فقر العصافير وهي خافسة من النواطير يانع الرطب

قال في الوافي قلت مقام ابن المعتز غير مقام ابن رشيق لان ابن رشيق ذكر
انه في ليلة امن وهي عنده من حسنات الدهر فلهذا حسن تشبيه التقبيل

ولم يزل بها الى ان هجم العرب عليها وقتلوا اهلها وخرّبوها فانقلت الى صقلية
واقام بها زرا الى ان مات وهي قرية بجزيرة صقلية منها المازري رحمه الله
واختلف في تاريخ وفاته قال ابن خلكان رايت بخط بعض الصلاء انه
توفي سنة ست وخمسين واربعمائة قال ولاولما صح قال وقيل انه توفي
ليلة السبت غرة ذي القعدة سنة ست وخمسين . ومن شعرة -

يا رب لا اقوى على دفع لاذي . وبك استعنت على الضعيف الموزي
مالي بعثت الي الف بعوضة . وبعثت واحدة الى نمرود

وكان بينه وبين عبد الله بن ابي سعيد بن احمد المعروف بابن شرف
القيرواني مناقشات ومهاجات وصتفت عدة رسائل في الرد عليه منها رسالة
سامها ساجور الكلب ورسالة نصح الطلب ورسالة قطع لانفاس ورسالة
نقص الرسالة الشعوزية والقصيدة الدعية والرسالة المنقوصة ورسالة رفع
لاشغال ودفع المحال وله كتاب انموذج الشعراء شعراء القيروان ورسالة
قرينة الذهب والعمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وهيوبه وهو كتاب
جيد وغير ذلك . قال صاحب الرواي في الجزء الثالث والعشرين منه ما
نفسه : وقد وقفت على هذه المصنفات والرسائل المذكورة جميعها فوجدتها
تدل على تجهرة في اللآلئ والخللاء على كلام الناس وينقله لمواد هذا الفن
وتبحره في النقد وله كتاب في شذوذ اللغة يذكر فيه كل كلمة جاءت
شاذة في بابها . ومن شعرة -

احب اخي وان اعرضت عنه . وقل على مسامحة كلامي

ولي في وجهه تقطيب راض . كما قطبت في وجه الدام

ورب تقطب من غير بغض . وبغض كامن تحت ابتسام

ومنسه -

اذا ما خفت لهد الصبا . ابت ذلك الخمس والاربعونا

وما ثقلت كبرا وطباق . ولكن اجر وراعي السنينسا

ومنسه -

وقالته

غريبة في ثلاثة اجزاء وكتاب المصون في سر الهوى المكنون في مجلد واحد فيه ملح واداب ذكره ابن رشيقي في كتابه لانموذج وحكى شيئا من اخباره واحواله وانفذ جملة من اشعاره وقال كان شبان القيروان يجتمعون عنده ويأخذون منه ورأس مندم وشرف لديهم وسارت تأليفه وانثالت عليه الصلات من كل الجهات واورد من شعرة -

اني احبك حبا ليس يبلغه فهمي ولا يتهمي وصلي الى منته
اقصى نهاية علي فيه معرفتي بالعجز مني من ادراك معرضه
واورد له ابو الحسن علي بن بسام صاحب كتاب الذخيرة في محاسن
اهل الجزيرة بيتين في ضمن حكاية وهما -

اورد قلبي الردا لام منار بدا

اسود كالسكر في ابيض مثل الهدا

وهو ابن خالة علي المحصري الشاعر توفي ابو اسحاق المذكور بالقيروان سنة ثلاث عشرة واربعمائة وقال ابن بسام في الذخيرة بلغني انه توفي سنة ثلاث وخمسين واربعمائة ولاول اصح . وذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتاب الجنان في الجزء الاول من ترجمة ابي الحسن علي بن عبد العزيز المعروف بالفكيك ان المحصري المذكور الف كتاب زهر الاداب في سنة خمسين واربعمائة وهذا يدل على صحة ما قاله ابن بسام والله اعلم . والمحصري بضم الحاء المهملة وسكون الصاد المهملة وبعدها الراء المهملة نسبة الى عيل الحصر او بيعها . ومن بلغاه القيروان ومن ابناها الحسن بن رشيقي احد البلغاء لافاضل الشعراء ولد بالمسيلة وتادب بها قليلا ثم ارتحل الى القيروان سنة ست واربعمائة هكذا قال ابن بسام وقال غيره ولد بالمهدية سنة تسعين وثلاثمائة وابوه مملوك رومي من موالي لازد وتوفي سنة ثلاث وستين واربعمائة وكانت صنعة ابيه في بلدة المجدية الصياغة فعلمه ابوه صنعة وقرا لادب بالمجدية وقال الشعر وتلقث نفسه الى التزيد منه وملاقة اهل الادب فرحل الى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها

وافخر فانك ذو حسام قاطع واشدد يدك على الحسام لا قطع
 خرق العوائد ممكن لا سيما من ذي وشاح بالبروق اللع
 عالي المقام فكن بجهدك مخلصا في حق اصحاب المقام الارفع
 قيم فرائضهم ومنذوباتهم من غير منهل واجب لم تكرع
 وصلوا على الاخلاص محبوبا غدا منهم بمرعى لا يغيب ومسمع
 قطعوا الظلام تاملا وتمللا فظلامهم بسواهما لم يقطع
 وقلوبهم سكرى بما قد فكروا ويعونهم تبدي عيون الادمع
 وتسارعوا نحو المراد وخلفوا حظ النفوس بقعر بئر بلقع
 فازوا وقد صرنا على اثارهم مثلي ومثلك هزلا لم نسرع
 وردوا جفان مواهب مختومة حنت على العاني حنو الموضع
 طمائي واكواب الوصال منيعة من فيهم وحرمت رى المفرع
 لو كنت مثلهم لثلت منالهم ولكل وافي العهد حسن الموضع
 ولطالما املت البس مثلهم لكن نزع خلاف ذاك المنزع
 اتقيس نفسك يا جبان بمقدم وافي المواعد لا بقول المسدعي
 شرط القياس على التساوي واقف اتقيس نفسك عاصيا بالطبيع
 ومن المحال مع التفاوت ان يرى وفق بفعلي معرض مع طيسع
 ام كيف يجتمع القياس بياسل ماضي الجنان مع الجبان بموضع
 لا يشبهون وان نفسك غرة في مطمح تسعى اليه ومطمع
 فاعز على الرجعى لربك انهم سبقوك ايام البطالة فارجع
 قسم يخص بها السريع الى التقى واذا صدقت بمحبهم فلتسرع
 خالفهم فمنعت مما خصصوا لو كنت من اصحابهم لم تمنع
 ان لم تعان في البطالة ملاحنا كنه فلان الحزم غير مضيع
 واذا اردت من السلامة صرفها فاصلح بقلبك قبل عينك واسمع
 ومن ادبائها وبلغائها ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن تميم المصري المعروف
 القيرواني الشاعر المشهور له ديوان شعر وكتاب زهر الاداب جمع فيه كل
 غريبة

وصلوا اليه قال ما جاء بكم فقالوا له قحطنا وجئناك لتدعو الله لنا ليستقينا
فقال انما مثلكم كمثل قوم ابصروا جميع فظنوا ان فيه عسلا ولكن انزلوا
عندي فانكم اضياف فاضافهم ثلاثة ايام فلما عزموا على الانصراف وجاءوا
لوداعه ليرجعوا الى بلادهم قال لهم اياكم ان ترجعوا من طريقكم الاول الذي
اتيتم منه وارجعوا من طريق آخر لتسكنوا في الغيران والكهوف من الامطار
فلما انصرفوا ارسل الله عليهم السحاب بالامطار ودامت عليهم الامطار فلم يصلوا
لبلادهم الا بعد ستة اشهر . ثم ذكر التاذلي امر ذلك قطعة مصالحة لقلوب
امثالي فتطقلت على تشطيرها بعد ما ذكرتها مجردة وهي —

للارلاء مناقب مشهورة فاشهد بها حق الشهادة واقطع
ورد الكتاب بها وسنة احمد فاشدد يدك على الحسام لا قطع
خرق العوائد ممكن لا سيما في حق اصحاب المقام لا رفع
قوم فرائضهم ومندوباتهم منهم بمرعى لا يغيب ومسمع
قطعوا الظلام تاملا وتمطلا وحيونهم تبدي عيون الادمع
وتسارعوا نحو المراد وخلفوا مثلي ومثلك منزلا لم يسرع
وردوا جفان مواهب مختومة من فيهم وحرمت ري المشرع
لو كنت مثلهم لثلث منالهم لكن نزعنا خلاف ذلك المنزع
اتقيس نفسك يا جبان بمقدم اتقيس نفسك غاصيا بالطبع
ومن المحال مع التفاوت ان يرى ماضي الجبان مع الجبان بموضع
لا يشبهون وان نفسك غرة سبوك ايلم البطالة فارجع
قسم يخص بها السريع الى الذي لو كنت من اصحابهم لم تمنع
ان لم تعان في البطالة فالحا فاصلح بقلبك قبل عينك واسمع
وهذا تشطيرها الموعود به وهو —

للارلاء مناقب مشهورة سارت كنفاس الشذا المتصوع
لا تعد عنها معروضا بالخل بل فاشهد بها حق الشهادة واقطع
ورد الكتاب بها وسنة احمد ولذاك مرتعها خصيب المربع

ويقوم بعضهم إلى بعض ويخرجون من حد لاهتدال من الجدال إلى القتال فقال قاتل منا لو ذهبنا إلى الشيخ أبي عمران رضي الله عنه لشفانا من هذه المسألة قال فقمنا إليه جماعة أهل السوق فأتينا باب داره فاستأذنا منه فاذن لنا فدخلنا عليه فقال ما لكم فقلنا اصلح الله الشيخ انت تعلم ان العامة اذا حدث بهم حادث انما يفرعون إلى علمائهم وهذه المسألة قد جري فيها ما بلغك وما لنا في لاسواق شغل إلا الكلام فيها حتى يقوم بعضنا على بعض فقال لنا الشيخ ان انتم انصتم واحببتم لاستماع اجبتكم بما عندي فقلنا له ما نحب إلا جوابا بينا على مقدار فهمنا فقال لنا وبالله التوفيق فاطرق ثم قال لا يكلمني إلا واحد ويسمع الباقرن فقلنا نعم فقال لمخاطبه رايته لو لقيت رجلا فقلت له اتعرف الشيخ ابا عمران الفاسي فقال نعم فقلت صفه لي فقال هو رجل يبيع الخطبة والبقول في سوق ابن هشام ويسكن البصرة اكان يعرفني قال لا قال له ثم لقيت اخر فسأله فني فقال امره فقلت صفه فقال هو رجل يدرس العلم ويفتي الناس ويسكن بقرب السباط اكان يعرفني قل نعم قال الشيخ لأول الكافر اذا قال ان لعبودي صاحبة وولدا وانهم جسم وقصد بعبادته تن بهذه الصفة فلم يعرف الله ولا وصفه بصفة بخلاف المؤمن يقول ان لعبودي الله لاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقد عرف الله ووصفه بصفاته وقصده بعبادة من يستحق الربوبية سبحانه وتعالى مما يقول الظالمون علوا كبيرا فرضي الجماعة وقالوا لقد شفيت ما في صدورنا ولم تجر هذه المسألة بالقيروان بعد هذا المجلس . وقال التاذلي ومنهم واجاج بن زلو اللطفي من أهل السوس لاقى رجل من القيروان واخذ عن أبي عمران الفاسي ثم عاد إلى السوس فبنى دارا وسماها دار الترابطين لطلبة العلم وقراءة القرآن وكان المصامدة يزورونه ويتركون بدعائهم واذا اصابهم قحط استسقوا به قال التاذلي فسمعت الشيخ ابا موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي يقول اصحاب الناس جذب بنفيس فذهبوا إلى واجاج بن زلو وهو بالسوس لاقى فلما وصلوا

أتراني مستبدلاً بك ما صف مت خليلاً أو واجداً منك بدا
حاش لله أنت اتحن الحافظ ما واحلى شكلاً وارشق قددا

قال الشيخ الصالح أبو الحجاج يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن
التاذلي في مكتبته الموسوم بالمشوف إلى رجال أهل التصوف ومن رجال
القيروان الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعدون بن علي بن بلال القروي أصله
من القيروان وأبى بمكة أبا بكر الطوسي فحمل عنه تواليغه في التصوف
وغيرها واستقر باغيات وبها مات سنة أربع وثمانين وأربعمائة وأهل
اغامت إلى أن يستشفون بتراب قبره وكان من أهل الفضل والعلم قال
حدثني علي بن عيسى عن شيوخه أن فقيهاً من فقهاء اغامت وقف عند
قبر ابن سعدون فسمعه بعض الصالحين يتكلم معه فقال له ذلك الصالح
سمعتك تتكلم عند قبر ابن سعدون فقال له ذلك الفقيه أنت رجل صالح
ولولا ذلك لما حدثتك فأكتم علي فقد اشكلت علي مسألة فبحثت منها فلم
أجد ما فاتيت قبر ابن سعدون فذكرت له المسألة فقال لي من قبره أطلبها
في الديوان الفلاني . وقال التاذلي ومنهم أبو عمران موسى بن عيسى بن
أبي صالح الفاسي أصله من مدينة فاس ونزل القيروان فآخذ عن أبي
الحسن القاسمي ثم رحل إلى بغداد فحضر مجلس القاضي أبي بكر بن
الحطيب ثم عاد إلى القيروان وبها مات في تمام عشر خلت من شهر رمضان
سنة ثلاثين وأربعمائة وكان مقدماً في الأمانة والفضل نقل أبو عبد الله محمد
ابن عثمان الميوزقي عن القاسم بن عبد الجليل بن أبي الرياحي قال جرت
عندنا مسألة بالقيروان في الكفار هل يعلمون الله أم لا فوقع فيها اختلاف
كثير وتنازع بين العلماء وبين العامة وكان أكثر ما يلج فيها رجل من
البوذنين يركب حمارة ثم يذهب من واحد إلى آخر لا يترك متكلماً ولا
فقيهاً إلا يناظره في هذه المسألة فذكرت هذه المسألة لرجل من التجار من
العامة ركبت معه البحر فقال لي على الخير بها سقطت هذه المسألة كما
أخبر الشيخ أبو القاسم عبد الجليل حتى تبارى الناس عندنا في الأسواق

وانشدني لابي جبير بمثل السند —

أيها المستطيل بالبغي أقصر ربما طامأ الزمان رهوا

وتذكر قول لالا تفعلى ان قارون كان من قوم موسى

قال وانشدني له ايضا بمثله وقد اطله ميد لا صبحى بطندة قرية من قرى مصر —

شهدنا صلاة العيد في ارض غربت باحواز مصر ولا حبة قد بانوا

فقلت لخلي في النوى جد بدمة فليس لنا إلا الدامع قربان

قال وانشدني ايضا قال انشدني بعض اصحاب ابي عمرو عثمان بن

حسين وهو ابن حبة المعروف بابن الجميل عنه قال ولا ادري هل هو له

او تمثل به —

الا ان هذا الدهر يوم وليست يكران من سبت طيك الى سبت

فقل لجديد العيش لا بد من بلا وقل لاجتماع الشمل لا بد من غت

قال وانشدني حفظه الله تعالى عند المودعة —

ان نعش نجتمع ولأ فاما انك غل من مات من جميع لانام

قال في المحادي والعشرين من الواقي بالوفيات ما نصه : ومن ابتاه القيروان

المحسن بن احمد بن علي بن الحسن بن ابي هلال التميمي ابو هلال غلبت

عليه كنيته قال ابن رثيق في لافموزج اوطن سوسة وهو شاعر معروف حسن

الطريقة متصنع متصرف بين التصنيع والاسترسال احيانا صاحب مكاتبات

ومضمرات ومعنى وطيريات وملح ومفاكهات وبديعه قليل وله —

لا والمطاطك التي ترصني فرضا للسهم ما دمت حيا

والذي اجنيه من ورد خدي بك ليال الرضال نعا طريا

وتشنيك ذا الذي ادخل العقد لى وابقى بين الجوانح كيا

ما تحاكيك ايام وجرة في المحسن ولا في سناء المعيسا

والبيت الرابع اهنه —

ما تحاكى ايام وجرة ذا المحسن ولا البدر ذا السناء المعيسا

فيخلص من الزخلف والاحسن وعلى كل حال فهو مأخوذ من قول البخاري —

اتراني

تان في الامر لا تكن عجلا فمن تاني اصلب اوكلدا
وكن بحبل الله محصيا تلتن به بقي كل سن كادا
فكم رجاء فنال بفتنه عبيد مسي بنفسه كادا
ومن تطل صحبة الزمان له يلقى خطوبا به وانكادا
وبنحوه له هذا الله عنه —

من العقل من لحظة في هوى فان البصيرة طوع البصر
وغض الجفون على مفة فان زناء العيون النظر
وبنحوه له ايضا عفا الله عنه —

من الله فاسال كل امر تريده فما يملك لانسان نفعا ولا ضرا
ولا تتواضع للولاة فانههم من الكبر في حال تموج بهم سكرا
واياك ان ترضى بتقبيل راحة فقد قيل فيها انها السجدة الصغرا
قال وقوله ولا تتواضع للولاة البيت ينظر الى قول لاول —

قل النصر والمرء في دولة السلطان اعصى ما دام يدعى اميرا
واذا زالت الولاية عنه واستوى والرجال عاد بصيرا
ولي نحو منه قول منصور الفقيه —

اذا عزل المرء واليتيم وعند الولاية استكبر

لان الولاة لهم نسيبة ونفسي على الذل لا تقصير

ونسبيهم من التواضع للولاة حكم شرعي . قال صلى الله عليه وسلم . من
تواضع لغني ذهب ثلثا دينه . وان هذا الحديث مبني على الحديث الاخر
وهو قوله صلى الله عليه وسلم . ثلاث من كن فيه وجد حلاوة لايمان ان
يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله
وان يكره ان يعود في الكفر بعد ما انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في
النار . فصار من تواضع لغني لاجل غناه قد سقطت عند المحصلتان لاوليان اذ
صار الغناء احب الاشياء اليه واحب المرء لغير الله واذا سقطت المحصلتان
من الثلاث فلقد ذهب الثلثان فهذا وجه تخصيصهما والله اعلم . قال

الفيقہ المحدث أبو المكارم وأبو بكر محمد بن أبي أحمد يوسف بن موسى
هو ابن مرزدي بالزاي والسين الهلبي وكتب لي بخطه قال أنشدني
القاضي أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري هو ابن
قطرال بغير شاطبة وكتب لي بخطه قال أنشدنا أبو الجعاج يوسف بن
محمد هو ابن الشيخ البلوي قال وكتب لي بخطه قال ابن مسدي وقد
قرأت على أبي عبد الله محمد بن أحمد التميمي قال أنشدنا أبو محمد عبد الله
ابن فضل القاضي بغير لاسكندرية وكتب لنا بخط يده قال أنشدنا أبو عبد
الله محمد بن صدقة بن سليمان وكتب لي بخطه قال أنشدنا محمد بن
شاذان بن إبراهيم بن قاسم الطليطلي وكتب لي بخطه قال أنشدنا محمد
ابن شداد بن الحداد وكتب لي بخطه قال أنشدنا أبو عبد الله محمد بن
إبراهيم بن موسى بن بطيبرة لنفسه وكتب لي بخطه -

رايت لانقباض اجل شئى وادعى في الامور الى السلامة

فهذا الخلق سالمهم ودعهم فخطبتهم تقود الى الندامة

ولا تعنى بشئ غير شئى يقود الى خلاصك في القيامة

وقال أنشدني أيضا قال أنشدني أبو عمرو بن شعرون أبي الحسن
المقدسي عن الامام أبي الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي عن الخطيب
أبي زكرياء يحيى بن علي التبريزي عن أبي الحسن علي بن محمد الفلي
نفسه وهو بالفاء تحت القاف واللام المشددة . قال كذا وجدته بخط ابن
بقر ومنه نقلت السند والشعر -

تصدر للتدوين كل مهوس بليد تسمى بالفيقہ المدرس

فحق لاهل العلم ان يتمثلوا بشعر قديم شاع في كل مجلس

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

وقال أنشدني أيضا قال أنشدني أبو عمرو بن شعرون أنشدني الفيقيه
الزاهد المنقطع الى الله سبحانه أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني
بالاسكندرية لنفسه -

تان في

تان في الامر لا تكن عجلا فمن تانى اصلب اوكلدا
وكن بحبل الله متصلا تلتن به بقي كل من كادا
فكم رجاء فنال بغيته عبيد مسي بنفسه كادا
ومن تطل صحبة الزمان له يلقى خطوبا به وانكادا
وبنحوه له هذا الله عنه —

من العقل من لحظة في هوى فان البصيرة طوع البصر
وغض الجفون على غفلة فان زناء العيون النظر
وبنحوه له ايضا عفا الله عنه —

من الله فاسال كل امر تريده فما يملك لانسان نفعا ولا ضررا
ولا تتواضع للولاة فانهم من الكبر في حال تموج بهم سكر
واياك ان ترضى بتقبيل راحة فقد قيل فيها انها السجدة الصغرى
قال وقوله ولا تتواضع للولاة اليث ينظر الى قول لاول —

قبل النصر والمرء في دولة السلطان اعصى ما دام يدعى اميرا
واذا زالت الولاية عنه واستوى والرجال عاد بصيرا
وفي نحوه قول منصور الفقيه —

اذا عزل المرء واليتيم وعند الولاية استكبر
لان الولاة لهم نسيبة ونفسي على الذل لا تصبر

ونسيبهم من التواضع للولاة حكم شرعي . قال صلى الله عليه وسلم . من
تواضع لغني ذهب ثلثا دينه . وان هذا الحديث مبني على الحديث الاخر
وهو قوله صلى الله عليه وسلم . ثلاث من كن فيه وجد حلاوة لايمان ان
يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه إلا لله
وان يكره ان يعود في الكفر بعد ما انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في
النار . فصار من تواضع لغني لاجل غناه قد سقطت عنه الخصلتان الاوليان اذ
صار الغناه احب الاشياء اليه واحب المرء لغير الله واذا سقطت الخصلتان
من الثلاث فقد ذهب الثلثان فهذا وجه تخصيصهما والله اعلم . قال

الفيق المحدث أبو الكارم وأبو بكر محمد بن أبي أحمد يوسف بن موسى هو ابن مرزبان بالري والسنن الهلبي وكتب لي بخطه قال أنشدني القاضي أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الأنصاري هو ابن قطرال بنشر شاطبة وكتب لي بخطه قال أنشدنا أبو العجاج يوسف بن محمد هو ابن الشيخ البلوي قال وكتب لي بخطه قال ابن مسدي وقد قرأت على أبي عبد الله محمد بن أحمد التميمي قال أنشدنا أبو محمد عبد الله ابن فضل القاضي بنشر لاسكندرية وكتب لنا بخط يده قال أنشدنا أبو عبد الله محمد بن صدقة بن سليمان وكتب لي بخطه قال أنشدنا محمد بن شداد بن إبراهيم بن قاسم الطليطي وكتب لي بخطه قال أنشدنا محمد ابن إسماعيل بن الحداد وكتب لي بخطه قال أنشدنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن موسى بن بطليبة لنفسه وكتب لي بخطه -

رايت لا نقباض أجل شيء وادعى في الأمور إلى السلامة
فهذا الخلق سألهم ودعهم فخططهم تقود إلى الندامة
ولا تعني بشيء غير شيء يقود إلى خلاصك في القيامة

قال أنشدني أيضا قال أنشدني أبو عمرو بن شمر عن أبي الحسن المقدسي عن الإمام أبي الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي عن الخطيب أبي زكرياء يحيى بن علي التبريزي عن أبي الحسن علي بن محمد الفلي لنفسه وهو بلقاء تحت القاف واللام المشددة . قال كذا وجدته بخط ابن بقر ومنه نقلت السند والشعر -

تصدر للتدريس كل مهوس بليل تسمى بالفيق المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا بشعر قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلافها وحتى ساءها كل مفلس

وقال أنشدني أيضا قال أنشدني أبو عمرو بن شمر قال أنشدني الفيق الزاهد المنقطع إلى الله سبحانه أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني بالاسكندرية لنفسه -

كان في

أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .
 وفيه من إبراهيم بن سعيد الجوهري رواية من الحسين بن علي المجعفي أن
 هارون الرشيد قدم مكة فجلس عند لاسطوانة الحمراء ثم قال للفصل بن
 الربيع بلغني أن الحسين بن علي المجعفي حاج فانظرا اين هو حتى آتية
 فقال له رجل هو ذاك يصلي عند المقام فقال الفصل انا آتيك به يا امير
 المؤمنين فانه احق ان ياتيك فجاء الفصل فوقف عليه فقال له ان امير
 المؤمنين مزم على آتيانك فسلم الحسين ثم قال له انا احق ان آتية قال
 فانهم بنا فجاء معه فاحتضنه هارون وسلم عليه واجلسه الى جنبه على
 مقعدة ثم اقبل عليه هارون وساله عن حاله وسفره قال ثم تكفى عنه حتى
 صار بين يديه وهرب بيده الى قلم وقرطاس ثم قال له تبلي علي
 حديث عبد الله بن مسعود في التشهد فقال اخبرنا الحسن بن الحر قال اخذ
 القاسم بن مخيمرة بيدي وقال اخذ علقمة بن قيس بيدي وقال اخذ عبد
 الله بيدي وذكر الحديث فقال له هارون اخذ بيدك الحسن بن الحر
 قال نعم قال فتأخذ بيدي كما اخذ بيدك قال فاخذ يده في يده قال
 فترك هارون يده وجعل يقبل يد نفسه وقال جاي يد صافحت كف رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وحدثني ايضا وهو اخذ بيدي بسنده مسلسلا الى
 ابي الربيع الزهراني قال حدثنا مالك وهو اخذ بيدي سن اخذ بيد
 مكروب اخذ الله بيده . وهذه لاهاديت كلها من مسلسلات لاهام ابي
 الحسن علي ابن الفضل المقدسي رحمه الله وقال قال شيخنا الفقيه ابو زيد
 يرويه عن الفقيه المحدث الرواية ابي عمرو عثمان بن سفيان بن عثمان
 التميمي التونسي عرف بابن شقر ويقال ابن الفقر عرفا عن لاهام ابي
 الحسن المقدسي المذكور . وقد ذكر في هذا ايضا نحو ما تقدم عن الرشيد
 قال وهذه المسلسلات قرأتها كلها على الفقيه الصالح ابي العباس احمد بن
 موسى البطرني وسلسلتها معه وحدثني بها عن ابن شقر المذكور قراءة .
 قال وانشدني شيخنا ابو زيد واعطانيه في ورقة بخطه قال انشدني

مفيدا في طبقات من دخل القيروان من الفصلاء منذ دخلها لاسلام الى زمانه
وهو كبير في مجلددين وسماه معالم لايمان وروضات الرضوان في مناقب
المشهورين من صاحباه القيروان . قال وقد ذكر لي شيخنا الفقيه العالم
امام ديار مصر ابو الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري انه كلف الفقيه
الاوحد لافضل ابا العباس الغماري التونسي رحمه الله استنساخ هذا الكتاب
له حين صدر من المشرق وانه لما وصل الى تونس اتنى باستنساخه له
حتى كمل ثم اتنى بصحيفه ومقابلته فلما فرغ منها توفي فبيع في تركته
واثني على مولفه المذكور كما ينبغي . قال وقد حدثني به مناوله وسالته لم
لم يذكر فيه ابا الحسن اللحمي فقال لي توفي سنة ثمان وسبعين
واربعمائه . قال وذكر لي انه قرأ ذلك في حجر عند راسه بمدينة صفاقس
حرسها الله وناولني صحيفي البخاري ومسلم في اصله منهما . قال وقرأت
عليه بعض الاحاديث الشافية لاسناد حديث مالك رضي الله عنه من
تخريجه وبعض احاديث التسامية من تاليفه وانتقائه وناولني سائرهما
وناولني اجزاء من عوالي حديثه وحديث شيوخه وناولني لاحاديث الاربعين
في عموم رحمة الله لسائر المؤمنين من تاليفه . قال وحدثني حفظه الله
بحديث عبد الله بن عمرو بن العاصي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -
الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحكم من في السماء . قال
وهو اول حديث سمعته منه من الفقيه ابي عبد الله محمد بن ابراهيم بن
عثمان الحنفي سمع منه بالمهدية عام ثمانمائة وعشرين بسنده مسلسلا
بحديث انس بن مالك رضي الله عنه . قال صافحت بكفي هذا كف رسول
الله صلى الله عليه وسلم فما مسست خزا ولا حريزا اليين من كف رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمصافحة . وبحديث عبد الله بن مسعود في التشهد
مسلسلا فاخذ اليد اليه . فقال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلي
التشهد - التحيت لله الزاكيك لله والصلوات والطيبات لله السلام عليك
ايها النبي الكريم ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
اشهد

الى تجديد السقف واستقيموا الهدم عليهم فاعرجت توابيتهم الى بيت
آخر فلما اُصلح السقف وارادوا رد التوابيت اشككت عليهم وكان الشيخ ابو
مجد مدفونا قبالة الباب كما ذكرت العجوز فلما اعيد دفنهم غلب على ظنون
اكثر الناس انه دفن على اليسار حيث الدكان والعاريف قال وقد بذلت
وسعي اذ دخلت القيروان عن فيها من اهل العلم فلم اجد بها من يعتبر وجوده
ولا يسع جهله سوى هذا الشيخ الفقيه المحدث الراوية المتفنن ابي زيد
عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله لانصاري لاميدي من ولد اسيد
ابن حضير رضي الله عنه ويعرف بالدبباغ قال لقيته يوم ورودنا
القيروان فرايت شيخا زكيا حصيها ذا سمت وهيئة وسكون ظاهر محبا لاهل
العلم حسن الرجاء بر اللقاء لم يؤثر الكبر في جسمه على علوسه ولا تغير
شيء من ذهنه وحواسه سألته عن مولده فقال سنة خمس وستمئة وهو
حفظه الله من اهل التهمم والعناية بالعلم مع عدم المعني به والطالب له
موطا لاكتناف لين الجانب جميل العشرة على سنن المشايخ من اهل العلم
والفصل اوحده وقته رواية ودراية لقيت من برة وحسن خلقه ورقة شمائله
ما لم اخل مثله باقيا وما وجد في القيروان في هذا الاوان الا من جملة
بركات سلف اهل وقد نيف شيوخه على الثمانين وله برنامج فيه اسماءهم
وما روى عنهم . قال وقد قرئت عليه بعضه واجازني في كل ما تضمنه
وما شذ عنه من رواياته اجازة عامة قال وكذا اجاز ولدي محمدا وفقه الله
وكتب لي بذلك خط يده وقال لي مرارا اذا قضى الله حاجتك وحججت
فلاتقم في البلاد فاني كثير الشفقة على ولدك وقد اوقع الله حبه في قلبي منذ
ذكرته لي . ومن عجيب اخلاقه انه ما طلبت منه جزءا لانقل منه الا
وهبه لي وقد اعطاني اكثر من عشرة اجزاء من فوائده وفوائد شيوخه
وفهارسهم قال وقال لي انت لولى بها فاني شيخ على الدواع وانت
في صفوان عرلد ومن حين رايتك انفرز حبل في قلبي . وله مجملات
وتأليف ونظم جيد كثير ومشاركته في العلم نقلها وعقلها والف كتابا حسنا

راوا لاسود تحمّل اشبالها والذئاب تحمّل اجراءها والخنايا تحمّل اولادها
 حتى ارتحلن جميعا . ويقال انه قد مر عليها اربعون سنة لم تر فيها حيث
 لدغته رضي الله عنه فلما بنوها طاف حولها عقبة واصحابه ودعوا الله واسسوا
 مسجدها واقام عقبة قبلتها برويا رءاها . قال وقد سالت امام جامعها ومن
 حضر معه عن سمع قبلته فلم اجد احدا منهم يعرفه ولم ائت بها فاتعرف
 ذلك بالنجم الا انه قوي عندي بالحدس انها كما قيل الى المنقلب الشتوي
 او يميل يسيرا الى الجنوب . قال ودخلنا به بيت الكتب فاخرجت لنا
 مصاحف كثيرة بخط مشرقى ومنها ما كتب كله بالذهب وفيها كتب محبسة
 قديمة التاريخ من عهد سحنون وقبله منها موطا ابن القاسم وغيره . فقال
 ورايت بها مصحفا كاملا مضموما بين لوحين مجلدين غير منقوط ولا مشكول
 وخطه مشرقى بين جدا مليح وطوله شبران ونصف في عرض شبر ونصف
 وذكروا انه الذي بعثه عثمان رضي الله عنه الى المغرب وانه بخط عبد
 الله بن عمر رضي الله عنهما . واما مقبرتها فهي المزارات العظيمة الشريفة
 وفيها من الافاضل واخيار لامة ما يقصر عنه الوصف . وبها قبر ابي زعمه
 البلوي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره مشهور بها وكذلك قبر
 الشيخ الولي الفقيه العالم ابي الحسن علي بن محمد القاسبي رحمه الله واما
 قبر الشيخ ابي محمد عبد الله بن ابي زيد رحمه الله فهو بداره داخل البلد
 في بيت منه على يسار الداخل وقد زرته ودخلت البيت فوجدت فيه
 عدة قبور وسالت العجوز القيمة على الدار عن قبره فاخبرتني انه الذي في
 وسط البيت المقابل للباب فنظرت تاريخه فوجدته لغيره ثم اثبت الذي
 من يسار الباب وعليه دكان مبني فقرأت في حجر من رخام عند رجليه انه
 قبر الشيخ ابي محمد وان وفاته كانت ليلة الجمعة الثامن والعشرين من
 شعبان قال الشك مني سنة ست وثمانين وثلاثمائة فعرفت الشيخ الفقيه
 المحصل ابا زيد عبد الرحمن بن محمد بما قالت العجوز وبما وجدت من
 التاريخ فقال لي طرا في ذلك مشكوك وذلك انه كان في ما مضى قد احتجج

الى

لا سمع من وابله وطله . ماوى العلماء والصالحاء في حياتهم . وكفاتهم بعد وفاتهم . بلد يناهز به كل اقليم . ومتى ذكر علماهم فليس الا التسليم . ولا كنا لا يلام اذا اعطت اخذت . وكلما عصت نفذت . لا تلوي على مغرور . ولا تعرف فصل العذر على المعذور . ان سلمت سالمث . وان هدنت داهنت . وان رافقت فارقت . وبهما حلت ماحلت . لا تبقي ولا تذر . فليكن العاقل منها على حذر —

لا تظنن الى حظ حظيت به . ولا تقل باعترار صبح لي وثبت
فما الليالي وان اعطت صداقتها . الا عدا المرء مهما استمكن وثبت
قال ولم ار بالقيروان ما يورخ ولا ما يهتم بذكره سوى جامعها ومقبرتها
اما جامعها فهو من الجوامع الكبار المتقنة الرائقة المشرقة لانيسته ووسطه
فضاء متسع وكان الموسس له المقيم لقبته الرجل الصالح عقبة بن نافع
الفهري المعروف بالمستجاب مع جماعة من الصحابة والتابعين وهم
الموسسون لمدينة القيروان والقيروان في اللغة القافلة وهي فارسية معربة
يقال ان قافلة نزلت بذلك المكان ثم بنيت المدينة في موضعها فسميت
باسمها وهو اسم للجيش ايضا قال ابن القطاع اللغوي القيروان بفتح الراء
الجيش وبالضم القافلة نقله عن بعضهم والله اعلم . انتهى من ابن خلكان .
ويعمر على القيروان من قبلها وادي زرود على اميال يسيرة واصله من موضع
يقرب من تبسة يعرف بفران بضم الفاء وتخفيف الراء وهذا الوادي يجري
في طريقه على مزارع تسقى منه ويتفتح به فيها فاذا انتهى الى الاضنام
وهو موضع جوفي القيروان انتشر في سبخة هنالك متسعة وصاع مائة فلم ينتفع
به والى ذلك لاشارة بقول الشاعر —

صنعت صنيعا صاع في فجل عامر كما صاع في الاضنام واد زرود
ويحكى انه لما امرهم عقبة ببنائها قالوا له انك امرتنا ان نبني في شغراء
وغياض ونحن نخاف من السباع والهوام فقال عقبة — انا اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اردنا ان ننزل هاهنا فارحلن عنا . فرأى الناس عجبا

وقال صاحب تشييف اللسان يقولون جلولي والصواب جلولي بالفتح
منسوب إلى جلولا كذا في نسخة وفي نسخة أخرى والصواب جلولي بفتح
الجيم وفي نسخة أخرى بالقصر وفي أخرى بالمد وعند سيبويه قولهم جلولي
في باب النسب وهو نسب إلى جلولا التي بالشرق والله أعلم وهذا يؤذن
بانها مدودة بان يقال جلولا بابدال الهمزة واوا فلما قالوا جالولا كان
ذلك شاذا واما لو جعلناه مقصورا فانه يكون غير شاذ لان في ذلك وجهين
احدهما ابدال لآل ففتقول جلولوي كما يقال حلي وجلولي وقوله وخرائب
ان اراد به جمع خربة فلا يجوز إلا ان يكون قد سمع فيكون شاذا والقياس
ان يكون جمع خريبة كسيفنة وسفائن او خريب كقصيد وقصائد فان كان
سمع الجمع والواحد فلا اشكال وان كان سمع الجمع وحده فقياس المفرد ما
ذكرته وان كان لم ينطق به . وقد ذكر الشيخ محمد بن محمد بن علي بن
احمد العبدري المحامي في رحلته ودخلها سنة ثمان وثمانين وستمئة حاجا
فقال ما نصه ثم وصلنا مدينة القيروان . فدخلتها بجدا في البحث غير وان .
فلم ار إلا رسوما تحتها يد الزمان . واثارا يقال عنها كان وكان . ولاحياء
من اهلها جفاة الطباع . ما لهم في رقة المحضارة باع . ولا في معنى من معاني
الانسانية انطباع . خفت نفس العلم بينهم فلم يبق بها رمق . وكسدت
سوق المعارف لديهم فيا سخنة عين من رمق . والمدينة نفسها ليس بها
بر ولا بحر . ولا شجر ولا نهر . وضعت في سبخة قرى . لا ماء فيها ولا
مرعى . ولا تنبت اصلا ولا تنقل فرعا . وما كان حالها في القديم . إلا آية
من آيات هذا الدين القويم . اذ اسسها المخلصون من اهل . المتمسكون
بجبلهم . السالكون لحزنه وسهله . اهل العزائم النافذة الماضية . والصوامم
القاسية القاسية . والهمة الغالبة العالية . فرسان الحراب . وليوث
الطعان والضراب . رضي الله عنهم ما سار في الدوفدود . ولاح في الجو
فرقد . وقد كان شان القيروان . في غابر الزمان . بحيث لا يجهله انسان .
ولا يحصله لسان . حسبك ببلد وضعت لاوضاع في فعله . وملئت
الاسماع

من يباسم بيض وورد أحر يخرج من اكمامه معصفا
وهذا الجمع من المجموع الشاذة الواردة فيما لا يعقل . وقوله جرس نحلها
الجرس بفتح الجيم وسكون الراء المهملة اكل النحل . وفي الحديث جرس
نحلة العرفط اي اكلته قال صاحب الصحاح والعرفط شجر الغضا ينضج
المغفور ويبرمه ايض وفي المختصر والمغافر والمغفور والمغفير شمع العرفط والجمع
مغافير وقد يغفر العرفط ويخرجوا يتمغفرون اذا اجتنبوه قال غيره في الحديث
اكلت مغافر وهو شيء ينضج العرفط حلو كالناط والم ربيع منكرة والعرفط من
الغضا قال وليس في كلام العرب مفعول إلا مغفور ومغرود لضرب من الكمامة
ومتحور للتحمر ومفلوق واحد المغاليق والسمسم بكسر السين معروف وهو
الجالجلان والزنبق بفتح الزاي العجمة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وآخرة
قاف دهن الياسمين والبنفسج بفتح الموحدة وفتح السين المهملة نبت معروف
ازهر حسن اللون طيب الريح وقوله اولا في ابتكار القيروان بقرن الجبل هو
بفتح القاف وسكون الراء ذكر بعض المؤرخين ان معاوية بن حديج نزل
بفتح جبل صغير منفرد فاصابه نوء شديد فقال ان جبلنا هذا لمطور فسمي
ذلك الجبل مطورا الى يوم القيامة اذهبوا بنا الى هذا القرن فسمي القرن
ايضا الى اليوم قال وهذه اسماء عربية لا يعرفها العجم قال ابن الشباط
قلت والقرن جبل صغير منفرد وجلولا بفتح الجيم وضم اللام وقصر لالو
وهو الجاري على اللسان في هذه الجهات وفي كتاب لافخار حكاية حسنة
عن ابي القاسم عريب بن نصر قال اشتهيت اسفنجة بعسل فاقمت سنة
ونفسي قد تآقت فمررت بسماط القيروان فاذا شاب جالس على بابه فلما
راءاني سلم علي وقال تحب ان تدخل عندي فدخلت فقدم لي اسفنجة
بعسل جلولي ابيض في ثرد فاكلت واكل حتى تمليت ثم طيسني وخرجت
من عنده وولى والله ما عرفت فمررت بصبي يلعب فرفع راسه الي وقال
يا عم سبحان من يجرد بالنعم على من يستحق النقم فابكاني وقوله جلولي
بفتح الجيم وفتح اللام وسكون الواو والله اعلم بصحة ذلك ولعلها لغة فيه.

ابن الشباط ومن القيروان الى جلولا اربعة وعشرون ميلا وبجلولا اثار ابواب
 قائمة للاول وآبار عذبة وخزائب وجد فيها بعض الرعاة تاج ذهب بجوهر
 وقرب جلولا منتزة يعرف بسردانية ليس في افرقية موضع اجمل منه
 فيه لمار عظيمة وفيه من النارنج خاصة نحو الف اصل ولها حصن وهي
 قديمة مبنية بالصخر وفيها عين ثرة في وسطها وهي كثيرة الثمار ولاشجار
 واكثر رباحتها الياسمين وبطيخ صلبها يضرب المثل لكثرة ياسمينها وجرس
 فحلها وبها يزييت اهل القيروان من الياسمين والورد والبنفسج وبها قصب
 السكر كثير ومنها يرد كل يوم الى القيروان من احمال الفواكه والبقول ما لا
 يحصى كثرة فتحها معاوية بن حديج حاصرها اياما وقتل من اهلها عددا كثيرا
 حتى فتحها المسلمون عنوة وقتلوا المقاتلة وسبوا الداراي واصابوا جميع ما كان في
 المدينة وقسم معاوية بن حديج الفقي وتوفيت في تلك الغزوة بقمونية ابنة
 عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فدفنت بموضع من القيروان
 يسمى اليوم بمقبرة قرهش وهو بغربي القيروان وكان فتحها على يد معاوية
 ابن حديج وقوله وقرب جلولا منتزة بفتح الزاي اي متفرج قال ابن
 الشباط قال ابن قتيبة وقد كان بعض اصحاب اللغة يذهب في قول الناس
 خرجنا تنزة اذا خرجوا الى البساتين الى الغلط ويقول انما التنزة التبعاد عن
 الماء والريف ومنه يقال فلان تنزه عن لاقذار اي باعد نفسه عنها وفلان
 نزيه كريم اذا كان بعيدا من القوم قال وليس عندي هذا غلط لان البساتين
 في كل مصر وكل بلد انما تكون خارج البلد فاذا اراد الرجل ان ياتنها فقد
 اراد ان يتنزه اي يبعد عن المنازل والبيوت ثم كثر هذا واستعمل حتى صارت
 التنزة القعود في الخصرة والجنان وقوله عين ثرة بفتح الثاء المثناة وتشديد
 الراء اي غزيرة الماء واسعة وكذلك الثرثرة وقوله الياسمين بكسر السين وهو
 اعجمي عربي العرب وفيه لغتان منهم من يجعل اعرابه في النون ويسبق
 الياء على حالها ومنهم من يقول فيه ياسمون بالواو في الرفع وبالياء في النصب
 والحفص وهؤلاء جعلوا واحدة ياسما واشدد ابو حنيفة في الياسم —

ابراهيم احمد بن محمد بن لاطب امر باخراج ثلاثمائة دينار من ميت المال
 فامر ببناء ما جل بباب تونس وبني بجامع القيروان القبة الخارجة على البهور
 مع الصفيين اللذين يليانها من جانبها جميعا وبلاطها الذي بين يديهما
 مفروشا وعمل المحراب جلبت له تلك القراميد الصينية لمجلس اراد ان
 يعملها وجاءه من بغداد خشب الساج صلبه منبرا للجامع وجاء بالمحراب
 مفصلا وضاما من العراق وصله في جامع القيروان وجعل تلك القراميد في
 وجه المحراب وجعل له رجل بغدادي قراميد اخرى زادها اليها وزين تلك
 الكزينة العجيبة بالرخام والذهب والالة المحسنة وبني ما جل ابي الربيع
 وامر ببناء ما جل القصر الكبير وبني جامع مدينة تونس وبني سور سوسة
 ودار الملك بسوسة وبني قصر لمطة وسور صفاقس وتصدق بباقي المال على
 الفقراء والمساكين . وذكر في الكتاب المذكور ان وفاته كانت سنة تسع
 واربعين ومائتين وانه ملك افريقية وهو ابن ثمان وعشرين واعلم ان المنبر
 الذي تقدم ذكره فيه من غرائب الصنائع والنقوش ما يحار الطرف فيه
 ويكل الوصف عنه ويكاد راهيه يقطع بانه لا يرى مثله واذا عرفت ذلك
 فاعلم ان الشيخ ابا محمد بن عبد البر رحمه الله ذكر في كتاب الصحابة
 رضي الله عنهم ان معاوية بن حديج رحمه الله كان اختط القيروان بموضع
 يدعى اليوم بالقرن فنهض اليه فثبته فلم يعجبه فركب الناس الى موضع
 القيروان اليوم وكانت افريقية تدعى مزاق وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن
 زياد بن انعم —

ذكرت القيروان فهاج شوقي وابن القيروان من العراق
 مسيرة اشهر للعر نصفا على الابل المضرة الحثاق
 فبلغ انعما وبني ابيهم ومن يرجى لنا ولم التلاقي
 فان الله قد خلني سبيلي وجد بنا المسير الى مزاق
 وما يقرب من القيروان جلولا مدينة عظيمة اولية وقد تلاشتها ايدي الدهر
 كعادته بالعمارات وادخلتها اقلام النقول في دفاتر الاخبارات وهي كما قال

بالقرب من البلاطات وبني بئرا الصقت معه في بئر الجئان نصب اساسها على الماء وانفق ان وقعت في نفس الحائط الجنوبي . قسال واهل الورع يكرهون الصلاة في هذه الزيادة يقولون ان اهل الجنة اذكروها على بيعها والصومعة اليوم على بنائه طولها ستون ذراعا وعرضها خمسة وعشرون ولها بابان شرقي وغربي وامسا في مصرنا هذا فليس لها الا باب واحد جوفي الذي يخرج منه يستقبل القبلة وعصائدها رخام منقوش فلها ولي افريقية يزيد بن حاتم سنة خمس وخمسين ومائة هدم الجامع كله حاشا المحراب وبناء واشترى العمود لاختصر بمال مريض جزيل ووضعها فيه فلها ولي زيادة الله بن ابراهيم هدم الجامع كله واراد هدم المحراب فقيل له ان تن تقدمك من الولاة توقفوا عن ذلك لما كان واصعه عقبة بن نافع ومن كان معه فالج في هدمه لتلا يبقى فيه اثر لغيره فقال له بعض البنائين اذا ادخلته بين حائطين لا يظهر في الجامع اثر لغيرك فاستصوب ذلك وفعله فهو على بنائه الى اليوم والمحراب كله وما يليه مبني بالرخام الابيض من اعلاه الى اسفله وهو منحرف منقوش كله منه كتابة ثقرا ومنه تديج مختلف الصناعة تستدير به اعمدة رخام في غاية الحسن والعمودان الاحمران المذكوران يقابلان المحراب وعليهما القبة المتصلة بالمحراب وبلاطاته سبع عشرة بلاطة وطوله مائتان وعشرون ذراعا واعدته اربعمائة واربعه عشر عمودا وعرضه مائة وخمسون ذراعا وبلغت النفقة في بنائه ستة وثمانين الف مثقال . ولما ولي ابراهيم بن احمد بن الاغلب زاد في طول بلاطات الجامع وبني القبة المعروفة بباب البهور على آخر بلاطات المحراب في دورها اثنتان وثلاثون سارية من بديع الرخام وفيها نقوش غريبة وصباغات مختلفة محكمة عجيبه يشهد كل من رءاها انه لم ير مبنيا احسن منه وقد فرش من الصحن بين ايدي البلاطات نحو خمسة عشر ذراعا وللجامع عشرة ابواب ومقصورة للنساء في شرقيها بينها وبين الجامع حائط آخر منحرف يحكم العمل هذا ما ذكره البكري رحمه الله تعالى . وذكر صاحب كتاب لا فتخار ان ابا ابراهيم

العمامة من رأسه يهبط الهواء برأسه كالندوي لصحته . وللقيروان في
 القديم سبعة محارص أربعة خارجها وثلاثة داخلها قسال وكان للقيروان في
 القديم سور طوب ستم عشرة اذرع بناء محمد بن الاشعث بن عقبة الخراشي
 ستة اربع واربعين ومائة وهو اول قائد دخل القيروان للسودة فهدم هذا
 السور زيادة الله بن ابراهيم المعروف بالكبير سنة تسع ومائتين لما قلم
 عليه اهل القيروان مع منصور المعروف بالطنبذي فلما انهزم عن القيروان يوم
 الاربعاء للتصف من جادى لاولى من هذه السنة وخرج اهل القيروان الى
 زيادة الله فرغبوا في العفو عنهم والصفح هدم سورهم مقببة لهم ثم بناء المعز
 ابن باديس بن منصور الصنهاجي سنة اربع واربعين واربعمائة وبلغ
 تكسيرة اثنين وعشرين الف ذراع قسال وخارج سور القيروان خمسة عشر
 ماجلا للماء سفريات لاهلها منها من بنى هشام بن عبد الملك وفيه واعظمها
 شاننا وافخمها منصبا ماجل ابي ابراهيم احمد بن محمد بن لاغلب بباب تونس
 وهو مستدير متناهي الكبر في وسطه صومعة مثمنة في اعلاها قصبة مفتحة
 على اربعة ابواب تحمل احد عشر رجلا لا خلل بينهم فاذا امتلا الماجل كان
 ذلك الماء ذخرا لهم . وذكر البكري ايضا رحمه الله ان اول من وضع
 محراب الجامع بالقيروان نافع بن عقبة كذا وقع بتقديم نافع قال ابن الشباط
 واره غلطا من النساخ والصواب عقبة بن نافع قسال ثم هدمه حسان حاشا
 المحراب وبناء يعني حسان بن النعمان الغساني وحمل اليه الساريتين
 المتجاورتين الموشاتين بصفرة اللتين لم ير الرائون مثلهما من كنيسة كانت
 للاول في الموضع المعروف اليوم بالقيسارية ويقولون ان صاحب القسطنطينية
 بذل لهم فيهما قبل نقلهما الى الجامع زنتهما ذهبا فابتدروا الجامع بهما ويذكر
 كل من رآهما انه ما رآى في البلاد ما يقرن بهما قسال فلما كانت خلافة
 هشام بن عبد الملك كتب اليه عامله على القيروان يعلمه ان الجامع يضيق
 باهله وان بحرفينه جنة كبيرة لقوم من فهر فامرة هشام بشرائها وان يدخلها
 في المسجد الجامع ففعل وبني في صحنه ماجلا وهو المعروف بالماجل القديم

وهي طويلة ويكفى منها هذا وكان قصر في حقه أولا فعمل ربعة ابياتا من جلتها -

اراني ولا كفرلن لله راجعا بخفي حنين من نوال ابن حاتم
فعدا وسطى عليه وبالغ من الاحسان اليه . قال ابن الشباط واعلم ان في
مختصر تاريخ الطبري ان معاوية بن ابي سفيان قد بعث عقبة بن نافع
الفهري الى افريقية فافتحها واخط قيروانها وكان موضع غصنة لا يرام
من السباع والحياة والدواب فدعا الله عز وجل فلم يبق فيها شيء الا خرج
هاربا منها حتى ان السباع لتحمل اولادها عنها فكان عقبة بن نافع اول
النس اختطها وقطع مساكنها ودورها للناس وبني مسجدتها وكان محمود السيرة
جيل لاثر . انتهى ما في مختصر الطبري رحمه الله . وقال ابن الشباط واعلم
انه وقع في كتاب طبقات علماء افريقية عن اسحاق ابن المثنوي ان عقبة
ابن نافع كان معه في معركة خمسة وعشرون من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم وان عقبة جمع وجوه اصحابه وكبار العسكر فدار بهم حول القيروان
واقبل يدعو ويقول اللهم املأها علما وفقها واعمرها بالطيعين والعابدين واجعلها
عزا لدينك وذلا على سن كفر بك واعز بها لاسلام وامنعها من جبايرة الارض
قال فبذلك هي معصومة من كل جبار عنيد قال وانما كان دعاء عقبة لها
بعد ما كان عمرها في غزوته الثانية وخرب تيكروان التي اتخذها ابو المهاجر
قيروانا . قال البكري رحمه الله تعالى ومدينة القيروان في بساط من الارض
مديد من الجوف منها بحر تونس وفي الشرق بحر سوسة والمهدية وفي
القبلة بحر صفاقس واقربها منها البحر الشرقي بينها وبينه مسيرة يوم وبينها
وبين الجبل مسيرة يوم وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل
مسيرة يوم وشرقها سبخة وسائر جوانبها ارضون طيبة كريمة واحسنها
الجانب الغربي وهو المعروف بفحص الدوارة يصب فيه السنة الخصيبة
للحبة مائة وهواء هذا الجانب طيب صحيح وكان زياد بن خلفون
المتطب اذا خرج من القيروان يريد مدينة رقادة وحاذى باب اصرم رفع
العمامة

يباب سلم كذا ذكره ابن خلكان وقال : قال اهل افريقية ما بعد ما يكون
بين هذين الاخوين فان اخاه روحا كان واليا بالسند وهذا ما تناقش ان
الرشيد عزل روحا عن السند وسيرة الى موضع اخيه يزيد فتدخل افريقية في
اول رجب سنة احدى وسبعين ومائة ولم يزل واليا بها الى ان توفي
لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة اربع وسبعين ومائة ودفن
مع اخيه يزيد في قبر واحد فعجب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك
التباعد رجهما الله . وكان روح المذكور من الكرامه لاجواد وولي خمسة من
الخلفاء السفاح والمنصور والمهدي والمهدي ويقال انه لم يتفق مثل
هذا الا لابي موسى لاشعري رضي الله عنه فانه ولي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يبي بكر وعمر وعثمان وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم
اجمعين . وكان المهدي بن ابي جعفر المنصور هو الذي اولى روحا على السند
سنة تسع وخسين ومائة وكان قد ولاه في اول خلافة الكوفة وقيل انه
ولي السند سنة ستين ومائة ثم عزل عنه سنة احدى وستين ومائة ثم ولي
البصرة . واخوه يزيد المذكور اولا هو الذي قصده ربيعة بن ثابت
الاسدي الرقي فاحسن اليه وكان ربيعة مدح يزيد بن اسد السلمي فتصو
يزيد في حقته فقال يمدح يزيد بن هاتم ويحجو يزيد السلمي بتصيدته
التي من جملتها -

هتان ما بين اليزيديين في النداء يزيد سليم ولاغر ابن هاتم
فهم الفتى لازدي اتلاف ماله وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التمام اني هجوته ولكنني فضلت اهل السكارم
ومنها -

فيا ابن اسيد لا تسلم ابن هاتم فتقرع ان ساميته سن نادم
هو البحر ان كلفت نفسك خوصه تهالك في اذية التلاطم
تفتيت مجدا في سليم سفاهة امانى خال او امانى حالس
الا انما اهل المهلب غيرة وفي الحرب قادات لكم بالمجرائم

تعالى ان خالد بن معدان روى عن عبد الله بن سعد لازدي الشامي مرفوعا
 - ان الله اعطاني فارس وامرني بحمير . وقوله في الحديث قبله قمونية بفتح
 القاف وتشديد الميم فواو ساكنة فنون فياء مثناة تحتية فهاك اسم موضع
 للقيروان والقيروان لم يعلم الا ان بعد مدينة تونس في الوطن الافريقي اعظم
 منها مدينة واهلها اشبه الناس علما واكثر حرافة وادري الناس بتعاطي
 المتجر واحضر الناس جوابا واحدهم خطايا واقواهم تجلدا على صن الدفر
 وابصرهم بعواقب الامر بينهم عرى اخوة لم تتهلل وثبات قدم في الحمية
 لم يتزلزل ووثوق عهد في الذنب عن انفسهم لم يتخاخل وتجد لاقول ينصرف
 لذويه في الاغاثة قبل ان يتامل وانما اطلق القلم في هذه الصفحات لسانه
 وحرك في ظلال هذه لاسطر بنانه لما مر الوعد انفا بتعريف ما اندرج في
 خلال العمالة الافريقية من مشاهير بلدانها التي عرف بها الفضلاء وافصح
 في تنبياتها النبلاء . ولما وقفت على تعريف من اعنى بها وفيت بما وعدت
 والحال انه لا نجد لها مكانا اليق بتعريفها من هذا المحل اذ ربما ثبتت
 لتذكر في وقائع الباب الثامن فيصير مشتمل سياقه جذرا ولم يكن اليق لها
 من موقعها هذا . وقال السلطان المويد في كتابه المختصر في اخبار البشر
 وفي سنة خمسين من الهجرة بنيت القيروان وكممل بناوها في سنة خمس
 وخسين وكان حديثها ان معاوية ولي عقبة بن نافع افريقية وكان عقبة
 المذكور صحابيا من الصالحين فوضع السيف في اهل افريقية لانهم كانوا
 يرتدون اذا فارقه العسكر وكان مقام الولاة بزويلة وبرقة فرأى عقبة ان
 يتخذ مدينة بتلك البلاد تكون مقرا للعسكر فاختر موضع القيروان وكانت
 اجمة مشبكة فقطع اشجارها وبنها مدينة وتوفي بها رباح وكنيته ابو زيد
 اللخمي الزاهد ودفن بها سنة اثنتين وسبعين ومائة وكان مجاب الدعوة .
 وكان من ولاتها يزيد بن هاتم بن قيصمة بن المهلب بن ابي صفرة لازدي
 كانت ولايته بافريقية خمسة عشر صاما وثلاثة اشهر توفي يوم الثلاثاء
 لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة ودفن بالقيروان
 يباب

ليأتهم بالخبر فما لبثوا ان انصرف فقالوا له ما صرفك فقال لهم سيرت
 الجبال فيهمرون سجدا لله فيقول الله تبارك وتعالى يا اهل المنستير لولا اني
 كتبت الموت على خلقي لادخلتكم الجنة - يعني قبل الموت فتخرج عليهم
 ريح صفراء ما بين القبلة والمشرق فتخرج ازواجهم من الحور العين وخدمهم .
 وعبد الرحمن بن زياد ايضا متروك الحديث ضعفه ابن معين والبهلول بن
 راشد سمعت سفيان بن عيينة يقول جاءنا عبد الرحمن بن زياد الافريقي
 بستة احاديث رفعها الى النبي صلى الله عليه وسلم لم اسمع احدا من
 العلماء رفعها وذكرها وبسند ابي العرب الى سفيان بن عيينة موثقا عليه .
 قال الفصل في ثلاثة مواضع - المصيبة باب من ابواب الجنة يحشر
 منها يوم القيامة سبعون الف شهيد وعسقلان باب من ابواب الجنة وموضع
 هنالك بالغرب يقال له الياقوتة بالمنستير داخل في البحر الى جانبه سبعة
 على تلك السبعة قطرة من قناطير لاولين يحشر منها يوم القيامة سبعون
 الف شهيد . وفي كتاب الرقيق قال : يقال ان بافريقية ساحلا يقال له
 المنستير هو باب من ابواب الجنة وبها جبل يقال له مطور هو باب من
 ابواب جهنم . انتهى كلام الرقيق . قال التجاني وهذا الجبل هو المسمى
 في وقتنا هذا بجبل وولات يسكنه اخلاط من البربر . وعبد الله بن عمر بن
 غانم المتقدم الذكر قبل هذا هو قاضي افريقية روى عن مالك بن انس
 رضي الله عنه وذكره في المدونة وهو مشهور الفضل والدين من قضاة
 العدل . قال في كتاب الطبقات عبد الله بن عمر بن غانم ابو عبد الرحمن
 الرعيني كان ثقة نبلا فقيها ولى القضاء وكان عدلا في قضائه ولاة روح
 ابن حاتم في رجب سنة احدى وسبعين ومائة وهو يومئذ ابن اثنتين
 واربعين سنة سمع من مالك وسمع من عبد الرحمن بن زياد بن انعم ومن
 سفيان الثوري واسرائيل بن يونس وذكر ان وفاته رحمه الله تعالى كانت
 سنة تسعين ومائة ومولده سنة ثمان وعشرين ومائة وقوله معدان بفتح
 الميم وسكون العين المهملة وبالذال المهملة . وذكر الشيخ ابو عمر رحمه الله

بين الاشج وبين قيس باذخ بنخج لوالده والمولود
والله لا تبخج لاحد بعدها ابدا هكذا حكاه ابو الفرج وحكاه غيره لا تبخجت
بعدها . وفي حديث آخر - من رابط ثلاثة ايام وجبت له الجنة . قال انس
ينخ بنخ يارسول الله . قال - نعم يا انس وله في هذه الثلاثة ايام اجر الصديقين
والشهداء والصالحين . قال وحدثني احمد بن ابي سليمان وحبيب وعيسى
عن سحنون قال حدثني عن موسى بن معاوية وسحنون عن ابن وهب عن
ابن لهيعة وحكى الحديث المتقدم قال وحدثني احمد بن يزيد قال حدثنا
عبد الله بن عمر بن غانم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عمران
ابن الحصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - بساحل قمونية باب
من ابواب الجنة يقال له المنستير ينقطع الجهاد في آخر الزمان من كل موضع
فكافي اسمع صرير المحامل من مشارق الارض ومغاربها الى ساحل قمونية .
قال التجاني روى ابو العرب محمد بن احمد بن تميم في كتاب الطبقات
من تاليفه بسنده الى سفيان بن عيينة عن عبد الله بن دينار عن انس بن
مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - من رابط بالمنستير ثلاثة
ايام وجبت له الجنة - وسنده الى خالد بن معدان عن عمران بن الحصين
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - بمدينة قمونية باب من ابواب
الجنة يقال له المنستير ينقطع الجهاد في آخر الزمان من كل موضع فكافي
اسمع صرير المحامل من مشارق الارض ومغاربها الى ساحل قمونية .
وحدثنا عباد بن كثير عن ليث عن ابن ابي سليم عن مجاهد عن ابن عمر
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - بساحل قمونية باب من ابواب
الجنة يقال له المنستير من دخله فبرحمته الله ومن خرج منه فبغض الله
عنه - وعباد بن كثير الواقع في هذا السند متروك الحديث عندهم وليث
ابن ابي سليم ضعيف لا يحتج به من غير كتاب ابي العرب وبسند ابي
العرب الى عبد الرحمن بن زياد بن انعم عن مطرف بن عبد الله قال -
المنستير باب من ابواب الجنة فيبيناهم في الصلاة اذ سمعوا هدة فبعثوا رسولهم
ليأتهم

اجمعين دخلوا افرقية وذكر من اسحاق بن المثنوي ان نفعه بن نافع
كان معه في معركة خسة وعشرون من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
تسليما . ومن لا مكن التي وقع الثناء من رسول الله صلى الله عليه وسلم في
شأنها المنستير . قال ابن الشباط المنستير بضم الميم وضم النون وسكون السين
المهملة وكسر التاء المثناة فوق وبعدها ياء اخذ اللول وءاخوة راء مهملة
حدثني احمد بن يزيد قال حدثني داود بن يحيى عن سقلاب بن زياد
الهمداني عن بهلول بن راشد قال حدثنا عباد بن كثير عن ليث بن ابي
سليم عن مجاهد بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - بساحل
قبونية باب من ابواب الجنة يقال له المنستير من دخله فبرحمة الله ومن
خرج منه فبعثه الله - وسقلاب بكسر السين المهملة وسكون القاف والظاهر
ان هذا لاسم اعجمي فيجب على هذا ان لا يصرف . قال في طبقات
علماء افرقية سقلاب بن زياد كان من اهل الفضل والعبادات والاجتهاد سمع
من مالك بن انس وهو من طبقات البهلول بن راشد ثقة مامون سمع منه
ابو سنان وداود بن يحيى وغيرهما مات سنة ثلاث وتسعين ومائة . وقال
ابو سنان فيما رواه سعيد بن اسحاق كان سقلاب بن زياد اماما من ائمة
المسلمين مامونا على ما سمع قال وحدثني فراء بن محمد العبدي قال حدثنا
عبد الله بن حسان اليحصبي عن ابيه وعن سفيان بن عيينة عن عبد الله
ابن دينار عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - من
رابط بالمنستير ثلاثة ايام وجبت له الجنة . قال انس - بنح بنح يا رسول الله .
والرابطه والرباط ملازمة النظر وهو موضع المخافة من العدو والرباط ايضا
ملازمة الصلاة والاول هو المراد بالحديث وقوله بنح بنح هي كلمة تعال عنيد
للدخ للشئ والرضى به وتكرر للتاكيد فيقال بنح بنح وهي مبنية على السكون
في الوقف واما في الوصل فتكسر وتثنون وقد تشدد فيقال بنح ويشقق من
قولك بنح فعل فيقال بنحيت فلانا اذا قلت له ذلك ومنه قول الحجاج
لأعشى همدان في قوله -

أبي سليمان وصي بن مسكين قالوا حدثنا سمعون من عبد الله بن وهب
 عن عبد الرحمن بن زياد عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - لياتين أناس من أمي من إفريقية
 يوم القيامة ووجوههم أشد نورا من نور القمر ليلة البدر . وحدث أحمد بن
 أبي سليمان وحبيب وعيسى من سمعون قال حدثني فوات عن موسى بن
 معاوية وسمعون عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن بكر بن سواد الجذامي
 أن سفيان بن الحارث حدثهم عن أشياخه أنهم قالوا للمقداد بن الأسود
 صاحب النبي صلى الله عليه وسلم - ثقلت وتخرج في هذه المغازي . فقال -
 خفيا كنت أو ثقيل لا اتخلف عنها لأن الله تبارك وتعالى يقول - انفروا
 خفافا وثقالا - ثم قال قدمت سرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا
 البرد ولاجر قال فوات في حديثه الذي أصابهم فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم - أن البرد الشديد ولاجر العظيم لأهل إفريقية . وابن لهيعة بفتح
 اللام وكسر الهاء هو عبد الله بن لهيعة من مشاهير الرواة وذكره في المدونة .
 وقال في كتاب البيان للجاحظ ومن أصحاب الآثار ولاخبار عبد الله
 ابن عتبة بن لهيعة ويكنى أبا عبد الرحمن وبكر بن سواد بفتح الباء وسكون
 الكاف وسواد بفتح السين المهملة وتخفيف الواو وذال مهملة مذكور في
 المدونة ونسبه الجذامي بضم الجيم وذال معجمة منصوب إلى جذام وهي
 قبيلة من اليمن وحكي في الكتاب المذكور بسنده عن ابن لهيعة أنه سمع
 يزيد بن أبي حبيب وهو من الرواة المشاهير ذكره في المدونة ذكر أن
 المقداد بن الأسود كان غزا إفريقية مع عبد الله بن سعد وفيه قال حدثني عبد
 الله بن أبي حيان عن عبد الرحمن بن زياد عن أبي عبد الرحمن الحبلي
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ينقطع الجهاد من البلدان كلها فلا
 يبقى إلا في موضع في المغرب يقال له إفريقية فبينما أقيم بأزاه عدوهم
 فنظروا إلى الجبال قد سيرت فيحرقون لله سجدا فلا ينزع عنهم أخلاقهم يعني
 ثيابهم إلا خدعهم في الجنة - وذكر رجاء من الصحابة رضي الله عنهم
 أجمعين

الحجلي من عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - لياتين انفس من امتي من افريقية يوم القيامة وجوههم المصل فورا من نور القمر ليلة البدر . واليحصبي بفتح الصاد المهملة منسوب الى بني يحصب ويجوز كسر الصاد منه في النسبة . وفي اقتباس لاناوار اليحصبي في حير ينسب الى يحصب بن ذعبان بن مالك بن زيد بن سدد بن زرع بن سبا الاصغر كذا نسبته الهمداني والحجلي بضم الحاء وفتح الباء وهو من عدة صاحب كتاب الطبقات ممن دخل افريقية من اجلته التابعين وعدة البكري ايضا فيمن دخل لاندلس من التابعين وقال فيه هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الحجلي لانصاري وهو منسوب الى بني الحجلي من الانصار وذكر سيويو النسبة اليه الحجلي بضم الحاء وفتح الباء في شواذ النسب قال ويقال فيه حجلي للفرق بينه وبين حجلي آخر وسمي الحجلي لعظم بطنه وبعضهم يقول فيه الحجلي بضم الحاء وضم الباء وكذلك يقوله المحدثون ولعلها لغة فيه فاما من قال حجلي بكسoron الباء فهو جار على القياس لانه لا اصل ولكن المسموع غيره وهو ما ذكره سيويو والله اعلم . وقال القاضي ابو الفضل عياض رحمه الله تعالى وابو عبد الرحمن الحجلي بضم الحاء والباء رواية اكثر الشيوخ والفقهاء والنحاة واهل الاتفاق يقولونه بضم الحاء وفتح الباء وسكونها ايضا . وقال الشيخ الحافظ ابو علي الفسائي رحمه الله تعالى المحدثون يسمون الباء وفي الكتاب البارع لابي علي البغدادي يقال فلان الحجلي بضم الحاء والباء منسوب الى حي من الانصار يقال لهم بنو الحجلي . قال واسم عبد الله بن يزيد من تابعي اهل مصر سمع عبد الله بن عمرو بن العاصي وروى عنه شرحبيل بن شريك وابو هباني الخولاني ويقال ان ابا عبد الرحمن دخل لاندلس روى له مسلم وحده وقوله عبد الله بن عمرو الوادي هو بفتح العين وسكون الميم وهو عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنه صحابي مشهور ومن خيار الصحابة رضي الله عنهم . وفيه ايضا قال حدثني حبيب بن نصر بن سهل واجد بن

ممدودة فذال معجمة بعدها الف . والكلمة الثانية بهمزة بعدها الف ممدودة
فميم فالق فزاي فالق بعدها نون مكسورة والثالثة بهمزة مكسورة بعدها
ياك ساكنة ثم راء ثم ياك موحدة مكسورة بعدها ياك . وجوابه صلى الله
عليه وسلم بهمزة بعدها الف ممدودة ثم ثين معجمة ساكنة ثم كاف بعدها
الف ثم ياك موحدة ساكنة . —

الفصل الثاني في حد المغرب

فاما حده فقال في مقد الجمان للمغرب ثمان لاقليم العرفية وبلاد
المغرب مصابقة مصر من جهة المشرق الى فم بحر الزقاق الى صحراء
لتونتي في الجنوب ومن جهة الجنوب المفاوز الفاصلة بين بلاد السودان
وبلاد المغرب وهذه المفاوز ممتدة غربا وشرقا من سبتة الى مراكش ثم الى
سجلماسة وما في سمتها شمالا وجنوبا وهذه ثلاثة اصماع الاول يعرف
بافريقية الثاني يعرف ببلاد المغرب الاقصى الثالث يعرف ببلاد السوس
الاقصى ففي الصنع الثاني قبائل من البربر وصنهاجة وبرغاطة وزناتة
وفيه نخل كثير ينتهي الثمر عندهم اكثر من عشرة اجناس لا يشبه بعضها
بعضا في الطعم . قال جاوره على الله عنه قوله عشرة اجناس ليس من
المستكثر فاني سمعت ممن اتق بخبرة انه يحفظ من اسماء انواعها ستين
اسما وقال سمعت من اهل الجريد تن احصى مائة اسم في مجلس واحد
وهو اكثر طعامهم والزرع عندهم قليل بسبب لاعراب ويجلب من هذا
الصنع جلود الفئك احسن من فئك البحر ويجلب المتاع القيرواني مثل
السوسيات والثياب القصرة والقشاع وثياب الصوف العالية والارجوان
المحكم الصنعة ومنه يجلب الخيل الغريبة .

الباب الثالث في ذكر افريقية وفيه اربعة فصول

الفصل الاول في فضل افريقية بالاخبار

قال صاحب طبقات علماء افريقية حدثني فوات عن محمد قال حدثنا
عبد الله بن حسان اليحصني عن عبد الرحمن ابن زياد عن ابي عبد الرحمن
الحبلي

بهذه المنار شرفا ونصفوا بهذه الشافف شغفا . انتهى * - وفي كتاب طبقات علماء أفريقيا لابي العرب محمد بن احمد بن قسيم : وحدثني محمد بن بسطام بكسر الباء الصبي بفتح الصاد العجمة منسوب الى صبه عن ابي الحسن احمد بن عبد الله بن صالح قال حدثنا محمد بن الصباح قال حدثنا هشيم قال اخبرنا داود بن ابي هند قال حدثنا ابو عثمان النهدي عن سعد بن ابي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - لا يزال اهل المغرب طاهرين على الحق حتى تقوم الساعة - وهشيم مضر هو ابن بشير قال وحدثنا يحيى بن عمر وهو صاحب المنتخب قال حدثنا حرمله ابن يحيى عن نعيم بن جاد عن ميسن بن يونس عن شعبة بن يزيد بن حصين عن راشد بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - خير لارض مغاربها . وذكر في الكتاب المذكور بسند يرفعه الى ائس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - لا تزال عصاة من امتي بالمغرب يقاتلون بالحق لا يصرون سن خالفهم حتى يرون قتاما فيقولون غلبتم فيجثون سرعاء خيلهم ينظرون فيرجعون اليهم فيقولون الجبال سيرت فيجثون سجدا فتقبض ارواحهم - والتمام بضم القاف وهو الغبار . قال المصري كذا وقع باثبات النون في الفعل ويحتمل ان تكون من غلط الناسخ واما ان كانت الرواية قد وردت به فيجب دل حتى هنا على انها ابتدائية ولذلك ارتفع الفعل بعدها ، وحدثني شيخنا ابو العباس احمد بن راز قال اخبرني شيخنا سيدي احمد المغربي في ايام قراءتي عليه ببلاد زواوة ان ببلاد المغرب مقبرة فيها عشرة من الصحابة بعثهم اهل المغرب رسلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا مسجده الشريف فلما وقفوا سالوا عنه صلى الله عليه وسلم بلسانهم - اذا امانا ايربي - وهي كلمة بربرية فاذا معناها ايربي واما امانا معناها رسول وايربي معناها ربي فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله - الهكاب - معناها والله اعلم - اي شيء تريدون . انتهى من خطه . وقوله اذا يهجرة بعدها الف

يحيى بن يحيى قال اخبرنا هشام عن داود بن ابي هند عن ابي عثمان
 عن سعد بن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - لا يزال
 اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة - ويعصده هذا الحديث
 ما ذكره صاحب الفايص في مادة المغرب بما نصه - ومنه لا يزال اهل
 المغرب ظاهرين على الحق . وقال الشيخ الصالح ابو الجهاج يوسف بن
 يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التاذلي في كتابه الموسوم بالتشوف
 الى رجال المصوف ما نصه - وقد جاء في الصحيح من فعل اهل المغرب
 ما لا يدفعه دافع ولا ينزع في ثبوته منازع كمثل ما روينا من طريق
 مسلم بن الحجاج - مسنده الى سعد بن يحيى وقاص قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم - لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق الى يوم
 القيامة . ومن حديث سعد بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال - لا يزال اهل المغرب ظاهرين حتى تقوم الساعة . ومن تأول قوله
 عليه الصلاة والسلام على ان الغرب الدلو وانه اراد اهل الغرب وهم الغرب
 فيبطل تأويله ما روينا من طريق يحيى بن مخلد في مسنده قال : اخبرنا
 يحيى بن عبد الحميد قال حدثنا هشام قال اخبرنا داود بن ابي معبد عن
 ابي عثمان النهدي عن سعيد بن النبي صلى الله عليه وسلم قال - لا يزال
 اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة او ياتي امر الله - وخرج
 الدارقطني في فوائده مسنده الى سعد بن ابي وقاص قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم - لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق في المغرب
 حتى تقوم الساعة . وقال الامام الزاهد ابو بكر محمد الوليد النهري الطرطوشي
 نزيل لاسكندرية في رسالته المشهورة التي بعثها الى السلطان بمراكش
 بعد ان ذكر الحديث الذي اخرجهم مسلم فقال والله اعلم : هل ارادكم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم او اراد بذلك جملة من اهل المغرب لما هم
 عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والاحداث في
 الدين ولا تشغل لاثار من مضى من السلف الصالح رضي الله عنهم فشرفوا
 بهذه

قال - يتكلم في امر العامة من لا يتكلم قبل . قال : ويكون ذلك يا رسول الله . قال - نعم يا سلمان عندها تزخرف المساجد فكما تزخرف الكنائس والبيع وتعلي المصاحف بالذهب وتطول المناير وتكثر الصفوف والقلوب متباعدة ولا لسان مختلفة وفواهم لعقة على لسان من اعطي شكر ومن منع حشر . قال : ويكون ذلك يا رسول الله . قال - نعم يا سلمان عند ذلك قاتل سبايا من الشرق والمغرب تكون من امي فويل للضعفاء منهم وويل لهم من الله ان تكلموا قتلوا وان سكتوا قتلوا موت على طاعة الله خير من حياة على نصية الله . قال : ويكون ذلك يا رسول الله . قال - نعم يا سلمان عندها تشارك المرأة زوجها في امره ويحق الرجل والده ويبر صديقه يلبسون جلود الصان على قلوب الذئب ملوهم شر من الجيفة . قال : ويكون ذلك يا رسول الله . قال - نعم يا سلمان عندها تكون مبادئهم فيما بينهم التلاوة لما فيها ولا بد يسمون في ملكوت السماوات والارض لانجلس لارجاس . قال : ويكون ذلك . قال - نعم يا سلمان عند ذلك يتخذ كتاب الله من امي وتظهر القينات وينبذ كتاب الله وراء ظهورهم وهم يطلون الحدود ويميتون سنتي ويحيون البدعة ولا يقام يومئذ بنصر الله لا يامرون بالعرف ولا ينهون من المنكر عندها يغار على الفلام كما يغار على الجارية ويخطب كما تخطب النساء ويها كما تهيا المرأة عندها تقارب لاسواق قال كل لا ابيع ولا اشترى ولا رازق غير الله يا سلمان عندها تليهم الجبابرة ويمنعون حقوقهم ويملاون قلوبهم ربا فلا ترى الا خائفا مرعوبا عند ذلك يرفع الحج فلا حج بحج كبار الناس للهو واوساط الناس للتجارة وفقراء الناس للرياء والسعة . قال : ويكون ذلك . قال - نعم يا سلمان . اه .

الباب الثاني في ذكر المغرب وفيه فصلان

الفصل الاول في فضل المغرب عموما

قال في صلة السط ما نصه - ففي كتاب مسلم قال حدثنا يحيى بن يحيى الذي قال فيه ابن حنبل ما اخرجت نيسابور بعد ابن المبارك

فيصبحون فوق اجعين وتمتن لارض منهم فيؤذى الناس بنسنتهم فيستغيثون
بالله فيغيثهم فيبعث عليهم ريحا يمانية غبراء ويكفف ما بهم بعد ثلاث وقد
قذفت جيلهم في البحر ولا يلبثون الا قليلا حتى تطلع الشمس من مغربها .
وفذكر ابن العربي رحمه الله تعالى ما نصه : - روي عن ابي عبد الله عليه السلام
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بمقابلة
باب الكعبة في حجة الوداع ثم اقبل بوجهه الكريم على الناس فقال : يا
يا معشر الناس ان من اشراط القيامة امانة الصلاة واتباع الشهوات وتكون
لمرأه خوزة ووزارة فسقة . فوثب سلمان الفارسي فقال : يا ابي انت وامي
يا رسول الله وان هذا لكائن . قال - نعم يا سلمان وعندها يكون المنكر معروفا
والعروف منكرا . قال : ويكون ذلك . قال - نعم يا سلمان وعندها يذوب
قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما يرى ولا يستطيع ان
يغيره . قال : ويكون ذلك . قال - نعم يا سلمان ويؤمن الخائن ويؤمن
الأمين ويصدق الكاذب ويكذب الصادق . قال : ويكون ذلك . قال -
نعم يا سلمان لن اولى الناس قسم المؤمن بينهم يعني بالمخاضة ان تكلم
الكله وان سكنت سكنت يغظه يا سلمان ما قدست امة لا ينتقم قوما
لضعفها . قال : فيكون ذلك . قال - نعم يا سلمان وعندها يكون الطريقا
والولد فيضا وتفيض اللتام فيضا وتفيض الكرام فيضا . قال : ويكون ذلك .
قال - نعم يا سلمان وعندها يعظم رب المال ويتباع الدين بالدنيا وتنتس
الدنيا بعمل لاخرة واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وتركب الفروج
السروج فعليهم من امة لعنة الله يا سلمان وعندها يلي امة قوم جثتهم جثث
الناس وقلوبهم قلوب الشياطين ان تكلموا قتلهم وان سكتوا استباحهم لا
يرحسون صغيرا ولا يوقرون كبيرا وتوطأ حرمتهم ويجار في حكمهم عند ذلك
امارة النساء ومشاورة لاماء وثقوة الصبيان على الناس وتكثر الشرط وتهل
ذكر امة بالذهب ويتهلون بالزنا وتظهر القينات ويتغنى بكتاب الله
وتكلم الروبيضة . قال : يا ابي انت وامي يا رسول الله وما الروبيضة .
قال -

تعالى - وإن يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون - وقال ابن أبي حاتم
في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الدنيا جمعة من جمع لاخرة
سبعة آلاف سنة مضى منها ستة آلاف . وقال ابن أبي الدنيا في كتاب
حجم لامل : أنها علي بن سعيد أنها حمزة بن هشام قال : قال سعيد بن
جبير : أنها الدنيا جمعة من جمع لاخرة . وقال عبد بن حميد في تفسيره :
أنها محمد بن الفضل أنها حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق عن محمد بن
سيرين عن رجل من أهل الكتاب اسلم : قال إن الله تعالى خلق السموات
والارض في ستة ايام وإن يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون - وجعل
اجل الدنيا ستة ايام وجعل الساعة في السابع فقد مضت الستة ايام وأتم
في اليوم السابع . وقال ابو اسحاق أنها محمد بن محمد عن مسكويه أنها ابو
سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يهودا كانوا يقولون مدة
الدنيا سبعة آلاف سنة وإنها تعد بكل ألف سنة من ايام الدنيا يوما
واحدا في النار وإنها هي سبعة ايام معدودات ثم ينقطع العذاب فانزل الله
تعالى في ذلك - وقالوا لن تبسنا النار إلا اياما معدودة - إلى قوله تعالى -
هم فيها خالدون . ثم استورد خروج الدجال ومكته ونزول سيدنا عيسى
عليه السلام ومكته إلى أن قال : وأخرج احد في الزهد عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال : يلبث عيسى ابن مريم في الارض اربعين سنة لو يقول
للطغساء سيلي عسلا لسالت . وأخرج في المستدرک عن ابن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : بين اذني الدجال اربعون ذراعا - فذكر
الحديث إلى أن قال : وينزل عيسى بن مريم فيقتله فيمتعون اربعين سنة
لا يموت احد ولا يمرض ويقول الرجل لغنمه ولنواحيه اذهبوا فارعوا وتمز
الماشية بين الزرعين لا تأكل منه سنبلة والحيات والعقارب لا تؤذي احدا
والسبع على ابواب الدور لا يؤذي احدا وياخذ الرجل الد من القمح فيبذره
فيمشي سبعة مائة مد فيمكثون في ذلك حتى يكسروا دياجوج وماجوج
فيخرجون ويفسدون فيبعث الله دابة من الارض فتدخل في اذانهم

لله تعالى عنهم فقال في جمعة من جمع لاخرة قد مضى منها ستة آلاف
 سنة وبقي الف سنة والثاني ان عمر الدنيا ستة آلاف سنة وسبعماية
 عام قاله كعب الاحبار وذهب بن منبه رضي الله عنهما والثالث اربعة
 آلاف سنة وستماية سنة والشيخان واربعون سنة وهو قول النصارى
 والرابع خمسة آلاف سنة وخمماية واثنان وثلاثون سنة وهو قول
 والخامس اربعة آلاف سنة ومائة والستين والستون سنة وهو قول
 اليونان : قال جامعهم عفى الله عنه وقصارى ما لخصه بجهتد وقته جلال
 الدين السيوطي رحمه الله في كتابه المكشف في مجاورة هذه لامة لآل
 ما نفسه : قال الحكيم التوماني في نوادر الاصول حدثنا صالح بن محمد
 حدثنا يعلى بن هلال عن ليث عن مجاهد عن ابي هريرة رضي الله عنه
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ان الصفاعة يوم القيامة لمن حمل
 الكباثر من امتي ثم ماتوا عليها فهم في البلب لاول من جهنم لا تسرد وجوههم
 ولا تنزق ميونهم ولا يغفلون بالاعلال ولا يقرنون مع الشياطين ولا يصرون
 بالمقارع ولا يطرحون في ادراك منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ومنهم
 من يمكث فيها سنة ثم يخرج وطولهم مكثا فيها من يمكث فيها مثل الدنيا
 من يوم خلقت الى يوم افنيث - وذلك سبعة آلاف سنة - وذكر بقية
 الحديث ، وقال ابن عساكر انبا ابو سعيد احمد بن محمد انبا ابو سهل احمد
 ابن احمد بن ميمر الضيفي انبا ابو جعفر محمد بن شاذان بن سعدويه
 انبا ابو علي الحسين بن داود الباخي انبا شقيق بن ابراهيم الزاهد انبا ابو
 هاشم لايلي عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم - من مضى حاجته لمسلم في الله كتب الله له عمر
 الدنيا سبعة آلاف سنة صيام نهارها وقيام ليلها . وقال ابن عدي انبا
 ابو اسحاق انبا ابراهيم النبطي انبا احمد بن محمد بن حمزة بن داود انبا
 غمر بن يحيى انبا العلاء بن زيد عن انس رضي الله تعالى عنه قال : قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم - الدنيا سبعة ايام من ايام لاخرة - فقال
 تعالى

والعزوب . ومن ليس له بي طاقة اغلقت من اجله الباب . انيل الى
الطيط . القادر المستطيع . المتعبد بالبرود والفر . المتسكك من الدثار
بلوثق العرا . المرتقب قديمي وموافاتي . المتعجب للبيعة المشهورة من
كافاتي . ومن يعش عن نصكري . ولم يتشل امري . ارجفته بصوت
الروعد . وانجزت له من سيف البرق صادق الوعد . وسرت اليه بصاكر
السحاب . ولم اقنع من الغنمة بالاياب . معروفي معروف . وتيل نيلي
موصوف . وفمار اصحابي دانية الطوف . كم لي من وابل طويل المدا .
وجود واخر الجدا . وقطر حلا مذاقه . وفيث قيد العفاة الملائكة . وديمة
قطرب السمع بصوتها . وحياء يحيي لارض بعد موتها . اياحي وجيزة .
واوقساني عزيزة . وسجاسي معمورة بنوي السيادة . مقفورة بالخير والمير
والسعادة . نقلها ياتي من انواعه بالعجب . ومناقلها تسمع بذهب اللهب .
وراحها تنمش لارواح . وسقاتها بجفونهم السكينة تفتن العقول الصجاج .
ان زرتها وجدت مالا ممدودا . وان رزتها شاهدت لها بنين شهودا —

واذا ريت بسور كاسك في الهوى صلات اليك من العقيق مقودا
يا صاحب العودين لا تهملهمسا حرك لنا عودا وحرق عودا
فلما نظم كل منهم سلك مقالده . وفرغ من الكلام على شرح حاله . اخذ
الجماعة من الطرب ما ياخذ اهل السكر . وتجادبوا اطراف مطارف الثناء
والشكر . وظهرت اسرار السرور . وانشوت صدور الصدور . وحببت قبول
لاقبال . وانشد لسان الحال —

وما ذا يعيب المرء في مدح نفسه اذا لم يكن في قوله بكذب
ثم انقض المجلس وحل النطق . وتفرق شمل اطله وآخر الضجة الفراق .

الفصل الثامن في ذكر مدة العالم

واعلم ان العلماء اختلفوا في ابتداء مدة العالم وانقضائه على اقوال
احدها ان عمر الدنيا من هبوط ادم عليه السلام سبعة الاف سنة هكذا
رواه صاحب مقادير الجمان مرويا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي

الصفراء ويسكن الحشقات . وتخصب وجبات التلاح . وينهب مرف
السفرجل مع الرياح . وتسود عيون الزيتون . وتخلق نجاب النارنج
والليمون . مواعدي مسوعة . ومواندي ممدودة . الخير موجود في مقامي .
والرزق مقسوم في ايامي . الفقير ينصاع بملء صاعه . والغني يرتفع
في ريع ملكه واقطاعه . والوحش ياتي زرافات ووحدانا . والطير تغدو
خاصا وتروح بطانا -

مصيف له ظل مديد على الورى وتن جلا طبعا وجلل الخلاط
يصالح انواع الفواكه مديدا لصحتها حفظا يعجز بقراط
وقال الخريف : - انا سائق الغيوم . وكاسر جيش الغوم . وهازم احزاب
السوم . وحادي نجائب السحاب . وحاسر نقاب المناقب . انا اصد
الصدا . واجود بالندا . واظهر كل معنى جلي . واسمو بالوسمي والولي . في
ايامي تقطف الثمار . وتصفو لانهار من لاكدار . ويترقرق دمع العيون .
ويتلون ورق النصوص . طورا يحاكي البقم . وتارة يتشبه بالارقم . وحينما
يدو في حلتهم الذهبية . فيجذب الى حلتهم القلوب لالبيته . وفيها يكفي
الناس هم الهوام . ويتساوى في لذة الماء الخاص العام . وتقدم لاطيار
مطربة بنشيشها . رافلة في الملابس المجردة من ريشها . وتعصر بنت
العنقود . وتوثق في سجن الدنان بالقيود . على انها لم تجترج اثما . ولم
تعاقب إلا عدوانا وظلما . يبي تطيب لاقوات . وتحصل اللذات . وتترك
النسمات . ويرمى حصى الجمرات . وتسكن حرارة القلوب . وتكثر انواع
المطعم والمشروب . كم لي من شجرة اكلها دائم . وحملها للنفع المتعدي لازم .
وورقها على الدوام غير ذابل . وقدود اغصانها تجل كل ربح ذابل -
ان فصل الخريف واتى الينا يتهادى في حليه كالعروس
غيره كان للعيون ربيعاً وهو ما بيننا ربيع النفوس
وقال الشتاء : - انا شيخ الجماعة . ورب البضاعة . والمقابل بالسمع
والطاعة . اجع شمل لاصحاب . واسدل عليهم الحجاب . واتحفهم بالطعام
والشراب

ونصحه : - خضر فصول العام يجلس لادب ، في يوم بلغ منه الاربع لنهاية
الاربع . بمشهد من ذوي البلاغة . ومتقني صناعة الصياغة . فيعام كل منهم
يعرب من نفسه . ويفتخر على ابتداء جنسه . فقتال الربيع : انا شاب
الارمان . وزوج الحيوان . وانسان مین لانسان . انا حياة النفوس . وزينة
عروس الغروب . ونزهة لاصغار . ومنطق لاطيار . عرف اولماتي ناسم .
وايامي اعياد ومواسم . فيها يظهر النبات . وتنتشر لاموات . وترد الودائع .
وتتحرك الطباع . ويمرح جنيب الجنوب . وينزع وجيب القلوب . وتفيض
عيون الانهار . ويجدل الليل والنهار . كم لي عقد منظوم . وطرار وشي مرقوم .
وحلة فاخرة . وحلية طاهرة . ونجم سعد يدني راعيه من لامل . وشمس
حسن ينشدنا بعد ما بين بوج المجدي والحمل . صاكري منصوره .
واسلحي مشهورة . فمن شيف عصن مجوهر . ودرع بنفسج مشهر . ومغفر
شقيق اجر . وترس بهار ينهر . وسهم غاس يرشق فينشق . وزمخ سوس
سغانه ازرق . تحرسها ايات . وتكتفها ايات . بي تحمر من الورد
خدوده . وتهتز من البان قدوده . ويخضر عذار الريحان . وينتبه من
البرجس طرفه الوسنان . وتخرج الحبايا من الزوايا . ويفشر ثغر لافحوان
قائلا : انا ابن جلا وطلاع الثتيا -

ان هذا الربيع شي عجيب تصحك لارض من بكاء الساء

ذهب حيث ما ذهبنا ودر حيث درنا وكهنة في الفضاء

وقال الصيف : انا الخلل الموافق . والصديق الصادق . والطبيب
الحاذق . اجتهد في مصلحة لاصحاب . وارفع عنهم كلفة حمل الثياب .
واخفف اثقالهم . واوفر اموالهم . واكفهم المونة . واجزل لهم المعونة .
واغنيهم عن شراء الفراء . واحقق لهم ان كل الصيد في جوف الفراء . نصرت
بالصبا . واوثيت الحكمة من زمن الصبا . بي تنضج المجادة . وتنضج من
الفواكه المائدة . ويزجى البسر والرطب . ويتصلح مزاج العتب . ويقوى
قلب اللوز . ويلين عطف التين والموز . ويعتقد حب الرمان . فيجمع

ثم النزع ثم الهاجرة ثم الاصيل ثم العصر ثم الطفل ثم الغروب . ا .
وابط الله ادم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه بالهند على
جبل يقال له واشم عند واد يقال له كليل بين الدهنج والمندل بلديين
بارض الهند وهو شرقي ارض الهند وقيل على جبل يقال له يوف وقيل
بسرنديب على جبل الدهون منها وعليه الورق الذي خصفه لميس
فذرته الريح في بلاد الهند فعلته ككون الطيب في بلاد الهند من ذلك .
وعن ابن عباس رضي الله عنهما مثله واجبط حواء بجدة والحية باصبهان
وقيل بالبرية وابليس بساحل بحر لايلت بميسان . قيل ابو جعفر وهذا
لا نعلم صحته واما هبوط ادم بارض الهند فذلك ما لا يدفع ملأ لاسلام
فيه واهل التوراة والانجيل وان ادم لما اجبط من الجنة اخرج معه ثلاثين
قضيبياً مودعة اصناف الثمار منها العشرة لها قصور وهي الجوز واللوز والجوز
والفستق والخشخاش والشاة بلوط والبلوط والرائح وهو جوز الهند والموز
والرمان . وقيل لما نزل ادم من الجنة نزل بلربيع ووقات من ورق التين
قد ستر بها عورته فلما تاب الله عليه جاءه كل حيوان في الارض يهنئه بقبول
توبته ويتبرك به فسبق اليه منهم اربعة وهم الغزال وبقر البحر والنحل
والدود الذي يخرج منه الحرير فاطعم ورقة للغزال فصار منه المسك واطعم
ورقة لبقر البحر فصار منه العنبر واطعم ورقة للنحل فصار منه العسل واطعم
ورقة لدود الحرير فصار منه الحرير . فسبحان القادر على كل شيء . ثم ان
السنة في نفسها تنقسم الى اربعة فصول مختلفة لاحوال وقد اطلع بالتفنن
في احوالها اكابر ارباب البلاغة . من ذلك ما امطرته سحب البلاغة
برياضها . وتلاطمت بامواج فصاحتها بحار حياضها . وانساب من نيسان
بديعها اراقم الجداول فدارت كالحلائل بسوقها . وتاهت دوحة البيان على
علائنها بسوقها . ومالت تختال بلينها وبسوقها . في خلال لطافة ما لاحظها
قلب الا وصبا . ولذلك يدعونه نسيم الصبا . تاليف العلامة بدر الدين الحسن
ابن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقي لاصل الحلبي المولد والدار
ونصفه -

لايلى كما روي ابن سيد البشر ءادم عليه السلام وسيد العرب سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيدة الاشجار
سدوة المتهى وسيد الكلام القرءان العظيم وسيدة القرءان سورة البقرة وسيدة
سورة البقرة آية الكرسي وسيد الشهور شهر رمضان وسيد الايام يوم الجمعة
ولهم في ميها العم والكسر والاسكان وكل ذلك مع هم الحميم . ومن عكرمة
خلق في ساعتين منه الملائكة وفي ساعتين الجنة والنار وفي ساعتين الشمس
والقمر والكواكب وفي ساعتين الليل والنهار واختلف ايها خلق قبل
والصواب انه الليل فكان اولاً ثم خلق الشمس فصاءت فاصوات حصاة
النهار وذكر ان ءادم خلق يوم الخميس . وذكر في خبر ابليس ان الله تعالى
خلق الملائكة يوم الاربعاء والجن يوم الخميس وءادم يوم الجمعة وقيل بعد
احدى عشرة ساعة فكث جسداً ملقى اربعين عاماً من اعوام الدنيا ثم
نفخ فيه الروح وكان مكثه في السماء ومقامه في الجنة الى ان ابط منها
ثلاثاً واربعين سنة واربعه اشهر وذلك من ساعات الايام الستة . قال ابن
عباس رضى الله عنهما مكث ثلاث ساعات وهي ربع يوم وقدرها مائتان
وخسون عاماً من اعوام الدنيا . وقال وهب بن منبه مكث فيها ستة ايام
وابط في الجمعة الثانية . وتظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله خلق ءادم يوم الجمعة وفيه ابطه الى الارض واخرجه من الجنة
يوم الجمعة وثاب عليه يوم الجمعة وقبضه الله يوم الجمعة . وقال بعضهم
اخرج ءادم من الجنة في الساعة العاشرة او التاسعة والمعروف ما تقدم
كما ان بعضهم ذكر ان الله خلقه لساعتين مضتا من يوم الجمعة وقيل
لثلاث والصحيح ما تقدم . واسماء ساعات النهار الذرور والبزوغ والضحى
والغزاة والهجرة والزوال والدلوك والعصر والاصيل والصبوب والحدور
والغروب . واسماء ساعات الليل الشاهد والنسق والعجمة والوهن والقطع
والجوهر والعتلة والتباشير والفجر لاول والفجر الثاني والمعرض . ويقال في
ساعات النهار ايضاً البكور ثم الفروق ثم الاشراق ثم الراد ثم الضحى

فهي لم تجم لان القمر قجم في دنوه من الشمس ثم دأبى والواحدة داذلة
وهي في عدو الابل ان يقدم يدا لم يتبعها لاخرى وقيل غرو ثم نفل ثم
تسع ثم مشر ثم يص ثم درع ثم ظلم ثم حناس ثم دأبى ثم بخلق . واما
الايام في انفسها فقد اختلف في اليوم الذي ابتدأ الله فيه الخلق فقيل
لاحد وقيل السبت وقيل للاثنين ولاول اصبح على ما ذكره القرطبي في
مسالك الممالك وقال رحمه الله تعالى كذلك وروي عن ابن عباس رضي
الله عنهما ومن ابن مسعود ايضا ورواه مالك يرفعه الى ابن سلام فخلق
الارضين يوم لاحد وللاثنين وخلق ما عليها من المنافع يوم الثلاثاء والاربعاء
- وقوله تعالى - والارض بعد ذلك دحلا - دحى الارض في يومين ايس
الماء فجعله ارضا واحدة ثم فلقها سبع ارضين في يومين وفرغ من سائر
الخلق في يومين . فائدة . ان قيل لم خلق الله السماء قبل الارض وما
الحكمة في ذلك وما السر في رفعها بغير عمد - قيل خلقها قبل الارض ليعلم
ان فعله جل وعلا خلاف افعال الخلق فخلق اول السقف ثم لاساس
ورفعها على غير عمد ليدل على كمال قدرته تعالى وروي انه لما اراد الله
عز وجل خلق السماوات والارضين سلط الريح العقيم على الماء فغطت
امواجه وكثر زبده وصعد دخانه وسماء فسماء سما وقال لزبده اجمد فجمد
فصار ارضا وخلق الارض على حوت والحوت الذي ذكره الله تعالى في سورة
- ن والقلم - والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك
والملك على صخرة والصخرة في الريح والصخرة هي التي ذكرها الله حكاية
عن لقمان بقوله تعالى - فتكن في صخرة - فاضطرب الحوت فتزلزلت
الارض فارساها بالجمال فذلك قوله تعالى - وجعل فيها رواسي ان تميد
بكم - ثم استوى الى السماء وهي دخان - ففتق السماوات وكانت رتقا يوم
الخميس والجمعة وانما سمي جمعة لانه تعالى جمع فيه خلق السماوات
والارض . قال ابن سلام وكعب لاخبار وخلق آدم في اخر ساعة من
يوم الجمعة فذلك الساعة التي تقوم فيها الساعة ويسم الجمعة هو سيد
الايام

وكلن امر الله قديرا مقهورا - وجلا بمصلاك هندس السقي - واتقسم بلدك في
 قولي والقمر اذا اتفق - قدرك اثر الابل - ومجلك نبيه انبيل - ووجهك يا
 بعينته الحسن جميل - على رسل جمالك من جمار الى قتب العلا ولا رسل -
 خباوكت اسم عن البسكنا احسن الحجر - وقعل جدم من جعلكنا مصباحين
 لاجل النظر - ومن ايامه الليل والنهار والشمس والقمر - ثم لم يرح يسري
 وانا لا لبرج - ويتجلى وانا شاعد وجهه الاصبح - الى ان غاب واختفى
 وحسنا الله وكفى - اء - وسني العجم شمسية وهي ثلاثمائة وستة وستون
 يوما وقبيل خمسة وستون يوما والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث
 سنين - قسائل الله تعالى - ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا -
 ومن املاء شيخنا سيدي احمد برناز وقرا حزة والكسائي ثلاثمائة سنين على
 اضافة ثلاثمائة الى سنين ومخصص هذه القراءة ان يكون اقل لبثهم تسعمائة
 وتسع سنين بدليل قوله تعالى - قل الله اعلم بما لبثوا - اذ كل فرد من الافراد
 التي اضيف اليها ثلاثمائة سنين بالجمع واقل الجمع ثلاثة وقال ابو السعود
 ولبثوا في كهفهم احياء مضروبا على اذانهم ثلاثمائة النخ - واما شهور الفرس
 والعبرانيين وخوارزم واليونان فاخصصرت ذكرها اعدم وقوفي على تقييد
 الفاظها - واما اسماء ايام الاسبوع في المجالية فقد انشدني شيخنا ابو
 العباس احمد برناز املاء من حفظه -

الطمع ان اعيش وان اوقى باول او باهون او جبار

او التالى جبار فان افته فمونس او مروبة او شبار

ولما تسمية ايام الشهور العربية فقال ابو العباس ان العرب سمت كل
 ثلاثة ايام باسم فالثلاثة الاول من الشهر الغور والواحد الاخر قسال الراجز
 - في الليلة الغراء واليوم لاغر - لان الهلال يرى فيه كانه غرة ثم شهب
 ثم يهر لانه يبهج ظلمة الليل ثم مفر لان الليلة الثالثة منهن العاشرة ثم
 بيض لان القمر يهيج الليل كله ثم درع والشاة الدرعا التي مقدمها اسود
 وموخرها ابيض ثم خمس لان القمر يخس فلا يرى الا مظنا ثم دعم لسواد

واستمرت سافرة يحدوها من النسيم - والعنن تهوي مستقر لها ذلك تنعيم
 العزيز العليم - ، فلم يزل فكري يصلحها - وطرفي يرمطها ويراقبها -
 حتى اذا بلغت الى حيث انتهت وتلفت حثوكتها سائل من منزل
 ثم انشئت تبغي الحدود كأنها طير اسف يخافه من اجسدها
 ولما هجبت من العيون شخصتها - وخطف الغرب من يد الشرق قرصها -
 واكتحلت جنون لافق بالقار - وطود زنجي الليل رومي النهار - بزغ الهلال -
 بامر نبي الجلال - كانه قهس موتور - او زورق متجدر في بحر الديجور -
 او شطر سوار - او منجل بعد الحصاد لاعمار - او خنجر موهف النصليين - او
 فون مفرقة من لجين - وشقة كاس مائلة - او مخلب قلب صائلة - او
 قطعة من قيد - او فنج نصب للصيد - او حرف الجيم - او مرجون قديم -
 او حاجب شيخ الدجك الشيط - او نعل من حافر اذعم الدجى سقط - او
 ذباب سيف هرج من جفنه - او راعع يغبد من لا يحدث امر الا باذنه -
 فقلت مرحبا بكن اسباب مناويه رلعت - قرينا ستعود قبرا بعد ثلاث -
 ثم تصير بدوا - ان في ذلك لذكرى -

واذا رايت من الهلال نموه ايقنت ان سيكون بهرا كاملا
 انت الزمهرير - الذي ليس له في تغيرته ظير - انت الزبورقان - الذي
 له في كل شهر مهرجان - ايها القمر - حكم محب طاب له فيك السمر -
 ايها الواضح الباهر - ما انت الا مثل سافر - ايها البدر الكامل - الذي فصله
 للبرية شامل - لا تلتس على مافاتك من الدرج - ولا يكن في صدرك
 من الغزاة حرج -

فقد تحمد الشمس الصباح بصرها تفتت لانوار والكل راسق
 منازلك معروضة - ومماسكك موصوفة - وشرفك باذخ - وقدمك راصح -
 وديانتك طاهرة - وسفارتك سافرة - حكم اوصحت من طريق - وهديت
 الرفيق الى الفريق - واذكرت محبا بمحبوبه - وبلغت طالبا غاية مطلوبة -
 احسن بصره ذبا لك - وحيث بهالك - جعلك الباري في السماء نورا -
 وكان

جرحتم بالنهار - انتهى . ولا تدرك حقيقة التمييز بينهما إلا بشهادة
 الشاهدين اللذين اشرق طلوعهما بصنجات الزمان ويهر . الأوهما الشمس
 والقمر • وقد وشى الحلي طرازها المشرق - وسلى الطنثان من زلال بيانها
 العذب المشرق - فقال : بكرت يوما بعد اداء الفرض - اتفكر في خلق
 السموات والارض - فاحسنت المشرق بالنظر - واذا قرن الغزاة قد ظهر -
 كأنه جذوة نار - أو قطعة من دينار - أو كلس ستر بعصه بالجلب - أو
 حناء غطت وجهها بقلب - ثم كشفت استارها - والقت على لافق انوارها -
 وبرزت كأنها كرة في ميدان - أو بمن صمخ بالزفران - أو مرءاة لم تغفل
 ولم تطرق - أو وجه مليحة في خمار ازرق - أو هيكل زجاج متفخمة
 الجوانب - أو بوتقة يجمول فيها ذهب ذائب - وكأنها عند انبساط شعاعها
 تير يذوب على فروع المشرق . فقلت اهلا بالجارية - التي في طلوعها ما
 يغني عن الجارية - والعين التي تغار منها العين - والجوذة التي وضع منها
 الجبين - والسراج الوهاج - الذي تبرجت به لابرار - انت المخصوصة
 بالشرف والرفعة - انت واسطة عقد الكواكب السبعة - انت للحكمة
 بوهان - وللفلك عيج وميزان - انت الناطقة في صمتها - التي قصر البليغ
 عن وصفها ونحها - انت ملك مقدم - انت النير لا عظم - انت بوح - التي
 تغدو في مصالح العالم وتروح - انت ذكاء التي اذكت نارها - انت الصبح
 التي اعلى الله منارها - انت الشمس - التي بها تعرف الاوقات الخمس - بل
 ينشر الظل ويطوى - ويشد النبات بعد ضعفه ويقوى - ويستدل على
 طريق الصواب - ويعلم عدد السنين والحساب - لما سمرت راحلة في الحلال
 المصفرة - سميت آية الليل وجعلت آية النهار مبصرة - وناهيك بها
 منزلة - وحسبك ان صفاتك في الكتاب منزلة - ثم تمشت على بساطها -
 وخطرت في وشيها ورباطها - وسبحت في فلكها مرشدة الى الحقائق - مطهرة
 اسرار الساعات والدرج والدقائق -

تسمو الى كبد السماء كالبها تبقي هناك دفاع امر معصل

بهر منع الجز عن مده - او كيز ليس له على النهض اقتدار - او هرير ايس طرفه من روية النهار -

او هائم غير بقطع الفلا قد حار لا يدري بن يتدي
او جيش زنج باللوى قد ثوى او دارة حيث انتهت تبتدي
واعلم ايها البصير الناقد - انه يطول على المهجور الفاقد - ويقتصر على
المسرور الرائد -

ليلي كما شاعت فان لم تزر طال وان زارت فليلي قصير
فقلت له ايه ايها لامل - اسمعي شيئا في وصف لا ايام - فقال -
لله ايام تقصت لنسا ما كان احلاها واحناها
مرت فلم يبق لنا بعدها شي سوى ان تمناهما
حيث الوقت معين - وماء الشبيبة معين - ونشر البشرفائح - ونور الهناء
لائح - والحبيب محبيب - والرقيب غير قريب - وغصن الصبا رطيب -
ومطرف اللهو قشيب - والعيش ضئ والدهر ضئض الطرف - وسعاد السعد
منوعة من الصرف -

والشمل مجتمع والجمع مشتمل على الجميل وحسن الخلق والخلق
يا احبا لادب - الى كم ذا الحرص والدادب - لا ايام نجمها غرار - ومدعي الوفاء
منها غدار - كثيرة الملل - سريعة الزوال - تفرق الحبائب - وتسترجع
المواهب - ذمامها ذميم - ومسامها سليم - تحمل العقود - ولا تحفظ العهود -
تكدور الصافي من الشراب - وتعد الظامي بورد السراب - لقد سقط سن
تمسك بعراها - وتعب سن قصد الراحة في ذراها -

ومكلف لا ايام ضد طباعها مطلب بالماء جذوة ناري
ثم قال مصت الجبهة والشفق - والفحمة والغسق - والقطع والسدفه - والبهرة
والزلفه - وان لسمات السحران تتخطر - ولعيون الفجران تتفجر - وقام
للوداع - فقلت زودني يا نعم المتاع - فقال ضع اوزار لا اوزار - واتق سن لا
تدركه لا بصار - وسجده بالعشي ولا بكار - وهو الذي يتروفاكم بالليل ويعلم ما
جرحتهم

ثم كافي وأيامه أحد وثلاثون وربيع وأربعة وأربعون سادس يئير وفي
أوله الأربعينيات وفي التاسع عشر منه غاية الطول ليلا وغاية القصر نهارا وفي
الثالث والعشرين تنهي زيادة الليل وتكثر الأنداء وتسقط أوراق الحجر *
ثم اعلم أن سني العرب قنريثة وهي ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس يوم
وصمت يوم ومن هذا الخمس والستين يحصل الكبس . قال السوسي -

أيامه سند وزيد الخمس والستين منهما يكون الكبس
وقوله أيامه ألح المعتبر في حسابهم اليوم وليعلمه إذ هما يدا الدهر الذي
في خلال تصرفهما باذن خالقهما ما يعجز الالباب عنه - ولا يمكن بالحيلة رده -
وكيف وهما آيتان بالتأمل والاعتبار - ومن آياته الليل والنهار - وقد اجاد
بدر الدين الحلبي في وصفهما - وناسب في وصفهما - فقال - أرقت ذات
ليلة في مهادي - فسمعت طارقا في النادي ينادي -

ان الليالي للأنام مناهل تطوى وتنشر بينها لأعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار
فسمعت من مضجعي - وقد بل رذني مدمعي - متحيرا في أمري - متأسفا على
ما فات من عمري - وقلت أيها الطارق - في ظلمة الليل الفاسق - هل لك
في المنادمة - فقال كم نديم سفك المنادمة - ثم سلم وجلس - وثنفس وما نبس -
فقلت يا سن شفى السمع بدررة - اذكر لي في طول الليل وقصرة - فقال -

وليل كواكبه لا تسير ولا هو منها يطيق البراحا
كسيم القيامة في طولها على سن يراقب فيه الصباحا
مقيم ليس يبرح - وعاجز لا يظعن ولا يترح - برد نجومه لا يذوب -
وغائب صوة ليس يثوب - لا يبلى جديد مسحه - ولا يجنح الى الحركة
ساكن جنحه - طيله ما يرجي صلاحه - ومباحه ما يلوح مصباحه - قطع
الطريق على السحر - وهذب اجفان الحبين بالسهر -

حدثوني من النهار حديثا او صفوه فقد نسيت النهارا
كانه صريع راح - او طائر مقصوص الجناح - او اسير يتخبط في قيده - او

الم لك جاركم فتركتهموني لكياني في دياركم مسجوا
واخرت العشاء الى سهيل او الشعري فيلحال بي العشاء
لسال انما قال الشاعر هذا لان سهيلا انما يطلع سحرا وكذلك الشعري
فاراد اني انتظرت معروفكم حتى ايسر منكم كما يابس صاحب العشاء اذا
طلع سهيل لانه لو اتى اذ ذاك بما ياكله لم يسم عشاء لفوات اسم العشاء
بدخول السحر وهذا الذي قال ابن السيرافي من ان سهيلا انما يطلع سحرا
لا يصح على اطلاقه لان طلوع سهيل يختلف باختلاف الارض واختلاف
البلدان فرب بلد يطلع فيه سحرا وقد طلع في غيره عشاء وربما طلع في
ذلك الموضع بعينه في فصل آخر سحرا وهو في هذا كسائر الكواكب لا
ان يعني انه في ذلك الزمن الذي قيل فيه الشعر كان يطلع في ذلك البلد
سحرا فحينئذ يصح قوله على بعد هذا التاويل من كلامه . انتهى . وفي
الثالث عشر من شهر شتنبر منتهى زيادة نيل مصر وعيد كنيسة قمامة
وفي الرابع عشر عيد الصليب وفي الثاني عشر يستوي الليل والنهار وهو
لاعتدال الخريفي وهو اول الحريف عند العجم واول الربيع عند الصين .
- كوير - واسمه بالسريانية تشرين لاول بفتح المثناة الفوقية وسكون الشين
المعجمة ثم راء مكسورة بعدها ياء مسفولة مثناة واء اخره نون وبالقبطية
يايه يياه موحدة بعدها الف ثم باء ايضا مكسورة ثم هاء واسم الحاء ومنهم
من جعل اسم لالف ودخوله اول ينبر وهو احد وثلاثون وفي الثالث عشر
منه تغور المياه ويضطرب البحر وفي الخامس عشر يبرد الزمان وتكثر الرياح
وفي الثامن عشر تنقيض مياه النيل وفي الحادي والعشرين يزرع على نيل
مصر وفي الثالث والعشرين يتبدى الهواء البارد . - نونبر - على وزن شتنبر
من ضم نون وسكون وبالسريانية تشرين لآخر وبالقبطية هتور يهاه
مفتوحة وثناة فوقية معصومة وواو ساكنة ثم راء مهملة واسم الدال ودخوله
رابع ينبر وهو ثلاثون وفي اوله تهب الجنوب . - دجنبر - وحبطه كشتنبر
وبالسريانية كانون لاول وبالقبطية كيهك بكاف بعدها مثناة مسفولة ثم هاء
ثم كاف

لا تحسبي ابلي سهيلا طالعا بالعام فالمرعي شعلته قابس
يريد ان ابله رات قبسا بالشام حسبه سهيلا فخشيت الموت فقال لها
ليس سهيل من الكواكب الطالعة بالشام فتخافيه وانما رايت قبسا فلا
تراجي وكذلك قول ابني الطبيب المتنبى —

وتصكر موتهم وانا سهيل طلعت بموت اولاد الزنساء

وذلك انه جعل حساده واصداده بهائم لجهلهم فسهيل يبيتهم بطلوعه
وجعلهم اولاد الزنساء لانتسابهم للفصل وليسوا منه كما ينسب اولاد الزنساء لآباء
ليسوا منهم . قال التجاني وسالت اعراب زماننا من هذا الذي يذكر من
تأثيره في الابل فقالوا لا نعلم له تأثيرا فيها الا ان طلوعه عندنا امان للابل
المغشوشة من الموت والغش ذلك معروف عندهم قالوا فما لم يمت بالغش قبل
طلوعه لا يموت بعده وكانت العرب عند طلوعه تفصل الحوار من امه ويقال
ان ذلك سبب كراهة الابل لسهيل ولهذا قال ساجعهم - اذا طلع سهيل .
برد الليل . وخيف السيل . وامتنع القيل . وكان لام الحوار الويل . وانا
كان لها الويل لفراقها له ويروى كان للحوار الويل لفصله ومنعه من الرضاع
وقد تكون الرواية الاولى موافقة لهذه فيكون معنى قوله وكان لام الحوار الويل
اي للحوار نفسه والليل في هذا السجع اما من القائلة وهي نومة الظهيرة او
من الشرب في ذلك الوقت فانه يسمى القيل . وقالوا ايضا في سجع اخوه
اذا طلعت الجبهة . تحانت الولهة . وتزرت السفهة . وقلب في الارض
الرفهة . قالوا الولهة بتحريك اللام النوق تحن الى اولادها وتتوله عليها
لاجل ما ذكرناه فان طلوع الجبهة مقارن لطلوع سهيل وقوله وتزرت
السفهة بفتح السين والفاء يعني السفهاء توابوا بطرا فاكثروا الفارة والافساد
وانما بطروا لانهم في خصب من اللبن لما فصلت اولادها والرفهة بضم الراء
وفتح الفاء قصب الزرع بعد اخراج الحب منه يعنى انه لم يبق من
الحبوب اذ ذاك الا الرفهة لاحتياجهم الى حفظ نعمهم لما تنازع السفهاء
خوف الفارة واعرف ان ابن السيرافي لما تعرض لشرح قول الشاعر —

أبو علي في الأملاني لأعرابي يصف نارا —

رايت بحزن مرة ضوء نار تلالا وهي واضحة المكان
فنبه صاحباي بها سهيلا فقلت تثبتا ما تبصران
انار اوقدت لنوراها بدت لكما ام البرق اليماني
كان النار يقطع من سناها بنائق حبة من ارجوان
وكل ذلك اشارة الى احمراره واضطرابه وتستندم قبل سهيل خمسة كواكب
تسمى العذارى او هي في المجرة اسفل من الشعري العبور وكوكب آخر
يسمى حصار على وزن حذام ويقال له ايضا الحنث وذلك لانه شبه
بسهيل فيظن من رءاه انه هو ويحلف على ذلك فاذا طلع سهيل تبين له
غيره فيحنث . وكانت العرب تزعم ان سهيلا يعثر الناس بضم الشين اي
ياخذ عشر اموالهم وكذلك الضب وانهما كافا ماكسين على تجار البر والبحر
فمسخهما الله سبحانه مقربة لهما وجعل احدهما نجما في السماء والاخر
حيوانا في الارض والى هذا اشار الحكيم ابن عمر البهراني لاصى بقوله وكان
اتى ابن العنبر بالبادية واقلم معهم فكان يتفقه بقلهم وينقي بفتاحهم —

ان ربي لما يشاء قدير ما لما ان اراده من مفسر
ماسخ الماكسين نجما وضبا حين جاءا بكل مكس وعشر
وذلك من خرافات لاعراب واباطيلهم وانما الغريب من امر سهيل وهو
صحيح مشاهد ان لابل ساعة طلوعه تستدبره فلا تزال مولية بوجوهها عنه
مما دام طالعا وان كانت حين طلوعه مستقبله لجهته استدارت في الحين
فولته ادبارها وهذا امر شائع مستفيض لم ار من اهل لابل الا مقرا به مصدقا
له وكانوا يزعمون ان طلوعه سبب موت لابل ووقوع الوباء فيها فلاجل
ذلك تكرهه وتستدبره وقد اشار الساجع الى ذلك بقوله - طلوع سهيل .
ضر للابل وويل - وقال الشاعر -

وكان احمر فيهم من سهيل اذا وافى واشام من قسواح
وعليه بنى ابو العلاء قوله —

لا تحسبي

والعشرين تشدد صولة الحر ويرتفع الطاعون - - الخبيث - وهو بالسريانية
 باب بالذ وأخوه باء موحدة وبالقطيعة مسرا بضم الميم وسكون السين
 المهملة وفتح الواو مقصور واسم الحميم ودخوله ثالث ينير وهو واحد وثلاثون
 وسادسه اول عيد النجالي والسابع عشر آخره - - يثتير - بضم الشين المعجمة
 وفتح التاء المثناة فوق وسكون النون وفتح الياء الموحدة ثم راء وبالسريانية
 ايلول بفتح الهمزة وسكون المثناة تحت ثم لامان بينهما واو اولهما مضمومة
 واسمه بالقطيعة ثوت بفتح التاء المثناة فوق ثم وار ثم تاء كالاولى واسمه
 الولد ودخوله سادس ينير وهو ثلاثون يوما ، قال التجاني وفي سابع شتير
 يظهر سهيل على قرب اذا كانت الجوزاء سموا في وسط السماء في المواضع
 التي يظهر منها وموضع الذي يظهر منه بافريقية من قصر الجم واذا كانت
 غلقة او هابطة في اقصى المشرق او المغرب لا يرى وهو من الكواكب
 اليمانية ولذلك قال صر بن عبد الله بن ابي ربيعة الخزومي موريا
 بذكرة وبذكر الثريا عن سهيل بن عبد الرحمان بن عوف والثريا بنت
 عبد الله بن الحارث بن امية لاصغر بن عبد شمس لما تزوجها -

ايها للنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان
 هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمانى
 وفيه فيما يظهر لناظرة احرار واضطراب شديد وذلك لقربه من لافق
 فان الكواكب تكثر حركتها هنالك وكلما ارتفعت قلت حركتها وقد تعرض
 لها حركة ايضا وهي مرتفعة اذا كان في الهواء تموج وقد قال ابو
 العلاء المعري -

وسهيل كوجنة الحب في اللون وقلب الحب في الخفقان
 يسوح اللون في احرار كما تسوح في اللحم مقلعة الغضببان
 قدماه وراه وهو في العج زكساع ليست له قدمان
 قدماه كوكبان تحته يعرفان بقدمي سهيل يقول قد ثبت انه له
 قدمان ولكنه لم يبرح فكانه لا قدمين له يشير الى طول الليل وانشد

المصين . - أبريل - وأسمه بالسريانية نيسطان بكسر النون وياء تحية مثناة ساكنة وسين مهملة مفتوحة بعد الياء وبالقبطية برموده بفتح الباء الموحدة وراء ساكنة وميم مصمومة بعدها واو ساكنة ثم دال مهملة ثم هاء وإيامه ثلاثون واسم الزاي ودخوله سابع ينير وفي أوله يوجب المطر وفي رابعه عيد الشعانين وفي الحادي عشر عيد النصارى وفي السابع والعشرين منه مد الفرات . - مايو - وهو بالسريانية أيار بهمز ثم مثناة تحية ثم ألف ثم راء وبالقبطية بشنس بياء موحدة ثم شين معجمة ثم سين مهملة بينهما نون وإيامه اهد وثلاثون واسم الباء ودخوله الثاني من ينير وفي رابعه عيد الصليب وفي السادس عشر يهيج الصبا ويطيب ركوب البحر وفي الرابع والعشرين يرفع الطاعون ويحصد الزرع وتبين زيادة نيل مصر وتهب الدبور . - يونيو - وهو بالسريانية حزيران بفتح الحاء ثم زاي مكسورة بعدها مسفولة مثناة ثم راء ثم ألف ونون وضبطه بعضهم بضم الحاء على صيغة التصغير وبالقبطية برونه ببناء موحدة وواوين ثم نون وهاء ساكنة وبعضهم كسر النون وجعله بواو واحدة ساكنة مع كسر النون وفتح الباء وإيامه ثلاثون واسم الهاء ودخوله خامس ينير وفي السادس عشر منه يتنفس نيل مصر وتغور المياه وفي الثاني عشر غاية طول النهار وقصر الليل وهو انقلاب الصيف وفي التاسع والعشرين تنظر اصحاب التجاريب بارض مصر فاذا كثر النداء فيه امتلا النيل والآلاء - يولية - وهو بالسريانية تموز بفتح التاء المثناة وضم الميم المشددة وزاي معجمة قبلها واو وبالقبطية ابيب بفتح الهمزة وكسر الباء الموحدة ثم ياء مسفولة مثناة ثم ياء موحدة كالاولى وإيامه اهد وثلاثون واسم الزاي ودخوله سابع ينير وفي سابعه تطلع الشعري وبطلوعها يعرف صالح الزرع من فاسدة وذلك انهم قبل طلوع الشعري بسبعة ايام ياخلون لوحا ويزرعون عليه اصناف المحبوب فاذا كانت ليلة طلوع الشعري وضعوا ذلك اللوح تحت السماء في موضع عال فما احضر من ذلك النبات فهو الفالح في تلك السنة وما اصبغ منه صفرا فهو الفاسد وفي الثاني والعشرين

طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ، ثم قرا - انا لما طغى الماء جلناكم في
الجارية - وان الريح يوم عاد عنت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل . ثم
قرا - بريح مصر هاتية - ولعلها عبارة عن الشدة ولا فراط فيها والصرص
الشديدة الصوت لها صرصة . قال البكري تاج العارفين وصف به ولم
يقول صرصة كما قال هاتية مع ان الريح موشة لان الصرص وصف
مختص بالريح فاشبه بلب حايض وطامث وحامل بخلاف هاتية فان
غير الريح من الاسماء الموشة وصف به وقيل هي الباردة من الصر كانها
التي كثر فيها البرد وكثر فهي تخرق بشدة بردها . اه . وفي شعر حاتم
لعبد بن يسار -

اوقد فان الليل ليل قمر والريح يا موقد ريح مصر

صلى يرى نارك من يمسر ان جلبت صيفا فانت حر

وفي التفسير انا لما طغى الماء علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها زمن الطوفان
والشعور بالطوفان هو السبب في بناء اهرامات مصر فان بعض حكمائهم
اخبارهم فقال تخرج نار تم على جميع الدنيا وبنوها تحت الارض ليدخلوها
عند هذه النار وضعوها قبل لذخائهم واموالهم وكتبهم وجميع ما يعز عليهم
ويحتاجون اليه واخبروا بذلك ملكهم وكان رجلا شريفا للخمر لا يصحى منه
وبقوا على ابهة لدخولها فاذا هي ماء فدخلها الحكماء وسن كانت له قدرة
على الدخول معهم واما ملكهم فوجد سكرانا فلم يدخل وغرق . وقال القرطبي
في مسالك الممالك ولايام النحسات كل اربعاء توافق اربعاء من الشهر نحو
اربع خلون او بقين او اربع عشرة خلت او بقيت او اربع وعشرين خلون
او بقين . انتهى . - مرس - ويقال بائلت لائف بين الميم والراء واسمه
بالسريانية اذار بالمد وذال معجمة وراء بالقبطية برمهات بباء موحدة
وراء ساكنة وميم مفتوحة وهاء بعدها الالف ثم تاء وايامه احد وللاثون
يوما واسم الدال ودخوله رابع ينير ورابعه آخر ايام العجوز وفي الثاني عشر
يستوي الليل والنهار وهو لا اعتدال الربيعي وهو اول ربيع العجم وخريف

الأيام لا تخلو غالبا من برد أو ريح أو كدورة وهي المعبر عنها في الكتاب العزيز بالحسوم . قال البيضاوي حسوما متابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كفيها أو نحسات حسمت كل خير واستاصلته أو قاطعات قطعت دأبرهم ويجوز أن يكون مصدرا منتصها على العلة بمعنى قطعاً أو المصدر للفعل المقدور حالا أي يحسنهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وكانت مرسلة عليهم أولها من صبح يوم لأربعاء لثمان بقين من شوال . وفي الكشف وقيل هي أيام العجوز وهي آخر الشتاء وأساوها الصن والصبر والوبر ولامر والموتمر والمعلل ومطفي الجمر وقيل مكفي الطعن . وفي القاموس والصن بالكسر أول أيام العجوز وقال في الصحاح وصنابر الشتاء شدة برده وكذلك الصنبر بتشديد النون وكسر الباء قال طرفة -

بجفان تعترى مجلسنا من سديف حين هاج الصنبر

والصنبر تسكين الباء يوم من أيام العجوز ويحتمل أن يكون بمعنى وإنما حركت الباء للضرورة . وقال أيضا والوبر أيضا من أيام العجوز وقال أيضا وقول الشاعر -

وبأمر وأخيه موتمر ومعلل ومطفي الجمر

فهما يومان من أيام العجوز كان الأول منهما يامر الناس بالحدذر ولاخر يشاورهم في الطعن والمقام وقال في القاموس ومعلل كمحدث يوم من أيام العجوز ومطفي الجمر خامس أيام العجوز أو رابعها . قال جامع صفى الله عنه لم يذكر الكشف ولا غيره سوى سبعة أيام مع أن الآية الكريمة ثمانية . ثم قال الكشف ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء هائيت شديدة الغضب والعتو استعارة أو هتت على عاد فما قدروا على ردعها بهيئة من استتار بناء أو لياذ بجبل أو اختفاء في حفرة فانها كانت تفر عنهم عن مكانهم وتهلكهم وقيل هتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن . وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما أرسل الله سفنة من ريح إلا بمكيال ولا قطرة من ماء إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طفى

وبالقبطية طوبه بضم الطاء المهملة وكسر الباء الموحدة بعدها هاء ساكنة
وايامه احدى وثلاثون يوما وبرجه المجدي معوج الطلوع تراقي بارد يابس
انثوي ليلى منقلب جنوبي حامض ذو مرة سوداء وله من المنازل الذابح
وسعد بلع وثلاث سعد السعد . اه . وهكذا فعل في ابتداء كل شهر منها
غير ان الاختصار في المقال اولى بنا واليق بمقتضى الحال وفي الثاني
والعشرين منه تنتهي الاربعينات وفي الرابع والعشرين منه بدو الحشب
في الارض ويتزاوج الطيور . - فيرير - هكذا بقاء مكسورة فتحتية ساكنة فراء
مفتوحة فتحتية ساكنة وآخرة راء ايضا هذا هو اسم عند الروم واسمه
بالسريانية سباط بسين مهملة وتعجم ايضا وباء موحدة وبعد لالف طاء
مهملة وبالقبطية امشير بهمزة مكسورة فيم ساكنة وبعد المعجمة المكسورة
تحتية ساكنة وآخرة راء . قسال في المستوعب الكافي وعدد ايامه ثمانية
وعشرون يوما ودخله باليوم الرابع من ينير . وفي سابعة سقوط الجمرة
لاولى . وفي ثالث عشر منه يجري الماء في العود من اسفله الى اعاليه
وتنق الصفادع . وفي رابع عشر منه يصوم النصارى وتسقط الجمرة الثانية
وتحرك البراغيث . وفي الحادي والعشرين منه سقوط الجمرة الثالثة .
وفي السادس والعشرين منه ايام العجوز . وانما سميت ايام العجوز لانها
عجز الشتاء ولان عجوزا من عاد توارت في سرب فانزعجها الريح في الثامن
فاهلكها . وقوله في الثامن طبق ما في الاية الكريمة . ولم ادر ما معتمد
العيني رحمه الله تعالى حيث قال وهي سبعة ايام ثلاثة من شباط واربعة
من اذار قيل سميت ايام العجوز لان الله تعالى اهلك قوم عاد في هذه
الايام وتخلفت منهم عجوز كانت تنوح عليهم في كل سنة في هذه الايام .
وقال في الكشاف هلك في اليوم الثاني . وقيل انها كانت عجوز
كاهنة اخبرت قومها ببرد شديد في آخر الشتاء يسوء اثره على المواشي فلم
يكثرثوا بقولها وجزوا اغنامهم فجاء البرد فقتلها . واسماء ايام العجوز مرة
وقيل من بالنون ومنبر ووبر ووامر وموتر ومعل ومطفي الجمر . وهذه

وتبسيهات لا يستغنى عن مثلها وضبط بعض الالفاظ الواقعة للشهور فانها
 مسماة بحسب لغة كل قوم من الروم والقبط والفرس والسريانيين اذ لم تضبط
 عندهم اتكالا منهم على اشتهار استعمالها . وقال ايضا رحمه الله في المقدمة
 المذكورة اعلم ان القدماء من الامم الماضية والقرون الخالية اتفقوا على انه
 لا بد لكل امة من تاريخ معلوم تجعله اصلا في معاملاتها وحوادثها ومواسمها
 واتفقوا ايضا على ان عدد ايام السنة الشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع
 يوم وان يزيدوا في اربع سنين يوما وهي الكبيسة وسماوا شهورها بحسب
 لغاتهم ثم اختلفوا في تحديد اول السنة الشمسية مع اتفاقهم على ان فصلها
 اربعة فجعل المورخون من قدماء السريانيين التاريخ من هبوط اادم الى
 الارض وجعلوا شهر ابريل اول السنة تقدما لفصل الربيع وفصله على سائر
 الفصول عند حلول الشمس ببرج الحمل وقدم المتأخرون منهم الحريف فجعلوا
 ابتداء السنة من اول كتوبر عند حلول الشمس ببرج الميزان وقدم النصارى
 فصل الشتاء فجعلوا اول السنة ينبر عند حلول الشمس ببرج الجدي وهم
 المورخون بمولد المسيح لانه لم يتخلل بين المسيح عليه السلام وبين سيدنا عليه
 الصلاة والسلام نبي بل كان زمن فترة كما جاء في صحيح البخاري من اني
 حريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول انا اولي
 الناس بابن مريم والانبياء اولاد ملئت ليس بيبي وبينه نبي . وفيه من
 سلمان الفارسي قال الفترة بين عيسى عليه السلام وبين محمد صلى الله عليه
 وسلم ستمائة سنة فجري المسلمون بالاندلس والمغرب على استعمال شهورهم
 من ابتداء السنة العجمية وهو شهر ينبر وصار خفيفا على السنتهم قريبا
 من حسابهم وانما ابتدأت به العجم وهي الروم لزمهم ان اول يوم منه هو
 سابع مولد المسيح وانه يوم ختانه وهو من اكبر اعيادهم واسمه بالسريانية
 كانون لآخر وما انشده القاضي فياض رحمه الله في برد كانون قوله -
 كان كانون اهدى من ملاسمة لشهر تنوز انواعا من الحبل
 او الغزالة من طول المدى خرفت فما تفرق بين الجدي والحمل
 وبالقبطية

وانما يورخ بالليالي لان الليالي سابقة على الايام معرفة شرعا -
 هلقتها سوداء مصقولة سواد قلبي صفة فيها
 ما انكسف البدو على قمه ونوره الا ليعكسها
 لاجلها الا زمان اوقاتهما مورخات بلياليها

وقوله تعالى - كانتا رتقا ففتقنهما - قالوا ولا يكون مع الرتق الا الظلام فهو
 سابق على النور . قال المحافظ السيوطي وروى السدي عن اسحاق اول ما
 خلق الله النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا والنور نهارا وقد
 ثبت ان القيامة لا تقوم الا نهارا فدل على ان ليلة اليوم سابقة اذ كل يوم
 له ليلة . وقد ثبت ان التاريخ نوعان قمري وقد مضى تفصيله وشمسي
 وهو المبني على دوران الشمس وقد تعتبر الشهور الشمسية عند الفقهاء
 فيذكرون تارة القبطية كما نقل المحقق محمد بن ابراهيم التتاعي في تحقيق
 ظل الزوال من قول القائل الظل في توت وفي برمودة الخ ويذكرون تارة
 السريانية كما في تفسير الجليل للمحقق السهوري اثر قول المختصر وخروج
 الساعي طلوع الشربا بالفجر ونصفه وطلوعها بالفجر منتصف ايار على حساب
 المتقدمين وعلى حساب المغاربة والفلاحين السابع والعشرين من بشنش
 والشمس في عاشر درجة من برج الجوزاء وهو فصل الصيف . اه . وكل
 وكل من ايار وبشنش شهر شمسي الا ان لاول سرياني والثاني قبطي
 وسماهما معا مايو الرومي فكما سيأتي قريبا ان شاء الله تعالى . ولما مر
 الكلام على سرد الشهور القمرية وبيان ماخذ اشتقاقها رايت ان اثبت هنا
 ما حققه صاحب سطر اللال ناقلا عن برنامج لبعض فضلاء المائة الثامنة
 من علماء بجاية قال ولم اقف على اسمه الا ان الفاظه في طالع الككتاب
 المذكور تدل على نجاسته في هذا الشأن فانه من التحقيق بمكان ونص
 بعض تلك الالفاظ وقصبت فيه الى تلخيص ما طوله واسقاط ما كرره من
 غير اجمال في الاختصار ولا امل بالاكثار واقتضيت سبيل بعضهم في
 هذا الترتيب الذي رتبته والتفصيل الذي فصلته لكن مع زيادة بحملها

وقال علي بن محمد بن أحمد بن حبيب التميمي القليوبي الكاتب -
 بدا مستدق الجانين كأنه على لافق الغربي مخلب طائر
 وراح لمرى ليلتين كأنما تفرق منه الغيم عن اثر حافر
 وقال ابن نباتة -

كان شكل للال العيد في يده قوس على مهج الحصاد موشور
 او مخلب مده نسر السماء لهم فكل طائر قلب منه مذخور
 او منجل الحصاد القوم منعطف او خنجر موهف الحدين مطرور
 او نعل تبر اجادت في هديته الى جواد ابن ايوب القاديرو
 او راكم الظهور شكرا في الظلام له من فصله في السما والارض مشكور
 او حاجب اشط يتي بان له عمرا له في ظلال العز تعمير
 او زورق جاء فيه العيد منعذرا حيث الدجا كعباب البحر مسجور
 او لا فقل شفة للكاس مائسة تذكر العيش ان العيش مذكور
 او لا فنصف سوار قام يطرحه كف الدجا حين هيمه التبشير
 او لا فقطعة قيد فك عن بشر اخي الصيام عليه فهو ماسور
 او لافمن رمضان النون قد سقطت لما مضى وهو في شوال محصور
 وقال ابو الطليق الخزاعي -

كان الثريا والهلل امامها يد علقت منه بنصف سوار
 تضم على الشطر البنان وشطره يلوح كنون علقت بنظار
 ولجامعه غنى الله عنه -

بدا الهلال وفتح الليل يجذبه الى انتلاني نجوم ملتقى السمر
 كاقرع سارق يطل مختبرا لاي بيت يفاجي اول السحر
 وقال الحافظ السيوطي رحمه الله وانما كان التاريخ بالهلاية لتحديث
 - انا امية لا نحسب ولا نكتب - وحديث - اذا رايتوه فافطروا واذا
 غم فاكملوا الثلاثين - . وقال رحمه الله قبال والد شيخنا الهليني في التدوين
 كل شهر في الشرع فالمراد الهلالي الا شهر الاستحاضة وتخليق الحمل
 وانما

وصف الهلال ولقد تطلعت من منبلي بمنقار اليراع ما أغرى عليه التلذذ
ولا سماع فمه ما أسنده للصفاي رحمه الله تعالى -

قم بنا نلبس الربيع جديدا فلقد اخلت برود الشتاء
وتبدى الهلال مثل مقص فتصوره لقص ذيل السماء
وقال مضمنا -

كان هلال لافق لما بدا لنا ولاحظه كل بعين مراقب
محببة لما تراءت لصيها بدا حاجب منها وضنت بحاجب
وقال -

لاح الهلال فراقي النلس منظره وقد بدا في نواحي الغرب متصبا
كانه وتد قد جره طناب فاعوج منه ولكن لا نرى الطناب
وقال -

لا يعجب الناس من شكل الهلال اذا ما لاح في لافق الغربي متصبا
سعى ليخرج من تحت السحاب الى ان انحني ظهره من اجل ما تعبا
وقال -

هذا الهلال الذي قمنا نشاهده والغرب في رقه المنشور قد رمزه
كانه البعير غطاها اخو حذر فما نرى منه الا جانب الخرزة
وقال -

شرينا والدجا قد زاد طولا وجفني قد تجلفاه كراه
وزنجي الظلام غدا محلى بخالخال الهلال لمن يراه
وقال ابن المعتز -

اهلا بطرقك اناك هلاله فالان فاغد الى السرور وبكر
فكانما هو زورق من فصة قد انقلبه حيلة من غير
وقال ابو الحسن بن طاهر المصري -

والليل فرع بالكواكب شائب فيه مجرته كمثل المشرق
ولربما ياتي الهلال يعجره متصيذا حوت النجم بزورق

لأن النوق تشول فيه أي ترفع أذنابها للنساج وأما ذو القعدة فلقومهم فيه عن الحرب والغارات فقال الجمهوري ولم يقولوا ذوي القعدة وأما ذو الحجة فلأنهم كانوا يهلون فيه بالحج ويقصدون مكة وجمع ذوات الحجة . اهـ . وذو القعدة وهو صفة قامت مقام الشهر والقعود عن التصرف كقولك هذا الرجل ذو جلسة وإذا عرفت الرجل قلت ذو الجلسة وذو الحجة مثله مأخوذ من الحج وأما الربيعان ورمضان فليست بأسماء للشهر ولا صفات له فلا بد من إضافة شهر إليها كقولك شهر ربيع وشهر رمضان ويدل ذلك على ذلك أن رمضان فعلان من الرض كقولك الغليان وليس الغليان بالشهر ولكن الشهر شهر الغليان وجعل رمضان اسما معرفة للرمضان فلم يصرف لذلك . وأما رواية الحديث فيرون أنه اسم من أسماء الله تعالى . وربيع إنما هو اسم للغيث وليس الشهر بالغيث ولكن الشهر شهر غيث وصار ربيع اسما للغيث معرفة كزيد فإذا قلت شهر ربيع لأول ولاخر فهما صفتان لشهر وأعرابهما كالأربع ولا يكونان صفتين لربيع وإن كانا معرفة لأنه ليس هناك ربيعان وإنما هو ربيع واحد وشهر ربيع ولو كانا كذلك لكانا نكرتين لكنه مضاف إلى معرفة - انتهى كلام ابن درستويه .

قال جامعهم عفى الله عنه أن التعليل السابق في جادى وأنه مشتق من جود الماء وفي شوال وأنه تشول فيه لأبل الخ غير مطرد لانفكاك شهور الأهل من الشهور الشمسية حسبما هو مشاهد إلا أن يجاب بان الواضع وضع هذا الاسم على هذا الشهر باتفاق شولانها فيه عند زسن التسمية إلى آخر التعليلات والله أعلم . ثم لما كان التاريخ نوعين قمرى وهو النبى على دوران القمر وتاريخ العرب مبنى عليه وهو الذى يجري به العمل عند الفقهاء وقد مر بجانب في شأن شهرة ومدارة مبنى على روى الآية السأوية والخرقة لأفقية وهي الهلال الذى بهر الحكماء صنعه وأعجز الوافلين شكله ووضع . ولقد ولع بتشبيهه فحول الصدر لأول حتى رايت لحائمة المحققين الحافظ السيوطي رحمه الله تأليفا مستقلا سماء رصف اللال في وصف

وهي كلها معارف جارية مجرى لأعلام وقيل في سبط اللآل رحمه
الله قال ابن درستويه وليس من الأشهر ما يضاف إليه شهر للأشهر
ربيع وشهر رمضان قال الله تعالى - شهر رمضان الذي أنزل فيه
القرآن - وقيل الراعي

شهر ربيع ما تدور لبونهم إلا حموضا وخمعة ودويلا
فما كان من اسمائها أسما للشهر أو صفة قامت مقام الاسم فهو الذي
لم يجوز أن يضاف الشهر إليه ولا يذكر معه كالحرم إنما معناه الشهر
المحرم وهو من الأشهر الحرم وكصفر وهو اسم مرفعة كزيد من قولهم صفر
الأناء يصفر صفرا إذا خلى وجمادى وهي معرفة وليست بصفة وهي من
جمود الماء ورجب وهو معرفة مثل صفر وهو من قولهم رجب الشئ أي
عظمته لأنه أيضا من الأشهر الحرم وشعبان وهو صفة بمنزلة مظشان من
الشعب والتفرق وشوال وهو صفة جرت مجرى الاسم فصارت معرفة
وقيه تشول لأبل . وفي القاموس وشوال كشداد بلدة بمر و شهر القطر
جميعه شواويل وشوالا . وفي مراءات الزمان لسبط بن الجوزي رحمه
الله تعالى ما نصه سمي المحرم محرما لتحريم القتال فيه فكان من العرب
من يلقي قاتل أبيه أو ابنه أو أخيه فلا يتعرض له بسوء وكذلك في
سائر الأشهر الحرم وأما صفر فلان النازل كانت تصفر فيه منهم أي تخلو
والصفر الخالي وأما ربيع الأول وربع الثاني فلأنهم كانوا لا يرتبكون فيهما
وأما جمادى وجمادى فلان الماء كان يجمد فيهما وهو فعالى من الجمد وأما
رجب فمن الترجييب وهو التعظيم ويقال له رجب مضر لان مضر كانت
تعظمه أكثر من غيرها فنسب إليها وجميعه أرجاب وقيل أنه سمي للاسم
لأنه لا يشهد بالقبائح على هذه الأمة وأما شعبان فلان الشعب هو
الاجتماع وكانوا يتشعبون به بعد الفرقة وقيل إنما سمي شعبان لأنه
يتشعب فيه خير كثير لرمضان وأما رمضان غاشتقاقه من الرض وهو وقوع
حر الشمس على الرمل ومنه الرمضاء وأما شوال فهو من الشول وهو الارتفاع

التأديح في مطلق التاريخ الجاهل به لا يلتفت اليه ولا يعول في تحقيق العلوم عليه . وقد الحق بعض لايمته كما مر بالفساق . ووقوع هذه المبالغة مشعر بان فضله اذا لم يوضع للتفرج والمفاكحة مما كان عليه الاتفاق . انتهى كلام صاحب سمط اللال .

الفصل السابع في ذكر اسماء الاشهر ولايام

على اختلاف الملل وما جرت به عادة الله في بعضها ولما كان مبنى التاريخ على مدة من الزمان ليعلم بها مقدار حركة الفلك ومن اجزائه الاشهر ولايام التي تتميز بها المقادير ذكرت ما وقفت عليه من اسماء الاشهر في ملته لاسلام وغيرها على اختلاف الملل فالاول من اسماء الاشهر العربية المحرم الى ذي الحجة قال في سمط اللال وكانوا يكتبون شهر رمضان وشهر ربيع الاول وشهر ربيع الثاني فيذكرون الشهر مع هذه الثلاثة لاشهر ولا يذكرونه مع غيرها من شهور السنة والشهور كلها مذكورة لاسماء الا جمادى الاولى وجمادى الاخرى . وكان ابو عبيدة يوثق صفرا ويمنعه من الصرف والناس على خلاف ذلك . ولقد انشدني شيخنا ابو العباس احمد برناز رحمه الله

ثم الشهور كلها تذكر
الا جمادى ورووا وصفر
وليس مصروفا من البقاع
الا نواحي جي للسماع
مثل حنين ومنى وبدر
واسط ودابق وحجر

ومن خطه ما هو معزو للعلامة الشيخ سيدي احمد الفارسي الحبلي رحمه الله تعالى

ان حادي عشرين شهر جمادى في كلام الشهود لمن قيس
اثبتوا الشهر وهو مع رمضان والربيعين غير ذي لم يبيحوا
وتعدوا بحذف واو وانسابا لنون وعكس هذا الصحيح
فاكتبه حادي وعشري جمادى واعتمده فالنقل فيه صحيح
فصريح قد قال ذا ابن هشام جاد مثواه صوب غيث فسيح
وهي كلها

ولقد رايت مجلسا جمع ثلاثة عشر مدرسا منهم قاضي قضاء ذلك الزمان وغيره من الاميان فجرى بينهم وانا اسمع ذكركم من تعجبهم عليهم الصدقة وهم ذوو القربى المذكورون في القراءات فقال جميعهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وحادرا باجمعهم عما يجب فتعجب من جهلهم حيث لم يفرقوا بين عبد المطلب والمطلب ولم يمتدوا الى ان المطلب هو عم عبد المطلب وان عبد المطلب هو ابن هاشم فما احقهم بالعم كل لائم اذ هو اصل من اصول الشريعة قد اصلية وهاب من ابواب الانساب قد جهلوه . وقال في سمط اللال وسمعت من بعض الشيوخ رحمه الله تعالى ان ابن مالك والشاطبي حضرا عند الباوي وان الشاطبي اراد ان يصنف في النحو وابن مالك اراد ان يصنف في القراءات فاشار الباوي على كل منهما بعكس ما اراد وهذه الحكاية باطله جمع فيها بين ثلاثة انفس من ثلاثة قرون فان الشاطبي مات سنة تسعين وخمسمائة وابن مالك ولد سنة ستمائة او احدى وستمائة بعد موت الشاطبي باكثر من عشرين سنة ومات سنة اثنتين وسبعين وستمائة والبارزي كان بعد السبعمائة فانه مات سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة . وقال الصلاح الصفدي في تاريخه - التاريخ للزمان مرعاة . وتراجم العالم للمشارك في المشاهدة مرقاة . واخبار الماضيين لمن عانتهم الهموم ملهاة . وانشدوا -

لولا احاديث ابقتها او اثلنا من النداء والردا لم يعرف السمر
ولقد افاد التاريخ حزما وعزما . وموعظة وعلا . وهمة تذهب بها . وبياننا
يزيل عنها وهما . وصبرا يبعثه التاسي بمن مضى . واحتشاما يوجب الرضى
بما خفى وجلا من القضا . وقال سفيان الثوري رضي الله عنه فالتاريخ
يبين كذب الرواة من صدقهم . وقال ابو حفص بن غياث اذا اتهمتم
الشيخ فحاسبوه بالسنين بكسر السين وفتح النون المشددة تنبئ من وهو
العمر اي احسبوا سنه وسن من كتب عنه . وقال جاد بن زيد استعن
على الكذابين بمثل التاريخ . وقال في سمط اللال ولامخص ما ذكر ان

التجار أمثالهم يتعاطون أنواع قواعد الرقوم وكيفية الحساب وجميع طرق
السبب بالسند حتى تجد الصغير منهم يدرك خطيات التجر والظيف استقراخ
فروعه تصديقا للآية الكريمة - يعطون طاهرا من الحية الدنيا - واثق
ان بعض المتعلمين منهم نصب شبكة خديعة لمعلمه الذي هو بين يديه
وذلك انه احكم التفسير بخط معلمه غاية حتى صار لا يمكن لاحد ان يفرق
بين خطيهما وهو لا يظهر ذلك . ووجد قرطاسا به اسم معلمه بخط معلمه
فاحتال وركب عليه ما يقتضي ان بذمة معلمه للصانع مالا ذريعا وقدم
تاريخه ثم طلب استاذة في المال فانكروه فالج عليه فانكروه له ان تقام
الامر وترافعا لشرعهما والفي الخط لصاحب الحكم فقال الحاكم المعلم وقال
انظر هذا الخط وما تقول فيه فقال الخط خطي ولا مزية غير انه ما
دفع لي ولا درهما ابدا وينظر الحاكم الى شدة حرقة الطالب في المحك
على ماله وشدة حرقة المنكر واشتبه الامر حينما لا امر كذلك اذ اجتمع للعام
برجل مسن وحكى له غريبته فقال له تامل من القرطاس وانظر علامة
القرطاس وابحث عن السنة الى اخذ فيها لاذن من مقدم صنعتهم هل
السابق تاريخ صانع القرطاس او تاريخ الكتابة فحصى عن ذلك فوجد
لاذن لصاحب القرطاس مؤخرا من تاريخ الكتابة فارتفع خمار الشهية من
وجه القعية . وكان فيها بنور التاريخ انور مزية . وقال في سبط اللال
وسال اسماعيل بن عباس رجلا اخبار ابي سنة كتبت عن خالد بن معدان
فقال سنة عشر يعني ومائة فقال انت تزعم انك سمعت منه بعد موته
بسبع سنين . قال اسماعيل مات خالد سنة ثلاث ومائة . وقد روى يحيى
ابن صالح عن اسماعيل انه توفي سنة خمس . وقد وقع لعفير بن معدان
نظير هذا مع سن ادعى انه سمع من خالد ولكن عفير قال انه توفي سنة
اربع ومائة . وسئل ابو عبد الله الحاكم محمد بن حاتم الكشي عن مولدة لما
حدثت عن عمر بن حميد فقال سنة ستين ومائتين فقال سمع هذا من
عبد الله بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة . وفي سبط اللال ايضا ما نصه
ولقد

ولقد رايت مجلدا جمع ثلاثة عشر مدرسا منهم قاضي قضاء ذلك الزمان وغيره من الاميان فجزى بينهم وانا اسمع ذكرهم من تجم عليهم الصدقة وهم ذوو القربى المذكورون في القراءات فقلل جميعهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وحادوا باجمعهم عما يجب فعجبت من جهلهم حيث لم يفرقوا بين عبد المطلب والمطلب ولم يمتدوا حلة ان المطلب هو عم عبد المطلب وان عبد المطلب هو ابن هاشم فما احقهم بلوم كل لائم اذ هو اصل من اصول الشريعة قيد اهلوية وباب من ابواب الانساب قد جهلوه . وقال في سبط اللال وسمعت من بعض الشيوخ رحمه الله تعالى ان ابن مالك والشاطبي حضرا عند البارزي وان الشاطبي اراد ان يصنف في النحو وابن مالك اراد ان يصنف في القراءات فاشمار البارزي على كل منهما بعكس ما اراد وهذه الحكاية باطلة جمع فيها بين ثلاثة انفس من ثلاثة قرون فان الشاطبي مات سنة تسعين وثمانمائة وابن مالك ولد سنة ستمائة او احدى وستمائة بعد موت الشاطبي باكثر من عشرين سنة ومات سنة اثنتين وسبعين وستمائة والبارزي كان بعد السبعمائة فانه مات سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة . وقال الصلاح الصفدي في تاريخه - التاريخ للزمان مرواة . وتراجم العالم للمشاركة في المشاهدة مرقاة . واخبار الباضيين لمن عانته الهمم ملهاة . وانشدوا -

لولا احاديث ابقتها اوائلنا من النداء والرداء لم يعرف السر
ولقد افاد التاريخ جزما وعزما . وموعظة وعلا . وهمة تذهب حيا . وبياننا
يزيل وهنا ووهما . وصبرا يبعثه الناسي بمن مضى . واحتشاما يوجب الرضى
بما خفى وجلا من القضا . وقال سفيان الثوري رضي الله عنه فالتاريخ
يبين كذب الرواة من صدقهم . وقال ابو حفص بن غياث اذا انتهتم
الشيخ فحاسبوه بالسنين بكسر السين وفتح النون المشددة تثنية سن وهو
العمر اى لحسبوا سنه وسن من كتب عنه . وقال حماد بن زيد استعن
على الكذابين ببطل التاريخ . وقال في سبط اللال ولمنخص ما ذكر ان

التجار أمثالهم يتعاطون انواع قواعد الزقوم وكيفية الحساب وجميع طرق
السبب بالسند حتى تجد الصغير منهم يدرك خفيات التجار والطياف استقراجه
فروعه تصديقا للآية الكريمة - يطولون طاهرا من الحياة الدنيا - وأنفق
ان بعض المتعلمين منهم نصب شبكة خديعة لمعلمه الذي هو بين يديه
وذلك انه احكم التفتيش بخط معلمه غاية حتى صار لا يمكن لاحد ان يفرق
بين خطيهما وهو لا يظهر ذلك . ووجد قرطاسا به اسم معلمه بخط معلمه
فاحتال وركب عليه ما يقتضي ان بذمة معلمه للصانع مالا ذريعا وقدم
تاريخه ثم طلب استاذة في المال فانكره فالج عليه فانكره الى ان تقام
الامر وترافعا لشرعهما والقي الخط لصاحب الحكم فقال الحاكم المغلوم وقال
انظر هذا الخط وما تقول فيه فقال الخط خطي ولا مزية غير انه ما
دفع لي ولا درهما ابدا وينظر الحاكم الى شدة حرقة الطالب في الحق
على ماله وعدة حرقة المنكر واشتبه الامر فبينما الامر كذلك اذ اجتمع المعلم
برجل مسن وحكى له غريبته فقال له تأمل من القرطاس وانظر علامة
القرطاس وابحث عن السنة التي اخذ فيها لاذن من مقدم صنعتهم هل
السابق تاريخ صانع القرطاس او تاريخ الكتابة فتحص عن ذلك فوجد
لاذن لصاحب القرطاس مؤخرا من تاريخ الكتابة فارتفع خمار الشهية من
وجه القضية . وكان فيها بنور التاريخ انور مزية . وقال في سبط اللال
وسال اسماعيل بن عباس رجلا اخبار اي سنة كتبت عن خالد بن معدان
فقال سنة عشر يعني ومائة فقال انت تزعم انك سمعت منه بعد موته
بسبع سنين . قال اسماعيل مات خالد سنة ثلاث ومائة . وقد روى يحيى
ابن صالح عن اسماعيل انه توفي سنة خمس . وقد وقع لعفير بن معدان
نظير هذا مع سن ادعى انه سمع من خالد ولكن عفير قال انه توفي سنة
اربع ومائة . وسئل ابو عبد الله الحاكم محمد بن حاتم الكشي عن مولده لما
حدث عن عمر بن حميد فقال سنة ستين ومائتين فقال سمع هذا من
عبد الله بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة . وفي سبط اللال ايضا ما نصه
ولقد

وتفاصيلها والثاني عشر القلم الجامع وهو علم الرد على المبطلين ورفع شبه
المحرفين . فهذه الأقسام التي بها انتظام مصالح العام . انتهى ملخصا من
المواهب . ويصفي التاريخ ان خلق الله له قلم مخصوصا .

الفصل السادس في ذكر فوائد التاريخ وما ينشأ

من الجهل به والرد على من يرد عليه

قال صاحب سطر اللآل ومن فوائد التاريخ واقعة رئيس الروساء مع
اليهودي عدو الله الذي كان اظهر كتابا فيه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم امر باسقاط الجزية عن اهل خيبر فيه شهادة الصحابة منهم علي بن
ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه فحملته لرئيس الروساء ووقع الناس
في حيرة فعرضه على المحافظ ابي بكر الخطيب فتامله وقال هذا مزور ف قيل
له من اين لك ذلك فقال لان فيه شهادة معاوية وهو اسلم عام الفتح
وكانت سنة ثمان وفتح خيبر سنة سبع وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات
سعد يوم بني قريضة قبل خيبر بسنتين ففرج ذلك على الناس هما وثما .
قال جامعهم صفا الله عنه ونظيرتها ما حدثني به لاستاذ شيخنا سيدي
احمد برناز وذلك انه كان بمحضر علي خوجة بلبي قسطنطينة سنة
سبع ومائة والف ووفدت عليهم طائفة اليهود بايديهم رق قديم به خط
بين مضمونه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصى عليهم ان لا يضرم
احد وفيه شهادة عدة من الصحابة رضي الله عنهم منهم ابو بكر وعمر وغيرهم
ومن جعلتهم شهادة كعب الاحبار . فلما رآه الباي توقف وعرضه على
الشيخ فلما اطلع عليه قال قبح الله اليهود فان في هذه شهادة كعب
لاحبار وكعب الاحبار كان كافرا اذ ذاك ولا يكتب صلى الله عليه وسلم
شهادة كافر في كتابه وانما كعب لاحبار اسلم في ايام عمر رضي الله عنه .
فلما سمع الباي ذلك اراد ان يلقيه في النار فاستغاث اليهود فالتأه اليهم .
انتهى من لنظمه . ولقد اخبرني من ائق بخبرة بغريبة تضارعها وهي
من قاعدة ارباب المتجر من النصارى ان توضع ابناء اكابرهم بين ايدي

كتاب اطالع مونس احب الي من لانسنة

وادرسه فيرني القرون جمعورا واعظمهم دارسة

وقد اختار الله سبحانه وتعالى لنا ان نكون آخر لام واطلعنا على
اخبار سن تقدم لتعظ بما جرى على القرون الخالية وتعيها اذن واعية
ولنقتدي بمن تقدمنا من الانبياء والائمة والصلحاء ونرجو بتوفيق الله تعالى
ان نجتمع بمن يدخل الجنة منهم ونذاكرهم بما نقل الينا عنهم وذلك على
رغم انفس من عدم لادب ولم يكن له في هذا العلم ارب . انتهى ما نقل من
الحافظ امي شامة رحمه الله تعالى . قلت واذا لم يكن مشرف لاتباع لهذا
الفن الجليل الذي ملا رحاب الدفاتر بجميل ثماره وانار ظلام سواد الرقيم
باضواء نجومه الزواهر فزال صدا غباره إلا لاقتدك بسراج امامه الذي فتح
الله له بالاسلام اعظم باب لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا عمر
ابن الخطاب لكفى شرفا وكفى شرفا ما ذكره الشيخ ابو العباس اجد القسطلاني
في كتابه المواهب اللدنية ناقلا عن ابن القيم ان لاقلام اثني عشر قلم
وانها متفاوتة في الرتب فاعلاها واجلها قدرا قلم القدرة الذي كتب الله به
مقادير الخلائق كما في سنن ابي داود عن عبادة بن الصامت قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم قال له اكتب
قال ربي وما اكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة . فهذا
القلم اول لاقلام واجلها وقد قال غير واحد من اهل التفسير انه القلم الذي
اقسم الله به . والقلم الثاني قلم الوحي والثالث قلم التوقيع من الله
ورسوله والرابع قلم طب لابدان الذي يحفظ به صحتها والخامس قلم التوقيع
عن الملوك ونوابهم وبه تناس الممالك والسادس قلم الحساب وهو الذي
يعضبط به الاموال مستخرجها ومصرفها ومقاديرها وهو قلم الارزاق والسابع
قلم الحكم وهو الذي تثبت به المحقوق وتنفذ به القضايا والثامن قلم
الشهادة الذي يحفظ به الحقوق والتاسع قلم التعبير وهي كتابت وحي
المنام وتفسيره وتعبيره والعاشر قلم تواريخ العالم ووقائعه والحادي عشر قلم اللغة
وتفاصيلها

حقه مصعب بن الزبير ما رايت احدا اعلم بعلوم الناس من الشافعي
 يروى عنه انه اقام على تعليم ايام الناس ولادب مشرين سنة وقسال ما
 احدث بذلك إلا لاستعانة على الفقه وذلك عظيم الفائدة جليل العائدة .
 وقسال ابن شاكر في هيون التواريخ التاريخية من اعذب علوم الادب منبعها
 واجهاها مشربها وانورها مطالعا واحلاها من القلوب موقعا لم تزل محاسنه تروق
 وفوائده تفوق وفرائده تشوق يعرف اخبار سن سلف من العرب والعجم
 واحاديث ذوي المراتب والهمم وتستفاد منه محلسن لاعيان وتقهّم مواقف
 الشجعان ومقاتلي الفرسان واوقات مواليدهم ومدد اعمارهم ومواضع منازلهم
 ومعهده ديارهم وسيرة الكرماء في كل وقت ومن اختص بفيض هباته بالهيئة
 وغية بالوقت وكل عالم وعن اخذ فنون علمه وكل اديب ومحاسن نشره
 وبديع نظمه والنظر في السنة الشريفة واسماء رجالها ومراتب روايتها
 وطبقات فرسان مجالها حتى كان الواقف عليه قد ادرك كلا منهم في عصره
 ونظرة في ساعة ميدانه ومشيد قصره وراى لايمته واصبح للعلوم من افواههم
 ملتقيا وعلم سن كان بحمدته ومهزله الى ورود العلياء مترقيا او كانه قد شاهد
 كسرى في ايوانه وهو يقص الرويا على موبذانه وعاصر سيف بن ذي
 يزن في اوانه وجالس ابن ابي الصلت ينشده على قصر غمدانه . وفي
 كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من اخبار الامم
 السابقة وابناء القرون الخالية ما فيه عبر لذوي البصائر واستعداد ليوم
 تبلى السرائر . ومنه قبل هذا ما نصه ورايت ان المطلع على اخبار المتقدمين
 كانه قد عاصروهم اجمعين وانه عندما يفكر في احوالهم يذكرهم كأنه كان
 مشاهدهم وراى مشاهدهم فهو قائم له مقام طول الحياة وان كان متعجل
 الوفاة . قال نعيم بن حاد كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقيل
 له الا تستوحش فقال كيف استوحش وانا مع النبي صلى الله عليه
 وسلم واصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين . قسال وانشدنا
 بعض الفضلاء —

عجائب ما رأى ليلة اسري به وخرج وقال حدثوا عن بني اسرائيل ولا
 خرج . وذكر صاحب سبط اللال رواية ما في صحيح مسلم من سماك
 ابن حرب انه قال قلت لجابر بن سمرة رضي الله عنهما احكنت تجالس
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم كثيرا لا يقوم من صلاة الذي صلى
 فيه الصبح حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قلم وكانوا يتحدثون فياخذون
 في امر الجاهلية ويصيحون ويحسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي
 سنن ابي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال كان النبي
 صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بني اسرائيل حتى يصبح ما يقوم الا الى
 مظلم صلاة وقال تبارك وتعالى - لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة -
 وروى السيوطي في الجامع الصغير - بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني
 اسرائيل ولا خرج ومن كذب علي متعبا فليتبوا مقعده من النار .

ولما ما ورد من اهتمام الصحابة رضي

الله تعالى عنهم ومن بعدهم

قال ابو شامة رضي الله عنه ولم تزل الصحابة رضي الله تعالى عنهم
 والتابعون ممن بعدهم يتفاضلون في حديث سن مضي ويتذاكرون ما
 سبقهم من الاخبار وانقضى ويمتنعون الاشعار ويتطلبون الاثار وذلك
 بين من افعالهم لمن اطلع على احوالهم وهم السادة القدوة فلنا بهم اعظم
 اسوة وما بعد ما قال في شانهم سيدنا صلى الله عليه وسلم - اصحابي
 كالنجم فبايهم اقتديتم اقتديتم - رضي الله عنهم اجمعين . ومما ذكر في
 المقدمة من ابي شامة في خطبة كتاب الروضتين في اخبار الدولتين
 انه قال - اما بعد فانه بعد ان صرفت معظم عمري وجل فكري في
 اقتباس الفوائد الغريبة واقتناص الفرائد الادبية من لي ان اصرف الى علم
 التاريخ بعضه فاحرز بذلك سنة العلم وفرضه اقتداء بسيرة سن مضي من
 كل عالم مرتضى فقال امام من لا يمتد ويحكى منه من اخبار ما سلف فوائد
 جمة قال منهم امامنا الامام ابو عبد الله الشافعي رضي الله عنه قال في

حقه

سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل قالت الثانية زوجي لا ابث خبره
 عي اخاف ان لا اذرة ان اذكرة اذكر عجرة وبجرة قالت الثالثة زوجي
 عشتق ان اطلق اطلق وان اسكت اسكت قالت الرابعة زوجي قليل
 هامة لاجر ولا قر ولا مخافة ولا سامة قالت الخامسة زوجي ان دخل
 هذ وان خرج اسد ولا يسأل عما عهد قالت السادسة زوجي ان اكل لث
 ان شرب اششف وان اضطجع اثث ولا يؤلم الكف ليعلم البث قالت
 لسابعة زوجي فيايناء او غيايناء طباقهم كل داء له داء شجك او فلك او
 جع كلا لك قالت الثامنة زوجي المس مس ارنب والريح ريح زرنب
 قالت التاسعة زوجي رفيع العماد عظيم الرماد طويل النجاد قريب البيت
 من الناد قالت العاشرة زوجي مالك فما مالك مالك خير من ذلك له
 ابل كثيرات المبارك قليلات المسارح اذا سمعن صوت المزمر ايقن انهن
 هوالك قالت الحادية عشرة زوجي ابو زرع فما ابو زرع اناس من حلى
 اذني وملأ من شحم عضدي وبجني فبحث الي نفسي وجدني في اهل
 غنيمة بشق فجعلني من اقل سهيل واطيط ودانس ومنق فعنده اقول فلا
 اقبح وارقد فاتصب واشرب فاتقمح ام ابي زرع فما ام ابي زرع عكوما
 رداح وبيتها فساح ابن ابي زرع فما ابن ابي زرع مضجعة كسل شطبة
 وتشبع ذراع الجفرة بنت ابي زرع فما بنت ابي زرع طوع ابسها وطوع
 امها وملء كسائها وغيظ جاريتها ابي زرع فما جاريتها ابي زرع لا
 تبث حديثنا تبثنا ولا تنقث ميرتنا تنقشنا ولا تملأ بيتنا تعششنا قالت
 خرج ابو زرع ولاوطاب تمخض فلقني امرأة معها ولدان لها كالفهدين
 يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقني ونكحها فنكحت بعده رجلا
 سريا ركب شريا واخذ خطيا واراح علي نعما ثريا واعطاني من كل
 راحة زوجا وقال كلي ام زرع وميري اهلك فلو جعت كل شيء اعطانيه
 ما بلغ اصغرا نية ابي زرع قالت عائشة رضي الله عنها فقال لي رسول
 الله صلى الله عليه وسلم كنت لك كابي زرع لام زرع وحكي

وعلى الله وصحبه وسلم تسليما . قال في سبط اللآل ما نصه قال الراجعي
قد وضع الاستدلال بالتاريخ في الكتاب العظيم في قوله تعالى - قل يا اهل
الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده
افلا تعقلون - وهذا من لطيف الاستدلال ونفائسه من حيث انه تعالى استدلل
على بطلان دعوى اليهود في ابراهيم عليه السلام انه يهودي وبطلان دعوى
النصارى في ابراهيم انه نصراني وقال الله جل جلاله وهو اصدق القائلين
- وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه
الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين - . وقال عز من قائل - ولقد جاءهم من
الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغتها فما تغني النذر - . وقال سبحانه وتعالى
لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق
الذي بين يديه وتفصيل كل شيء - وقال عز وجل - ونبئهم عن صيف
ابراهيم - لا اية وقال تبارك وتعالى - نزلوا عليك من لمسا موسى وفرعون
بالحق لقوم يؤمنون - وقال ابن عباس رضي الله عنهما قد ذكر الله التاريخ
في كتابه العزيز فقال - ويسالونك عن لاهلته قل هي مواقيت للناس
والحج - اي في حل دينهم وصومهم وفطرم وعدة نساءهم والشروط الـ ان
تنتهي الـ اجل معلوم * -

واما ما جاء من لاسوة في التاريخ بالسنة المحمدية

على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية

فقد حدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث ام زرع وغيره مما جرى
في الجاهلية والاسلام والاحاديث لاسرائيلية فحديث ام زرع حسبما رواه
الشيخ الحافظ ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي رحمه الله في
الشمائل حدثنا علي بن حجر حدثنا عيسى بن يونس من هشام بن عروة
من اخيه عبد الله بن عروة عن عاتشة رضي الله تعالى عنها قالت
جلس احدي عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن ان لا يكتمن من اخبار
ازواجهن شيئا فقالت الاولى زوجي لحم جبل غث على رأس جبل رعر
لا سهل

صلى الله عليه وسلم فانها فرقته بين الحق والباطل . وقال آخرون لمولده
صلى الله عليه وسلم . وقال قوم لنبوته صلى الله عليه وسلم وكان هذا
الكلام في سنة سبع عشرة من الهجرة وقيل في ست عشرة فاتفقوا على قول
علي رضي الله عنه وكرم وجهه . قال ابو العباس احمد بن احمد الطبري كان
ذلك يوم الاحد اول يوم من المحرم وبينه وبين التاريخ الذي كان يورخ
به الفرس قبل الهجرة ثلاثون سنة فارسية واولها يوم الاثنين اول يوم من
فروردين ماه وبين اول تاريخ الهجرة وتاريخ الروم تسعمائة سنة واثنان
وثلاثون سنة سريانية وزيادة مائة وستة وثمانين يوما . ثم اختلفوا في
الشهور فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه ارخ من رجب فانه
اول لاشهر المحرم . وقال طاحنة رضي الله تعالى عنه من شهر رمضان لانه شهر
الامة . وقال علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه من المحرم لانه اول
السنة وهو من لاشهر المحرم . وقيل انما اثار بذلك اي بالمحرم مثمان
رضي الله تعالى عنه والاول اصح . وقال ابن سيرين وابن المسيب ثبت
التاريخ بمشورة علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه . وقال لاصمعي انما
ارخوا من ربيع الاول شهر الهجرة وهو دم .

الفصل الخامس في ذكر الامورة فيه بالقرءان

العظيم والسنة الحمديدية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية

اعلم ان الضرب الذي اهتمت به ارباب الحديث ان يكون المقصد
فيه احوال الولاة والعلماء والقضاة وفضلاء الروساء واهل المقامات الشريفة
والسيرة المحمودة الحمديدية من اوقلت ولاداتهم ووفياتهم وطرفا من مقالاتهم
ورواياتهم ومشائخهم وروايتهم . قال جماعة على الله تعالى عنه والحمد لله
ان هذا المبارك مقلد يعقود مآثر العلماء ومصنح بعبير فضلاء الوقت والقدماء
ومتوج بيواقيت مدح النزل عليه . وانك لعلى خلق عظيم - سراج لامة
وهاديهم - وما كان الله ليعذبهم وانك فيهم - المتوج بالفصل العظيم المرتضى
المبشر بقصارى الشفاعة - ولسوف يعطيك ربك فترضى - صلى الله عليه

يكتبون في شهر كذا من سنة كذا فقال عمر رضي الله عنه هذا احسن فارخوا .
وقال ابن اليقطين رفع لى عمر رضي الله عنه صك محله في شعبان فقال
ايما شعبان هذا الذي نحن فيه ام الماضي ام الذي ياتي . وقال الهيثم
ابن عدي اول من ارخ على ابن امية كتب لى عمر رضي الله عنه
من اليمن كتابا مورخا فاستحسنه وشرع في التاريخ . انتهى .

الفصل الرابع في مبدا التاريخ الاسلامي

واما التاريخ الاسلامي ففي ابتدائه اختلاف فروى واسطة عقد الحفاظ
جلال الدين السيوطي رحمه الله ذكر التاريخ من الهجرة النبوية على صاحبها
افضل الصلاة وازكى التحية حديثا مسندا عن ابن شهاب ان النبي
صلى الله عليه وسلم امر بالتاريخ يوم قدم المدينة في شهر ربيع الاول رواه
يعقوب بن سفيان حديثا يسند عن ابن شهاب انه قال التاريخ من
يوم قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا وقال ابن عساكر هذا هو
الصحيح والصواب . وروى ابن عساكر ايضا في تاريخ دمشق عن انس بن
مالك رضي الله تعالى عنه انه قال كان التاريخ من قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة . وكذا قال الزهري قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة في ربيع الاول فارخوا . وقال المحافظ المحفوظ ان الامر بالتاريخ
من زمن عمر رضي الله عنه كما قدمناه في الفصل قبله . وقال ابن عباس
رضي الله عنهما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وليس لهم تاريخ فكانوا
يورخون بالشهر والشهرين من مقدمه صلى الله عليه وسلم فاقاموا على ذلك
الى ان توفي النبي صلى الله عليه وسلم وانقطع التاريخ ومضت ايام ابي
بكر رضي الله تعالى عنه على هذا واربع سنين من خلافة عمر ابن الخطاب
رضي الله تعالى عنه ثم وضع التاريخ . وقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما لما عزم عمر على التاريخ جمع الصحابة رضي الله تعالى عنهم واستشارهم
فقال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ارخ لوفاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم . وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه ارخ لهجرته
صلى

فارخت بقتل دارا الى ظهور الفرس عليهم والقبط ببختنصر الى قلاو بطرة صاحبة مصر واليهود بيت المقدس والنصارى برفع عيسى . قال العيني واليونان بملك شلم بن فريدون ثم بظهور لاسكندر والمجوس بكيومورث ثم بظهور افريدون ثم بظهور ازديشير ثم بيزدجرد .

الفصل الثالث في سبب وضع التاريخ في لاسلام

قال السيوطي رحمه الله والحفوظ ان الامر بالتاريخ من عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخبره البخاري في الباب المفرد والمحكم عن مكحول بن مهران رفع الى سيدنا عمر رضي الله عنه ورقة فيها شعبان فقال شعبان الذي نحن فيه او الذي مضى او لا ثاني قال قال سيدنا عمر رضي الله عنه لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تسليما ضعوا للناس شيئا يعرفونه من التاريخ فكان عمر رضي الله عنه اول من حص على ذلك فقال بعضهم اكتبوا على تاريخ الروم فقال ان الروم يطول تاريخهم يكتبون من ذي القرنين فقال اكتبوا على تاريخ فارس ولم يزل يدور الحديث الى ان اجع رأيهم ان الهجرة كانت عشرين فكتبوا التاريخ من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فكان عمر رضي الله تعالى عنه اول من وضع التاريخ واول من عمر بالليل والناس قيام واول من نهى عن بيع امهات الولد واول من جمع الناس في صلاة الجنازة على اربع تكبيرات وكانوا قبل ذلك يكبرون اربعا وخمسا واول من جمع الناس على امام واحد يصلي بهم التراويح في شهر رمضان وكتب بذلك الى سائر البلدان وامرهم به واول من جمع الدرة وضرب بها ودون الدواوين . وروى ابن السمرقندي ان ابا موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه كتب الى عمر رضي الله عنه انه تاتينا منك كتب ليس لها تاريخ فارخ لتستقيم لاحوال فارخ . وقال في سبط اللاال ولم يكن في صدر لاسلام تاريخ الى ان ولي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وافتتح بلاد العجم ودون الدواوين وجبا الخراج واعطى لاعطية فقيل له الا تورخ فقال وما التاريخ فقالوا شي كانت تفعله لالاعاجم

وسلم ان يمزقوا كل ممزق • ورواه ايضا ابو داود والنسائي - انتهى من كتاب الانوار • وقد تقدم ما انشد عبد المسيح بين يدي سطيج بقوله اضم ام يسمع غطريف اليمى الخ فقد رواها ابو العباس احمد بن محمد بن عبد الرحمن لازدي لاندلسي من طريق آخر وهي -

اصم ام يسمع غطريف اليمى ام فاد فارلم به شاوي العنن
يا فاضل الخطبة اعيت من ومن اتناك شيخ الحجي من ءال سنن
وامه من ءال ذئب بن حجن ابيض فصفاص الرداء والبدن
رسول قيل العجم يهوي للوشن لا يرهب الرعد ولا ريب الرشن
تجوب في لارض علنداة شدن ترفعني وجن وتهوي بي وجن
حتى اتى عاري الجأجي والقطن تلفه الرمح بوغاء الدمس
كانما حثث من حصني شكن

الغطريف هو السيد الشريف - فاد اي مات يقال منه فاد يفود - وازلم به اي قبض ويحتمل ان يكون بمعنى ولى يقال ازلام القوم اي ولوا فيكون مقصورا منه - وقوله شاوي العنن يزيد الموت وما عن منه - الفضايف الواسع - القيل الملك واصلمه قيل مثل سيد وهو الذي له قول نافذ - العلنداة الناقصة الشديدة والبعيرة علندى - شدن اي غليظ - الوجن المتن من لارض - الجأجي جمع جوجو وهو الصدر فجعل كل موضع من الصدر جوجوا كما قال شابت مفارقة - البوغاء التراب الهابي - الدمن جمع دمنة وهي الموضع القريب من الدار التي بليت - حثه على الشيء اي حصنه عليه واستحنه وحثته بمعناه - شكن اسم جبل • قال لازدي وكان سطيج جسدا ملقى لا جوارح له ووجهه في صدره ولم يكن له راس ولا عنق ولا يقدر على الجلوس الا اذا غضب انتفخ فجلس • وذكر عن وهب بن منبه انه قيل له انى لك هذا العلم فقال لي صاحب من الجن استمع اخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله موسى فهو يودي الي من ذلك ما يودي - والله اعلم • ولترجع لكمال الفصل - وروى هشام بن الكلبي عن ابيه اما الروم فارخت

إلى كسرى ملكا وهو في بيت أبياته الذي لا يدخل عليه فيه فلم يرعه
 إلا وهو قائم على رأسه وفي يده عصا بالهاجرة في الساعة التي كان يقبل فيها
 فقال يا كسرى اتسلم أو اكسر هذه العصا فقال بهل بهل قال فانصرف
 عنه قال ثم دعى حرسه وحجابه فتغيظ عليهم وقال سن ادخل علي هذا
 الرجل قالوا ما دخل عليك ولا رايناه حتى اذا كان العام القابل اتاه في
 الساعة التي اتاه فيها وقال له كما قال المرة الاولى اتسلم أو اكسر هذه العصا
 قال بهل بهل قال فانصرف عنه قال ثم دعى حرسه وحجابه وتغيظ عليهم
 وقال لهم كما قال اول مرة فقالوا ما رايانا احدا دخل عليك حتى اذا كان
 العام الثالث اتاه في الساعة التي جاءت فيها فقال له كما قال في الاولى
 والثانية ثم قال له اتسلم أو اكسر هذه العصا قال بهل بهل قال فكسر
 العصا ثم خرج فلم يكن إلا تهوور ملكه وانبعاث ابناه فارس حتى قتلوه .
 قال عبد الله ابن ابي بكر فقال لي الزهري حدثنا عمر بن عبد العزيز
 هذا الحديث عن ابي سلمة بن عبد الرحمن فقال لي ذكر ان الملك انما
 دخل عليه بقارورتين قال اتسلم فلم يفعل فضرب احدهما على الاخرى
 ففرضهما ثم خرج فكان من هلاكه ما كان . وقد ذكر ابو الربيع الكلاعي
 حديث العصا من رواية الواقدي وفيه انه في المرة لاخيرة ضربه بالعصا
 على رأسه فكسرها وخرج من عنده قال فيقال ان ابنه قتله في تلك
 الليلة والله اعلم . قال الثعالبي وقد مرق الله ملك فارس على ايدي
 اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وروى مسلم في صحيحه عن انس
 رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى وإلى
 قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى الحديث . وفي
 صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بعث بكتاب الى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي فامره ان
 يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى فلما قرأه مرقه
 فحسبت ان ابن المسيب قال فدعى عليهم رسول الله صلى الله عليه

قد امرني باعفاء لحيتي وقص شواربي ثم قال ارجع حتى تأتياني غدا .
 فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء ان الله تعالى قد سلط
 على كسرى ابنه شيرويه في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا وكذا وكذا
 من الليل فلما عاد الى من الغد اخبرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقالا هل تدري ما تقول انا قد نقمنا عليك ما هو ايسر فنكتب هذا منك
 ونخبر به الملك قال نعم اخبراه بذلك عني وقولا له ان سلطاني سيبلغ ما
 بلغ ملك كسرى وينتهي الى منتهى الخف والمحافر وقولا له ان اسلمت
 اعطيتك ماتحت يديك وملكتك على قومك من لانباه . ثم اعطى خرخسرة
 منطقة فيها ذهب وفضة كان اهداها له بعض الملوك فخرجوا من عنده حتى
 قدما على باذان فاخبراه الخبر فقال والله ما هذا بكلام ملك واني لارى
 الرجل نبينا كما يقول ولنتظرن ما قد قال فلئن كان هذا حقا ما فيه
 كلام وانه لنبي مرسل وان لم يكن فسرى فيه راينا . فلم يلبث باذان
 ان قدم عليه كتاب شيرويه - اما بعد فاني قد قتلت كسرى ولم
 اقبله الا غضبا لفارس لما كان يستحل من قوم اشرافهم فاذا جاءك كتابي
 هذا فخذ لي الطاعة من قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب اليك
 فيه فلا تهجم حتى ياتيك امري فيه - فلما انتهى كتاب شيرويه الى
 باذان قال - ان هذا الرجل لرسول - فاسلم باذان واسلمت لانباء من
 فارس من كان منهم باليمن . وقد قال بانويه لباذان ما كلمت قط اريب
 منه عندي فقال باذان هل معه شرط قال لا . وروى عن الحسن البصري
 رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم ما حجة الله على كسرى فيك قال بعث الله عز وجل
 اليه ملكا فاخرج يده من سور جدار بيته الذي هو فيه تلالا نورا فلما
 رءاهما فزع فقال لم ترع يا كسرى ان الله قد بعث رسولا وانزل عليه كتابا
 فاتبعه تسلم لك دنياك وءاخرك قال سانظر في ذلك . وروى الزهري
 عن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن موف قال بعث الله سبحانه وتعالى
 الى

سعيد النيسابوري في كتابه شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن حذافة الى كسرى بن هرمز وكتب اليه - بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وأمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وادعوك بداعية الله عز وجل فاني انا رسول الله عز وجل الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحقق القول على الكافرين اسلم تسلم فان ابست فعليك اثم الجوس - فلما قرأه تسفنه وقال يكتب الي بمثل هذا الكتاب . قال محمد بن اسحاق بن سار حدثني الزهري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن ان عبد الله بن حذافة قدم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كسرى فشقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مزق الله ملكه حين بلغه انه شق كتابه . ثم كتب كسرى الى باذان وهو باليمن ان ابعت الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدتين فليأتياني به فبعث باذان قهرمانه وهو بانويه وكان حاسبا كاتباً بكتاب فارس وبعث معه رجلا من الفرس وكتب معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامره ان ينصرف الى كسرى وقال لبانويه انظر ما الرجل وكلهم واتتني بخبرة فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلا من قريش تجارا فسالاهم فقالوا هو بالمدينة واستبشروا بهما وفرحوا وقال بعضهم لبعض ابشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل . فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه بانويه فقال ان شهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب الى الملك باذان يامره ان يبعث اليك سن ياتيهم بك وقد بعثني اليك لتطلق معي فان فعلت كتب فيك الى ملك الملوك بكتاب يتفعل ويكف عنك به وان آيت فهو سن قد علمت وهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك . وقد دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما واعفيا شواربهما فكرة النظر اليهما وقال ويلكما سن امركما بهذا قالوا ربنا يعنينا كسرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن ربي عز وجل

ك ٤

ح س

النبيتين سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم . قال ابن اسحاق بلغني عن الزهري انه قال كتب كسرى الى باذان انه بلغني ان رجلا من قریش خرج بمكة يزعم انه نبي فسر اليه فاستتبهم فان تاب وإلا فابعث الي براسه فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبي صلى الله عليه وسلم فكتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وعدني ان يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا فلما اتى باذان الكتاب توقف لينظر وقال ان كان نبينا فسيكون ما قال فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال . قال ابن هشام قتل على يد ابنه شيرويه وقال خالد بن حق -

وكسرى اذ تقسمه بنوة باسيف كما اقتسم اللحام

تمخضت المنون له بيوم انى ولكل حاملته تمام

قال الزهري فلما بلغ ذلك باذان بعث باسلامه واسلام سن معه من الفرس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال السهيلي وكسرى هذا هو ابن هرمز وهو الذي غلب الروم حين انزل الله تعالى - اَلَمْ غَلَبْتَ اَلسُّرُومَ . وكان مقتل كسرى حين قتله ابنه ليلة الثلاثاء العشرين من جادى لاولى سنة تسع من الهجرة وكسرى هو الذي عرض في المنام على الله فقال له سلم ما في يدك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذكورا مذعورا من ذلك حتى كتب اليه النعمان بن المنذر بظهور النبي صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم ان الامر سيصير اليه حتى كان من امر الله ما كان وهو الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم . قال السهيلي واسلم باذان باليمن في سنة عشر وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الانبياء يدعوهم الى الاسلام فمن الانبياء وهب بن منبه وطاوس وداؤويه وبيروز الذين قتلوا لاسود الغنسي وقول خالد بن حق تمخضت المنون له بيوم ان السنون المنيعة وهو ايضا من اسماء الدهر قوله انى اي حان . قال الثعالبي وفي بعض النسخ لابن اسحاق اتى بالقاء المثناة فوق ومعناه صحيح . وذكر ابو سعيد

او السد فقال بل الحبشة فجتك لتصرفني ويكون ملك بلادك لك
قال بعدت منا بلادك مع قلت خيرا فلم اكن لا ووط جيشا من فارس بارض
العرب لا حاجة لي بذلك ثم اجازة بعشرة آلاف درهم وكساه كسوة
حسنة فلما قبض ذلك سيف خرج فجعل ينثر تلك الوراق للناس . فبلغ
ذلك الملك فقال ان لهذا لسانا فبعث اليه فقال له عمدت الى حباء
الملك تنشره للناس . فقال وما اصنع بهذا ما جبال ارضي التي جئت منها
إلا ذهب وفضة فرغبه فيها . فجمع كسرى مرارته فقال ما ترون في هذا
الرجل وما جاء له فقال قائل ايها الملك ان في سجونك رجالا للقتل فلو
انك بعثتهم معه فان يهلكوا كان الذي اردت بهم وان يظفروا كان ملكا
ازددته . فبعث كسرى معه سن كان في سجونهم واستعمل عليهم وهرز وكان
ذا شرف فيهم ومن افضلهم حسبا وبينا فخرجوا في السفن ووصلوا ساحل
عدن فخرج سيف الى وهرز سن استطاع من قومه وقال له رجلي مع
رجلك حتى نموت جميعا او نظفر فقال له وهرز انصفت ثم تقاتلوا مع الحبشة
وملكهم يومئذ مسروق بن ابرهة . فلما تواقف الناس على مصافهم قال لهم
وهرز اروني ملككم فقالوا اترى رجلا عاقدا على راسه تاجا بين عينيهِ ياقوتة
جراة فقال نعم قالوا ذلك ملكهم قال اني سارميه فان رايتهم اصحابه لم
يتحركوا فاثبتوا حتى اذنكم فاني قد اخطأت الرجل وان رايتهم القوم قد
استداروا ولائوا به فقد اصبحت الرجل فاجلوا عليهم ثم اوترقوسه وكانت
فيما يزعمون لا يوترها غيره لشدها وامر بحاجبيه فغصبا له ثم رماه فصك
الياقوتة التي بين عينيهِ فتغلغلت الشابة بين عينيهِ حتى خرجت من
قفاه ونكس عن دابته واستدارت الحبشة ولائت به وجلت عليهم الفرس
فانهزموا وقتلوا وهربوا في كل وجه واقبل وهرز فدخل صنعاء . قال ابن
اسحاق فاقام وهرز والفرس باليمن فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الانباء
الذين باليمن اليوم . ثم مات وهرز فامر كسرى ابنه على اليمن ثم امر بعده
ابن ابنه باذان . فلم يزل على اليمن حتى بعث الله سيد المرسلين وخاتم

عامل السواد فتعلق قلبه به وقال لهم ما ادري الا ان قلبي متعلق بما ورو
به حتى اعلمه هذا اعظم علي مما انا فيه فواصلوا الكتاب فقرأه فاذا الكتاب
يخبره فيه العامل ان القرات اتى بمد لم يسمع بشئله وانه فاض وبفرق
زرورع الناس ومنازلهم وافسد ثمارهم فغمة ما نال رعيته من الضرر في
اموالهم وما نال جنوده بذهاب الخراج الذي كان يجبي من السواد فسهل
عليه وزراؤه ذلك وتسبوا للجنود في اموال كثيرة من وجوه ثم عاد للهوه . ثم
سمع صوت بريد آخر فسأل عنه فقالوا كتاب العامل على ارمينية فتعلق به
قلبه ثم امر بايصال الكتاب اليه فاذا فيه ان الجنود شغبوا على عاملهم فقتلوه
واستباحوا ما قبله من المال وجأهروا بالعصية فغمة ذلك ايضا ثم سهل
عليه وزراؤه وتضمنوا له اصلاح تلك الناحية بغير جند ينفذ حتى يعود الجند
الى الطاعة وعاد الى لهوه . ثم سمع صوت بريد آخر فسأل عنه فقالوا
كتاب العامل على بعض ارمينية فتعلق به قلبه وامر بايصال الكتاب اليه
فاذا هو كتاب النعمان بن المنذر يخبره بانه خرج رجل من ارض تهامة
يخبر بانه رسول الى اهل السماء والارض كافة فانظعه ذلك واكبره وعلم
انه ذلك الذي يتوقعه ويراه في منامه . قال الفعالي رحمه الله تعالى
قلت وكسرى هذا الذي مزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي
اخبار النبي صلى الله عليه وسلم به بان الله وعده ان يقتل كسرى فكان الامر
كذلك فقتله ولده شيرويه ومزق الله ملك فارس على ايدي اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم وايضاح ذلك كما في اول كتاب الانوار في
ذكر حديث باذان وما تضمنه من كرامة نبينا صلى الله عليه وسلم ما
نصه - وذكر ابن اسحاق وفيه ان اهل اليمن لما طال البلاء عليهم
بتغلب الحبشة خرج سيف بن ذي يزن يطلب الصرخة فقدم على
قيصر فشكى اليه امر الحبشة وسار حتى اتى النعمان بن المنذر وهو عامل
كسرى على الحيرة وما والاها ففكى اليه امر الحبشة فادخله على كسرى
وقال ايها الملك غلبنا على بلادنا لاغربة فقتل كسرى واي لاغربة الحبشة
او المد

إلى كسرى ملكا وهو في بيت أبيانه الذي لا يدخل عليه فيه فلم يرعه
 إلا وهو قائم على رأسه وفي يده عصا بالهاجرة في الساعة التي كان يقبل فيها
 فقال يا كسرى اتسلم أو اكسر هذه العصا فقال بهل بهل قال فانصرف
 عنه قال ثم دعى حرسه وحجابه فتغيظ عليهم وقال سن ادخل علي هذا
 الرجل قالوا ما دخل عليك ولا رايناه حتى اذا كان العام القابل اتاه في
 الساعة التي اتاه فيها وقال له كما قال المرة الاولى اتسلم أو اكسر هذه العصا
 قال بهل بهل قال فانصرف عنه قال ثم دعى حرسه وحجابه وتغيظ عليهم
 وقال لهم كما قال اول مرة فقالوا ما راينا احدا دخل عليك حتى اذا كان
 العام الثالث اتاه في الساعة التي جاءه فيها فقال له كما قال في الاولى
 والثانية ثم قال له اتسلم أو اكسر هذه العصا قال بهل بهل قال فكسر
 العصا ثم خرج فلم يكن إلا تهوور ملكه وانبعاث ابناء فارس حتى قتلوه .
 قال عبد الله ابن ابي بكر فقال لي الزهري حدثنا عمر بن عبد العزيز
 هذا الحديث عن ابي سلمة بن عبد الرحمن فقال لي ذكر ان الملك انما
 دخل عليه بقارورتين قال اتسلم فلم يفعل فضرب احدهما على الاخرى
 فوضعهما ثم خرج فكان من هلاكه ما كان . وقد ذكر ابو الربيع الكلعي
 حديث العصا من رواية الواقدي وفيه انه في المرة الاخيرة ضربه بالعصا
 على رأسه فكسرها وخرج من عنده قال فيقال ان ابنه قتله في تلك
 الليلة والله اعلم . قال الثعالبي وقد مزق الله ملك فارس على ايدي
 اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وروى مسلم في صحيحه عن انس
 رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى وإلى
 قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى الحديث . وفي
 صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بعث بكتاب الى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي فامره ان
 يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى فلما قرأه مزقه
 فحسبت ان ابن المسيب قال فدعى عليهم رسول الله صلى الله عليه

قد امرني باعفاء الحيتي وقص شواربي ثم قال ارجعا حتى تاتيانني غدا .
 فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء ان الله تعالى قد سلط
 على كسرى ابنه شيرويه في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا وكذا
 من الليل فلما عادا اليه من الغد اخبرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقالا هل تدري ما تقول انا قد نقمنا عليك ما هو ايسر فنكتب هذا عنك
 ونخبر به الملك قال نعم اخبراه بذلك عني وقولا له ان سلطاني سيبلغ
 بلغ ملك كسرى وينتهي الى منتهى الخوف والمحافر وقولا له ان اسلمت
 اعطيتك ماتحت يديك وملكتك على قومك من لا بناء . ثم اعطى خرخسرة
 منطقة فيها ذهب وفضة كان اهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى
 قدما على باذان فاخبراه الخبر فقال والله ما هذا بكلام ملك واني لارى
 الرجل نبينا كما يقول ولنظرون ما قد قال فلئن كان هذا حقا ما فيه
 كلام وانه لنبي مرسل وان لم يكن فسئري فيه راينا . فلم يلبث باذان
 ان قدم عليه كتاب شيرويه - اما بعد فاني قد قتلت كسرى ولم
 اقتله الا غضبا لفارس لما كان يستحل من قوم اشرافهم فاذا جاءك كتابي
 هذا فخذ لي الطاعة من قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب اليك
 فيه فلا تهجم حتى ياتيك امري فيه - فلما انتهى كتاب شيرويه الى
 باذان قال - ان هذا الرجل لرسول - فاسلم باذان واسلمت لا بناء من
 فارس سن كان منهم باليمن . وقد قال بانويه لباذان ما كلمت قط اريب
 منه عندي فقال باذان هل معه شرط فقال لا . وروي عن الحسن البصري
 رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم ما حجة الله على كسرى فيك فقال بعث الله عز وجل
 اليه ملكا فاخرج يده من سور جدار بيته الذي هو فيه تملالا نورا فلما
 رءاه فزع فقال لم ترع يا كسرى ان الله قد بعث رسولا وانزل عليه كتابا
 فاتبعه تسلم لك دنياك وءاخرك قال سأنظر في ذلك . وروي الزهري
 عن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن موف قال بعث الله سبحانه وتعالى

الى

سعيد النيسابوري في كتابه شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن حذافة الى كسرى بن هرمز وكتب
اليه - بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس
سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وادعوك بداعية الله عز وجل فاني
انا رسول الله عز وجل الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على
الكافرين اسلم تسلم فان ابيت فعليك اثم المجوس - فلما قرأه تسفهم وقال
يكتب اليي بمثل هذا الكتاب . قال محمد بن اسحاق بن سار حدثني الزهري
عن ابي سلمة بن عبد الرحمن ان عبد الله بن حذافة قدم بكتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على كسرى فشقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مزق الله ملكه حين بلغه انه شق كتابه . ثم كتب كسرى الى باذان وهو
باليمن ان ابعت الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدتين
فليأتياني به فبعث باذان قهرمانه وهو بانويه وكان حاسبا كاتباً بكتاب
فارس وبعث معه رجلا من الفرس وكتب معهما الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يامره ان ينصرف الى كسرى وقال لبانويه انظر ما الرجل وكلمه
واثني بخبره فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلا من قريش تجارا
فسالاهم فقالوا هو بالمدينة واستبشروا بهما وفرحوا وقال بعضهم لبعض ابشروا
فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل . فخرجا حتى قدما على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه بانويه فقال ان شهنشا ملك الملوك
كسرى قد كتب الى الملك باذان يامره ان يبعث اليك سن ياتيهم بك
وقد بعثني اليك لتطلق معي فان فعلت كتب فيك الى ملك الملوك بكتاب
يشفك ويكف عنك به وان ابيت فهو سن قد علمت وهو مهلكك ومهلك قومك
ومغرب بلادك . وقد دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا
لحاهما واعقيا شواربهما فكرة النظر اليهما وقال ويلكما سن امركما بهذا قالوا
ربنا يعنينا كسرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن ربي عز وجل

ك ف

ح س

النبئين سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، قال ابن اسحاق بلغني عن الزهري انه قال كتب كسرى الى باذان انه بلغني ان رجلا من قریش خرج بمكة يزعم انه نبي فسر اليه فاستتبّه فان تاب وإلا فابعث الي براسه فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبي صلى الله عليه وسلم فكتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وعدني ان يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا فلما اتى باذان الكتاب توقف لينظر وقال ان كان نبينا فسيكون ما قال فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال . قال ابن هشام قتل على يد ابنه شيرويه وقال خالد بن حق -

وكسرى اذ تقسمه بنوه باسياف كما اقتسم اللحم
تمخضت المنون له بيوم انى ولكل حاملته تمام

قال الزهري فلما بلغ ذلك باذان بعث باسلامه واسلام سن معه من الفرس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال السهيلي وكسرى هذا هو ابن هرمز وهو الذي غلب الروم حين انزل الله تعالى - اَلَمْ غَلَبْتَ الرُّومَ . وكان مقتل كسرى حين قتله ابنه ليلة الثلاثاء العشرين من جادى الاولى سنة تسع من الهجرة وكسرى هو الذي عرض في المنام على الله فقال له سلم ما في يدك الى صاحب الهراة فلم يزل مذكورا مذعورا من ذلك حتى كتب اليه النعمان بن المنذر بظهور النبي صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم ان الامر سيصير اليه حتى كان من امر الله ما كان وهو الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم . قال السهيلي واسلم باذان باليمن في سنة عشر وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الابناء يدعوهم الى الاسلام فمن الابناء وهب بن منبه وطاوس وداؤويه وفيروز الذين قتلوا لاسود الغنسي وقول خالد بن حق تمخضت المنون له بيوم ان المنون المنيّة وهو ايضا من اسماء الدهر قوله انى اي حان . قال الثعالبي وفي بعض النسخ لابن اسحاق اتى بالتاء المثناة فوق ومعناه صحيح . وذكر ابو

سعيد

أو السد فقال بل الحبشة فجتك لتصبرني ويكون ملك بلادي لك
قال بعدت منا بلادك مع قلعة خيرها فلم اكن لا ووط جيشا من فارس بارض
العرب لا حاجة لي بذلك ثم اجازة بعشرة آلاف درهم وكساه كسوة
حسنة فلما قبض ذلك سيف خرج فجعل ينثر تلك الوراق للناس . فبلغ
ذلك الملك فقال ان لهذا لسانا فبعث اليه فقال له عمدت الى حباء
الملك تنشره للناس . فقال وما اصنع بهذا ما جبال ارضي التي جئت منها
إلا ذهب وفضة فرغبه فيها . فجمع كسرى مرازبته فقال ما ترون في هذا
الرجل وما جاء له فقال قائل ايها الملك ان في سجونك رجالا للقتل فلو
انك بعثتهم معه فان يهلكوا كان الذي اردت بهم وان يظفروا كان ملكا
ازددته . فبعث كسرى معه سن كان في سجونهم واستعمل عليهم وهرز وكان
ذا شرف فيهم ومن افضلهم حسبا وبيتا فخرجوا في السفن ووصلوا ساحل
عدن فخرج سيف الى وهرز سن استطاع من قومه وقال له رجلي مع
رجلك حتى نموت جميعا او نظفر فقال له وهرز انصفت ثم تقاتلوا مع الحبشة
وملكهم يومئذ مسروق بن ابرهة . فلما تواقف الناس على مصافهم قال لهم
وهرز اروني ملككم فقالوا اترى رجلا عاقدا على راسه تاجا بين عينيهِ ياقوتة
جسراء قتال نعم قالوا ذلك ملكهم قال اني سارميه فان رايتهم اصحابه لم
يتحركوا فائتوا حتى اذنكم فاني قد اخطأت الرجل وان رايتهم القوم قد
استداروا ولائوا به فقد اصبحت الرجل فاجلوا عليهم ثم اوترقوسه وكانت
فيما يزعمون لا يوترها غيره لشدتها وامر بحاجبيه فعصبا له ثم رماه فصك
الياقوتة التي بين عينيهِ فتغلغلت النشابة بين عينيهِ حتى خرجت من
قفاه ونكس عن داجمه واستدارت الحبشة ولائت به وحلت عليهم الفرس
فانهزموا وقتلوا وهربوا في كل وجه واقبل وهرز فدخل صنعاء . قال ابن
اسحاق فاقام وهرز والفرس باليمن فمن بقية ذلك الجيش من الفرس لالبناء
الذين باليمن اليوم . ثم مات وهرز فامر كسرى ابنه على اليمن ثم امر بعده
ابن ابنه باذان . فلم يزل على اليمن حتى بعث الله سيد المرسلين وخاتم

عامل السواد فتعلق قلبه به وقال لهم ما ادري إلا ان قلبي متعلق بما وراء
 به حتى اعلمه هذا اعظم علي مما انا فيه فواصلوا الكتاب فقرأه فاذا الكتاب
 يخبره فيه العامل ان القرات اتى بمد لم يسمع بشئله وانه فاض وبقرق
 زروع الناس ومنازلهم وافسد ثمارهم فغمة ما نال رعيته من الضرر في
 اموالهم وما نال جنوده بذهاب الخراج الذي كان يجبي من السواد فسهل
 عليه وزراوة ذلك وتسببوا للجنود في اموال كثيرة من وجوه ثم عاد للهوة . ثم
 سمع صوت بريد آخر فسال عنه فقالوا كتاب العامل على ارمينية فتعلق به
 قلبه ثم امر بايصال الكتاب اليه فاذا فيه ان الجنود شغبوا على عاملهم فقتلوه
 واستباحوا ما قبله من المال وجاهاوا بالمعصية فغمة ذلك ايضا ثم سهل
 عليه وزراوة وتضمنوا له اصلاح تلك الناحية بغير جند ينفذ حتى يعود الجند
 الى الطاعة وعاد الى للهوة . ثم سمع صوت بريد آخر فسال عنه فقالوا
 كتاب العامل على بعض ارمينية فتعلق به قلبه وامر بايصال الكتاب اليه
 فاذا هو كتاب النعمان بن المنذر يخبره بانه خرج رجل من ارض تهامة
 يخبر بانه رسول الى اهل السماء والارض كافة فانقطع ذلك واكبره وعلم
 انه ذلك الذي يتوقعه ويراه في منامه . قال الثعالبي رحمه الله تعالى
 قلت وكسرى هذا الذي مزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي
 اخبر النبي صلى الله عليه وسلم به بان الله وعده ان يقتل كسرى فكان الامر
 كذلك فقتله ولده شيرويه ومزق الله ملك فارس على ايدي اصحاب
 النبي صلى الله عليه وسلم وايضاح ذلك كما في اول كتاب الانوار في
 ذكر حديث باذان وما تضمنه من كرامة نبينا صلى الله عليه وسلم ما
 نصه - وذكر ابن اسحاق وفيه ان اهل اليمن لما طال البلاء عليهم
 بتغلب الحبشة خرج سيف بن ذي يزن يطلب الصرخة فقدم على
 قيصر فشكى اليه امر الحبشة وسار حتى اتي النعمان بن المنذر وهو عامل
 كسرى على الحيرة وما والاها ففكى اليه امر الحبشة فادخله على كسرى
 وقال ايها الملك غلبنا على بلادنا لاغربة فقتل كسرى واي لاغربة الحبشة
 او السد

فيختلف عليك ابدا فمرنا وابعثنا فبعث شجاع بن وهب الى كسرى فخرج
حتى قدم على كسرى وهو بالمدائن فاستاذن على كسرى فامر كسرى بايوانه
ان يزين ثم اذن لعظماء فارس ثم اذن لشجاع فلما دخل عليه امر كسرى
بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبض منه قال شجاع لا حتى
ادفعه انا كما امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كسرى اذن
فدنى فناوله الكتاب ثم دعا كاتبه له من اهل الحيرة فقراه فاذا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى كسرى عظيم فارس
فاغضبه حيث بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصاح وغضب
ومزق الكتاب قبل ان يعلم ما فيه وامر شجاع ابن وهب يخرج فلما رأى
ذلك قعد على راحته ثم سار وقال والله ما ابالي اذ اديت كتاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهبت عن كسرى سورة الغضب بعث الى
شجاع ان يدخل عليه فلم يجد فطلب الى الحيرة فلما قدم شجاع على النبي
صلى الله عليه وسلم اخبره بما كان من كسرى وتمزيقه الكتاب فقال صلى
الله عليه وسلم مزق كسرى ملكه . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما
قال فلما قراه كسرى مزقه قال فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ان
يمزقوا كل ممزق . قال ابو سعيد النيسابوري وروي في بعض الكتب
ان كسرى كان في مسير له ليلا فتهوم على مركبه وطال حتى استثقل فمال
فخاف من راء السقوط فاق وجل منهم فايظهم فانتبه مذعورا لرويا
وما قطعها عليه الموقظ له وقال رايت قائلا يقول لي انكم غيرتم غير
ما بكم ونقل الملك الى احد . ورايت هذه الرويا في موضع آخر وان
كسرى عرض على الله تعالى فقال له سلم ما بيدك لصاحب الهراة فكان
يتوقع حادثة تحدث حتى كتب النعمان بن المنذر اليه بظهور رسول الله
صلى الله عليه وسلم . وروي ان كسرى خلا يوما للذاته ولهوه وامر ان لا
يبلغ اليه خبر يسوء ولا يوصل اليه كتاب من احد من عماله ليامن على
سروره قالوا فينما هو كذلك اذ سمع صوت البريد فسال عنه فقالوا كتاب

الغناء واتخذ مصانع الماء - ابن متوخلح - بفتح الميم وضم التاء المشددة وفتح
 الشين المعجمة وبعدها لام ساكنة وقد تفتح ثم خاء معجمة وقد تضم الميم
 وتخفف التاء وتفتح هي والواو معا وتسكن الشين واللام مفتوحة وتفسيره
 مات الرسول لان اباه كان رسولا وهو خنوخ بخائين معجمتين لاولى مفتوحة
 بعدها نون مضمومة قال ابن اسحاق هو ادريس . وذكر عن ابي ذر
 رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول من كتب بالقلم
 ادريس وعنه اول من كتب بالعبرانية اسماعيل - ابن يرد - بياء مثناة من
 اسفل مفتوحة ثم راء ساكنة بعدها دال مهملتين ويقال يارد بفتح الراء
 وتفسيره الضابط - ابن مهلايل - بفتح الميم وسكون الهاء يهمز ويسهل ومعناه
 المدح وفي زمانه كان بدء عبادة الاصنام - ابن قين - بفتح القاف وياء
 مثناة من اسفل ساكنة ثم نونين لاولى مفتوحة وقد يقال قينان بالف
 وتفسيره المستوي - ابن يانش - بياء مثناة من تحت ثم نون مفتوحة
 بعد لالفي ثم شين معجمة قال السهيلي وهو اول من غرس النخلة وبوب
 الكعبة وبذر الحبة - ابن شيث - بكسر الشين المعجمة بعدها ياء ساكنة
 مثناة من اسفل آخرة ثاء مثلثة وتفسيره عطية الله - ابن ادم عليه السلام
 وهو ابو البشر . هذا ما ادركناه من ذكر السلسلة التي طابت اصلا وزكت
 فضلا له من حاشية ابن باديس على شرح الشريفة للجرومية . وكانت وفاة
 ابن باديس المذكور رحمه الله في الثلث الاخير من ليلة الاحد ثاني المحرم
 سنة اربع ومائة والى كذا نقلته من خط ابنه . ومن كتاب الانوار في
 آيات النبي المختار تأليف العلامة ابي زيد عبد الرحمن بن محمد الشعالي
 رحمه الله في باب بعثه صلى الله عليه وسلم الى كسرى انوشروان ما نصه
 روى ابو سعيد النيسابوري بسنده الى عبد القادر ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قام ذات يوم على المنبر خطيبا فحمد الله واثنى عليه وتشهد ثم
 قال اما بعد فاني اريد ان ابعث بعضكم الى ملوك لاعاجم فلا تختلفوا علي
 كما اختلفت بنو اسرائيل على عيسى فقال المهاجرون يا رسول الله لا
 نختلف

كم من اب قد علا بابين له شرف كما علا برسول الله عدنان
ويقال انه اول من كسى الكعبة انطاع لاديم . انتهى ما اتفق على
صحته اجماع لامة . واسا ما وقع فيه الاختلاف بين العلماء فالولهم
- ادد ابو عدنان - وهو بضم الهمزة فعل كسر من الود والهمزة بدل من الواو
ويجوز ان يكون من لاد بالكسر وهو الامر العظيم ومنه - لقد جئتم شيئا ادا
وقد ضبطه بعضهم غير مصروف - ابن مقوم - بكسر الواو ويضبط بفتحها
- ابن ناحور - فاعول من النحر كجاروف من الجرف وضبطه بعضهم بالميم
مكان النون وعزاه لرواية الحشني في السيرة - ابن تيرج - فيعل من الترحة
وهو الحزن - ابن يعرب - بضم الراء المهملة بعد العين المهملة قيل من اعرب
في كلامه اذا افصح فيه او من اعرب عن نفسه اذا ابان عنها - ابن
يشجب - بضم الجيم من الشجب محركا وهو الهلاك او الحزن للاعداء - ابن
فابت - بنون ثم باء موحدة مكسورة بينهما الفاء اخره ثاء مثناة من فوق
اسم فاعل من نبت - ابن اسماعيل - قيل معناه مطيع الله - ابن ابراهيم - قيل
معناه اب راحم - ابن تارح - بقاء مثناة فوق وراء مفتوحة وحاء مهملتين
وهو ازرر كما جاء في القرآن - ابن ناحور - بنون وحاء مهملة كلفظ لاول
المتقدم - ابن ساروح - بسين وراء وحاء كلها مهملة - ابن راعو - براء وعين
مهملتين وضبطه بعضهم بالمعجمة وقال معا - ابن فالخ - بفاء ولام مفتوحة
وحاء معجمة وكسر بعضهم اللام ومعناه القسام - ابن عيبر - وزن خيبر بعين
مهملة وياء ساكنة مثناة ثم باء موحدة ويقال عابر - ابن شالغ - بشين
معجمة ولام مفتوحة وحاء معجمة وكسر بعضهم اللام قال السهيلي ومعناه
الوكيل الرسول - ابن ارفخشذ - براء مهملة ساكنة بعد الهمزة ثم فاء مفتوحة
ثم خاء معجمة ساكنة ثم شين معجمة مفتوحة ثم ذال معجمة قال السهيلي
تفسيره مصباح - ابن سام - بسين مهملة وهو شهير - ابن نوح - عليه
السلام واسمه عبد الغفار قيل وسمي نوحا لنوحه على نفسه والله اعلم - ابن
لامك - بكسر الميم وفتحها ويقال لك قال السهيلي وهو اول من اتخذ هود

للمبالغة كعلامته ونسابة واسمه عامر واخوه عمر ابن الياس قال صاحب
الاعلام هو اول من اهدى البدن الى البيت قال ابن الانباري وهو بكسر
الهمزة مثل اسم الياس النبي عليه السلام ويقال انما سمي السل داء الياس
وداء ياس لان الياس بن مضر مات به وانشد في ذلك -

بي الياس او داء الهيام اصابني فايالك عني لا يكن بك ما بيا
وذكر انه كان يسمع في صلبه تلبية نينا سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم بالحج - ابن مضر - قال صاحب الاعلام كان له من الشرف ونباهته
الذكر وقدم المجد وسمو العز ما يستغني عن التنبيه وهو لا ينصرف
للعدل والمعرفة كعمر وسمي به لبياضه وهو اول من سن حذاء الابل
وكان احسنهم صوتا سقط عن بعيره يوما فوثبت يده فكان يمشي خلف الابل
ويقول بصوت حنين وايداه يترنم بذلك فاعتقت الابل وذهب كلالها فمن
ذلك اتخذته العرب تنشيطا لها فيما زعموا - ابن نزار - بكسر النون من النزول
وهو القليل التافه . قال السهيلي كان ابيه معد نظر الى نزار حين ولد
فشاهد نور النبوة بين عينيه وهو الذي كان ينتقل في الاصلاب ففرح
ونحر واطعم وقال ان هذا كله نزر لحق هذا المولود فسمي نزار لذلك
- ابن معد - مفعول من العد فالميم زائدة والتعدد تمام الشدة والقوة تعدد
الشيء اذا غلظ - قال الشاعر -

ريته حتى اذا تعدد وصار نهذا كالحصان اجودا

كان جزائي بالصا ان اجلدا

- ابن عدنان - فعلان من عدن بالمكان بالفتح يعدن بالكسر اذا اقام به
ومنه جنات عدن ومنه سمي المعدن بكسر الدال لانه يقام فيه الشتاء
والصيف على طلب جواهره . وقال ابن قتيبة يعدون الذهب والفضة
وغيرهما فيه وعدن بلد . قال صاحب الاعلام وقد ذكر الله لعدنان بينيه
اوفر حظوظ الشرف واسناها وارفع مراتب المجد واعلاها . وقد اجاد ابن
الرومي في قوله -

كم من

وعبيدنا لانفسنا اي الابناء مدة للعدو وسهام في نحورهم وكان يدعى ذا العزة لنور كان في وجهه يشرق يتعجب منه - ابن مرة - قال ابن دريد المرة شجرة قال السهيلي هو منقول من وصف الخنظلة والعلقمة وكثيرا ما يسمون بهما - ابن كعب - منقول من الكعب الذي هو قطعة من السمن او من كعب القدم ورجحه السهيلي لقولهم ثبت ثبوت الكعب وهو الذي سمى يوم العروبة الجمعة - ابن لوي - قيل اصلها من تصغير لاي وهو البطء وفي صحيح اللغة اللامي اسم رجل وتصغيره لوي ومنه لوي بن غالب وغالب قال صاحب الاعلام كان صاحب عصرة في كرم فخارة وجميل آثاره له مآثر ظاهرة واخبار شائعة سائرة - ابن فهر - قال صاحب الاعلام هو جماع قريش وليس احد منهم إلا من ولده ومنه افتقرت البطاح وقريش الظواهر وقاله السهيلي في كتاب التعريف لكنه استحسن انهم بنو النظر ابن كنانة على ما ياتي والفهر بكسر الفاء الحجر لاملس يملأ الكف وهو مونث وتصغيره فهيرة قاله ابن دريد . وفي الصحاح يذكر ويونث والجمع افهار - ابن مالك - قال ابن باديس لم اقف على شرحه - ابن النضر - النضر الذهب وكذلك النضارة والنضير وقيل النضار الخالص من كل شيء والنضر كلما استحسن وسمي بذلك لحسنه وجماله فنضار منقول منه . قال القصاعي في عيون المعارف اسمه عامر وهو ابو قريش كلها ونحوه عن ابن دريد وان سن لم يكن من ولده ليس بقريشي . وقد تقدم ان فهرا هو جماع قريش والخلاف ظاهر بينهما فلا نطيل بذكره هنا - ابن كنانة - قال صاحب الصلة الكنانة جعبة السهام . قال ابن دريد ان كانت من ادم فهي كنانة ومن خشب فهي جفير - ابن خزيمة - الخزم مثل الدوم تصغير خزمت بالفتح او بالسكون واحدة الخزم . قال ابو حنيفة الخزم مثل الدوم يتخذ منه سعف الحبال ويصنع من اسافله خلايا النحل وله ثمر لا يأكله إلا الغراب ويستطيعه - ابن مدركة - قال صاحب الاعلام ذو فخر ظاهر وشرف باهر وذكر سائر وله مآثر قيل هو اسم فاعل من ادرك والهاء

ان يملك اربعة عشر ملكا تكون امور . تنبيه . انما ملت الى استطراد هذه القطعة الشريفة والجمجمة المنيعة التي برزت فيها بصديق بضعة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم العدا اذ - الحق ما شهدت به لاعدا - استلذاذا بمرور سماعها واستجلاء بالحث على استماعها اذ هي من قوت قلوب المؤمنين وسراج افئدة المخلصين اذ هو العروة الوثقى والذروة العظمى والمجا لاحمى والكهف اذا صاقت المذاهب على المذنبين والسلسال الفياض اذا اشتد الظما بالعصاة النهمكين . ولقد جذبني المغناطيس لايماني الى حضرة التفكر بضبط اسماء اباؤه صلى الله عليه وسلم الطاهرين - محمد بن عبد الله - قال صاحب الصلة معنى عبد الله الخاضع لله الذليل له - ابن عبد المطلب - مفتول من الطلب واسمه عند ابن قتيبة عامر . قال ابو عمرو بن عبد البر لا يصح وقال ابن اسحاق والجمهور اسمه شيبه وهو الاشهر ولاصح . قال ابو عمرو لا نخالف انه يكنى ابا الحارث بابنه لاكبر . - ابن هاشم - اسمه عمرو شريف المنصب فائض الجود مطعم في الشدائد وسمي عمرو العلاء وعليه قول المادح له -

عمرو العلاء هم الثريد لاهله قوم بمكة مستتين عجاف

- ابن عبد مناف - اسمه المغيرة وقال مالك لا ادري ما اسمه قال ابو عمرو يكنى ابا عبد شمس قال لاسناد ابو ذر الحثني مناف اسم صنم اضيف عبد اليه كما في عبد يغوث وعبد العزى - ابن قصي - اسمه عند لاكثر فيما يحكى ابو عمرو زيد مصدر زاد الشيعي يزيد زيدا وقيل يزيد وسمي مجتبعاً ايضاً لجمعه قريشاً . قال الشاعر -

قصي لعمرى كان يدعى مجعاً به جمع الله القبائل من فهر

قال السهيلي وهو تصغير قصي يعني بالفتح اي بعيد - ابن كلاب - جمع كلب لانهم يريدون الكثرة ككسابع ونمار او هو منقول من مصدر كالتب لعدو مكالبة وكلابا . وقد سئل بعضهم لم تسمون ابناءكم بشرا لاسماء كذنب وكلب ومبيدكم باحسنها ككرباج ومرزوق فقال ابنونا لاعداونا وعبيدنا

خلف سرير ملكه يتحدثون فارتفعت اصواتهم حتى شغلونا من بعض ما كنا فيه فقلت له في ذلك وسالعه واخبرته بتفاوت الحالين ففسال لي لا تعجب فجن ملوك على رعتنا وجرمنا وخدامنا ملوك علينا يلون منا في خلواتنا ما لا حيلة لنا في التكرز معهم . وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاثنتين واربعين سنة من ملكه . ولما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج ايوان كسرى فسقطت منه اربع عشرة شرافة وخذت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بالنى عمام وغاصت بحيرة ساوة وراى الموبذان وهو القائم بامر دينهم ابلا صعبا تقود خيلا عرابا حتى قطعت دجلة فافزع ذلك كسرى وقص عليه الموبذان ما راى فزاده ذلك ذعرا . فكتب انوشروان الى النعمان بن المنذر وقد ولاه امر العرب ان يوجه اليه رجلا من مشاهير العرب يساله عما يريد فبعث اليه عبد المسيح بن عمرو بن حسان بن نفيلة الغساني . فلما قدم اليه اخبره بما راى فقال له ايها الملك لا علم لي بذلك ولكن جهنزي الى خال لي بالشام يقال له سطيح فقال جهزوه قال فاتاه وقد اشفى على الموت فسلم عليه وحياه فلم يجز جوابا فانشد عبد المسيح يقول -

اصم ام يسمع غطريف اليمن يا فاضل الخطبة اميت من ومن
اتاك شيخ الحي من مال يزن ابيض فضفاض الذكاء والسدن
رسول قيل العجم يهوي للوشن لا يرهب الموت ولا صرف الزمن

فلما سمع سطيح قوله رفع اليه راسه وقال عبد المسيح على جل مشيح جاء الى سطيح وقد اوفى على الصريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاج لا يون وخمود النيران ورويا الموبذان راى ابلا صعبا تقود خيلا عرابا حتى اقتحمت في الواد وانتشرت في البلاد عبد المسيح اذا ظهرت التلاوة وبعث صاحب الهراة وفاض وادي السماوة وغاصت بحيرة ساوة فليس الشام لسطيح شاما ويملك منهم ملوك وملكت على عدد سقوط الشرافات وكل ما هو مات مات . ثم قضى سطيح نجهه وقدم عبد المسيح على كسرى فاخبره فقال الى

باسمهم وما احب اني لم اكن فعلت انتهى . وكان آخر امر الفجار ان هوازن
وكنانة تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فجاءوا للوعد وكان حرب بن امية رئيس
قريش وكنانة وكان عتبة بن ربيعة يتيم في حجره فخص به واشفق من
خروجه معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعر الا وهو على بعيره بين الصفيين
ينادي يا معشر مصر علام تقانون فقالت هوازن ما تدعو اليه قال الصلح
على ان ادفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دماننا قالوا كيف ذلك قال ندفع
اليكم رهنا منا قالوا ومن لنا بهذا قال انا قالوا ومن انت قال انا عتبة بن
ربيعة بن عبد شمس فرضوا ورهيت كنانة ودفعوا الى هوازن اربعين رجلا
فيهم حكيم بن حزام . ولسا راث بنو عامر بن صعصعة الرهن في ايديهم
فغوا عن الدماء واطلقوهم وانقضت حرب الفجار . وكان يقال لم يسد من
قريش معلق يعني فقيرا غير عتبة واني طالب فانهما سادا بغير مال . وبين
حرب البسوس ومبعث نبينا صلى الله عليه وسلم ستون سنة . وقيل ان
الفرس ارخت باربع طبقات من ملوكها فالاول بكيومرث وقيل طهمورث
ويقال كل شاه ومعناه ملك الصين ويعتقدون انه ادم . والثاني بيزدجرد .
وقال في مسالك الممالك اول الفرس الثانية ازديشير بن بابك بن ساسان
ابي اربعة الى ساسان بن بهمن . والثالث بازديشير ابن بابك وهو الذي
جمع ملوك الفرس بعد ان كانت طوائف طوائف . والرابع بانوشروان
العاقل . فمن عدله لما بنى لايران وفدت اليه رسل الملوك بالهدايا كان
في جلستهم رسول قيصر فنظر الى لايران وحسن بنائه واعجازه صنعته وراى
بموضع منه اعوجاجا فسال عن معنى ذلك فقيل له ان عجوزا لها منزل في
جانب لاعوجاج وان الملك راودها على بيعه ورغبها فابت فلم يكرها فقال
الرومي هذا لاعوجاج احسن من الاستواء . وذكر القرطبي في مسالك
الممالك عن بعضهم انه قال رايت من انوشروان خصلتين متبساينتين
جلس يوما للناس فدخل رجل من خاصة الملك فتعدى مرتبة فامر ان
يجبب سنة ثم رايتهم يوما ونحن عنده في سر من تدبير المملكة وخدمه
خلف

رحم الله تعالى قال اعني ابن شاکر المترجم له وهو صاحب عيون التواريخ في الجزء الاول منه ما نصه فذكر الحوادث في سنة اربع عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم منها الفجار الثاني وكان بين هوازن وقريش وحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كنت انبل على اعمامي يعني يناولهم النبل . وقد روي ان هذا الحرب كان ولرسول الله صلى الله عليه وسلم حشرون سنة وانما سمي الفجار لان بني كنانة وهوازن استحلوا الحرم ففجروا وكان سببه ان النعمان بن المنذر بعث بلطيعة الى سوق عكاظ للتجارة واجارها له الرحال عروة بن عتبة بن جعفر ابن كلاب فنزلوا على ماء يقال له اوراه فوثب البراض بن قيس احد بني بكر بن مناة بن كنانة وكان حليفا فأتكا على عروة فقتله وهرب الى خيبر بعد ما استاق العير ولقي بشر بن ابي حازم الشاعر المشهور فاخبره الخبر وامر ان يعلم بذلك عبد الله ابن جذعان وهاشم بن المغيرة وحرب بن امية بالخبر فاق اليهم واخبرهم فتشاوروا فيما بينهم وقالوا نخشى من قيس ان يطلبوا نار صاحبهم منا فانهم لا يرضون ان يقتلوا به حليفا من بني ضمرة وكان البراض حليفا لقريش فاتفق رايهم ان ياتوا ابا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ملاعب لاسنة وهو يومئذ سيد قيس وشريفها فيقولون له انه كان حدث حادث بين ارض نجد وتهامة وانه لم ياتنا علمه فاتوه وقالوا له ذلك فاجاز بين الناس واعلم قومه ما قيل له ثم قام نفر من قريش فقالوا يا اهل عكاظ انه قد حدث من قومنا بمكة حادث اتانا خبره ونخاف ان تخلفنا عنه ان يتفاقم الامر فلا يروضكم تحملنا ثم ركبوا على الصعب والذلول الى مكة فلما كان اخر اليوم اتى ابا براء الخبر فقال غدرت قريش وخدعتني حرب ابن ابي امية ثم ركب في طلبهم حتى ادركهم بنخلة فاقبل القوم وكانت الدائرة لقريش وكنانة على قيس فقتلوه قتل ذريعا ونادى عتبة بن ربيعة يومئذ وهو شاب الى الصلح فاصطالحوا وانصرفت قريش . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الفجار فقال حضرتي مع عموتي ورميت فيهم

عشرة سنة وبين بناء الكعبة ومبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين . وكان حرب الفجار في شوال كما قاله الواقدي وقيل في شعبان كما في الروض لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة سنة او خمس عشرة سنة فيما قال ابن هشام وقال ابن اسحاق عشرين سنة . وكان قبل المبعث بعشرين سنة هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها على كنانة وبين قيس عيلان وكان الذي هاجها ان عروة الرحال اجار لطيمة للنعمان ابن المنذر فقال البراص ابن قيس احد بني ضمرة اتجبرها على كنانة قال نعم وعلى الخلق فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراص يطلب غفلة حتى اذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراص فقتله في الشهر الحرام فلذلك سمي الفجار . فاتى اءات قريشا فقال ان البراص قد قتل عروة وهم في الشهر الحرام بعكاظ فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبل ان يدخلوا الحرم فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم فامسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم اياما . وكان لكنانة وقيس ستة ايام فيه مذكورة يوم شمطة - ويوم العبلاء وهما عند عكاظ - ويوم الشرب وهو اعظمها يوما وفيه قيد ابو سفيان - وحرب ابنا امية بن عبد شمس الستة حرب وسفيان وابو سفيان وعمرو وابو عمرو قلت ذكر ستة وفي تسميتهم لم ار سوى خمسة - ويوم الحرية عند نخلة انهزم فيها قيس الا بنو نصر منهم فانهم فبتوا . وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ايامهم اخرجه اعمامهم معهم . وروى ابن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد حضرته يعني حرب الفجار مع عمومي ورميت فيهم باسمهم وما احب اني لم اكن فعلت وكنت انبل على اعمامي . قال جامعهم رحمه الله ورايت لابي عبد الله محمد بن شاكر صلاح الدين ابي عبد الله بن احمد الداراني لاصل الكتبي الصوفي المورخ المتوفي في شهر رمضان يوم السبت حادي عشر منه بدمشق سنة اربع وستين وسبعائة كما نقل ذلك من تكملة ابن كثير لابي العباس احمد ابن ابي بكر بن خليل بن علي ابن عبد الله الطبراني الكاملي رحمه الله

من المدة بين وفاة موسى وبين بختنصر فانه ينقص عما ذكرناه مائتين
وتسعا واربعين سنة * انتهى من المختصر * وقال الواقدي رحمه الله ان
التاريخ كان من ادم عليه السلام الى الطوفان ثم الى نار الخليل ثم ارج
بنو اسماعيل من بناء البيت ثم الى معد بن عدنان ثم الى كعب بن
لوي ثم من كعب الى عام الفيل . وحكى محمد بن سعد عن ابن الكلبي ان
حمير كانت تورخ بالتابعة وثمان بالسد واهل صنعاء بظهور الحبشة على
اليمن ثم بغلبة الفرس . ثم ارجت العرب بالايام المشهورة كحرب البسوس
وفي الصحاح والبسوس اسم امرأة وهي خالدة جساس بن مرة الشيباني
كانت لها ناقة يقال لها سراب فرءاها كليب وائل في حاه وقد كسرت
بيض طير كان اجاره فرمى ضرعها بسهم فوثب جساس على كليب فقتله
فهاجرت حرب بكر وتغلب ابني وائل بسببها اربعين سنة حتى ضربت بها
العرب المثل في الشوم وبها سميت حرب البسوس . وارخوا بداحس والغبراء
وداحس اسم فارس مشهور لقيس بن زهير بن حذيفة العبسي ومنه حرب
داحس وذلك ان قيسا وحذيفة ابن بدر الذبياني ثم الفزاري تراضا على
خطر مشربين بغيرا وجعلوا الغاية مائة غلوة والمصمار اربعين ليلة والجرى
من ذات لامناد فاجرى قيس داحسا والغبراء واجرى حذيفة الخطار والحنفاء
فوضعت بنو فزارة رمل حذيفة كميناً على الطريق فردوا الغبراء ولطموها وكانت
سابقة فهاجرت الحرب بين مبس وذبيان اربعين سنة . وارخوا بيوم ذي
قار وهو يوم لبني شيبان وكان ابرويز غزاهم فظفر بنو شيبان وهو اول
يوم انتصرت فيه العرب على العجم . وارخت العرب بالفجارات ونحوها
وهو بكسر القا بعدها جيم وآخره راء ككتلب وهو يوم من ايام العرب وهي
اربعة افجرة كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان
في الجاهلية وكانت الدائرة على قيس . وانما سميت قريش هذه الحرب
فجارا لانها كانت في لاشهر الحرم فلما قاتلوا فيها قالوا قد فجرنا . وبين
عام الفيل والفجار المذكورة عشرون سنة وبين الفجار وبناء الكعبة خمس

التوراة ثلاث سامرية وعبرانية ويونانية ففي السامرية ان من هبوط
 آدم الى الطوفان الفس ثلاثمائة وسبع وستين سنة وان الطوفان لستمائة
 سنة خلت من عمر نوح وعاش آدم تسعمائة وثلاثين سنة باتفاق فيكون
 نوح على حكم هذه التوراة قد ادرك من عمر آدم فوق مائتي سنة وانه
 ادرك جميع اباائه الى آدم وهذا غاية المنكر وقد ظهر فسادها من كونها
 تقتضي ادراك نوح آدم وعيشه معه المدة الطويلة . واما التوراة العبرانية
 فهي ايضا فاسدة وذلك لانها تنبي ان بين هبوط آدم وبين الطوفان الفس
 وخسمائة سنة وستا وخسين سنة وبين الطوفان وبين ولادة ابراهيم مائتان
 واثنان وتسعون سنة وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمس سنين
 باتفاق . فالتوراة العبرانية تنبي ان نوحا ادرك من عمر ابراهيم الخليل ثمانيا
 وخسين سنة وهذا ايضا غاية المنكر فان نوحا لم يدرك ابراهيم اصلا . واما
 التوراة اليونانية فهي التي اختارها المحققون من المورخين وليس فيها ما
 يقتضي لانكار من جهة الماضي من عمر الزمان وهي توراة نقلها اثنان
 وسبعون حبرا من قبل ولادة المسيح بقريب ثلاثمائة سنة لبطليموس اليوناني
 الذي كان بعد لاسكندر بيطليموس واحد والذي تنبي به هذه التوراة
 اليونانية ان ما بين هبوط آدم والطوفان الفس ومائتان واثنان واربعون
 سنة وما بين الطوفان - وكان لستمائة سنة مضت من عمر نوح عليه
 السلام - وبين مولد ابراهيم الخليل الف واحد وثمانون سنة وبين مولد
 ابراهيم ووفاة موسى خسمائة وخمس واربعون سنة باتفاق نسخ التوراة جميعها
 وبين وفاة موسى وبين ملك بختنصر فيه خلاف بين المنجمين والمورخين
 واما بين ابتداء ملك بختنصر وبين الهجرة فهو الف وثلاثمائة
 وتسع وستون سنة وسبعة عشر يوما . وليس فيه خلاف لان بطليموس اشتهر
 وارخ به رصده فيكون بين الهجرة وبين هبوط آدم ستة آلاف سنة
 ومائتان وست عشرة سنة . وهذا القدر هو المختار وعليه البنى حسبما اعتقده
 الوريد وبني عليه كتابه . واما الذي اختاره المنجمون واثبتوه في الزيجات

من

وليس السراويل . ثم استمر التاريخ منه الى يوسف عليه السلام ثم الى خروج موسى عليه السلام من مصر بيني اسرائيل ثم الى زمن داود عليه السلام ثم الى زمن سليمان عليه السلام ثم الى زمن عيسى عليه السلام . ورواه ايضا ابن اسحاق من ابن عباس رضي الله عنهما . قال ابن العربي رحمه الله تعالى ونفعنا به فاول تاريخ كان بهبوط ادم عليه السلام ثم بيعته نوح عليه السلام ثم بالطوفان ثم بنار ابراهيم ثم ارخ بعوث ادم ثم بيعته ادريس ثم ان بني اسحاق بن ابراهيم ارخوا بنار ابراهيم الى يوسف عليهما السلام ومن يوسف الى بعث موسى عليهما السلام ومن موسى الى داود وسليمان عليهما السلام ثم ارخوا بما كان من الكواثر وكان منهم من ارخ بوفاة يعقوب ثم بخروج موسى من مصر بيني اسرائيل ثم بخراب بيت المقدس . واما بنو اسماعيل فمن بناء الكعبة ثم بكل يوم اخرجوا من تهامة ثم بعام الفيل . وقال صاحب المختصر في اخبار البشر ينبغي لمتأمل التواريخ القديمة ان يعلم ان لاختلاف فيها بين المورخين كثير جدا . قال ابن الاثير في ذكر ولادة المسيح ان ولادة المسيح عليه السلام كانت بعد خمس وستين سنة من غلبة لاسكندر عند الجبوس واما عند النصارى فكانت ولادته بعد ثلاث وستين وثلاثمائة سنة من غلبة لاسكندر وهذا تفاوت فاحش . وكذلك عند ابي معشر وكوشيار وغيرهما من المنجمين ان بين الطوفان وبين الهجرة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة وعشرين سنة وهو الثابت في الزيجات مثل الزيج الماموني وغيره واما المحققون من المورخين فيقولون ان بين الطوفان وبين الهجرة ثلاثة آلاف وتسعمائة واربعاً وسبعين سنة فيكون التفاوت بينهما مائتين وتسعاً واربعين سنة وسبب هذا لاختلاف ان من هبط ادم الى وفاة موسى عليهما السلام لا يعلم الا من التوراة والتوراة مختلفة على ثلاث نسخ . واما ما بين وفاة موسى عليه السلام وابتداء ملك بختنصر فيعلم من المنجمين . قال ابو عيسى ويعلم من قرانك زحل والمشتري في الثلاثات وهم ايضا مختلفون في ذلك . ونسخ

ومعناه حساب الايام والشهور . وقال ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب في كتاب الحذا له ان تاريخ كل شيء اخره فيورخون بالوقت الذي فيه حوادث مشهورة وقال الصاغاني قيل ان التاريخ ليس بعربي محض وانما المسلمون اخذوه من اهل الكتاب .

الفصل الثاني من الباب الاول في ذكر

مبادي التاريخ قبل الاسلام

واختلف في مبدا التاريخ اول الدنيا قال الحافظ المحقق جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى رواية عن محمد بن صالح عن الشعبي قال لما اهبط الله آدم الى الارض وانتشر ولده ارج بنوه من هبوط آدم فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله نوحا فارخا من بعث نوح حتى كان الغرق فهلك كل من كان على وجه الارض . فلما نزل سيدنا نوح وكل من كان في السفينة قسم الارض بين اولاده اثلاثا فجعل لسام وسطا من الارض ففيها بيت المقدس والنيل . وجعل قسم يافث مما وراءه الى منكر ريح الصبا والفرات ودجلة وسيحان وجيحان ونواحي ذلك الى الشرق من النيل وما بين منكر ريح الجنوب الى منكر ريح الشمال . وجعل لحام قسم غربي النيل الى ما وراءه الى منكر الدبور فكان التاريخ من الطوفان الى نار ابراهيم عليه السلام . قال ابن الجوزي باسناده الى الشعبي قال لما كثر بنو آدم في الارض وانتشروا ارجوا من هبوط آدم عليه السلام وكان التاريخ الى الطوفان ثم الى نار الخليل وهو ابراهيم بن تارح وهو ازر بن ناحور ابن ساروع . وقد اختلف في معنى الصحف التي انزلت على ابراهيم الخليل فقد روى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انها امثال فمنها ايها المسلط المغرور لم ابعتك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكنني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها ولا من كافر وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه . وابراهيم اول من اختتن وازاد الصيف وليس

لمفصل هذا الكتاب * والسبب الداعي للشرب من هذا المنهل المستطاب *
 وان كانت مزاياء يحكم القياس بتقديمها فان عظماء الملوك يقدمها توابعها
 والامور بخواتمها وختامه عدد سنة سبع وثلاثين ومائة والى وهو آخر
 الجزء الثالث الباب الثامن في استطراد اخبار مفصلة اولها من سنة
 اثنتين وتسعين والى سائرا بها على ترتيب السنين ومهما عرضت ترجمة
 بعض الاولياء او العلماء ندخلها في سنته حسب الامكان والله الموفق للصواب
 واليه المرجع والمآب والله يحفظنا فيه من النفس الامارة انه على ذلك قدير
 وبالاجابة جدير وسميته - الحلال السندسية * في الاخبار التونسية - *

الباب الاول في التاريخ وفيه ثمانية فصول

الفصل الاول في حد التاريخ

قال في التوقيف على مهمات التعريف التاريخ ذكر ابتداء مدة
 الشئ ليعرف به مقدار ما بين ذلك لا ابتداء وبين اي وقت اريد .
 قال في سبط اللآل ومنه قيل فلان تاريخ قومه اي الذي ينتهي اليه
 شرفهم . وقال في القاموس ارخ الكتاب وارخه قال في سبط اللآل
 وهو افصحها كما في ااداب الكتاب وارخه وقته . وقال ابو محمد محمود
 العيني التاريخ تعريف الوقت وكذلك التورينج . وقال الصيداوي اخذ
 التاريخ من الارخ كانه شئ حدث كما يحدث الولد وقال الصافاني
 قال ابن شميل يقال للأنثى من بقر الوحش ارخ بالفتح وجمعه اراخ
 كفرخ وفراخ وقال الصيداوي هو الارخ بالكسر وضعف الازهري قوله .
 وقال الشيخ الامام ابو نصر اسماعيل بن جاد الجوهرى في كتابه الصحاح
 ارخت الكتاب يوم كذا وورخته بمعنى . قال العيني فرق الاصمعي بين
 اللغتين فقال بنو تميم يقولون ورخت الكتاب بالواو تورينجا وعلى كل من
 المضعف وغير المضعف سواء كان مهموزا او واويا فانما اوتي به لتعرف
 المدة كما سبق غير ان لغة بني تميم قال في سبط اللآل وهي اقل اللغات
 وقيس تقول ارخته تاريخا . وقيل التاريخ معرب ماه روز وكلاهما بالفارسي

وفيه ثمانية فصول الفصل الاول في حد التاريخ الفصل الثاني في ذكر مبادي التاريخ قبل الاسلام الفصل الثالث في سبب وضع التاريخ للاسلامي الفصل الرابع في مبدا التاريخ الاسلامي الفصل الخامس في ذكر الاسوة فيه بنسج القرءان العظيم والسنة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام الفصل السادس في ذكر فوائده وما ينشأ عن الجهل به والرد على من يرد عليه الفصل السابع في ذكر اسماء الاشهر والايام اذ لا يتصبط التاريخ إلا بمعرفتها وذكر مصطلح لام لا اول عليها وما جرت عادة الله في بعضها الفصل الثامن ذكر مدة العالم البسب الثاني في ذكر المغرب وفيه فصلان الفصل الاول في فضل المغرب عموما الفصل الثاني في حده البسب الثالث في ذكر افريقية وفيه اربعة فصول الفصل الاول في فضل افريقية الفصل الثاني في حد افريقية وما اشتهر من مدنها وبلادها حسبما وقفت عليه الفصل الثالث في سبب تسميتها بلفظ افريقية الفصل الرابع في فتحها البسب الرابع في ذكر قرطاجنة وفيه ثلثة فصول الفصل الاول فيمن بنى قرطاجنة الفصل الثاني في القناة التي بها الفصل الثالث في فتحها البسب الخامس في تونس وفيه ثلثة فصول الفصل الاول في فتحها الفصل الثاني في مسجددها لاعظم جامع الزيتونة وبعض ايمته ومدرسيه الفصل الثالث في ذكر اماكن تشرفت مدينة تونس بها حرسها الله تعالى البسب السادس في ملوكها قبل الدولة العثمانية وفيه خمسة فصول الفصل الاول في ملوك لاغالبة الفصل الثاني في الملوك العميديين الفاطميين الفصل الثالث في الملوك الصنهاجية الفصل الرابع في ملوك بني عبد المومن بن علي الفصل الخامس في الملوك الحفصيين وهم ختام الجزء الاول البسب السابع في الامراء الذين تولوها تحت طاعة آل عثمان خلد الله للاسلام نصرهم * وادام على العداة الكافرين ظفرهم * الى دولة الشريف ابراهيم باي وفيه ختام الجزء الثاني والخاتمة في نظم سيرة حسين باي الامير الذي هو السر الجامع

لفصل

دولة وما احتوت عليه من السادات لاختيار * ذاكرا لعلومهم ومصنفاتهم *
 مبينا لتاريخ ولادتهم ووفاتهم * ممن كانوا فيه وبانوا من العرب * وحل
 فيه بعدهم من العجم حين عم الفساد من عربانه ولحمائه منه انتدب * ولما
 لم اجد له تاريخا لمن تقدم من الافاضل * جامعا لحلي من ملك فيه
 من الاول * اجعل للاعتماد عليه * واول في الوقائع والقضايا على التحقيق
 بالاستناد اليه * بعد تطلي ذلك اشد الطلب * وجدي وسوالي عن ذلك
 سن نسل من كل حذب * اقتطعت هذه الاخبار فيه من رحلات افاضل سيمر
 بك ذكرهم في خلال هذا الكتاب * ونشف من مجموعات ذكرت فيها بعض
 اخباره استطرادا من فضلائها لانجابه * ومسموعات من بعض الاخوان
 والاصحاب * وخبيات افكار امتلا بها الوطاب * فجاء بحمد الله نسجا
 ولا اقول انه بديع ولكل عويصة ذلل * بل هو بحسب قريحتي الجمادة
 وقصوري في العلوم نسج مهلهل * ورحم الله الشاطبي - نظم
 اخي ايها المجتاز نظمي ببابه ينادي عليه كاسد السوق اجلا
 وطن به خيرا وسامح نسيجه بالاغضاء والحسنى وان كان لهلا
 والمتصد من هذا المبارك ان شاء الله ذكر ما مضى من زمن فتحها *
 اذ تلك مقدمة لا يحيد عن شرحها * ثم ذكر ملوكها قبل الدولة العثمانية
 ثم ذكر حكامها بعد الفتح العثماني خلد الله لاعلاء كلمة الدين نصره *
 وشد بمنطقة اليقين في الحق ازره * ثم تفصيل ما حدث من سنة اثنتين
 وتسعين والاف لان وقائع اخبارها ابكار قضايا لم يفك ختامها * ونجائب
 هدايا لم ينحطم زمامها * واسأل الله من فضله ان يجعله خالصا لوجهه
 الكريم * وسببا للفوز بجنت النعيم * اذ مقصدي لاهم والله به اعلم اداء
 واجب شكر ما انعم الله به علينا من من هذا الملك الذي قلدنا في
 المضيق قلائد جوده الوافر * وازال ظما ازمانتنا بفيض احسانه الزاخر *
 ووشى صفحات الايام * بمآثر العلماء لاعلام * والله المستعان * وعليه
 التكلان * ورتبته على ثمانية ابواب وخاتمة الباب الاول في التاريخ

فكم هناك من فتى ناعم ومن فتاة ذات اردان
ومن هزبر مسرح في الوغى وطبيرة تسرح في بسان
كانوا كذا ثم غدوا عبدة للنازح الدار وللـدندان
ولم يدافع منهم جحفل قد طبق لارض بفرسان
ولا بيوت ملئت كلها من لولو بحث وعقبان
بل مر ذاكم كله مسرعا كالريح مرت بين قضبان
واصبح الملك لمن ملكه باق وكل غيره فـسان

واشهد ان لا اله الا الله وحده * شهادة من الهه رشده * وعول في
جميع المطالب عليه * وصرف همه في سيرته الى ما يقربه اليه *
ويهي له من الجزاء على لاحسان لديه * ليكون من الفائزين بين
يديه * والصلاة والسلام على من عمت بعثته سائر لآلام * وقص عليه
اخبارها في كتابه المنزل عليه ذي الحكم * وكانت امته خير امته اخرجت
للناس * ومنحت من الفضائل على غيرها ما لا يدخل تحت قياس * صلى
الله عليه وعلى اله واصحابه ما اتصلت بالاجسام لانفاس * ودامت
شريعته المطهرة داحضة للشرور والارجاس * وبعد فلما كان علم التاريخ
ما ترغب فيه النفوس الزكية * وتطرب لسماع ما احتوى عليه من
لاخبار افكارهم لالعية * اذ به تتضح احوال من تقدم من الملوك في
سيرتهم وتصرفاتهم * وتضبط به صفات علماء زمانهم من هدايتهم * وتعلم
به الهداية منهم القادة * والساكنون في مناهج لاخلاص في العبادة * ويتميز
به صحة لاسناد في العلوم * ويعلم به الصحيح في ذلك والموهم * اذ
ببيان سير وفيات سن تقدم في لآزمان * يعلم صحة اخذ المتأخر من
المسند اليه من لآليان * ولولا لاندروست لاخبار * واشتبه وضع لاشرار
على لاخبار * اردت ان اولف في هذا القطر لا فريقي كتابا يحيط بحقيقته
ومن كانت له فيه دولة * مبينا لفضلاء ملوكه من ذوي الهيبة
والصولة * مميذا لمتعبداته المباركة بما وجد بها من لآسرار * ولعلماء كل
دولة

انمله المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا ان وعى
افاد سبحانه من شكر منهم لاحسان من عوائد كرمه النعم الوافرة *
واباد بعدله من كفره من الطغاة والجبابرة * فاصبح الكل وقد دار عليهم
كس الحمام احاديث * تسامر بها الفضلاء في القديم والحديث * ولله
درا شعر لانس والجن ابو العنانية * حيث يقول فيهم وفي امثالهم ما تعيه
كل اذن واعية * - شعر -

حدث حديث القوم من فارس ومن بني قبط ويونان
ومن بني لاصغر اعجب بهم وسيد الاثر اك خافان
والاقدامين لاعظمين لالى من حير ابناء قحطان
من تبع العرب ومن قيصر الر وم وكسرى مال ساسان
من كل قوم شامخ انفسه وكل فرعون وهامان
وان نسيت اليوم شيئا فلا تنسى قبينا اخت كلدان
واذكر ملوك الارض من بعدهم من عرب صيد وعجمان
من كل منصور اللوى اروع شديد اطواق وتيجان
مجتمع البشل على عسرة شدت باساس واركان
قد زلزل الارض وراع الورى من جيشه الضخم بطوفان
وذلل الخلق بسلطانهم كانه رب لهم ثمان
انظر اليهم هل ترى منهم غير احاديث بافتان
وانظر الي الموت واعماله فيهم ترى الملك بمرمان
وتبصر القوم وما ذا لقوا بالموت من ذل وخسران
قد صفحتهم يده صفعة خروا للانافى ولاذقان
وذك في الارض بتيجانهم والبسوا تيجان منمان
من حجر صلد ورخو ومن ترب وحضباء وميدان
وانزلوا بطن الثرى بعند منا كانوا قعودا فوق كيان
واطمع الديدان لحمانهم يا لك من لحم وديدان

2276

.94445

348

(RECAP)

بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله الذي جعل في حوادث لا يام والسنين * اعظم عبرة للعقلاء
المعتبرين * وندب لتقيد اخبار سير الماصين * جهابذة من الفضلاء نقادين *
فحصوا عن ابناء امم تلك القرون الماضية * وتصاريفهم في سيرتهم الحميدة
والعادية * فنظموا جواهر سير المحسنين في سلك الاحسان قلائد * وزعموا
بصلاتهم في الدفاتر بما اغنى عن الصلة والعائد * وادغموا الضد بعظيم ما
اجتري من المفسد وخرق من متعارف العوائد * في امهال ذي القدرة
الباهرة على العتاة والتمكين * القائل جل ذكره واملي لهم ان كيدي
متين * والشكر له سبحانه على الهام الفضلاء لاثبات تلك الوقائع في
الكتب والدفاتر * والتنبيه على حال من تقدم او تاخر في تلك المائر *
حتى صار النظر فيها والتمتع باخبارها اليهم احب من الآنسة * ويرى
الناظر فيها القرون الماضية حاضرة واعظمهم دارسة * فسبحان من وفق
سن شاء بفضل لاقتناء الخصال الحميدة * وحسن تصريفه في سيرته المرضية
الرشيقة * احبب بها ذكره على مر لا يام وتعاقب الدهور * ولا شك
ان تخليد فضائل الفضلاء في الكتب حياة الى يوم النشور * فهم وان
بانوا من الدنيا بالاجسام وفاتوا * فيما تركوا فيها من المائر الحسنة
احياء ما ماتوا - شعر -

انما المرء

الحوادث
الحمل السندسية

في

الأخبار التونسية

تأليف

الشيخ العالم العلامة الأديب البارع الفاضل

أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي

شهر

الوزير

تغمده الله برحمته

طبعة أولى

في مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية

س ١٢٨٧ سنة



